«التكملة»

صلاح الأمة في علو الهمة

المجلد الحادى عشر

تأليف
دكتور/سيد بن حسين العفاني

قدم له

الشيخ أبو بكر الجزائري	الشيخ محمد صفوت نور الدين
الشيخ محمد إسماعيل المقدم	الشيخ أحمد فريد
الشيخ سعيد عبد العظيم	الشيخ ياسر برهامي
الشيخ محمد عبد المقصود	الشيخ عائض القرني
الشيخ أحمد عيسى	الشيخ أبو إسحاق الحويني
د. حمزة بن يافع الفتحي	أ.د. عبد الرحمن فوده

دار العفاني

بسم الله الرحمن الرحيم

صلاح الأمة في علو الهمة

المجلد الحادى عشر

الطبعة السابعة
طبعة جديدة مزيدة ومنقحة
١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م
رقم الإيداع بدار الكتاب المصرية
٢٠٠٧/٢٠٦١٢

دار العفاني

٣درب الأتراك خلف الجامع الأزهر- القاهرة
ت/ ٠٢/٢٥١٠٨٢٥٧ - ٠١٢/٢٥٧٧٥٧١١
فرع بني سويف -برج الري- حي الرمد- بجوار مجمع المحاكم-بني سويف
ت/ ٠٨٢/٢٣١٧٣٤٤

مطبعة العمرانية للاوفست
الجيزة : ٣٣٧٥٦٢٩٩

عُلُوُّ الهِمَّةِ
في قِصَرِ الأَمَل
والمُبَادَرَة إلى العَمَل

عُلُوُّ الهِمَّةِ في قِصَرِ الأَمَلِ والمُبَادَرة إلى العَمَل

قِصَر الأمل:

اعلم يا أخي أن قصر الأمل دافعٌ إلى خير العمل.. وهناك آيات قرآنية وأحاديث نبويّة عطرات تحثُّ على قِصَر الأمل، تُرهِّب وتنفِّر من طول الأمل، نسرد بعضها:

* قال تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: ٣٤].

* وقال تعالى: ﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الحديد].

• عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله ﷺ بِمنكِبي فقال: «**كن في الدنيا كأنك غريبٌ أو عابرُ سبيل**»[١].

▫ وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: «إذا أمسيتَ، فلا تنتظر الصباحَ، وإذا أصبحتَ فلا تنتظر المساءَ، وَخُذْ من صِحَّتِكَ لمرضِكَ ومن حياتك لموتك»[٢]، فإنك يا عبد الله لا تدري ما اسمُكَ غدًا.

• وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**ما حَـقُّ امْرِيءٍ مُسْلم ـله شيءٌ يُوصي فيه ـ يبيتُ لَيْلَتَيْنِ إلَّا وَوَصِيَّتُه مَكتوبةٌ عنده**»، وفي رواية لمسلم: يبيتُ ثلاثَ ليالٍ.

---

(١) رواه البخاري (٦٤١٦)، والترمذي (٢٣٣٣)، وابن ماجه (٤١١٤).

(٢) متفق عليه: وهذا لفظ البخاري (٢٧٣٨)، ومسلم (١٦٢٧).

□ قال ابن عمر رضي الله عنهما: «مَا مَرَّتْ عَلَيَّ لَيْلَةٌ منذُ سمعتُ رسول الله ﷺ قال ذلك إلَّا وعندي وَصِيَّتي»(١).

• وعن أنس رضي الله عنه قال: خَطَّ النَّبيُّ ﷺ خُطُوطًا فقال: «**هذا الإنسانُ، وهذا أَجَلُهُ، فبيْنَما هو كَذلك إذْ جاء الخطُّ الأقربُ**»(٢).

• وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: خَطَّ النبي ﷺ خطًّا مُرَبَّعًا، وَخَطَّ خَطًّا في الوَسَطِ خارجًا منه، وَخَطَّ خُطُوطًا صِغَارًا إلى هذا الذي في الوَسَطِ من جَانبِهِ الذي في الوَسَطِ، فقال: «**هذا الإنسانُ، وهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطًا به -أَوْ قَدْ أَحاطَ به- وهذا الذي هو خَارجٌ أَمَلُهُ وهذه الخُطَطُ الصِّغَار الأعراضُ، فإنْ أَخطأَهُ هذا نَهَشَه هذا، وإنْ أخطأه هذا نهشه هذا**»(٣).

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أكثروا ذكر هَاذِمِ اللَّذّات**». يعني: الموت.

• وقال رسول الله ﷺ: «**أكثروا ذكرَ هاذمِ اللذَّات: الموت؛ فإنه لم يذكُرْه أحدٌ في ضيق من العيش إلَّا وَسَّعَه عليه، ولا ذَكَرَه في سَعَةٍ إلَّا ضَيَّقها عليه**»(٤).

---

(١) رواه البخاري (٦٤١٨).

(٢) رواه البخاري (٦٤١٧)، والترمذي (٢٤٥٤)، وسنن ابن ماجه (٤٢٣١).

(٣) صحيح: رواه الترمذي (٢٣٠٧)، والنسائي (١٨٢٤)، وابن ماجه، وأبو نعيم في «الحلية» عن ابن عمر، والحاكم في «المستدرك»، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن أبي هريرة، والطبراني في «الأوسط»، وأبو نعيم في «الحلية» والبيهقي في «شُعب الإيمان» في أنس، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٢١٠).

(٤) حسن: رواه البيهقي في «شعب الإيمان»، وابن حبان عن أبي هريرة، والبزار عن أنس، وحسَّنه الألباني.في «الإرواء» (٦٨٢)، و«صحيح الجامع» (١٢١١).

• وعن أُبَيِّ بن كعب رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ إذا ذَهَبَ ثُلُثُ الليل قام فقال: «يا أيها النَّاسُ اذكروا الله جاءت الرَّاجفة تتبَعُهَا الرَّادِفَةُ، جاءَ الموتُ بما فيه، جاءَ الموتُ بما فيه، قلتُ: يا رسول الله إني أكثرُ الصلاة عليك، فكم أَجْعَلُ لكَ من صَلاتي؟ قال: ما شئتَ، قلتُ: الرُّبُعَ؟ قال: ما شئتَ، فإنْ زِدْتَ فهو خيرٌ لك. قُلْتُ: فالنِّصْفَ؟ قال: ما شِئْتِ، فإنْ زِدتَ فهو خيرٌ لكَ. قُلتُ: أجعَلُ لك صلاتي كُلَّها؟ قال: إذًا تُكْفَى هَمَّكَ، ويُغْفَرُ لكَ ذنبك»(١).

• وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: مَرَّ عَلَيْنَا رسولُ الله ﷺ ونحنُ نُعَالِجُ خُصًّا لنا، فقال: ما هذا؟ فَقُلْنَا: قَدْ وَهِيَ فنحْنُ نُصْلِحُه، فقال: «ما أرى الأَمْرَ إلَّا أَعْجَلَ مِنْ ذلك»(٢).

• وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «نَجا أَوَّلُ هذه الأُمَّةِ باليقين والزُّهْد، ويَهْلِكُ آخِرُها بالبُخْل والأمل»(٣).

• وقال رسول الله ﷺ: «صلاحُ أَوَّلِ هذه الأُمَّةِ بالزُّهد واليقين، ويهلِكُ آخرُها بالبُخْلِ والأَمل»(٤).

---

(١) حسن: رواه أحمد في «مسنده»، والترمذي (٢٤٥٧)، والحاكم في «المستدرك»، وحسَّنه الألباني في «الصحيحة» رقم (٩٥٢)، و«صحيح الجامع» رقم (٧٨٦٣).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٥٢٣٥)، والترمذي (٢٣٣٥) بإسناد البخاري ومسلم قاله النووي، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٥٢٦)، و«تخريج المشكاة» (٥٢٧٥).

(٣) حسن: رواه ابن أبي الدنيا،وحسَّنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٧٤٦).

(٤) حسن: أخرجه أحمد في «الزهد» والطبراني في «الأوسط»، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن ابن عمرو، وحسَّنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٨٤٥).

• وقال رسول الله ﷺ: «الشيخ يَضعُفُ جسمهُ؛ وقلبُه شابٌّ على حب اثنتيْن: طولِ الياة، وحُبِّ المالِ»[١].

• وقال ﷺ: «قلبُ الشيخ شابٌّ على حُبِّ اثنتيْن: حُبِّ العيشِ، والمال»[٢].

• وقال رسول الله ﷺ: «قلبُ الشيخ شابٌّ على حُبِّ اثنتيْن: طول الحياةِ، وكثرةِ المال»[٣].

• وقال رسول الله ﷺ: «لا يُزالُ قلبُ الكبير شابًّا في اثنتيْن: في حُبِّ الدنيا، وطولِ الأملِ»[٤].

• وقال ﷺ: «يَهْرَم[٥] ابن آدم، ويبقى معه اثنتان: الحرصُ والأمل»[٦].

• وقال ﷺ: «يَهْرَمُ ابن آدم، ويَشِبُّ[٧] فيه اثنتان: الحرص على المال والحرص على العمر»[٨].

• وقال رسول الله ﷺ: «اغتنم خمسًا قبلَ خمسٍ: حياتكَ قبل موتِكَ،

---

(١) حسن: رواه عبد الغني بن سعيد في «الايضاح» عن أبي هريرة، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (١٩٠٦)، و«صحيح الجامع» (٣٧٤٩).

(٢) رواه مسلم وابن ماجه عن أبي هريرة.

(٣) صحيح: رواه أحمد، والترمذي والحاكم عن أبي هريرة، وابن عدي وابن عساكر عن أنس، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٤٠٨)، و«الصحيحة» (١٩٠٦).

(٤) رواه البخاري عن أبي هريرة.

(٥) يهرم: يكبر ويشيب.

(٦) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم، والنسائي عن أنس.

(٧) أي يكون كالشاب.

(٨) رواه مسلم، والترمذي، وابن ماجه عن أنس.

وصحَّتَكَ قبل سقمك، وفراغَكَ قبل شغلِكَ، وشبابَكَ قبل هرمكَ، وغناكَ قبل فقرك»(١).

• وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما لي وللدُّنيا! ما أنا في الدنيا إلَّا كراكبٍ استظلَّ تحت شجرة، ثم راح وتركها»(٢).

• وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ما لي وللدنيا، وما للدنيا وما لي! والذي نفسي بيده، ما مَثَلي ومثل الدنيا، إلَّا كراكب سار في يومٍ صائف، فاستظلَّ تحت شجرة ساعة من النهار، ثم راح وتركها»(٣).

• وعن أبي جبيرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بُعِثتُ في نَسَيم الساعة»(٤).

• وقال رسول الله ﷺ: «بُعِثْتُ أنا والساعةَ كهاتيْن»(٥).

---

(١) صحيح: رواه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣٠٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن ابن سعد، وابنَ المبارك في «الزهد»، وأحمد في «الزهد»، وأبو نعيم في «الحلية» والبيهقي في «شعب الإيمان» عن عمرو بن ميمون مرسلاً، وصححه الحاكم علىٰ شرط الشيخين، وقال الإمام العراقي: أخرجه ابن أبي الدنيا بإسناد حسن، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٠٧٧).

(٢) صحيح: رواه الحاكم في «مسنده»، والترمذي (٢٣٧٧)، وابن ماجه (٤١٠٩)، والحاكم في «المستدرك»، والضياء في «المختارة»، وابن أبي الدنيا في «أم الدنيا»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٤٣٨)، و«صحيح الجامع» (٥٦٦٨).

(٣) صحيح: رواه أحمد في «مسنده»، والحاكم في «المستدرك»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٤٣٩)، و«صحيح الجامع» (٥٦٦٩).

(٤) صحيح: رواه الحاكم في «الكُنىٰ»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٨٠٨)، و«صحيح الجامع» رقم (٢٨٣٢).

(٥) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم، والترمذي عن أنس، وأحمد، والبخاري، =

• وقال ﷺ: «نعمتانِ مغبونٌ فيهما كثيرٌ من الناس: الصحَّة والفراغ».

• وقال رسول الله ﷺ: «مَن خاف أدلج، ومَن أدلج بلغ المنزل، ألَا إنَّ سلعة الله غالية، ألَا إن سلعة الله الجنة».

السبب في «طول الأمل» وعلاجه:

□ قال الغزَّالي: «اعلم أن طولَ الأمل له سببان، أحدهما: الجهل، والآخر: حب الدنيا.

□ **أمَّا حب الدنيا:** فهو أنه إذا أَنِس بها وبشهواتها ولذَّاتها وعلائقها، ثقُل على قلبه مفارقتُها، فامتنع قلبُه من الفكر في الموت الذي هو سببُ مفارقتها، وكلُّ مَن كَرِه شيئًا دفعه عن نفسه، والإنسانُ مشغوفٌ بالأماني الباطلة، فيُمَنِّي نفسه أبدًا بما يُوافقُ مرادَه، وإنما يُوافق مرادَه البقاءُ في الدنيا، فلا يزال يتوهَّمه ويقدِّرُه في نفسه، ويقدِّر توابعَ البقاء، وما يحتاجُ إليه من مالٍ وأهلٍ ودارٍ وأصدقاءَ ودوابَّ -وسائر أسباب الدنيا-، فيصيرُ قلبُه عاكِفًا على هذا الفكر موقوفًا عليه، فيلهو عن ذكر الموت، فلا يقدِّرُ قُربَه، فإن خطر له في بعض الأحوال أمرُ الموت والحاجةُ إلى الاستعداد له، سوَّف، ووعد نفسه وقال: الأيَّام بين يديك إلى أن تكبُرَ ثم تتوب، وإذا كبِر فيقول: إلى أن تصير شيخًا، فإذا صار شيخًا قال: إلى أن تفرُغ من بناء هذه الدار وعمارةِ هذه الضيْعة، أو ترجعَ من هذه السَّفْرَة، أو تفرغَ من تدبير هذا الولد وجهازه وتدبيرِ مسكن له، أو تفرغَ من قهر هذا العدوِّ الذي يشمتُ بك، فلا يزال يُسوِّف ويُؤخِّرُ، ولا يخوضُ في شُغل إلَّا ويتعلَّقُ بإتمام ذلك الشغل عشرةُ أشغال أُخر، وهكذا على التدرج يؤخِّرُ يومًا بعد

ومسلم عن سهل بن سعد.

يوم، ويُفضى به شغلٌ إلى شغل -بل إلى أشغال-، إلى تختطفه المنيَّةُ في وقتٍ لا يحتسبُه، فتطولُ عند ذلك حسرته، وأكثرُ أهل النار صياحُهم من «سوف»، يقولون: واحُزناه من «سوف». والمُسَوِّف المسكين لا يدري أنَّ الذي يدعوه إلى التسويف اليومَ هو معه غدًا، وإنما يزدادُ بطول المُدَّةِ قوَّةً ورسوخًا، ويظنُّ أنه يتصوَّر أن يكون للخائض في الدنيا والحافظ لها فراغٌ قط وهيهات! فما يفرغُ منها إلَّا مَنْ طَرَحَها..

فـما قـضى أحـدٌ منهـا لبانَتَـهُ   ومـا انتهـى أربٌ إلَّا إلى أرب

□ **وأمَّا الجهل**: فهو أن الإنسانَ قد يعوِّل على شبابه، فيستبعدُ قُربَ الموت مع الشباب، وليس يتفكَّرُ المسكينُ أن مشايخ بلده لوْ عُدُّوا لكانوا أَقلَّ من عُشْرِ رجالِ البلد، وإنَّما قَلُّوا لأنَّ الموت من الشباب أكثر، فإلى أن يموتَ شيخٌ، يموت ألفُ صبيٍّ وشابٍّ، وقد يستبعد الموتَ لصحته، ويستبعد الموت فجأةً، ولا يدري أن ذلك غيرُ بعيد، وإنْ كان ذلك بعيدًا فالمرضُ فجأةً غير بعيد، وكلُّ مرضٍ فإنما يقعُ فجأةً، وإذا مرض لم يكن الموتُ بعيدًا.

ولو تفكَّر هذا الغافلُ، وعَلِم أن الموت ليس له وقتٌ مخصوصٌ من شبابٍ وشيبٍ وكهولة، ومن صيفٍ وشتاءٍ وخريفٍ وربيع، من ليل ونهار: لعظُم استشعاره، واشتغل بالاستعداد له، ولكنَّ الجهل -جهله الأمور وحب الدنيا- دَعَوَاه إلى طول الأمل، وإلى الغفلة عن تقدير الموت القريب، فهو أبدًا يظنُّ أن الموت يكون بين يديه، ولا يُقدِّر نزولَه به ووقوعه فيه، وهو أبدًا يظنُّ أنه يُشيِّعُ الجنائز، ولا يُقدِّر أن تُشيَّعَ جنازته؛ لأن هذا قد تَكرَّرَ عليه وأَلِفَه وهو مشاهدةُ موت غيره، فأمَّا موتُ نفسه،

فلم يألَفْهُ، ولم يتصوَّرْ أَنْ يألفَه، فإنه لم يقع، وإذا وقع في دفعةٍ أخرى بعد هذه، فهو الأولُ وهو الآخر. وسبيلُه أن يقيس نفسَه بغيره، ويعلمَ أنه لابُدَّ وأن تُحملَ جنازته ويُدفن في قبره، ولعلَّ اللَّبِنَ الذي يُغطَّي به لَحْدُه قد ضُرِبَ وفُرِغَ منه وهو لا يدري، فتسويفه جهلٌ محض»[1].

علاج طول الأمل:

□ قال الغزَّالي رَحِمَهُ اللهُ: «وإذا عرفتَ أن سببه [2] الجهلُ وحبُّ الدنيا، فعلاجه دفعُ سببه:

أما الجهل: فيُدفَع بالفِكر الصافي من القلبِ الحاضر، وبسماع الحكمة البالغة من القلوب الطاهرة.

وأما حبُّ الدنيا: فالعلاج في إخراجه من القلب شديد، وهو الداء العُضال الذي أعيَا الأوَّلين والآخِرين علاجُه؛ ولا علاج له إلَّا بالإيمان باليوم الآخر، وبما فيه من عظيم العقاب وجزيل الثواب، ومهما حصُلَ له اليقينُ بذلك، ارتحل عن قلبه حبُّ الدنيا، فإنَّ حُبَّ الخطير هو الذي يمحُو عن القلب حبَّ الحقير.

فإذا رأى حقارة الدنيا ونفاسةَ الآخرة، استنكف أن يلتفتَ إلى الدنيا كلِّها وإنْ أُعطى مُلكَ الأرض من المشرق إلى المغرب، وكيف وليس عنده من الدنيا إلَّا قدْرٌ يسير مُكَدَّرٌ مُنَغَّصٌ، فكيف يفرحُ بها أو يترسَّخُ في القلب حبُّها مع الإيمان بالآخرة؟ فنسألُ الله تعالى أن يُرِيَنا الدنيا كما أراها الصالحين من عباده. ولا علاجَ من تقدير الموت في القلب مثلُ النظر إلى

(١) «إحياء علوم الدين» (٤/ ٤٨٥).

(٢) أي: سبب طول الأمل.

من مات من الأقران والأشكال، وأنهم كيف جاءهم الموتُ في وقتٍ لم يحتسبوا. أمَّا من كان مستَعِدًّا، فقد فاز فوزًا عظيمًا، وأمَّا من كان مغرورًا، فقد خَسِر خُسْرَانًا مبينًا.

فلينظر الإنسانُ كلَّ ساعةٍ في أطرافه وأعضائه، ولْيتدبَّر أنها كيف تأكلُها الديدان لا محالةِ؟ وكيف تتفتَّت عظامُها؟ فما على بدنِه شيءٌ إلَّا وهُو طُعمةُ الدودِ، وما لَهُ من نفسه إلَّا العلمُ والعمل الخالص لوجه الله تعالى.

وكذلك يتفكَّر في عذاب القبر وسؤال منكَر ونكير، وفي الحشر والنشر وأهوال القيامة وقرْع النداء يوم العرض الأكبر، فأمثالُ هذه الأفكار هي التي تُجدِّدُ ذكرَ الموتِ على قلبه، وتدعوه إلى الاستعداد له»[١].

مراتب الناس في طول الأمل وقصره:

□ قال الغزَّالي رَحِمَهُ اللَّهُ: «اعلم أن الناس في ذلك يتفاوتون؛ فمنهم من يأملُ البقاء ويشتهي ذلك أبدًا. قال الله تعالى: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [البقرة: ٩٦].

ومنهم مِن يأمل البقاء إلى الهَرَم -وهو أقصى العمر الذي شاهده ورآه- هو الذي يحبُّ الدنيا حُبًّا شديدًا، ومنهم مَن يأملُ إلى سَنَةٍ، فلا يشتغل بتدبير ما وراءها، فلا يقدِّرُ لنفسه، وجودًا في عامٍ قابِل، ولكن هذا يستعِدُّ في الصيف للشتاء، وفي الشتاء للصيف، فإذا جمع ما يكفيه لسَنته اشتغل بالعبادة، ومنهم مَن يأملُ مدَّةَ الصيف أو الشتاء، فلا يدَّخر في الصيف ثيابَ الشتاء ولا في الشتاء ثيابَ الصَّيْف،ومنهم مَن يَرْجِعُ أملُه إلى يومٍ وليلة، فلا يستعِدُّ إلَّا لنهاره وأمَّا للغَدِ فَلَّا.

(١) «إحياء علوم الدين» (٤/ ٤٨٥- ٤٨٦).

• قال عيسى عليه السلام: «لا تهتمُّوا برزق غدٍ، فإن يكن غدٌ من آجالكم، فستأتي فيه أرزاقكم مع آجالكم، وإن لم يكن من آجالكم، فلا تهتمُّوا الآجال غيركم».

ومنهم من لا يجاوزُ أمَلُه ساعةً، كما قال نبينا ﷺ: «**يا عبدَ الله، إذا أصبحتَ، فلا تُحدِّث نفسك بالمساء، وإذا أمسيت، فلا تُحدِّث نفسك بالصباح**».

ومنهم مَن لا يُقدِّرُ البقاءَ أيضًا ساعة، ومنهم مَن يكون الموتُ نُصْبَ عينيه كأنَّه واقعٌ به فهو ينتظره، وهذا الإنسان هو الذي يصلي صلاةَ مُوَدِّع كما نُقل عن الأسود وهو حبشيٌّ أنه كان يصلِّي ليلًا، ويلتفت يمينًا وشمالًا فقال له قائلٌ: «ما هذا؟ قال: أنظر ملَكَ الموت من أيِّ جهةٍ يأتيني».

فهذه مراتبُ الناس، ولكلٍّ درجاتٌ عند الله، وليس مَن أملُه مقصورٌ على شهر كمَن أملُه شهرٌ ويوم، بل بينهما تفاوتٌ في الدرجة عند الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ﴾[النساء]، وقال تعالى: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧﴾ [الزلزلة].

ثم يظهرُ أثرُ قِصَرِ الأمل في المبادرة إلى العمل، وكلُّ إنسانٍ يدَّعي أنه قصيرُ الأمل -وهو كاذب-، إنما يظهر ذلك بأعماله، فإنه يعتني بأسبابٍ ربما لا يحتاج إليها في سنة، فيدلُّ ذلك على طول أمله. وإنما علامةُ التوفيق أن يكون الموتُ نُصْبَ العين، لا يغفُل عنه ساعة، فلْيستعدَّ للموت الذي يَرِدُ عليه في الوقت، فإن عاش إلى المساء شكر الله تعالى على طاعته، وفرح بأنه لم يُضيِّع نهاره، بل استوفى منه حظَّه وادَّخره لنفسه، ثم يستأنفُ مثله إلى الصباح، وهكذا إذا أصبح. ولا يتيَسَّر هذا إلَّا لِمَن فَرَّغَ القلب من الغَدِ

وما يكونُ فيه، فمثل هذا إن مات سَعِد، وإنْ عاش سُرَّ بحسن الاستعداد ولذَّة المناجاة؛ فالموتُ له سعادَة والحياة له مزيد، فليكن الموتُ على بالك يا مسكين، فإن السير حاثٌّ بك وأنت غافلٌ عن نفسك، ولعلك قد قاربت المنزل وقطعت المسافة ولا تكون كذلكم إلَّا بمادرة العمل اغتنامًا لكل نَفَسٍ أُمهِلْت فيه».

أقوال عَطِرَات في قِصَر الأمل والمبادرات إلى الخَيْرات:

□ قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «إن أخوفَ ما أخافُ عليكم اثنتانِ: أتباع الهوى، وطول الأمل.

- فأما اتباع الهوى: فيصدُّ عن الحق.
- وأما طول الأمل: فيُنسي الآخرة.

ألا وإن الآخرة قد ارتحلت مُقبلة.

ألا وإن الدنيا قد ارتحلت مُدبرة.

ولكل واحدٍ منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عملٌ ولا حساب، وغدًا حسابٌ ولا عمل»[(١)].

□ وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «هذا المرءُ، وهذه الحُتوف حوله شوارعُ إليه، والهَرَمُ وراء الحتوف، والأملُ وراء الهرم، فهو يأمَل، وهذه الحتوف شوارعُ إليه، فأيها أُمِرَ به أخذه، فإن أخطأته الحتوفُ قتله الهرم، وهو ينظر إلى الأمل»[(٢)].

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه»- كتاب الرِّقاق، باب في الأصل وطوله (٧/ ١٧٠- ١٧١)، وأحمد في كتاب «الزهد» (٢/ ٤٧- ٤٨)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٧٦).

(٢) «قصر الأمل» لابن أبي الدنيا (ص٣٣)- تحقيق محمد خير رمضان يوسف- =

□ وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال:

«ثلاثٌ أعجبتني، ثم أضحكتني!:

- مؤمِّلُ الدنيا والموتُ يطلبه.

- وغافلٌ وليس بمغفولٍ عنه.

- وضاحكٌ ملءَ فيه ولا يدري أساخطٌ ربُّ العالمين عليه أم راضٍ عنه.

وثلاثةٌ أحزنتني حتى أبكتني:

- فراقُ محمدٍ ﷺ وحزبِه والأحبة.

- وهولُ المطَّلَع.

- والوقوفُ بين يدي ربي، لا أدري إلى الجنة يُؤْمَرُ بي أو إلى النار»(١).

□ وعن يزيد بن شريك التيمي قال: «خرجنا حُجَّاجًا، فوجدنا أبا ذرٍّ بالرَّبْذَة (٢) قائمًا يُصلِّي. فانتظرناه حتى فرغ من صلاته، ثم أقبل علينا، فقال: هلمَّ إلى الأخ الناصح الشفيق. ثم بكى، فاشتدَّ بكاؤه، وقال: قتلني حبُّ يومٍ لا أدركه! قيل: وما يومٌ لا تدركه؟ قال: طول الأمل»(٣).

□ وعن أبي عثمان النهْدي (٤) قال: «قد بلغتُ ثلاثين ومئةَ سنةٍ، فما

دار ابن حزم، «إحياء علوم الدين» (٤/ ٦٦٠).

(١) «الزهد» لأحمد (٢/ ٩٠)، و«حلية الأولياء» (١/ ٢٠٦)، و«قصر الأمل» (ص٤٠- ٤١)، و«اتحاف السادة المتقين» (١٠/ ٢٤٠).

(٢) من قرىٰ المدينة، قريبة مِن ذات عرق علىٰ طريق الحجاز.

(٣) «قصر الأمل» (ص٦٧- ٦٨).

(٤) هو عبد الرحمن بن ملّ «الميم بالحركات الثلاث» بن عمرو النهدي الكوفي، سكن البصرة. أدرك الجاهلية، وأسلم علىٰ عهد النبي ﷺ، وصدَّق إليه، ولم =

منِّي شيءٌ إلَّا قد عرفتُ فيه النقصان إلَّا أملي، فإنه كما هو»(١).

□ وقال مالكُ بن مِغوَل (٢): «يُقالُ: مَن قَصَرَ أَمَلَهُ هان عليه عيشه».

□ قال سفيان: «يعني في المطاعِم والملابس»(٣).

□ وقال محمد بن النَّضْر الحارثي (٤) يقول: «إلى الله أشكو طولَ أملي، وعند الله أحتسبُ عظيم غفلتي»(٥).

□ وعن عمر بن عبد العزيز أنه قال في بعض خطبه: «إن لكلِّ سفرٍ زادًا لا محالة، فتزوَّدوا لسفركم في الدنيا إلى الآخرة بالتقوى.

وكونوا كمن عاينَ ما أعدَّ الله من ثوابه وعقابه، ترغبون وترهبون.

يلقه. كان من ساكني الكوفة، فلما قُتل الحسين تحول إلى البصرة وقال: لا أسكن بلدًا قُتل فيه ابن بنت رسول الله ﷺ. وقال معتمر بن سليمان: كان أبو عثمان النهدي يصلي، فربما صلىٰ حتىٰ يُغشىٰ عليه، وكان له يتامىٰ يحضرون طعامه، فوقع الطاعون فماتوا، فكان يقول: مات أصحابي. ت ١٠٠هـ. «تهذيب الكمال» (١٧/ ٤٢٤- ٤٣٠).

(١) «قِصَر الأمل» (ص٣٧).

(٢) مالك بن مغول بن عاصم البجلي الكوفي، أبو عبد الله، كان من سادة العلماء، وثَّقه ابن معين والإمام أحمد. وقال العجلي: رجل صالح. مبرِّز في الفضل. وروىٰ سفيان بن عيينة رَحِمَهُ اللَّهُ قال: قال رجل لمالك بن مغول: اتق الله! فوضع خدَّه بالأرض! ت ١٥٩هـ «سير أعلام النبلاء» (٧/ ١٧٤- ١٧٦).

(٣) «قصر الأمل» (ص٤٤- ٤٥).

(٤) كان من أعبد أهل الكوفة.. وقد انشغل بالعبادة عن الرواية، وأرسل الأحاديث عن النبي ﷺ ولم يصلها. قال ابن المبارك: كان محمد بن النضر إذا ذُكر الموت اضطربت مفاصله حتىٰ تبين الرعدة فيها! «صفة الصفوة» (٣/ ١٥٩- ١٦٠).

(٥) «قصر الأمل» (ص٤٧).

ولا يطولنَّ عليكم الأمل فتقسوَ قلوبُكم، وتنقادوا لعدوكم، فإنه والله ما بُسِطَ أَمَلُ مَنْ لا يدري لعله لا يُصبح بعد مسائه، ولا يمسي بعد صباحه. وربما كانت بين ذلك خَطَفَات المنايا!

فكم رأيتُ ورأيتم مَنْ كان بالدنيا مغترًّا!

فكم رأيتُ ورأيتم مَنْ كان بالدنيا مغترًّا!

وإنما تَقَرُّ عينُ من وثق بالنجاة من عذاب الله.

وإنما يفرح من أَمِنَ أقوال القيامة.

فأما مَنْ لا يداوي كَلْمًا، إلَّا أصابه جارح من ناحية أخرى فكيف يفرح!

أعوذ بالله أن آمرَكم بما أنهى عنه نفسي، فتخسرَ صفقتي، وتظهرَ عَوْلتي[1]، وتبدو مسكنتي في يوم يبدو فيه الغنى والفقر، والموازين فيه منصوبة.

لقد عُنيتم بأمر لو عُنيت به النجومُ انكدرت، ولو عُنيت به الجبال لزالت، ولو عُنيت به الأرض لتشقَّقت.

أما تعلمون أن ليس بين الجنة والنار منزلة؟ وأنكم صائرون إلى أحدهما[2]؟!».

□ وعن القعقاع بن عَجْلان قال: «خطب عمر بن عبد العزيز، فحمد

(١) العولة: رفع الصوت بالبكاء، والصياح، أو حرارة الحزن والحب من غير نداء ولا بكاء.

(٢) «قصر الأمل» (ص٥٠ ـ ٥١)، و«حلية الأولياء» (٥/ ٢٩١)،و«إحياء علوم الدين» (٤/ ٦٦٣).

الله تعالى أثنى عليه، وقال: أيها الناس، إنكم لم تُخْلَقوا عبثًا، ولن تُتركوا سُدى. وإن لكم معادًا يجمعُكم الله للحكم فيكم والفصل فيما بينكم؛ فخاب وشقيَ عبدٌ أخرجه الله من رحمته التي وسعت كلَّ شيء، وجنتِه التي عرضُها السماواتُ والأرض.

وإنما يكون الأمان غدًا لمن خاف اللهَ واتقى، وباع قليلًا بكثير، وفانيًا بباق، وشِقْوةً بسعادة.

ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين، وسيخلفُ بعدكم الباقون؟.

ألا ترون أنكم في كلِّ يوم تشيِّعون غاديًا أو رائحًا إلى الله، قد قضى نَحْبَه، وانقطع أملُه، فيضعونه في بطنِ صَدْعٍ من الأرض، غير موسَّد ولا ممهَّد؟ قد خلع الأسباب، وفارق الأحباب، وواجه الحساب؟.

وايمُ الله إني لأقول لكم مقالتي هذه، وما أعلمُ عند أحدٍ منكم من الذنوب أكثرَ مما أعلم من نفسي؛ ولكنها سننٌ من الله عادِلةٌ، أَمَرَ فيها بطاعته، ونهى فيها عن معصيته. وأستغفر الله.

ووضع كُمَّهُ على وجهه، فبكى حتى لثقت [(١)] لحيته، فما عاد إلى مجلسه حتى مات رَحِمَهُ اللَّهُ [(٢)].

□ وكتب محمدُ بن يوسف الأصبهاني [(٣)] العابد إلى بعض إخوانه

---

(١) أي: ابتلَّت.

(٢) «قصر الأمل» (ص٦٦- ٦٧)، «حلية الأولياء» (٥/ ٢٩٥)، و«إحياء علوم الدين» (٤/ ٦٦٣).

(٣) هو محمد بن يوسف بن معدان الأصبهاني، أبو عبد الله، كان ابن المبارك يسميه «عروس الزهاد»، وكان لا يُعْرف بين الناس، ويقول: لعلهم يعرفوني فيُحابُوني، فأكون ممن يعيش بدينه، خرج في جنازة بالمصيصة، فنظر إلى قبر أبي

أَقْرِيءْ مَنْ أقرأتنا منه السلامَ السلامَ، وتزوَّد لأُخراك، وتجافَ عن دنياك، واستعدَّ للموت، وبادر الفوت، واعلم أن أمامك أهوالًا وأفزاعًا قد أَرْعَبَتِ الأنبياء والرسل، والسلام».

□ وقال عَونُ بن عبد الله بن عتبة [(١)].

ما أنْزَلَ الموتَ كُنْهَ منزلته مَنْ عَدَّ غدًا من أَجَله!

كم من مستقبِلٍ يومًا لا يستكمله!

وكم من مؤمِّل لغدٍ لا يدركه!

إنكم لو رأيتم الأجَلَ ومسيرَه، لأبغضتم الأمل وغروره [(٢)]!

□ وقالوا لعون بن عبد الله: ما أنفعُ أيامِ المؤمن له؟

قال: يوم يلقى ربَّه، فيُعْلِمه أنه راض.

قالوا: إنما أردنا من أيام الدنيا.

قال: إن من أنفع أيامه له في الدنيا ما ظَنَّ أنه لا يُدرك آخرَه [(١)]!

إسحاق الفزاري ومخلد بن الحسين، وبينهما موضع قبر، فقال: لو أن رجلاً مات فدُفن بينهما! فما أتت عليه عشرة أيام أو نحوها حتىٰ دُفن في الموضع الذي أشار إليه! «صفة الصفوة» (٤/ ٨١- ٨٣).

(١) هو عون بن عبد الله بن عتبة الهذلي، أبو عبد الله، العابد الزاهد، ثقة، روىٰ له الجماعة سوىٰ البخاري. قال سفيان بن عيينة، عن أبي هارون موسىٰ بن أبي عيسىٰ: كان عون يحدثنا ولحيته تَرْتَش بالدموع. ومن أقواله: إن مَنْ كان قبلنا كانوا يجعلون لدنياهم ما فَضَل عن آخرتهم، وإنكم اليوم تجمعون لآخرتكم ما فَضَل عن دنياكم. «صفة الصفوة» (٣/ ١٠٠ ـ ١٠٤)، «تهذيب الكمال» (٢٢/ ٤٥٣ ـ ٤٦١).

(٢) «قصر الأمل» (ص٥٦)، و«صفة الصفوة» لابن الجوزي (٣/ ١٠٣).

□ وقال عون بن عبد الله بن عتبة:

وَيْحِي! كيف أغفل عن نفسي ومَلَكُ الموت ليس بغافل عني؟!

وَيْحِي! كيف أتَّكل على طول الأمل والأَجَل يطلبني[٢]؟!

□ وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «كم من مستقبِلٍ يومًا لا يستكمله، ومنتظر غدًا لا يبلغه. لو تَنظرون إلى الأجل ومسيِره، لأبغضتم الأمل وغروره».

□ وقال شُميط بن عجلان[٣] رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «إن المؤمنَ يقول لنفسه: إنما هي أيام ثلاثة:

- فقد مضى أمسِ بما فيه.
- وغدًا أملٌ لعلك لا تدركه، إنك إن كنتَ من أهل غدٍ فإن غدًا يجيء برزق غد، إن دون غدٍ يومًا وليلةً تُختَرم فيه أنفسٌ كثيرة، لعلك المُخْتَرَم فيها. كفى كل يوم همَّه.

ثم قد حملتَ على قلبك الضعيف همَّ السنين والأزمنة، وهمَّ الغلاء والرَّخص، وهمَّ الشتاء قبل أن يجيء الشتاء، وهمَّ الصيف قبل أن يجيء الصيف، فماذا أبقيتَ من قلبك الضعيف لآخرته؟!

كل يوم ينقصُ من أَجَلك وأنتَ لا تحزن، وكلَّ يوم تستوفي رزقك

(١) «قصر الأمل» (ص٧٥).

(٢) «قصر الأمل» (٧٥)، و«حلية الأولياء» (٤/ ٢٥٨).

(٣) شميط بن عجلان، أبو عبد الله، ويقال: أبو همام، عالم عابد زاهد. أسند عن جماعة من التابعين. من أقواله: إن الله عز وجل جعل قوة المؤمن في قلبه ولم يجعلها في أعضائه؛ ألا ترون أن الشيخ يكون ضعيفًا يصوم الهواجر ويقوم الليل؟ والشاب يعجز عن ذلك!. وكان يقول: اللهم اجعل القليل من الدنيا يكفينا كما يكفي الكثيرُ أهلَه. «صفة الصفوة» (٣/ ٣٤١- ٣٤٧).

وأنت لا تحزن!

أُعطيتَ ما يكفيك، فأنت تطلب ما يُطغيك!

لا بقليل تقنع، ولا من كثير تشبع!

وكيف لا يستبين بعالم جهلُه، وقد عجز عن شكر ما هو فيه، وهو مغترٌّ في طلب الزيادة؟

أم كيف يعملُ للآخرة من لا ينقطعُ من الدنيا شهوته، ولا تنقضي منها نُهمته؟!».

فالعجبُ كل العجب لمن يُصدِّق بدار الحيوان، وهو يسعى لدار الغرور»[1].

□ وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «طالت آمالكم، فجدَّدتم منازلَكم من الدنيا، وطَيَّبْتم منها معايشكم، وتلذَّذتم فيها بطيبِ الطعام، ولَيِّن اللباس، كأنكم للدنيا خُلقتم! أَوَلا تعلمون أن الموت أمامكم؟ أَوَلا تعلمون أن مَلَك الموت موكَّل بآجالكم، لا يذهب عنه من المدة شيء؟

ثم يقول: لا تكونوا -رحمكم الله- أقلَّ شيء بالموت اكتراثًا، وأعظمَ شيء عن الموت غفلة، فما ينتظر الحيُّ إلَّا الموت! وما ينتظر المسافرُ إلَّا الظَّعن»[2].

□ وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «أيها المغترُّ بطول صحته، أما رأيتَ ميتًا قطُّ من غير سقم؟

---

(١) «صفة الصفوة» لابن الجوزي (٣/ ٣٤٢ ـ ٣٤٣)، و«قصر الأمل» (ص٥٦-٥٨).

(٢) «قصر الأمل» (ص٥٨)، والظَّعْن: الارتحال.

أيها المغترُّ بطول المُهلة، أما رأيت مأخوذًا قطُّ من غير عُدَّة؟

إنك لو فكرت في طول عمرك لنسيت ما قد تقدَّمَ من لذاتك.

أبا لصحةِ تغترُّون؟ أم بطول العافية تمرحون؟ أم للموت تأمنون؟ أم على ملك الموت تجترؤون؟!

إن ملك الموت إذا جاء لم يمنعه منك ثروةُ مالك، ولا كثرة احتشادك.

أما عَلِمتَ أن ساعة الموتِ ذاتُ كربٍ وغُصص وندامة على التفريط؟

ثم يقول: «رحم اللهُ عبدًا عمل لساعة الموت، رحم الله عبدًا عمل لما بعد الموت. رحم الله عبدًا نظر لنفسه قبل نزول الموت»(١).

❑ وعن سفيان الثوري قال: «كتب الربيعُ بن خُثيم إلى بعض إخوانه: أن رُمَّ جهازك(٢)، كن وصيَّ نفسك، ولا تجعل أوصياءك الرجال»(٣).

❑ وقال صدقةُ أبو محمد الزاهد: «خرجنا في جنازةٍ بالكوفة، وخرج فيها داود الطائي، فانتبذ مقعد ناحيةٍ وهي تُدفن، فجئتُ قريبًا منه، فتكلم فقال: من خاف الوعيد قصُر عليه البعيد، ومن طال أملُه ضعف عمله، وكل ما هو آتٍ قريبٌ.

واعلم -أيْ أخي- أن كل شيء يشغلك عن ربك فهو عليك مشؤوم.

---

(١) «قصر الأمل» (صص٦١- ٦٢)، و«صفة الصفوة» (٣/ ٣٤٧).

(٢) رَمَّ الشيء يَرُمُّه: أصْلَحه وقد فسد بعضه. يعني أصلح جهاز موتك استعدادًا له.

(٣) «قصر الأمل» (ص٧٩)، و«الحلية» (٢/ ١٠٧) ولفظه «أعد زادك، وخُذْ في جهادك، وكنْ وصيَّ نفسك» و«الزهد» لأحمد (٢/ ٢١٤): «ذم جهارك...» ويعني بعدم وصبة الرجال، ألا يبقىٰ عنده شيء من الدنيا فيوصي به.

واعلم أن أهل الدنيا جميعًا من أهل القبور، إنما يندمُون على ما يخلِّفون، ويفرحون بما يقدِّمون، ممَّا عليه أهلُ القبور ندموا أهلُ الدنيا عليه يقتتلون، وفيه يتنافسون، وعليه عند القضاة يختصمون!»[١].

□ وعن محمد بن واسع قال: «أربعةٌ من الشَّقاء: طولُ الأمل، وقسوة القلب، وجمود العين، والبخل»[٢].

□ وقال الفُضيل بن عياض: «إنَّ من الشَّقاء طول الأمل، وإنَّ من النَّعيم قِصَر الأَمَل»[٣].

□ وعن الحارث النخعي: «إن كان الرجل تُنْتِج[٤] فَرَسُه من الليل فَيَنْحرُها غدوة، يقول: أنا أعيش حتى أركب هذا؟ فجاءنا كتاب عمر، أن أصلحوا ما رزقكم الله، فإن في الأمر متنفسًا»[٥].

□ وقال عبد الله بن ثعلبة[٦] الحنفي: «تضحكُ ولعلَّ أكفانك قد خرجت من عند القصَّار[٧]»[٨].

(١) «حلية الأولياء» (٧/ ٣٥٧ ـ ٣٥٨)، و«قصر الأمل» (ص٧٨).
(٢) «قصر الأمل» (ص٧٦).
(٣) المصدر السابق.
(٤) أي: تَلِد.
(٥) رواه البخاري في «الأدب المفرد»، باب اصطناع الأموال (ص١٦٨) رقم (٤٧٨) وأورد البخاري بعده حديث: «إنْ قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا تقوم حتىٰ يغرسها فليغرسها.
(٦) كان رَحِمَهُ اللَّهُ قد بكىٰ حتىٰ أثّرت الدموع في خدَّيه، وكان في زمن سفيان بن عيينة انظر «حلية الأولياء» (٦/ ٢٥٤)، و«صفة الصفوة» (٣/ ٣٨١).
(٧) القَصَّار: الصبَّاغ.
(٨) «قصر الأمل» (٧٤)، و«الحلية» (٦/ ٢٥٤)، و«صفة الصفوة» (٣/ ٣٨١)، =

□ وعند عبد الله بن زُبَيْدٍ الإيامي قال: «التقي رجلانِ من الحكماء، فتذاكرا الموت، فقال أحدهما: ما أكدرَ عيشَ من قصر أمله!.

فقال الآخر: لا أقول ما قلت.

قال: فماذا تقول؟

قال: أقول: ما أصفى عيش من كان كذلك!

قال: أي أخي! وكيف ذلك؟

قال: قد استراح في عاجل الأمر، إلَّا مما يقوم به رمق النفس!»[(١)].

□ كان عبد الله بن مرزوق [(٢)] يتمثَّلُ كثيرًا هذا البيت:

ومؤمِّـــلٍ والمـــوتُ دون رجائـــه ... ومحـــاذِرٍ أكفانُـــه لم تُغْـــزَلِ [(٣)]

□ وقال عمر بن ذر: «ابن آدم إنما يتعجَّلُ أفرَاحَه بكاذب آماله، ولا يتعجَّلُ أحزانه بأعظمِ أخطاره!»[(٤)].

□ وقال بكر بن عبد الله المُزني: «إذا أردت أن تنفعك صلاتُك فقُلْ: لَعَلِّي لا أُصليِّ غيرها»[(٥)].

□ وقال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما أطال عبدٌ الأمل، إلَّا أساء العمَلَ»[(٦)].

و«الإحياء» (٤/ ٦٦٣).

(١) «قصر الأمل» (ص٧٤- ٧٥).

(٢) انظر «صفة الصفوة» (٢/ ٣١٧).

(٣) «قصر الأمل» (ص٧٤).

(٤) «قصر الأمل» (ص٧٢).

(٥) «قصر الأمل» (ص٨٢).

(٦) «الزهد» للحسن البصري (ص٨٢)، و«قصر الأمل» (٨٢).

□ وقال رَحِمَهُ اللهُ: «إذا سَرَّكَ أن تنظر إلى الدنيا بعدك، فانظر إليها بعد غيرك»(١).

□ وقال بعض الحكماء: «الأمل سلطانُ الشيطانِ على قلوب الغافلين»(٢).

□ وقال مالك بن ضَيْغم: «ما سمعتُ أبي(٣) يُنشد من الشعر شيئًا إلَّا هذه الأبيات:

قــل للمؤمِّــل والمنايــا شُرَّعُ ... مـاذا يغـرُّك يـا ابـنَ مَـنْ لم يَخْلُـدِ
يا ابـنَ الـذين تقطَّعـت أوصـالُهم ... ترجـو البقـاءَ وأنـت غـيرُ مُخَلَّـدِ
وأبوك مالكُ كان يأمُلُ مـا تـرى ... حتــى أَتَتْــهُ منيَّــةٌ لم تُــرْدَدِ (٤)

□ وقال ابن أبي عَمْرة:

يـا أيُّهـذا الـذي قـد غـرَّه الأمـلُ ... ودونَ ما يَأْمُلُ التنغيصُ والأَجَلُ
ألا تــرى أنَّــها الــدنيا وزينتُهــا ... كمنزلِ الرَّكْـبِ دارًا ثَمَّـةَ ارتحلـوا
حُتوفهــا رَصَــدٌ وَعيــشُها نَكَــدٌ ... وصــفوها رَنَــقٌ ومُلْكُهــا دُوَلُ (٥)

---

(١) «قصر الأمل» (ص٨٢).
(٢) «قصر الأمل» (ص٨٢).
(٣) هو ضيغم بن مالك الراسبي البصري، الزاهد القدوة الرباني. أخذ عن التابعين. قال عبد الرحمن بن مهدي: ما رأيتُ مثل ضيغم في الصلاح والفضل. وأورد ابن الأعرابي أنه صلى حتى انحنى! وكان من الخائفين البكائين. وكان ينام ثلث الليل ويتعبَّد ثلثيه. توفي سنة ١٠٨هـ هو وصاحبه بِشْر بن منصور العابد في يوم. «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٤٢١)، «صفوة الصفوة» (٣/ ٣٥٧- ٣٦٠).
(٤) «قصر الأمل» (ص٧٣).
(٥) رنق: كَدِر. دول: ينتقل من حال إلى حال.

تَظَلُّ تُفْـزِعُ في الرَّوعـاتِ سـاكِنَها ... فـما يـسوغُ لـه لِـيْنٌ ولا جَـذَلُ (١)

كأنـه للمنايـا والـرَّدى عَـرَضٌ ... تظلُّ فيه بنـاتُ الـدهر تنتـضلُ (٢)

المـرء يـشقى بـما يـسعى لوارثـه ... والقبر وارثُ ما يسعى له الرجـلُ (٣)

▫ وكان يزيد الرَّقاشي يقول: «إلى متى نقولُ: غدًا أفعلُ كذا، وبعد غدٍ أفعلُ كذا، وإذا أفطرتُ فعلتُ كذا، وإذا قدمتُ من سفري فعلتُ كذا؟! أغفلتَ سفركَ البعيد، ونسيتَ ملَك الموت؟ أما علمتَ أن دون غدٍ ليلةً تُختَرَمُ فيها أنفسٌ كثيرة؟ أما علمت أن ملك الموت غيرُ منتظِرٍ بك أملَك الطويل؟ أما علمتَ أن الموت غايةُ كل حيٍّ؟. قال: ثم يبكي حتى يبلَّ عمامته، ثم يقول: أما رأيته صريعًا بين أحبابه لا يَقدِرُ على ردِّ جوابهم، بعد أن كان جَدِلًا خَصِمًا، سمحًا كريمًا عليهم؟ أيها المغترُّ بشبابه! أيُّها المُغتَرُّ بطول عمره!

قال: ثم يبكي حتى يبلَّ عمامته (٤).

▫ وكتب رجل إلى أخٍ له: «أمَّا بعد، فإن الدنيا حُلم، والآخرة يقظة! والمتوسِّط بينهما الموت، ونحن في أضغاث، والسلام» (٥).

▫ وكتب حكيمٌ إلى أخٍ له: «إن الحزنَ على الدنيا طويل، والموتَ من الإنسان قريب، وللنقص في كل وقت منه نصيب، وللبلاء في جسمه

---

(١) الجذل: الفرح.

(٢) بنات الدهر: صروفه. تنتضل: تستبق.

(٣) «قصر الأمل» (ص٧٣).

(٤) «قصر الأمل» (ص٧٠- ٧١).

(٥) «قصر الأمل» (ص٥٢)، و«الإحياء» (٤/ ٦٦٢).

دبيب. فبادر قبل أن تُنادى بالرحيل، والسلام»(١).

□ وقال أبو بكر بن عليّ:

قـل للمؤمِّـل إن المـوتَ في أَثَـرِكْ ... وليس يخفى عليك الأمرُ مِنْ نَظَرِكْ
فيمن مضى لك إن فكَّرتَ مفتكـرْ ... ومَنْ يمت كلَّ يوم فهو من نُـذُرِكْ
دارٌ تـسافر فيهـا مـن غـد سـفرًا ... فلا تؤوب إذا سافرتَ من سـفركْ
تضحى غدًا سمرًا للـذاكرين كـما ... صار الذين مضوا بالأمس من سمركْ(٢)

□ وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

نُـوديْ بـصوتٍ أيَّـما صـوتِ ... مـا أقـربَ الحـي مـن المـوتِ
كـأنَّ أهـل الغـيِّ في غـيِّهم ... قـد أخـذوا أمنًـا مـن المـوت
كـم مـصبح يَعْمُـر بيتًـا لـه ... لم يُمْـسِ إلَّا خـارب البيـت!
هـذا وكـم حـيٌّ بكـى مَيْتًـا ... فأصـبح الحـيُّ مـع الميـتِ(٣)

□ وعن أبي المتوكِّل الناجي قال: «قال لي سليمانُ بن عبد قيس(٤): «يا أبا المتوكِّل!

قلت: لبيك.

قال: عليك بما يُرغِّبك في الآخرة، ويزهدك في الدنيا، ويقربك إلى الله.

---

(١) «قصر الأمل» (ص٥٢)، و«الإحياء» (٤/ ٦٦٢) وفيه: وللبلى.
(٢) «قصر الأمل» (ص٥٣).
(٣) «قصر الأمل» (ص٥٣).
(٤) هو سليمان بن قيس اليشكري البصري، روىٰ عن جابر بن عبد الله وأبي سعيد الخدري. جالس جابرًا وسمع منه ومات قبله.

قلت: وما هو يا عبد الله؟

قال: تقصُر عن الدنيا همَّتك، وتسمو إلى الآخرة بنيَّتك، وتُصدِّق ذلك بفعلك.

قلت: فكيف لي ما أستعين به على ذلك؟

قال: تقصر أملك في الدنيا، وتكثر رغبتك في الآخرة، حتى تكون بالدنيا بَرِمًا، وبالآخرة كَرِثًا. فإذا كنت كذلك لم يكن شيءٌ أحبَّ إليك ورودًا من الموت، ولا شيء أبغضَ إليك من الحياة»[١].

□ وكتب محمد بن يوسف «عروس العُباد» إلى أخيه عبد الرحمن بن يوسف: «من محمد بن يوسف إلى عبد الرحمن بن يوسف.

سلامٌ عليك.

فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلَّا هو، أما بعد:

فإني محذِّرك مُتحوَّلك من دار مُهْلتك إلى دار إقامتك وجزاءِ أعمالك، فتصير في قرار باطن الأرض بعد ظاهرها، فيأتيك منكرٌ ونكير، فيُقعدانك وينتهرانك، فإن يكن الله معك فلا بأسَ ولا وحشةَ ولا فاقة، وإن يكن غير ذلك، فأعاذني الله وإياك من سوءِ مصرعٍ وضيقِ مضجعٍ. ثم تتبعك صيحةُ الحشر ونفخ الصُّور وقيام الجبار لفصل قضاء الخلائق، وخلاء الأرض من أهلها، والسماوات من سكانها. فباحت الأسرار، وأُسعرت النار، ووُضعت الموازين، وجيءَ بالنبيين والشهداء ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الزمر] فكم من مفتضح ومستور! وكم من

(١) «قصر الأمل» (ص٥٣ ـ ٥٤).

هالك وناجٍ! وكم من معذَّبٍ ومرحوم!

فيا ليت شعري ما حالي وحالُك يومئذ؟

ففي هذا ما هَدَم اللذات، وسلا عن الشهوات، وقصَّر الأمل، فاستيقظ النائمون، وحَذِر الغافلون.

أعاننا الله وإياك على هذا الخطر العظيم، وأوقع الدنيا والآخرة من قلبي وقلبك موقعهما من قلوب المتقين. فإنما نحن به وله (١).

□ وقال أبو زكريا التيْمي: «بينما سليمانُ بن عبد الملك في المسجد الحرام، إذ أُتي بحجر منقور (٢)، فطلب من قرؤه.

فأُتي بوهب بن منبِّه، فقرأه، فإذا فيه:

ابنَ آدم، إنك لو رأيتَ قُربَ ما بقي من أجلك، لزهدتَ في طول عملك، ولرغبتَ في الزيادة من عملك، ولقصرت من حرصك وحيلك. وإنما يلقاك غدًا ندمُك لو قد زلَّت بك قدمُك، وأسلمك أهلُك وحَشَمك، فبانَ منك الولد القريب، ورفضك الوالدُ والنسيب. فلا أنت إلى دنياك عائد، ولا في حسناتك زائد. فاعمل ليوم القيامة قبل الحسرة والندامة.

أظنه قال: فبكي سليمان بكاء شديدًا (٣).

□ وكتب أبو عتبة عبَّاد الخوَّاص (١) إلى سليمان بن حيَّان أبي خالد

---

(١) «قصر الأمل» (ص٦٢ ـ ٦٣)، و«حلية الأولياء» (٨/ ٢٣٦)، و«إحياء علوم الدين» (٤/ ٦٦٢).

(٢) نُقِر في الحجر: كتب فيه.

(٣) «حلية الأولياء» (٤/ ٦٩)، و«قصر الأمل» (ص٦٢).

الأحمر:

أما بعد، فإني أوصيك بتقوى الله، وحُسنِ النظر مما هو منظورٌ فيه من أمرك.

واعرض نفسك قبل عرض الله إياك.

وبادر الأَجَلَ بصالح العمل قبل فوت ذلك والأسف عليه.

فالعجبُ لموقع هذا الخطر من القلوب مع المعرفة بفنائه والعلم بما مضى منه ومن أهله!

□ وكتب حكيم: «تيقَّظوا الأمر لله، واحبسوا على أنفسكم ما يمرُّ لها صفحًا من العِبَر، وعلى أسماعكم لما يمرُّ بها مختارًا من المواعظ، وليحرِّك التخويفُ منكم خوفًا، وليُحدِث التذكيرُ لكم اعتبارًا، أو ليزدكم ببغض الدنيا إليكم لها بغضًا، ولمصارعها حَذَرًا.

وأغلقوا عليكم باب الأمل، فإنه يَفتح عليكم باب القسوة.

أَحِلُّوا الخوفَ منكم محلَّ الرجاء.

وأمهدوا في دار مقامكم قبل الرِّحلة، وبادروا بذلك الموتَ، وحسراتِ الفوتِ، وضيقَ المضطجعِ، وهولَ المطلع، والموقفَ للحساب، فكأنْ قد أظلَّكم!

فبادروا في بقية آجالكم فناءَها، وبصحة أجسامكم سقمَها.

وكونوا من الله على حذَر، ومن لقائه على عتاد.

(١) هو عبّاد بن عبّاد الرملي، أبوعتبة الخواص، فارسي الأصل. كان من فضلاء الشام وعُبَّادهم،وكتب إليه سفيان الثوري رسالته المشهورة في الوصايا والمواعظ انظر «تهذيب الكمال» (١٤/ ١٣٤)، و«حلية الأولياء» (٨/ ٢٨١).

فاستدلَّ مستدلٌّ بما يرى، أو اعتبرَ معتبر بما يسمع، أو نَظَر ناظر فأبصر، وفكَّر مفكِّر فانتفع. ولا تضيِّعوا حظوظكم من الله، فقد حضرت النقْلة وطال الاغترار.

□ قال الربيع بن عبد الرحمن[1]: «قَطَعَتنا غفلةُ الآمال عن مبادرة الآجال، فنحن في الدنيا حيارى، لا نتنبه من رَقدة إلَّا أعقبتنا في أثَرَها غفلةٌ!

فيا إخوتاه، نَشَدْتكم بالله، هل تعلمون مؤمنًا بالله أغرَّ[2]، ولِنِقَمِه أقلَّ حذرًا، من قومٍ هجمت بهم العبَر على مصارع النادمين، فطاشت عقولهم، وضلَّت حلومهم عندما رأوا من العِبَر والأمثال، ثم رجعوا عن ذلك إلى غير قلعة ولا نقلة؟!

فبالله يا إخوتاه، ه رأيتم عاقلًا رضيَ من حاله لنفسه بمثل هذه حالًا؟

والله عبادَ الله لتَبْلُغُنَّ من طاعة الله رضاه، أو لتُنكرنَّ ما تعرفون من حسن بلائه، وتواتر نعمائه.

---

(١) ويعرف بالربيع بن برة. وصفه أبو نعيم بقوله: «المفيق من الغرَّة، والمحذر من المضرة، المشوق إلى الحبور والمسرة». من أقواله: رضيتَ لنفسك، وأنت الحُوَّل القُلَّب، أن تعيش عيش البهائم، نهارك هائم، وليلك نائم، والأمر أمامك جِد؟
وقال ابن الجوزي: زعم بعض نقلة الحديث أن الربيع بن برة أسند عن الحسن، وذكر له حديثًا. وإنما الربيع المذكور في ذلك الحديث هو الربيع بن صبيح، وأما ابن برَّة فلا نعلم له مسندًا. «حلية الأولياء» (٦/ ٢٩٦)، «صفة الصفوة» (٣/ ٣٥٢).

(٢) أي: أكثر جهلًا.

إن تُحسِنْ أيها المرء يُحسَنْ إليك. وإن تُسِيءْ فعلى نفسك بالعتْبِ فارجع، فقد بيَّن وأعذر وأنذر، فما للناس على الله حُجَّةٌ بعد الرسل، وكان الله عزيزًا حكيمًا»[١].

□ وكان في تيم الله شيخ متعبِّد يُقال له محمد بن حسين البرجلاني، يجتمع إليه فتيان الحيِّ ونُسَّاكهم، فيذكِّرهم، فإذا أرادوا أن يتفرَّقوا قال: يا إخوتاه، قوموا قيام قومٍ قد يئسوا من المُعاودة لمجلسهم، خوفًا من خَطَفات الموكَّل بالنفوس!» فيبكي ويُبكي.

من بساتين العُبّاد والزاهدين قصيري الأمل:

□ قال الحسن: «لولا السَّهْوُ والأمل، ما مشى المسلمون في الطريق»[٢].

□ وقال: «السَّهْوُ والأمل نعمتان عظيمتان على ابن آدم»[٣].

□ وقال: «لو علمتُ متى أجلي، لخشيت على ذهاب عقلي، ولكن الله مَنَّ على عباده بالغفلة عن الموت، ولولا الغفلة ما تهنَّؤوا بعيش، ولا قامت بينهم الأسواق»[٤].

□ وقال سفيان الثوري: «الزهد في الدنيا: قصر الأمل، ليس بأكل الغليظ، ولا لبس العباء»[٥].

---

(١) «حلية الأولياء» (٦/ ٢٩٨)، و«صفة الصفوة» (٣/ ٣٥٤- ٣٥٥)، و«قصر الأمل» (ص٦٨- ٦٩).

(٢) «قصر الأمل» (ص٣٨).

(٣) «حلية الأولياء» (٦/ ١٦٤)، و«قصر الأمل» (ص٣٨).

(٤) «صفة الصفوة» (٣/ ٢٢٤- ٢٢٥)، و«قصر الأمل» (ص٣٩).

(٥) «حلية الأولياء» (٦/ ٣٨٦)، و«الزهد الكبير» للبيهقي (ص٧٩، ١٠٢، ١٩٤).

□ وعن محمر بن معمر قال: «سأل المُفَضَّل بن فَضَالة[١] ربَّه أن يرفع عنه الأمل، فذهب عنه الطعام والشراب. ثم دعا ربَّه، فردَّ عليه الأمل، فرجع إلى الطعام والشراب!»[٢].

□ وقال داودُ الطائي: «سألتُ عطوان بن عمرو التميمي[٣] قلت: ما قِصَرُ الأمل؟ قال: ما بين تردُّدِ النَّفَس.

قال رستم: فحدثتُ به الفضيل بن عياض، فبكى وقال: يقول: يتنفَّس، فيخاف أن يموت قبل أن ينقطع نَفَسه. لقد كان عطوان من الموات على حذر!»[٤].

□ وعن الحسن أن ثلاثةَ علماء اجتمعوا، فقالوا لأحدهم: ماأَمَلُك؟

قال: ما أتى عليَّ شهرٌ إلَّا ظننتُ أني أموت فيه.

قال صاحباه: إن هذا الأمل!

فقالوا للآخر: ما أملك؟

---

(١) هو المفضل بن فضالة بن عبيد الرُّعيني أبو معاوية المصري. قاضي مصر. كان صالحًا مجاب الدعوة. انظر «صفة الصفوة» (٤/ ٣١٣)، و«تهذيب الكمال» (٢٨/ ٤١٥).

(٢) «حلية الأولياء» (٨/ ٣٢١)، و«تهذيب الكمال» (٢٨/ ٤١٨)، و«صفة الصفوة» (٤/ ٣١٣)، و«قصر الأمل» (ص٤٢ - ٤٣).

(٣) كان منعزلًا، قال محمد بن السماك: ما رأيت أحدًا أشدَّ حذرًا للموت من عطوان ابن عمرو. وأتاه قوم يسلمون عليه بين القبور، فوجدوه مغشيًا عليه. فلم يزالوا عنده حتى أفاق، فاستحيا منهم، فجعل يقول لهم كهيئة المعتذر: ربما غلب عليَّ النوم، وربما أصابني الإعياء، فأُلقي نفسي هكذا. «صفوة الصفوة» (٣/ ١٢٦ - ١٢٧).

(٤) «صفة الصفوة» (٣/ ١٢٧)، و«قصر الأمل» (ص٤٣).

قال: ما أتت عليَّ جمعةٌ إلَّا ظننتُ أني سأموت فيها!

قال صاحباه: إن هذا الأمل!

فقالوا للآخر: ما أملك؟

قال: ما أَمَلُ مَنْ نَفْسُه في يدِ غيره؟!(١).

▢ وقيل للحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يا أبا سعيد! ألا تغسلُ قميصك؟ قال: الأمرُ أعجلُ من ذلك»(٢).

▢ وقال بُنَيٌّ للحسن البصري: «يا أَبَه، إن هذا السهم قد انكسر. قال: أَيَّه؟ قال: هذا. فلحظ إليه لحظةً ثم قال: الأمرُ أسرعُ من ذلك»(٣).

▢ وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: «الموتُ معقودٌ بنواصيكم، والدنيا تُطوَى من ورائكم»(٤).

▢ وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: «كان أحدهم يتخذُ القصبة، ويجعل فيها خيطًا يعلِّقها في إصبعه فيها ماء، يريد إذا بال أن يتوضأ، مخافةَ أن يأتيه أمر الله!»(٥).

▢ وانظر إلى قِصر أمل سيد أهل دمشق «يحيى الغساني»(٦) قال: «ما

---

(١) «الزهد» لابن المبارك (ص٨٥- ٨٦) رقم (٢٥٣)، و«الزهد» للحسن البصري تحقيق محمد عبد الرحيم محمد (ص٨١)، و«قصر الأمل» (ص٤٤).

(٢) «الحلية» (٦/ ٢٧٠)، و«الزهد الكبير» (ص٢٢٦)، و«قصر الأمل» (ص٤٥).

(٣) «حلية الأولياء» (٢/ ١٥٦)، «قصر الأمل» (ص٤٦).

(٤) «قصر الأمل» (ص٤٦).

(٥) «الزهد» لابن المبارك (ص٩٩) رقم (٢٩٣)، و«قصر الأمل» (ص٤٧- ٤٨) واللفظ له.

(٦) يحيىٰ بن يحيىٰ الغساني، أبو عثمان سيد أهل دمشق استعمله عمر بن عبد =

نمت يومًا قطُّ، فحدَّثتُ نفسي أني أستيقظ منه»(١).

□ وعن حُميد الطويل أن بكر بن عبد الله المزني لقى أبا جميلة ميسرة ابن يعقوب الكوفي (٢) فقال: «يا أبا جميلة، كيف أنت؟ قال: أنا والله هكذا: كرجلٍ مادٍّ عنقَه والسيف عليها، ينتظر متى تُضرب عنقه! (٣).

□ وداود الطائي رَحِمَهُ اللهُ يقولُ: «لو أَمَلْتُ أن أعيشَ شهرًا، لرأيتني قد أتيت عظيمًا! وكيف أؤمل ذلك وأرى الفجائع تَغْشَى الخلق في ساعات الليل والنهار!»(٤).

□ وقال أبو علقمة الفَرْوي المدني مولى آل عثمان بن عفان رضي الله عنه كان صفوان بن سُلَيم (٥) لا يكاد يخرج من مسجد النبي ﷺ. فإذا أراد أن يخرج بكى، وقال: أخاف أن لا أعود إليه! (٦).

□ وقال إسماعيل بن زكريا -وكان جارًا لأبي محمد حبيب العجمي

العزيز على قضاء الموصل. ثقة. من فقهاء أهل الشام وقرّائهم انظر «تهذيب الكمال» (٣٢/ ٣٧- ٤١).

(١) «قصر الأمل» (ص٤٧- ٤٨).

(٢) أبو جميلة الطهُوي الكوفي كان صاحب راية علي رضي الله عنه.

(٣) «قصر الأمل» (ص٤٦- ٤٧).

(٤) المصدر السابق (ص٤٧).

(٥) ثبة ثبت مشهور بالعبادة. قال فيه الإمام أحمد: هذا رجل يُستسقىٰ بحديثه، وينزل القَطْر من السماء بذكره. وعن أنس بن عياض: رأيت صفوان بن سليمن، ولو قيل له:غدًا القيامة، ما كان عنده مزيدٌ علىٰ ما هو عليه من العبادة.
روىٰ له الجماعة. ت ١٣٢هـ. «تهذيب الكمال» (١٣/ ١٨٤- ١٩١)، «صفة الصفوة» (٢/ ١٥٣- ١٥٦).

(٦) «صفة الصفوة» (٢/ ١٥٣)، و«قصر الأمل» (ص٥٩).

الفارسي-: «كنتُ إذا أمسيتُ سمعتُ بكاءه، وإذا أصبحت سمعتُ بكاءه. فأتيتُ أهله فقلت: ما شأنُه يبكي إذا أمسى، ويبكي إذا أصبح؟! قال: فقالت لي: يخافُ -والله- إذا أمسى أن لا يُصبح، وإذا أصبح أن لا يُمسي!»[(١)].

□ وقالت امرأة حبيب: «كان يقول إِن مِتُّ فأرسلي إلى فلان يُغَسِّلني، وافعلي كذا، واصنعي كذا. فقيل لامرأته: أرأى رؤيا؟ قالت: هذا يقوله في كل يوم»[(٢)].

□ وقال عاصم بن أبي النَّجُود: «كان لأبي وائل[(٣)] خُصٌّ من قصب[(٤)]، فكان إذا غزا نقضه، وتصدَّق به، وإذا رجع أنشأ بناءه»[(٥)].

□ وقال أبو زرعة[(٦)] لإبراهيم بن نشيط الوعلاني: «لأقولنَّ لك قولًا ما قلتُه لأحدٍ سواك! ما خرجتُ من المسجد منذ عشرين سنة، فحدثتُ

---

(١) «قصر الأمل» (ص٥٩)، و«صفة الصفوة» (٣/ ٣٢٠)، و«جامع العلوم والحكم» (٢/ ٢٦٣).

(٢) «قصر الأمل» (ص٦٠)، و«صفة الصفوة» (٣/ ٣٢٠)، و«جامع العلو والحكم» (٢/ ٢٦٣).

(٣) هو شقيق بن سلمة الأسدي، أبو وائل، أدرك زمان رسول الله ﷺ ولم يلقه، وسمع من عمر وعثمان وعلي وعبد الله بن مسعود وغيرهم ﭫ. وكان إذا خلا يسبِّح، ولو جُعلت له الدنيا على أن يفعل ذلك وأحدٌ يراه لم يفعل. توفي في زمن الحجاج بعد وقعة دير الجماجم. «صفة الصفوة» (٣/ ٢٨).

(٤) بيت من قصب أو شجر.

(٥) «حلية الأولياء» (٤/ ١٠٣)، و«صفة الصفوة» (٣/ ٢٨)، و«قصر الأمل» (ص٢٠٧).

(٦) أبو زُرعة الشامي الحمصي يحيىٰ بن أبي عمرو السَّيباني شيخ ثقة تُوُفيٍّ بعد الخمسين والمائة.

نفسي أن أرجع إليه!»[١].

□ وقال زياد النميري [٢] القائم المتهجِّد والصائم المتعبِّد: «لو كان لي من الموت أجلٌ أعرفُ مدَّتَهُ، لكنتُ حريًّا بطول الحزن والكمد حتى يأتيني وقته، فكيف وأنا لا أعلم متى يأتيني الموت صباحا، أو مساء؟!.

ثم خنقته العَبْرة، فقام» [٣].

□ وقال رجلٌ لحسان بن أبي سِنان [٤]: «تركتَ المكاسبَ والتجارة، وفرَّقتَ مالك! فقال له حسان: وأنت أيضًا لو ظننتَ أنك تموتُ غدًا لقصرت؟ قال: وكان الرجل من ملوك أهل البصرة!» [٥].

□ وكان رَحِمَهُ اللهُ يقول: «كم تجيءُ وتذهب في حوائجك، وكأنك في اللَّحْد!» [٦].

□ وقال القعقاع بن حكيم [٧]: «قد استعددتُ للموت منذ ثلاثين سنة! فلو أتاني ما أحببتُ تأخيرَ شيء عن شيء» [٨].

---

(١) «قصر الأمل» (ص٦٠).

(٢) زياد بن عبد الله النميري: روىٰ عن أنس رضي الله عنه.

(٣) «حلية الأولياء» (٦/ ٧٦)، و«قصر الأمل» (ص٦١).

(٤) أحد العباد الورعين البصريِّين. كان كثير الرواية عن الحسن -وكان يقول: لولا المساكين ما اتجَرت. انظر «حلية الأولياء» (٣/ ١١٤ ـ ١٢٠)، و«صفة الصفوة» (٣/ ٣٣٦ ـ ٣٤١)، و«تهذيب الكمال» (٦/ ٢٦ ـ ٣٠).

(٥) «قصر الأمل» (ص٦٧).

(٦) «قصر الأمل» (ص٨٠).

(٧) القعقاع بن حكيم المدني: ثقة: روىٰ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وجابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٨) «قصر الأمل» (ص٧١)، و«إحياء علوم الدين» (٤/ ٦٦٣).

◻ وقال سفيان الثوري: «رأيت شيخًا في مسجد الكوفة يقول: أنا في هذا المسجد منذ ثلاثين سنةً أنتظر الموتُ أن ينزل بي؛ لو أتاني ما أمرتُه بشيء، ولا نهيتُه عن شيء، ولا لي على أحدٍ شيء، ولا لأحد عندي شيء!»[١].

◻ قال بكر بن عبد الله المُزني: «كانت امرأة متعبِّدة، وكانت إذا أمست قالت: يا نفسُ! الليلة ليلتك، لا ليلة لكِ غيرها! فإذا أصبحت قالت: يا نفس! اليوم يومك، لا يوم لكِ غيره. فاجتهدت»[٢].

◻ وكانت أم الصهباء معاذةُ العدويَّة -زوجة صِلة بن أشيم- إذا جاء النهار قالت: هذا يومي الذي أموت فيه، فما تنامُ حتى تُمسِي، وإذا جَنَّ الليل قالت: هذه ليلتي التي أموت فيها. فلا تنام حتى تُصبح»[٣].

◻ وكانت عَجردة العمية -رحمها الله- إذا جاء الليل، لبست ثيابها وتقنَّعت ثم قامت إلى المحراب، فلا تزالي تصلي إلى السَّحَر، ثم تجلس فتدعو حتى يطلعَ الفجر، فقالت لها آمنةُ بنت يَعْلى بن سُهَيْل -أو بعض أهل الدار-: لو نِمتِ من الليل شيئًا! فبكت وقالت: ذِكرُ الموت لا يدعُني أنام»[٤].

◻ وكانت عُفيرة العابدة لا تضعُ جنبها إلى الأرض في ليل وتقول: «أخاف أن أؤخذ على غِرَّة وأنا نائمة»[٥].

---

(١) المصدر السابق.
(٢) «قصر الأمل» (ص٧٧)، و«جامع العلوم والحكم» لابن رجب (٢/ ٢٦٣).
(٣) «صفة الصفوة» (٤/ ٢٢).
(٤) «.صفة الصفوة» (٤/ ٣١).
(٥) «صفة الصفوة» (٤/ ٣٤).

□ وكانت ماجدة القرشية العابدة تقول: «طَوى أملي طلوعُ الشمس وغروبها. فما من حركة تُسمَع ولا قدم تُوضَع إلّا ظننتُ أن الموت في أثرها».

□ وكانت تقول: «سكَّانُ دار أُوذنوا بالنقلة، وهم حيارى يركضون في المُهلة كأنَّ المُرَاد غيرهم، أو التأذين ليس لهم، والمعنَّى بالأمر سواهم. آهٍ من عقولٍ ما أنقصَها، ومن جهالةٍ ما أتمَّها، بُؤسًا لأهل المعاصي.. ماذا غُرُّوا به من الإمهال والاستدراج؟

وتقول: بَسطوا آمالهم فأضاعوا أعمالهم، ولوْ نصبوا الآجال وطَوَوا الآمال خفَّت عليهم الأعمال»(١).

□ وعن محمد بن أبي توبة قال: «أقام معروفٌ الكرخي الصلاة، ثم قال لي: تقدَّم(٢). فقلت: إنيِّ إن صليْتُ بكم هذه الصلاة، لم أصلِّ بكم غيرها. فقال معروف: وأنت تُحدِّث نفسك أن تصلي صلاةً أخرى؟! نعوذ بالله من طول الأمل، فإنه يمنع خير العمل»(٣).

□ وكان محمدُ بن واسع إذا أراد أن ينام، قال لأهله قبل أن يأخذ مضجعه: «أستودعكم الله، فلعلها أن تكون منيَّتي التي لا أقوم فيها!».

فكان هذا دأبَه إذا أراد النوم!(٤).

---

(١) «صفة الصفوة» (٤/ ٧٤).
(٢) وذلك أن معروفًا كان لا يؤم.
(٣) «صفة الصفوة» (٢/٣١٩)، و«مناقب معروف الكرخي» لابن الجوزي (ص١٠١- ١٠٢)، و«قصر الأمل» (ص٨١- ٨٢).
(٤) «قصر الأمل» (ص١٤٧)، و«جامع العلوم والحكم» (٢/ ٢٦٣).

□ عن مِسعر بن كدام قال: «لم يكن لموسى بن أبي عائشة [(١)] بيتٌ ليسكن فيه في داره، إنما كان يأوي أصولَ الجُدُر. فقيل له: لو اتخذت بيتًا؟ قال: الأمر أقرب من ذاك»[(٢)].

□ عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «خرج علينا رسول الله ﷺ والشمس على أطراف السَّعَف [(٣)]، فقال: «**ما بقي من الدنيا إلَّا كما بقي من يومنا هذا في مثل ما مضى منه**»[(٤)].

المبادرة إلى العمل:

□ عن عبد الله بن عُكَيْم قال: «اعلموا -عباد الله- أنكم تغدون وتروحون في أَجَلٍ قد غِيْبَ عنكم علمه. فإن استطعتم أن ينقضيَ وأنتم في عمل الله فافعلوا. ولن تستطيعوا ذلك إلَّا بالله. فسارعوا في مُهْل أعماركم من قبل أن تُقضى آجالكم، فيردَّكم إلى أسوأ أعمالكم»[(٥)].

□ وعن إبراهيم النخَعي قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «التؤدة في

---

(١) موسىٰ بن أبي عائشة المخزومي الهمداني، أبو الحسن الكوفي. قال يحيىٰ بن سعيد: كان سفيان الثوري يحسن الثناء عليه. وقال يعقوب بن سفيان: كوفي ثقة. وكان يدعي المتهجِّد، من شدة تغير لونه. وقال عمرو بن قيس: ما رفعت رأسي بليلٍ قط إلا رأيت موسىٰ بن أبي عائشة قائمًا يصلي! «صفة الصفوة» (٣/ ١١٩)، «تهذيب التهذيب» (٥/ ٥٦٩).

(٢) «قصر الأمل» (ص٢١٢).

(٣) السَّعَف: جريد النخل وورقه، جمعه سُعُوف.

(٤) إسناده حسن: رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل، وقال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في «قصر الأمل» بإسناد حسن.

(٥) «قصر الأمل» (ص١٣١).

كل شيء، إلَّا في أمر الآخرة»[(١)].

□ وعن ابن مسعود ﵁ قال: «ما منكم أحدٌ أصبح إلَّا وهو ضيف، ومالُه عارية. والضيف مرتحِلٌ لينطلق، والعارية مؤدَّاة!»[(٢)].

□ وقال: «إن الله ﷻ جعل الدنيا كلَّها قليلًا، فما بقي منها إلَّا قليلٌ من قليل. ومثل ما بقي منها كعين الغدير شُرِب صفْوُه وبقي كَدَرُه!».

□ وعن عون بن مَعمر قال: «كان معاذُ بن جبل له مجلسٌ يأتيه فيه ناسٌ من أصحابه، فيقول: يا أيها الرجل -وكلُّكم رجل- اتقوا الله، وسابقوا الناس إلى الله، وبادِروا أنفسكم إلى الله ﷻ -يعني الموت-، ولْتَسَعْكُم بيوتكم، ولا يضرُّكم ألَّا يعرفكم أحد»[(٣)].

□ واجتهد الصحابيُّ الجليل قبل موته اجتهادًا شديدًا، فقيل له: «لو أمسكت أو رفقتَ بنفسك بعض الرفق؟ فقال: إن الخيل إذا أُرسلت فقاربتْ رأسَ مجراها، أخرجتْ جميعَ ما عندها؛ والذي بقي من أَجَلي أقلُّ من ذلك! قال: فلم يزل على ذلك حتى مات»![(٤)].

□ وصام أبو موسى حتى عاد كأنه خِلال[(٥)]، فقيل له: «لو أَجْمَمْتَ نفسك[(٦)]. فقال: أيهاب![(١)] إنما يسبقُ من الخيل المضمَّرة»[(٢)].

---

(١) «الزهد» لأحمد (١/ ٢٩)، و«قصر الأمل» (ص١٠٤).

(٢) «حلية الأولياء» (١/ ١٣٤)، و«قصر الأمل» (ص١٢٠)، و«صفة الصفوة» (١/ ٤١٩)، و«إحياء علوم الدين» (٤/ ٦٦٩).

(٣) «قصر الأمل» (ص١٤٦).

(٤) «قصر الأمل» (ص١٠٨)، و«إحياء علوم الدين» (٤/ ٦٦٨- ٦٦٩).

(٥) العُود الذي يُتخلَّل به، جمعه أَخِلَّة.

(٦) أي: أرحْتها، من الاستجمام.

□ وربما خرج من منزله فيقول لامرأته: «شدي رَحِلَك، فليس على جسر جهنم مَعْبَرَ!»(٣).

□ وعن أنس ﷺ قال: «التسويف جندٌ من جنود إبليس عظيم، طالما خَدَعَ به»(٤).

□ وعن أبي هريرة ﷺ قال: «تعوَّدوا الخير، فإن الخير عادة. وإياكم وعادةُ السُّوَّاف مِنْ سَوْفٍ(٥) أوْ مِنْ سَوْف»(٦).

□ قال محمود بن الحسن:

والمرءُ مرتهن بسوفَ وليتني ... وهلاكُه في السَّوْف واللَّيْتِ

من كانت الأيام تسير به ... فكأنَّهُ قد حَلَّ بالموتِ

لله درُّ فتًى تدبَّر أمره ... فغدا وراح مبادرَ الفوْتِ

□ وقال الآخر:

اغتنِمْ في الفراغِ فضلَ ركوعِ ... فعسى أن يكون موتُك بَغْتَةْ

كَمْ صحيحٍ رأيتَ مِن غير سَقْمٍ ... ذهبتْ نفسُه الصحيحة فَلْتَةْ

□ وقال آخر:

اذكُرِ الموتَ غُدْوةً وعشِيَّةْ ... وارعَ ساعاتك القصار الوَحِيَّةْ(٧)

---

(١) أيهات: لغة في هيهات.
(٢) الخيل المضمَّر: هو الذي يربَط ويُعلَف ويُسقَى كثيرًا مدّة، ثم يُركَضُ في الميدان حتى يخف ويدق.
(٣) «صفة الصفوة» (١/ ٥٦٠)، و«قصر الأمل» (ص١٠٩).
(٤) «قصر الأمل» (ص١٤١)، وفي سنده صالح المري ويزيد الرقاشي.
(٥) السَّوْف: الصبر والمطل. يقال: فلانٌ يقتات السَّوْف، أي: يعيش بالأماني.
(٦) «قصر الأمل» (ص١٤٣).
(٧) الوَحِيَّة: المُسْرِعة.

هَبْكَ قدْ نِلْتَ كلَّ ما تحملُ الأرْ ضُ فهل بعد ذاك إلَّا المَنِيَّةْ

□ وقال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: «اغتنموا المبادرة -رحمكم الله- في المهلة»[(١)].

□ وقال عبد الواحد بن صفوان: «كنا مع الحسن في جنازة، فقال: رحم الله امرأً عمل لمثل هذا اليوم. إنكم اليوم تَقْدِرون على ما لا يَقْدِرُ عليه إخوانكم هؤلاء من أهل القبور. فاغتنموا الصحةَ والفراغ، قبل يوم الفزعة والحساب»[(٢)].

□ وقال أبو محمد حبيب العجميُّ: «لا تقعُدُوا فُرَّاغًا؛ فإن الموت يطلبكم»[(٣)].

□ وقال الحسن في موعظته: «المبادرةُ عبادة، المبادرة! فإنما هي الأنفاس، لو قد حُبست انقطعت عنكم أعمالكم التي تقرَّبون بها إلى الله عَزَّ وَجَلَّ.

رحم الله امرءًا نظر لنفسه، وبكى على ذنوبه! ثم قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾﴾ [مريم].

ثم يبكي ويقول: آخر العدد خروجُ نفسك.

آخر العدد فراقُ أهلك.

آخر العدد دخولك في قبرك»[(٤)].

---

(١) «قصر الأمل» (ص١٠٤).

(٢) المصدر السابق (ص١٠٥).

(٣) المصدر نفسه (ص١٠٥).

(٤) «قصر الأمل» (ص١٠٦ ـ ١٠٧)، و«إحياء علوم الدين» (٤/ ٦٦٨).

□وعن الحسن في قوله تعالى: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ ٢٥﴾ [محمد]، قال: زيَّنَ لهم الخطايا، ومَدَّ لهم في الأمل»[١].

□ «تصبَّروا وتشدَّدوا؛ فإنما هي ليالٍ قلائل، وإنما أنتم رَكْبٌ وقوفٌ يوشك أن يُدعى الرجل منكم، فيجيب ولا يلتفت، فانتقلوا بصالح ما بحضرتكم»[٢].

□ وعن نافع مولى ابن عمر أن عبد الله بن عمر كان في المدينة هو وأصحابٌ له، فوضعوا سفرة، فمرَّ بهم راع، فقال له عبد الله بن عمر: «كُلْ من هذه السُّفْرَة. قال: إني صائم. قال: فتعجَّب ابن عمر لصيامه فقال له: أفي مثل هذا اليوم الصائف الحار؟ أتصوم وأنت في هذه الشعاب؟ فقال: إني -والله- أبادر أيامي هذه الخيالة. فتعجب ابن عمر وقال له: هل لك أن تبيعنا شاةً من غنمك هذه فنعطيَك ثمنها، ونذبحها فنعطيك من لحمها ما تُفطر عليه؟ قال الراعي: إنها ليست لي، إنما هي لمولاي. قال ابن عمر: فما عسيت مولاك قائلًا! إذا سألك عنها فقلتَ أكلها الذئب؟! قال: فتولى الراعي وهو رافع أصبعَه إلى السماء وهو يقول: فأين الله عَزَّ وَجَلَّ؟!. قال: فجعل ابن عمر يردد قول الراعي ويقول: قال الراعي: فأين الله؟!.

قال: فبعد أن قدم المدينة بَعث إلى سيده، فاشترى منه الغنم والراعي، فأعتق الراعي، ووهب له الغنم»[٣].

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (١٦/ ٢٤٩).
(٢) «قصر الأمل» (ص١١٩)، و«الإحياء» (٤/ ٦٦٩).
(٣) «قصر الأمل» (ص١٢٧ - ١٢٨).

□ ونزل رَوْح بن زِنْباع [١] منزلًا بين مكة والمدينة في حرٍّ شديد، فانقضَّ عليه راعٍ من جبل، فقال له: «يا راعي هلمَّ إلى الغَداء. فقال:إني صائم. قال: إنكَ لتصوم في هذا الحر الشديد؟! قال: أفأَدَعُ أيامي تذهب باطلًا؟ فقال رَوح:

لقد ضننتَ بأيامك -يا راعي- إذْ جادَ بها رَوْحُ بن زنباع![٢].

□ وقيل لأبي مسلم الخولاني [٣]: «قد رققتَ وكبرتَ، فلو رفقتَ بنفسك. فقال: إن الخيل إذا أرسلت للحلبة قيل: تأنَّوا بها أو ترفقوا بها. فإذا رأيتم الحلْبة فلا تستبقوا منها شيئًا.. فدعوني»[٤].

□ وعن سُحيم مولى بن تميم قال: «جلستُ إلى عامر بن عبد الله [٥] وهو يصلي، فجوَّز في صلاته، ثم أقبل عليَّ فقال: أرحني بحاجتك فإني

---

(١) روح بن زنباع بن روح بن سلامة الجذامي، أبو زرعة. أمير فلسطين، وسيد اليمانية في الشام وقائدها وخطيبها وشجاعها. قيل: له صحبة. كان عبد الملك ابن مروان يقول: جمع روح طاعة أهل الشام، ودهاء أهل العراق، وفقه أهل الحجاز. وله مع عبد الملك وغيره أخبار. ت ٨٤هـ. «الأعلام» (٣/ ٦٣).

(٢) هو عبد الله بن ثُوَب الخولاني. فقيه عابد زاهد. نعته الذهبي بريحانة الشام. أصله من اليمن. أسلم قبل وفاة النبي ﷺ ولم يَرَه، فقدم المدينة في خلافة أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه، وهاجر إلى الشام. انظر «حلية الأولياء» (١٢٢/٢).

(٣) «قصر الأمل» (ص١٣٠).

(٤) عامر بن عبد الله، المعروف بابن عبد قيس العنبري. تابعي من بني العنبر. ذكر أبو نعيم أنه أوّل من عُرِف بالنُّسْك، واشتُهر من عُبّاد التابعين بالبصرة، وكان ممن تخرَّج على أبي موسى الأشعري في النسك والتعبّد، ومنه تلقّن القرآن. «حلية الأولياء» (٢/ ٩٤)، و«صفة الصفوة» (٢/ ٩٤).

(٥) «قصر الصلاة» (ص١٠٢ ـ ١٠٣)، و«إحياء علوم الدين» (٤/ ٦٦٨).

أبادر! قلت: وما تبادر؟ قال: ملكَ الموت، رحمك الله! قال: فقمتُ عنه، وقام إلى صلاته»(١).

□ ومَرَّ داود الطائي، فسأله رجلٌ عن حديث، فقال: دَعْني، فإني إنما أبادر خروج نفسيْ».

□ وكان أبو معاوية الأسود يقول: «إن كنت يا أبا معاوية (٢) تريد لنفسك الجزيل، فلا تنامنَّ الليل ولا تقيل. قدِّم صالح الأعمال، ودع عنك كثرة الأشغال. بادر ثم بادر قبل نزول ما تُحاذر. ولا تهتمَّ بأرزاق من تَخَلِّف، فلستَ أرزاقَهم تُكَلَّف»(٣).

□ وقال بشر بن عبد الله النهشلي: «دخلنا على أبي بكر النهشلي (٤) وهو في الموت، وهو يومئ برأسه -يرفعه ويضعه- كأنه يصلي، فقال له بعض أصحابه: في مثل هذه الحال رحمك الله؟ قال: إنني أبادر طيَّ الصحيفة!»(٥).

---

(١) «قصر الأمل» (ص١٠٣)، و«إحياء علوم الدين» (٤/ ٦٦٨).
(٢) اسمه اليمان: نزل طَرَسوس، وكان يغزو. قال: الخلق كلهم، بَرُّهم وفاجرهم يسعون في أقل من جناح ذباب! فقال له رجل: ما أقل من جناح ذباب؟ قال: الدنيا. وصفه أبو نعيم بقوله: «المعرض عن الأرذل، الباحث على الأفضل». ولا يُعرف له مسند. المصدران التاليان.
(٣) «حلية الأولياء» (٨/ ٢٧٢)، «صفة الصفوة» (٤/ ٢٧١- ٢٧٢)، في حديث طويل، و«قصر الأمل» (ص١٠٣).
(٤) اختلف في اسمه واسم أبيه. قال عبد الرحمن بن مهدي: من ثقات مشيخة الكوفة. وقال أبو حاتم: شيخ صالح يُكتب حديثه. ت ١٦٦هـ. «تهذيب الكمال» (٣٣/ ١٥٦).
(٥) «سير أعلام النبلاء» (٧/ ٣٣٣)، و«قصر الأمل» (ص١١٣).

فَرَحِمَ الله امرءً نظر لنفسه، فبادر فوْقها قبل أن ينزل الموت بها.

□ وعن الحجَّاج بن محمد قال: «كتبَ إليَّ أبو خالد الأحمر [١]، فكان في كتابه: إن الصدِّيقين كانوا يستحيون من الله ﷻ أن يكونوا اليومَ على منزلةِ أمس!»[٢].

□ وخرج محمد بن النضر الحارثي[٣] إلى عبَّادان ومعه ابن المبارك، وحفص[٤]، وأبو أسامة[٥]. فوضعوا الطعام ليتغدَّوا، فقال لمحمد بن النضر: تغدَّ. فقال: إني صائم. قال ابن المبارك: فقلت له: يا أبا عبد الرحمن، أليس قد جاء: «**ليس من البرِّ الصيام في السفر**»[٦]؟ قال: بَلَى، ولكنها المُبَادَرة».

□ وعن محمد الباقر في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ۝٨٤﴾ [مريم].

---

(١) أبو خالد الأحمر هو سليمان بن حيّان الأزدي. ثقة ١٨٩هـ انظر «تهذيب الكمال» (١١/ ٣٩٤).

(٢) «حلية الأولياء» (١٠/ ١٤٢)، و«قر الأمل» (ص١٢٦).

(٣) من أعبد أهل الكوفة. وقد انشغل بالعبادة عن الرِّواية. قال ابن المبارك: كان محمد بن النَّضْر إذا ذُكِر الموت اضطربت مفاصله حتىٰ تبين الرِّعْدَة فيها انظر «صفة الصفوة» (٣/ ١٥٩ - ١٦٠).

(٤) يبدو أنه حفص بن حُمَيد المروزي الأُكافي العابد، فقد روىٰ عن ابن المبارك.

(٥) هو حمّاد بن أسامة بن زيد القرشي، أبو أسامة الكوفي. قال الإمام أحمد: أبو أسامة ثقة، كان أعلم الناس بأمور الناس، وأخبار أهل الكوفة. وقال: كان ثبتًا، ما كان أثبته، لا يكاد يُخطئ.

(٦) رواه البخاري وأحمد، ومسلم، وأبو داود،والنسائي عن جابر. ورواه ابن ماجه عن ابن عمر..

قال: «النَّفَس»[١].

□ وعن أبو بكر بن عيَّاش في قوله: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [المطففين] قال: «فلْيبادر المبادرون»[٢].

□ وقال المنذر أبو يحيى: سمعت مالكَ بن دينار يقول لنفسه: «ويحكِ! بادري قبل أن يأتيك الأمر! ويحكِ بادري قبل أن يأتيك الأمر! ويحكِ بادري قبل أن يأتيك الأمر!

قال: فسمعته يقول ذلك ستين مرة»[٣].

□ وقال عمر بن ذر: قرأتُ كتاب سعيد بن جبير إلى أبي -عمر-: «كلُّ يوم يعيشُه المؤمن غنيمة»[٤].

□ وكتب رجل من العرب لابنه -وكان أفسدَ مالًا له في الباطل-: «أَيْ بني! لا الدهر يعظُك، ولا الأيام تزجرُك، والساعات تُعَدُّ عليك، والأنفاس تُعَدُّ منك! أحبُّ أمريك إليك أرجعهما المضرة عليك»[٥].

□ وقال خُلَيْد العَصَري[٦]:

---

(١) «قصر الأمل» (ص١٢٦- ١٢٧)، وانظر «صفة الصفوة» (٣/ ١٥٩).

(٢) «قصر الأمل» (ص١٠٥).

(٣) «قصر الأمل» (ص١٠٥- ١٠٦)، و«إحياء علوم الدين» (٤/ ٦٦٨).

(٤) «تهذيب الكمال» (١٠/ ٣٦٦)، و«قصر الأمل» (ص١٠٦).

(٥) «قصر الأمل» (ص١٠٧).

(٦) هو خليد بن عبد الله العَصَري البصري، أبو سليمان، و«عَصَر» بطن من عبد قيس. وصفة أبو نعيم بقوله: «كان لمحبوبه ذاكرًا، وإلى مشاهدته ساهرًا». وكان يصوم الدهر. من أقواله: «المؤمن لا تلقاه إلا في ثلاث خلال: في مسجد يعمره، أو بيت يستره، أو حاجة من أمر دنيا لا بأس بها». ذكره ابن حبان في كتاب =

كلُّنا قد أيقن بالموت، وما نرى له مستعدًا!

وكلُّنا قد أيقن بالجنة، وما نرى لها عاملًا!

وكلُّنا قد أيقن بالنار، وما نرى لها خائفًا!

فعلامَ تعرِّجون؟ وما عسيتم تنتظرون؟ الموت؟ فهو أول واردٍ عليكم من الله، بخير أو بشرٍّ! يا إخوتاه سيروا إلى ربكم سيرًا جميلًا»(١).

□ وكان عبد الله بن يزيد المُقريء(٢) يقول: «إني لأغتنم النصيحة مخافةَ أن تَفوتني»(٣).

هذا العبد الصالح مولى آل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كان ابن المبارك إذا سُئِل عنه يقول: «زَرْزَدَه»: يعني ذهبًا مضروبًا خالصًا.

□ قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «أنا ما بين التسعين إلى المئة، وأقرأتُ القرآنَ بالبصرة ستًّا وثلاثين سنة، وها هنا بمكة خمسًا وثلاثين سنة».

□ وقال محمد بن مطرف بن داود: «دخلنا على أبي حازم الأعرج(٤) لَمَّا

الثقات. وروى له مسلم حديثًا، وأبو داود آخر. «حلية الأولياء» (٢/ ٢٣٢)، «تهذيب الكمال» (٨/ ٣٠٩).

(١) «قصر الأمل» (ص١٠٩ - ١١٠)، و«صفة الصفوة» (٣/ ٢٣١).

(٢) انظر «تهذيب الكمال» (١٦/ ٣٢٠).

(٣) «قصر الأمل» (ص١٠٨).

(٤) هو سلمة بن دينار المديني، الأعرج، أبو حازم. مدني ثقة. قال له رجل:إنك متشدِّدا! فقال: وما لي لا أتشدَّد وقد ترصدني أربعة عشر عدوًا! أما أربعة: فشيطان يفتنني، ومؤمن يحسدني، وكافر يقتلني، ومنافق يبغضني. وأما العشرة، فمنها الجوع والعطش والحَرُّ والبرد والعري والهرم والمرض والفقر والموت والنار؛ ولا أطيقهن إلا بسلاح تام، ولا أجد لهن سلاحًا أفضل من التقوى. ومن

حضره الموت، فقلنا: يا أبا حازم، كيف تجدك؟ قال: أجدني بخير. أجدني راجيًا الله، حسن الظن به. ثم قال: إنه والله ما يستوي من غدا وراح يَعْمُر عقد الآخرة لنفسه فيقدِّمَها أمامه قبل أن ينزل به الموت حتى يقدم عليها فيقوم لها وتقوم له، ومن غدا وراح في عقد الدنيا يَعْمُرها لغيره ويرجع إلى الآخرة لا حظَّ له فيها ولا نصيب!»[1].

◻ وكان صالح بن بشير يتمثَّل هذا البيت في قصصه:

وغائبُ الموت لا ترجون رجعته ... إذا ذوو سفرٍ من غيبةٍ رجعوا

◻ قال: ثم يبكي ويقول: «هو والله السفر البعيد، فتزودوا لمراحله، فإن خير الزاد التقوى».

واعلموا أنكم في مثل أمنيتهم، فبادِروا الموت، فاعلموا له قبل حلوله». ثم بكى[2].

◻ وكان حسانُ بن أبي سِنان يقول: «بادر انقطاعَ عملك، فإن الموت إذا جاء انقطع البرهان»[3].

◻ وعن عكرمةَ مولى ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾﴾ [سبأ]. قال: إذا قيل لهم توبوا، قالوا: سوف.

أقواله: إذا رأيتَ الله ﷻ يتابع نعمه عليك وأنت تعصيه فاحذره. ت ١٣٥ هـ. التاريخ وأسماء المحدثين وكناهم للمقدمي (ص٦٩)، «حلية الأولياء» (٣/ ٢٩٩)، «صفة الصفوة» (٢/ ١٥٦).

(١) «حلية الأولياء» (٣/ ٢٤١ - ٢٤٢)، و«قصر الأمل» (ص١١٠ - ١١١).

(٢) «حلية الأولياء» (٦/ ١٦٨)، و«قصر الأمل» (ص١١١).

(٣) «قصر الأمل» (ص١١١ - ١١٢).

□ وقال عمر بن عبد العزيز في خطبته: «والله ما هي إلَّا الآخرة، ألا فاعلموا الخير ما دُعيتم إليه، ولا تغرَّنكم الدنيا والمهلةُ فيها، فعن قليلٍ تُنقلون إلى غيرها، توشكون. فالله! على الله في أنفسكم، فبادروا بها الموت قبل حلول الموت، فلا يطولُ بكم الأمد فتقسو قلوبكم». ثم نَحب وهو على المنبر[١].

□ وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «لقد نغَّص هذا الموتُ على أهل الدنيا ما هم فيه من غضارة[٢] الدنيا وزينتها، فبينما هم فيها كذلك وعلى ذلك، أتاهم حياضُ[٣] الموت فاخترمهم[٤]. فالويلُ والحسرة هنالك لمن لم يحذر الموت ويذكره في الرخاء، فيقدم لنفسه خيرًا يجده بعدما فارق الدنيا وأهلها.

قال: ثم غلبه البكاء فقام»[٥].

□ قال الربيع بن برة -الربيع بن عبد الرحمن-: «عجبتُ للخلائق كيف ذُهبوا عن أمرٍ حقٍّ تراه عيونهم، وتشهدُ عليه معاقدُ قلوبهم، إيمانًا وتصديقًا بما جاء به المرسلون؛ ثم ها هم في غفلة عنه، سكارى يلعبون!»[٦].

□ وقال بعضُ الخلفاء على المنبر: «اتقوا الله -عبادَ الله- ما استطعتم،

---

(١) «قصر الأمل» (ص١١٢).
(٢) أي: نعيم الدنيا.
(٣) حياض الموت: دائرته جمع حوض. يُقال: حوّض حوله: إذا دار.
(٤) أي: أخذهم.
(٥) «حلية الأولياء» (٥/ ٢٦٤)، و«قصر الأمل» (ص١٠٠- ١٠١).
(٦) «حلية الأولياء» (٦/ ٢٩٧)، و«صفة الصفوة» (٣/ ٣٥٣)، و«قصر الأمل» (ص١١٤).

وكونوا قومًا صيح بهم فانتبهوا، وعلموا أن الدنيا ليست لهم بدار فاستبدلوا.

واستعِدُّوا للموت فقد أظلَّكم، وترحَّلوا فقد جُدَّ بكم.

وإن غايةً تنقصها اللحظة وتهدمها الساعة لجديرة بقصر المدة.

وإن غائبًا يجدُّ به الجديدان: الليلُ والنهار، لحريٌّ بسرعة الأَوْبة.

وإن قادمًا يحِلُّ بالفوز أو الشِّقوة لمستحقٌّ لأفضل العُدَّة.

فالتقيُّ عند ربِّه مَنْ ناصح نفسه، وقدَّ توبته، وغلب شهوته. فإن أَجَله مستورٌ عنه، وأمله خادعٌ له، والشيطان موكَّل به يمنِّيه التوبة ليسوِّقها، ويزيِّن إليه المعصية ليرتكبها، حتى تهجم منيَّتُه عليه أغفلَ ما يكون عنها.

وإنه ما بين أحدكم وبين الجنة أو النار إلَّا الموت أن ينزل به!

فيا لها حسرةً على كلِّ ذي غفلةٍ، أن يكون عمره عليه حجة، وأن تُرْديه أيامه إلى شقوة.

جعلنا الله وإياكم ممَّن لا تُبطِرُه نعمة، ولا تُقصِّرُ به عن طاعة الله معصية، ولا يَحِلُّ به بعد الموت حسرة. إنه سميع الدعاء، وإنه بيده الخير، وإنه فعَّال لما يشاء»(١).

□ وكان عونُ بن عبد الله يقول: «اليوم المضمار، وغدًا السِّباق، والسَّبقة الجنة، والغاية النار. فبالعفو تنجُون، وبالرحمة تدخلون، وبالأعمال تقتسمون المنازل»(٢).

---

(١) «قصر الأمل» (ص١١٤- ١١٥)، و«إحياء علوم الدين» (٤/ ٦٦٩).

(٢) «حلية الأولياء» (٤/ ٢٦٤).

□ وعن عثمان بن زائدة قال: قال لقمان لابنه: «يا بُنَيَّ، لا تُؤَخِّر التوبة، فإن الموت يأتي بغتة!»[١].

□ وكان الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: «يا معشرَ الشباب! إيَّاكم والتسويف: سوف أفعل، سوف أفعل»[٢].

□ وقال محمد بن الحارث: «رأيتُ الحسنَ صلى على جنازة، فكبَّر عليها أربعًا، ثم اطَّلع في القبر فقال: يا لها من عِظَة! يا لها من عِظَة -ومدَّ صوته بها- لو وافقت قلبًا حيًا.

ثم قال: إن الموت فضح الدنيا، فلم يدع لذي لُبٍّ فرحًا. فرحم الله امرءً أخذ منها قُوْتًا مُبْلِغًا، وهضم[٣] الفضل ليوم فقره وحاجته، فكأن ذلك اليوم قد أظلَّكم!»[٤].

□ وكان رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: «منع البرُّ النوم، ومن يخف يُدلج»[٥].

□ وقال: «يا ابن آدم! إياك والتسويف، فإنك بيومك ولست بِغد»[٦].

□ وكتب رجلٌ من الحكماء إلى أخ له: «أخي، إياك وتأميرَ التسويف على نفسك وإمكانَه من قلبك، فإنه محلُّ الكَلال[٧]، وموئلَ المُلال، وبه

---

(١) «قصر الأمل» (ص١٢٢)، و«إحياء علوم الدين» (٤/ ٢١).

(٢) «قصر الأمل» (ص١٤٢).

(٣) أي: ترك.

(٤) «الزهد الكبير» للبيهقي رقم (٥٥٤) (ص٢١٧)، و«الزهد» لأحمد (٢/ ٢٢٦)، و«قصر الأمل» (ص١٤٥)، و«إحياء علوم الدين» (٤/ ٦٥٦).

(٥) «قصر الأمل» (ص١٤٦).

(٦) المصدر السابق (ص١٤٤).

(٧) أي: الملل.

تُقطع الآمال، وبه تنقضي الآجال، وأنت -أي أخي- إن فعلت ذلك أدلتَ من عزمك [(١)]، فاجتمع وهواك [(٢)] عليه فَعَلاه، واسترجعا من يديك من السآمة ما قد ولَّى عنك، ونَفَاه من جوارحك الحزن والمخافة، وأوثقه الشوقُ والمحبة، فعند مراجعته إياك لا تنتفع نفسك من يديك بنافعة، ولا تجيبك إلى نفعٍ جارحةٌ.

أي أخي! فبادر، ثم بادر، فإنك مُبَادَرٌ بك. وأسرع، فإنك مسروعٌ بك. وكأن الأمر قد بَغَتك، فاغتبطتَ بالتسرُّع، وندمت على التفريط، ولا قوة بنا وبك إلَّا بالله» [(٣)].

□ وعن ميمون بن مهران أنه قال: «دخلتُ على عمر بن عبد العزيز يومًا وعنده سابق البربري الشاعر [(٤)] وهو ينشد شعرًا، فانتهى بشعره إلى هذه الأبيات:

وكم من صحيحٍ باتَ للموتِ آمنًا ... أتتـهُ المنايـا بغتـةً بعـدما هَجَـعْ
ولم يـستطعْ إذ جـاءه المـوت بغتـةً ... فـرارًا ولا منـه بقوَّتـه امتَنَـعْ
فأصـبح تبكيـه النـساء مقنَّعًـا ... ولا يسمعُ الداعي وإن صوتَه رَفَعْ
وقُـرِّب مـن لـحدٍ صـار مقيلَـهُ ... وفارق ما قد كان بالأمس قد جَمَعْ

---

(١) أي: نقلته من حال إلى حال.

(٢) يعني التسويف والهوىٰ.

(٣) «قصر الأمل» (ص١٤٢- ١٤٣).

(٤) هو سابق بن عبد الله البربريّ الرَّقيٌّ أبو سعيد الشاعر. روىٰ عن مكحول وأبي حنيفة وغيرهما، وروىٰ عنه الأوزاعي والمعافي بن عمران. وهو أحد الزُّهاد المشهورين. وهو صاحب القصيدة التي فيها لسان الفتىٰ نصفٌ ونصفٌ فؤاده فلم يبق إلَّا صورة اللحم والدم انظر الوافي بالوفيّات للصفدي (١٥/ ٦٩).

ولا يــترك المــوتُ الغنــيَّ لمالــه ... ولا مُعْدَمًا في الحال ذا حاجة يَـدَعْ

قال: فلم يزل عمى رضي الله عنه يبكي ويضطرب، حتى غُشي عليه»[(١)].

□ وكتب سالم بن عبد الله بن عمر إلى عمر بن عبد العزيز في رسالة له طويلة منها: «أما بعد، فإن الله عَزَّ وَجَلَّ وتقدَّس، خَلَق الدنيا لما أراد، وجعل لها مدَّة قصيرة، فكان ما بين أولها إلى آخرها ساعة من النهار، ثم قضى عليها وعلى أهلها الفناء، فقال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾» [القصص][(٢)].

□ وقال رجلٌ من العرب لابنه: «أيْ بني، إنه من خاف الموت بادر الفوْت. ومن لم يَكبحْ نفسه عن الشهوات، أسرعت به التَّبِعات. والجنة والنار أمامك»[(٣)].

حياتُــكَ أنفــاسٌ تُعَــدُّ فَكُلَّـمَا ... مضى نَفَسٌ منها انتقصتَ به جُـزْءا

فتُـصبِحُ في نقْـصٍ وتُمْـسِي بمثلِـهِ ... فما لـك معقـولٌ تحُـسُّ بـه الـرُّزْءا

يميتُكَ مـا يُحييـك في كـل سـاعةٍ ... ويحدُوكَ حادٍ لا يُريـدُ بـك الهُـزْءا

□ وما أجمل قول القائل:

عمــرٌ ينقــضي وذنــب يزيــد ... ورقيــب محـضر عـليَّ شـهيدُ

واقــترابٌ مــن الحُــمام وتــأ ... ميلٌ لطول البقا عـصر جديـد

(١) «الزهد الكبير» للبيهقي رقم (٦٨٨) (ص٢٦٣)، و«قصر الأمل» (ص١٢٢-١٢٣).

(٢) «حلية الأولياء» (٥/ ٢٨٤)، و«قصر الأمل» (ص١٢٥).

(٣) «الزهد الكبير» للبيهقي رقم (٣٨٢) (ص١٦٧).

أنـــا لاهٍ وللمنيـــة حـــتمٌ حيـث يممـتُ منهـلٌ مـورود
كـلَّ يـومٍ يمـوت منـي جـزءٌ وحيـــاتي تـــنُّسٌ معـــدود
كـم أخ قـد رُزئتُـه فهـو وإن أضحى قريب المحلِّ مني بعيد
خَلَـسَتْهُ يـدُ المنـون فـما لي خَلَفٌ منه في الـورى موجـود
كـان لي مؤنـسًا فغـودر في نهار عقيم صفيحه منـضود [(١)]

□ ولله در القائل:

رأيتك في النقصان مذْ أنت في المهـدِ تقرِّبك الساعاتُ من ساعة اللحدِ
ستضحك سنٌّ بعد عين تعصَّرتْ عليك وإن قالت بكيت من الوجدِ
أتطمـع أن شـيخًا لفقـدك فاقـد لعـل سرورَ الفاقـدين مـع الفقـد

ومِن عُلُوِّ همتِّهم وقصر أملهم تغافلهم عن البناء وذمهم له:

• عن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**عريشًا كعريش موسى، ثُمامٌ وخُشَيْبَاتٌ؛ والأمرُ أعجل من ذلك**»[(٢)].

وذلك حين بنى المسجد، وأعانه عليه أصحابه.

وقيل للحسن: وما عريش موسى؟ قال: إذا رفع يدَه بلغ العرش. يعني السقف. وورد بلفظ: «**عَرْشٌ كعرْش موسى**»[(٣)].

---

(١) الصفيح: وجه كل شيء عريض.

(٢) حسن: أخرجه المخلص في «فؤاده» وابن النجار، والضياء في «المختارة»، وحسَّنه الألباني في «الصحيحة» رقم (٦١٦)، و«صحيح الجامع» رقم (٤٠٠٧).

(٣) مرسل صحيح: رواه البيهقي في سننه عن سالم بن عطية مرسلا. انظر: «صحيح الجامع» (٣٩٩٨).

• وعن جابر ﷺ عن النبي ﷺ قال: «كل معروفٍ صدقة، وما أنفق الرجل على نفسه وأهله كُتِبت له صدقة، وما وقى به الرجلُ عِرْضَه كُتبت له صدقة، وما أنفق من نفقةٍ فعلى الله خَلَفُها، إلَّا ما كان في بنيانٍ أو معصية»(١).

• وقد مرّ من قبل حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: «مرَّ النبي ﷺ وأنا أبني خُصًّا فقال لي: «يا عبدَ الله بن عمرو ما هذا؟ إن الأمر أسرع من ذلك»(٢).

□ وعن ابن عمر رضي الله عنهما: «بنيتُ بناءً بيدي على عهد رسول الله ﷺ يكنُّني من المطر ويظلُّني من الشمس، ما أعانني عليه أحد».

□ وعن داود بن قيس الفرَّاء الدبَّاغ: «رأيت الحُجرات من جريدٍ مغشَّى من خارج بمُسوح الشَّعر(٣). وأظن عرضَ الحجرةِ من باب الحجرة إلى باب البيت نحوًا من ست أو سبع أذرع. وأُحزِّر البيت الداخل عشر أذرع، وأظن سمكه بين الثمان والسبع ونحو ذلك.

---

(١) صحيح لغيره؛ رواه البيهقي في «السنن الكبرىٰ» (١٠/ ٢٤٢)، وفي «شعب الإيمان»، ورواه بلفظ البيهقي في «سننه» الدارقطني في «سننه»، والبغوي في «شرح السُّنَّة» رقم (١٦٤٦) (٦/ ١٤٦)، وقال محققه: عبد الحميد بن الحسن الهلالي مختلَفٌ فيه، ضعَّفه ابن المديني وأبو زرعة والدارقطني، ووثقه ابن معين، وقال أبو حاتم: شيخ.. وأخرجه الحاكم (٢/ ٥٠)، وصححه، وردَّه الذهبي بأن عبدالحميد ضعَّفوه، ثم قال المحقِّق: لكن للحديث شواهد كثيرة يتقوَّىٰ بها، فهو صحيح لغيره.

(٢) رواه ابن ماجه في «سننه» (٤١٦٢) (٢/ ١٣٩٢).

(٣) مُغَشَّي: مُغَطيٍّ. المُسُوح: جمع مِسْح، الكساء مِن الشَّعْر.

قال: ثم وقفت على باب عائشة، فإذا هو مستقبل المغرب»[١].

□ وعن الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «كنت أَدخلُ بيوت أزواج النبي ﷺ في خلافة عثمان، فأتناول سُقُفها بيدي!»[٢].

□ وعن الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «إنه من رأى محمدًا ﷺ فقد رآه غاديًا ورائحًا، لم يضع لِبَنَة على لَبنة، ولا قَصَبةً على قَصَبة، ولَكِنْ رُفِع له عَلَمٌ فشمَّر إليه. الوَحَاءُ الوَحاء[٣]، النَّجاء النَّجاء! علامَ تُعَرِّجون؟

أتيتم ورب الكعبة كأنكم والأمر معًا!

رحم الله عبدًا جعل العيش عيشًا واحدًا، فأكل كسرة، ولبس خَلَقًا ولزق بالأرض، واجتهد في العبادة، وبكى على الخطيئة، وهرب من العقوبة، وابتغى الرحمةَ، حتى يأتيه أجله وهو على ذلك[٤].

□ وعن قيس بن أبي حازم: «أتينا خبَّابَ بن الأرت وهو يبني حائطًا فقال: إن المسلم يُؤْجَر في كل شيءٍ إلَّا شيئًا يُنفقه في التراب. ولولا أن النبيَّ ﷺ نهانا أن ندعو بالموت لدعوتُ به»[٥].

□ وعن أبي المهاجر الرَّقي [٦] قال: «لبث نوحٌ في قومه ألفَ سنةٍ إلَّا

(١) رواه البخاري في «الأدب المفرد» رقم (٤٥١) (ص١٦٠- ١٦١).

(٢) رواه البخاري في «الأدب المفرد» رقم (٤٥٠) (ص١٦٠).

(٣) الوَحَاء الوَحَاء، أي البِدار البَدَار. والنَّجاء: مصدر نجا، بمعنى الإسراع.

(٤) «قصر الأمل» (ص١٢١- ١٢٢) و«إحياء علوم الدين» (٤/ ٦٦٩)، وانظر «الحلية» (٣/ ١٤٩)، (٣/ ١٥٤).

(٥) رواه البخاري في «صحيحه» (٧/ ١٠)، وفي «الأدب المفرد» (٤٥٥) (ص١٦١- ١٦٢)، وابن ماجه رقم (٤١٦٣) (٢/ ١٣٩٤).

(٦) هو سالم بن عبد الله الجزري الرقي. قال الإمام أحمد: ثقة في الحديث.. كان =

خمسين عامًا في بيت شَعْر. فقيل له: يا بني الله ابن بيتًا! فيقول: أموت اليوم، أموت غدًا!!»[(١)].

□ وعن وُهَيب بن الورد [(٢)] قال: ابتنى نوحٌ عليه السلام بيتًا من قصب، فقيل له: لو بنيتَ غير هذا؟ قال: هذا كثيرٌ لمن يموت»[(٣)].

□ قال ثابت البناني: «بنى أبو الدرداء مسكنًا قَدْرَ بسطة، فمرَّ به أبو ذر فقال: ما هذا؟ دارًا قد أذن الله في خرابها؟ لأن أمرَّ بك متمرِّغًا في عَذِرَةٍ أحبُّ إلي من أن أراك في هذا!!»[(٤)].

□ وقال أبو الدرداء رضي الله عنه لأهل دمشق: «يا أهلَ دمشق، أنتم الإخوان في الدين، والجيرانُ في الدار، والأنصارُ على الأعداء، ما يمنعكم من مودتي وإنما مؤنتي على غيركم؟ ما لي أرى علماءكم يذهبون وجُهَّالكم لا يتعلّمون؟ وأراكم قد أقبلتم على ما تُكُفِّلَ لكم به وتركتم ما أُمِرتم به؟ ألا إن قومًا بنوا شديدًا، وجمعوا كثيرًا، وأمَّلُوا بعيدًا، فأصبح بنيانهم قبورًا، وأملهم غرورًا، وجمعهم بورًا. ألا فتعلمَّوا، فإن العالم والمتعلم في الأجر

رجلاً صالحًا.

(١) «قصر الأمل» (ص١٦٥).

(٢) وهيب بن الورد القرشي، أبو عثمان. ذكره ابن حبان في كتاب الثقات وقال: كان من العبَّاد المتجردين لترك الدنيا والمنافسين في طلب الآخرة.
وقال إدريس بن محمد الرُّوذي: ما رأيت رجلاً أعبدَ منه. وعن محمد بن يزيد ابن خنيس أن الثوري كان إذا حدَّث الناسَ وفرغ من الحديث قال: قوموا بنا إلى الطبيب، يعني وهيب بن الورد. ت ١٥٣هـ. «تهذيب التهذيب» (٣١/ ١٦٩).

(٣) «حلية الأولياء» (٨/ ١٤٥)، و«قصر الأمل» (ص١٦٦).

(٤) «قصر الأمل» (ص١٦٨).

سواء، ولا خير في الناس بعدهما»[١].

□ وقال سفيان الثوري: «ما بنى عليٌّ رضي الله عنه آجُرَّةً على آجُرَّة، ولا قصبةً على قصبة»[٢].

□ وعن ابن أبي الهذيل قال: «بنى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بيتًا في داره، فدعا عمّار بن ياسر رضي الله عنهما، قال: كيف ترى؟ قال: بنيتَ شديدًا، وأمَّلت بعيدًا، وتموتُ قريبًا»[٣].

□ وعن عبد الرومي قال: «دخلتُ على أم طلْق [٤]، فرأيت سقفَ بيتها قصيرًا، فقلت لها: يا أم طلق، ما لي أرى سقف بيتك قصيرًا؟ قالت: إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إلينا: لا تطيلوا بناءكم، فإنه من شرِّ أيامكم»[٥].

□ وقال مسروق: «كل شيء يُؤجر فيه المؤمن إلَّا ما كان في التُّراب».

□ وقال حذيفة لسلمان: «ألا نبني لك مسكنًا يا أبا عبد الله؟ قال: لِمَ؟ لتجعلني ملكًا؟ أو تجعل لي بيتًا مثل دارك التي بالمدائن؟ قال: لا، ولكن نبني لك بيتًا من قصب، وسقفه بالبَرْدي، إذا قمتَ كاد أن يصيب رأسك، وإذا نمتَ كاد أن يمسَّ طرفيك! قال: كأنك كنتَ في نفسي!»[٦].

---

(١) «حلية الأولياء» (١/ ٢١٣).

(٢) «قصر الأمل» (ص١٧٧).

(٣) «حلية الأولياء» (١/ ١٤٢).

(٤) أورد ابن الجوزي أخبارها في «صفة الصفوة» (٤/ ٣٧).

(٥) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (ص١٦١) رقم (٤٥٢) وذكر ابن رجب قول عمر في «جامع العلوم والحكم» (١/ ٨٦).

(٦) «حلية الأولياء» (١/ ٢٠٢).

□ وقال رستم أبو يزيد: «كنتُ جالسًا عند الحسن، فأتاه رجل فقال: يا أبا سعيد، إني قد بنيتُ دارًا، فلو جئتَ معي فنظرتَ إليها، ودعوتَ لي بالبركة. قال: فقام الحسن، وقمنا معه. فلما نظر إلى الدار قال: غرَّكَ أهلُ الأرض، ومقتكَ أهلُ السماء، وأخربتَ دارك، وبنيتَ دار غيرك. قال: ثم رجع، ورجعنا معه. فلمَّا انتهينا إلى منزله، إذا جانب حائطه مائل! فقال له بعضُ القوم: يا أبا سعيد، لو بنيتَ هذا قبل أن يخرَّ؟ فقال: هيهات هيهات! الأمر أعجل من ذلك!»[١].

□ وعن محمد بن ذَكْوان قال: «ازدحمنا على درجةِ الحسن -وكانت رثَّة-، فانتهوا إلى ابنه، فقال: مه يا بني. قال: فدخلنا عليه، فملأنا سطحه، فقال: أحسنوا ملامكم إنها المأزور. ثم قال: لولا أنه قد حان إلى الآخرة انتقال، ومن الدنيا ارتحال، لجدَّدنا لكم البناء، شوقًا إلى حديثكم، وحرصًا على لقيكم. وما على البناء شفقنا، ولكن عليكم، فاربعوا على أنفسكم»[٢].[٣].

خرجنا مع الحسن، فنظر إلى بعض بناء المهالبة[٤] فقال: يا سبحان الله! رفعوا الطين ووضعوا الدِّين. ركبوا البراذين[٥] واتخذوا البساتين وتشبَّهوا بالدهاقين[٦]! فذرهم فسوف يعلمون[١].

---

(١) «قِصر الأمل» (ص١٩٤).
(٢) أي تمكَّثوا وانتظروا.
(٣) «قصر الأمل» (ص١٩٤ - ١٩٥).
(٤) نسبة إلى المهلَّب بن أبي صفرة. كان قد ولي إمارة البصرة لمصعب بن الزبير.
(٥) جَمْع بِرْذَوْن: يُطلَق على غير العربي من الخيل والبغال.
(٦) جمع دُهتان: وهو التاجر، ويُطلق على رئيس الإقليم أو القرية.

□ وانظر إلى ضيغم بن مالك كيف يستمطرُ الدَّمع: مالك بن ضيغم الراسبي قال: «أخذ بشر بن منصور (٢) بيد ضيغم ليريه منزلًا له أَحْدَثَهُ، فقال له ضيغم: يا بشر، بيتُكَ الذي تُغْسَلُ فيه أين هو من الدار؟

قال: فبكى بشر (٣)..

بَنَوْا مقاصيرَ في الدنيا مُشَيَّدَةً ... فمن لهم بخلودٍ في المقاصيرِ

ثم انتقلوا إلى الحُفَر:

كان في دارٍ سواها دارُه ... عَلَّلَتْهُ المُنى ثم انتقلْ

لم يُمَتَّعْ بالذي كان حوى ... من حُطامِ المالِ إذْ حلَّ الأَجَلْ

إنما الدنيا كفيءٍ زائلٍ ... طلعتْ شمسٌ عليه فاضمحلْ!

□ وما أوعظ قول القائل:

رُبَّ قومٍ رأيتهم ... ليس في عيشهم كدر

في رياض سماؤها ... تمطر السؤل بالدُّرر

ليس يخشون حاذرًا ... قد نأى عنهم الحَذَر

أوطنوا منزل الغرو ... رِ وساعدهم القَدَر

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ③ ﴾ [الحجر].

(٢) بشر بن منصور السلمي البصري، أبو محمد. قال فيه الإمام أحمد: ثقة ثقة وزيادة. وقال عبد الرحمن بن مهدي: ما رأيتُ أحدًا أُقدِّمه في الرِّقة الورع على بشر بن منصور. وكان قد صيرَّ الليل أثلاثًا: ثلثًا يصلي، وثلثًا يدعو، وثلثًا ينام. ت ١٨٠هـ. «تهذيب الكمال» (٤/ ١٥١).

(٣) «قصر الأمل» (ص١٩٦).

في مقاصــــير تخـــدَّت وقبـــابٍ عـــلى الـــسُّرر
وبـــساتين في المقاصيـــ ـــرِ يـــضحكن بـــالزَّهَر
وحَـــوارٍ كـــأنهنَّ الــ ـمـــصابيح والـــصُّوَر
بيـــنما القـــوم يجتنـــون جَنَـــى اللهـــو والثَّمَـــر
صاحت الحادثاتُ فـيهمُ بـــصوت لـــه غَـــيَرَ[1]
فتولَّـــوا مـــن القـــصو رِ إلى مظلـــم الحُفَـــر

□ ولله درُّ القائل:

قــف بالقـــصور عـــلى دجلـــة حزينًـــا فقـــل أيـــن أربابهـــا؟
أيـــن الملـــوك ولاةُ العهـــو دِ رُقـــاةُ المنـــابر خطابهـــا
تجيبـــك آثـــارهم عـــنهم: إليـــك، فقـــد مـــات أصـــحابها!

□ وعن حبيب بن أبي ثابت[2] قال: «مرَّ أبو الدرداء رضي الله عنه بقرية خَرِبة، فقال: يا خِربة أين أهلكِ؟ ثم يردُّ على نفسه: ذهبوا وبقيت أعمالهم»[3].

□ وقال عيسى بن سنان: «كان عمرُ بن عبد العزيز لا يبني بنيانًا وقال: سُنةُ رسول الله ﷺ خيرٌ من الدنيا وما فيها، لم يبنِ بنيانًا، ولم يضع

---

(١) غِيَر الدَّهر: أحواله وأحداثه.
(٢) حبيب بن أبي ثابت.. واسمه قيس -بن دينار الأسدي الكوفي. قال العجلي: ثقة، تابعي، وكان مفتي الكوفة قبل حماد بن أبي سلمة. وعن أبي يحيىٰ القتَّات قال: قدمت الطائف مع حبيب بن أبي ثابت وكأنما قدِم عليهم نبيٌ ت ١١٩. انظر «تهذيب الكمال» (٥/ ٣٥٨).
(٣) «الزهد والرقائق» لعبد الله بن المبارك رقم (٦٣٩) (ص٢٢٩).

لَبِنة على لَبِنة، ولا قصبة على قصبة»[١].

□ وكتب عديُّ بن أرطاة[٢] إلى عمر بن عبد العزيز في صُدوع في مسجد البصرة، فكتب إليه عمر: «إنك كتبت إليَّ في صدوع في مسجد البصيرة تستشيرني في بنيانها؛ فادعُ عدولًا من المسلمين من أهل الخير، فينظرون في تلك الصدوع، ولا تجاوزها إلى غيرها، فإني لم أجد للبنيان في مال الله حقًّا!»[٣].

□ وعن مالك بن يَخَامر السَّكْسَكي[٤]: «أن قومًا دخلوا عليه يعودونه، فقالوا: إن منزلك من المدينة موضع جيد، فلو رمَّمته؟ فقال: إنما نحن سَفْرٌ نازلون، نزلنا للمقيل، فإذا برد النهار وهبَّت الريح ارتحلنا؛ ولا أعالج منها شيئًا حتى أرحل منها»[٥].

□ وقيل لطاووس: «إن منزلك قد استرمَّ[٦]؟ قال: قد أمسينا»[٧].

✍ **أخي**: لا يطولَنَّ عليك الأمل، فيقسوا القلب وتُمنَع خير العمل، وكُن كَمنْ عاين ما أعدَّ الله من ثوابه وعقابه، واحذر خَطفات المنايا. فكن

---

(١) «قصر الأمل» (ص٢٠٨).

(٢) عامل عمر بن عبد العزيز على البصرة.

(٣) «قصر الأمل» (ص٢٠٨).

(٤) مالك بن يخامر -ويقال ابن أخامر- السكسكي الألهاني الحمصي يُقال له صحبة. ذكره ابن حبان في «الثقات». روى له الجماعة سوى مسلم. ت. ٧٠هـ وقيل: ٧٢هـ انظر «تهذيب الكمال» (٢٧/ ١٦٦).

(٥) «قصر الأمل» (ص٢٠٩).

(٦) أي: حَانَ له أن يُرَمَّ ودعا إلى إصلاحه.

(٧) «قصر الأمل» (ص٢١٠).

منتظرًا مثل حال من خلَا، ومتوقِّعٌ لنصيبك من البِلى، فوالله ما يقع طرفك إلَّا على منزل قد خلا ممن كان يسكنه..

ومُـــــشيِّدٍ دارًا ليــــــسكنَ دارَه   سَــكنَ القبــور وداره لم يَــسْكُنِ

✍ **أخي**: بادر طيَّ صحيفتك.. بادرْ فإنه مُبادَرٌ بك.

▫ قال بُكَير بن عامر: «لو قيل لعبد الرحمن بن أبي نُعْم [(١)]: «قد توجَّه ملك الموت إليك يريد قبضَ روحك، ما كانت عنده زيادة على ما هو فيه!» [(٢)].

▫ كتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز: «أما بعد، فكأنك بآخِرِ من كُتِب عليه الموت قد مات. فأجابه عمر بن عبد العزيز: أمَّا بعد، فكأنك بالدنيا لم تكُن، وبالآخرة لم تزَلْ» [(٣)].

▫ ونختمُ بما قال بشر بن الحارث الحافي: «أمسِ قد مات، واليومَ في السياق، وغدًا لم يولد» [(٤)].

---

(١) عبد الرحمن بن أبي نُعْم البَجَلي، أبو الحكم الكوفي العابد. ذكره ابن حبان في كتاب «الثقات» وقال: كان من عُبَّاد أهل الكوفة ممن يصبر على الجوع الدائم، أخذه الحجاج ليقتله، وأدخله بيتًا مظلمًا، وسدَّ الباب خمسة عشر يومًا، ثم أمرًا بالباب ففتح ليُخرج فيدفن، فدخلوا عليه، فإذا هو قائم يصلي! فقال له الحجاج: سِرْ حيث شئت! انظر «تهذيب الكمال» (١٧/ ٤٥٦).

(٢) «قصر الأمل» (ص ٢٠١).

(٣) «الحلية» (٥/ ٣٠٥).

(٤) «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٤٧٢).

عُلُوُّ الهمة
في بذْلِ المعروفِ ورِقَّة المشاعِرْ

عُلُوُّ الهمة في بذْلِ المعروفِ ورِقَّة المشاعِرْ

✍ سبحان خالقِ الهمم والطباع:

فهناك من الناس من هو جَافٍ غليظ الحسِّ والمشاعر، لا تكاد تحظى منه بكلمة شُكْر، أو ابتسامة مُحِبٍّ، أو دعوة مُخلِص.

«ومنهم من هو متملِّق يُزجِي المديح بلا كيل لمن يستحق؛ إمَّا رغبة أو رهبة أو لأجلهما جميعًا؛ فإذا انقضت مصلحته قلَبَ ظهر المِجَنِّ وعرَّى أفراسَ الصبا ورواحِلَه.

أمَّا مَن يُقابل الناس بالبشر، ويصافحُهم براحةٍ كريمة، ويُثني عليهم إذا هم أجادوا، ويردُّهم إلى الصواب برفق إذا هم أخطأوا، ويُسدِي إليهم المعروف إذا هم احتاجوا دون أن يكون خائفًا منهم أو راجيًا لهم: فذلك قليل في الناس غريب بينهم. ومَن كان كذلك أحْدَقت إليه الضمائر الحُرَّة، وأوْلَتْهُ وُدًّا وانعطافًا؛ وأساغت عِشْرَته، وأصاخت السمع لما يقوله.

ولكن هذا الصِّنْف -مع الأسف- قليل؛ لأن المصالحَ الخاصة قد طغت، فصارت المعاملة إلى «النفْعِيَّة» أَقربُ منها إلى «المروءة والإنسانية».

ولا ريب أننا بحاجَةٍ ماسَّة إلى كميَّة من المشاعر الصادِقة؛ حتى نحفظ الودَّ فيما بيننا، ونَبعُد عن شبح الأوهام التي تعترينا، ولأجل أن تكون حياتُنا مليئةً بالمَسَرَّات، بعيدةً عن المُكَدِّرَات والمُنَغِّصات.

وإن المتأمِّل في حياتنا ليرى عجَبًا؛ فلغةُ المشاعر التي تضفي علينا الدِّفءْ في قَرِّ الشتاء، وتهبُّ علينا بالنسيم العليل في حرِّ الهجير: تكادُ تنقرضُ عند فِئام من الناس في هذه الأزمان.

كيف يكون ذلك؛ ونحن نتفيَّأُ ظلالَ دينٍ عظيم يرعى هذا الجانب حق رعايته، ويحذِّر من أن تتضاءَل تلك العواطفُ النبيلة، فيضيعَ بسبب ذلك من حقائق الشريعة وعزَّةِ أهلها ما يضيع؟!

ومن هنا جاء الإسلامُ بما يُرَبِّي تلك المعاني، ويُحييها في النفوس؛ فنصوص الوحيَيْن -التي لم تُغادِر صغيرةً ولا كبيرةً، إلَّا وأحاطَتْ بها إجمالًا أوْ تفصيلًا- مليئةٌ بتقرير تلك المعاني السَّامية التي تنهض بالمشاعر، وتَقْضي على روح الأثرة والقسوة والكزازة.

فلو أجَلْتَ فكرَك في حِكَم الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج -وهي أعظم دعائم الإسلام بعد الشهادتيْن-، لو جدت أن من أعظم حِكَم تشريعها مراعاةَ المشاعرِ، وقيامَ روح الأُلْفة والمودَّة بين المسلمين.

ولو ألقيتَ نظرةً فيما يقرره الشارعُ من أوامرٍ ونواهٍ وما جرى مجرى ذلك، لرأيتَ ذلك رأْيَ العين.

ألَا ترى أن الشارع يُقرِّرُ ألا ننسى الفضلَ بيننا، وأن أحدنا لا يُؤمن حتى يُحب لأخيه ما يُحبُّ لنفسه، وأنَّ المسلم أخو المسلم لا يظلمُه، ولا يخذُله، ولا يُسلِمُه، ولا يحقره؟.

أليسَ الشارع يأمرنا بستر عورات المسلمين، والسعي في قضاء الحوائج وتنفيس الكُرُبات، وعيادة المرضى، وتشييع الجنائز؟.

أليس يأمر بإفشاء السلام، والرحمة بالخلْق، والعطف عليهم، وحسن رعايتهم، ومداراتهم، والصبر على أذاهم؟.

أليس يأمُرُ ببرِّ الوالدين، وصلة الأرحام، واحترام الجار، والوفاء للأصحاب؛ وحسن المعاملة للزوج والأولاد.

أليس يأمرُ بالأمانة وإنجاز الوعد، وحسن الظن، إلى غير ذلك من الأوامر التي ليس بعدها آملٌ لآمِل، ولا زيادة لمستزيد.

وفي مقابل ذلك، فهو ينهى عن أمور كثيرة من شأنها أن تُوهِي حبال المودَّة بين المسلمين، أوْ تنقضَ عُرَاها، فتراهُ ينهى عن العقوق، والقطيعة، وأذيَّة الجار، والكبر، والحسد، والغِل، والحقد، والبخل، والفظاظة، والوقاحة، والعِناد، والغيبة، والنميمة، والسبِّ، واللعن، وإفشاء السرِّ، والسخرية بالناس، والتعبير بالعبارات المستقبَحة، والتخاطب بالألقاب السيئة.

وينهى -كذلك- عن كثرة الجدال والخصومة، وعن المزاح البذيء، وعن الكلام فيما لا يعني، وعن الخيانة، والمكر، وإخلاف الوعد، والتحسس والتجسُّس، وتتبُّع العورات، والتهاجر، والتشاحن، والتدابر وما إلى ذلك»[1].

يا أنا:

✍ يا له من دينٍ عظيم! يرتقي بالأحاسيس والمشاعر ورَهافتها حتى يبلغ بها الكمالَ وأعلى درجات الإسلام! سبحانك يا من جعلت الإسلام دينَ النبيين والمرسلين، لقد أنزل اللهُ الأخ في الدين والعقيدة منزلة النفس في أكثر من آية:

* فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ..﴾ [البقرة: ٥٤].

(١) «فقر المشاعر» لمحمد بن إبراهيم الحمد (ص٤ ـ ٦).

□ عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال الله تعالى: «إن توبتَهم أن يقتلَ كلُّ رجل منهم كلَّ مَن لقي -من ولد ووالد-، فيقتله بالسيف..»(١).

□ وقال ابن كثير: «وذلك أن أهلَ المِلَّة الواحدة بمنزلة النَّفْس الواحدة، كما قال عليه الصلاة والسلام: «**مَثلُ المؤمنين في توادِّهم وتراحُمهم وتواصُلهم بمنزلةِ الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائرُ الجسد بالحمَّى والسهر**».

* وقال تعالى: ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ..﴾ [البقرة: ٨٤]، أي: لا تخرجون إخوانكم من ديارهم.

* ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ..﴾ [البقرة: ٨٥].

أي: يقتل بعضُكم بعضكم.

* وقال تعالى: ﴿ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ١٢].

□ قال ابن عرفة: «أي بأهل الإيمان وأهل شريعتهم»(٢).

* وقال تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ..﴾ [النور: ٦١].

□ قال سعيدُ بن جبير والحسن البصري وقتادة والزهري: يعني: «فيسلمِّ بعضُكم على بعض»(٣).

---

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ١٣٠)- طبع دار الشعب.

(٢) «بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز» للفيروزأبادي (٥/ ٩٨) ـ طبع المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

(٣) «تفسير ابن كثير» (١٠/ ٢٧٧) ـ طبع أولاد الشيخ.

*وقال تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ [الحجرات: ١١].

□ قال ابن عباس رضي الله عنهما، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وقتادة: «أي: لا يطعنْ بعضكم على بعض»[١].

□وقال الرازي: «جعلهم كأنفُسهم»[٢].

□وقال السَّعدي الشيرازي:

قــال لي المحبــوبُ لَمَّــا زُرْتُــهُ ... مَــنْ ببــابي؟ قلــتُ بالبــاب أنــا

قال لي: أخطـأت تعريـف الهـوى ... حيــنما فرَّقــتَ فيــه بيننَــا

ومــضى عـــامٌ فَلَــمَّا جئتُــهُ ... أطــرُقُ البــاب عليــه مُوهِنَــا

قال لي؟ من أنتَ؟ قلتُ انْظُرْ فـيما ... ثَــمَّ إلَّا أنــت بالبــاب هُنَــا

قال لي: أحـسنتَ تعريـفَ الهَـوى ... وعَرَفْتَ الحُبَّ فادخُلْ يـا أنـا[٣]

جمالَ ذي الأرض كانوا:

□لله درُّ من قال:

جمالَ ذي الأرضِ كانوا في الحياة وهُمْ ... بَعْدَ المماتِ جَمالُ الكُتُبِ والسِّيَرِ

نعم مِن طِيبهم طابت الحياة.. بلغت بهم رقَّةُ المشاعر مبلغًا لا يتصوَّره عقل، كلٌّ منهم قرآنٌ يمشي على الأرض.. إسلامٌ عظيم متجسِّدٌ في شخص كل رجلٍ منهم.. كلٌّ منهم باذلٌ المعروفَ للمسلمين، كلٌّ منهم سحاب جود وبذل وعطاء يمطر الأرض..

---

(١)«تفسير ابن كثير».

(٢)«مفاتيح الغيب»، أو «التفسير الكبير» للرازي (١٤/ ٣٨٨)- دار الغد.

(٣)«لا تحزن» لعائض القرني (ص٢٥٦)- مكتبة الصحابة- الإمارات.

ليُسق عهدهمُ عهد السرور فما | كانوا لأرواحنا إلَّا رياحينا

عُلُوُّ الهمة في بذل المعروف:

ما أجملَ عِشقَ المُثُل، وذوقَ المحامد، وطَلَبَ القيم، وبذلَ المعروف! وهو من أَجَلِّ القربات وأعظم وأنبل الطاعات، ويا لحسن صنع الخير للمؤمنين، وتفريج هَمِّ المكروبين، ومدِّ يد العون للفقراء واليتامى والمساكين، وتفقُّد أحوال المحتاجين والمعوزين..

اقْضِ الحوائِجَ ما استطعـ | ـتَ وكُنْ لَهَمِّ أخيك فارِجْ

فَلَخَيْرُ أيام الفتى | يومٌ قضى فيه الحوائِجْ

• عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أحبُّ الناس إلى الله أنفعهمْ، وأحبُّ الأعمال إلى الله عز وجل سرورٌ تُدخلهُ على مسلم، أو تكشفُ عنه كُرْبَةً، أَوْ تقضي عنه دَيْنًا، أَوْ تطردُ عنه جوعًا، ولأَنْ أمشي مع أخي المسلم في حاجةٍ أحبُّ إليَّ من أن أعتكفَ في المسجد شهرًا، ومَنْ كفَّض غضبه، ستر اللهُ عوْرتَهُ، ومَنْ عظمَ غيظًا، ولو شاءَ أن يمضيه أَمضاهُ، ملأَ اللهُ قلبَهُ رضًى يوم القيامة، ومَن مشى مع أخيه المسلم في حاجته حتى يُثبتَها لهُ، أثبتَ الله تعالى قدمَهُ يوم تزِلُّ الأقدامُ، وإِنَّ سوءَ الخُلُقِ ليفسِدُ العملَ، كما يفسِدُ الخلُّ العسل»(١).

□ وإن الخلق عبادَ الله، يعولهُم بفضله، ويربِّيهم بجوده، ويحوطهم بكرمه، ويُغني فاقتَهم بعطائه ونَواله، وإن الله جعل للمعروف وجوهًا من

---

(١) حسن: رواه ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج، والطبراني في «المعجم الكبير»، وحسَّنه الألباني في «الصحيحة» رقم (٩٠٦)، و«صحيح الجامع» رقم (١٧٦).

خلقِه، حَبَّبَ إليهم المعروف، وحبَّبَ إليه فِعَاله، ويَسَّر على طُلَّاب المعروف طلبه إليهم ويَسَّر عليهم إعطاءَه، فهم كالغيث يرسله الله ﷺ إلى الأرض الجدبه فيُحْييها ويُحيى بها أهلها. وأحب خلق الله إليه أنفعهم لعباده، وأقربهم منه منزلة وأعلاهم عنده مكانة أطولهم يدًا، وأحناهم قلبًا وأحسنُهم خُلُقًا، وأوسعهم لُطْفًا وظَرْفًا وعطفًا على المخلوقين، فالله يحبُّ المحسنين.

• فعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**خيرُ الناس أنفعُهم للناس**»[(١)].

• وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ: «**خيرُ الأصحاب عند الله -تعالى- خيرُهم لصاحبه، وخيرُ الجيران عند الله خيرُهم لجاره**»[(٢)].

للخـــير أهــــلٌ لا تـــزا ... لُ وجـــوههم تـــدعو إليـــهِ
طـــوبى لِمَــنْ جـــرت الأمـــو ... رُ الـــصالحاتُ عـــلى يديْـــهِ
مـــا لم يـــضف خُلُـــق الفتـــى ... فـــالأرضُ واسِـــعَةٌ عليْـــهِ [(٣)]

(١) حسن: رواه الطبراني في «الكبير»، والدارقطني في «الأفراد»، والبيهقي في «شعب الإيمان»، وابن عساكر، وحسَّنه الألباني في «الصحيحة» رقم (٤٢٦)، و«صحيح الجامع» رقم (٣٢٨٩).
(٢) حسن: رواه أحمد في «مسنده»، والترمذي في «سننه»، والحاكم في «المستدرك»، وحسَّنه الألباني في «الصحيحة» رقم (١٠٣)، و«صحيح الترمذي» (٢/ ١٨٤) رقم (١٥٨٦)، و«صحيح الجامع» رقم (٣٢٧٠).
(٣) لعبد العزيز الأبرش.

• وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لقد أتى علينا زمانٌ، وما أحدٌ أحقُ بديناره ودرهمه من أخيه المسلم، ثم الآن الدينار والدرهم أحبُّ إلى أحدنا من أخيه المسلم، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**كم مِن جارٍ متعلقٍ بجاره يوم القيامة يقول: يا رب، هذا أغلق بابَه دوني، فمنع معروفه**»(١).

□ والأصلُ في المسلم أن يُعين إخوانَه على نوائب الدهر ومتاعب العمر، ومصائب الحياة بسدِّ خلَّتهم، والشدِّ من أزرهم، وقضاء حوائجهم، والقيام على مصالحهم، وإعانةِ محتاجهم، ومساعدة ضعيفهم، ورعاية شؤونهم، ومناصرة مظلومهم، والأخذ على يد ظالمهم؛ لتستقيم حياتهم، ويصلحَ بهم ولهم معاشهم، فكأنهم جسدٌ واحدٌ، مختلطُ المشاعر، متَّحِد الشعائر، متمازجُ الأحاسيس، متوافق العواطف»(٢).

• وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ترى المؤمنين في تراحُمهم وتوادِّهم وتعاطفِهم، كمثل الجسد الواحد؛ إذا اشتكى عضوٌ منه، تداعى له سائرُ الجسد بالسهر والحمى**»(٣).

• وعند مسلم: «**مثلُ المؤمنين في توادِّهم، وتراحُمهم، وتعاطفهم، مثلُ الجسد إذا اشتكى منه عضوٌ، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحُمَّى**»(٤).

---

(١) صحيح: رواه البخاري في «الأدب المفرد»، وصححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (ص٦٧) رقم (٨١).

(٢) «بذل المعروف» لعبد اللطيف بن هاجس الغامدي (ص١٠)- طبع مدار الوطن للنشر وهو جيد في هذا الباب، واستعنا به، فشكر الله له، ومن لم يشكر الناس، لم يشكر الله. وإن من بركة العلم عزوه إلى قائله.. وقد أجاد وأفاد فجزاه الله خيراً.

(٣) رواه البخاري في «صحيحه»- كتاب الأدب (١٠/ ٤٥٢) رقم (٦٠١١ الفتح).

(٤) رواه مسلم في «صحيحه»- كتاب البر والصلة (٢٥٨٦)، وأحمد في «مسنده» =

• وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المسلمون كرجل واحد، إن اشتكى عينُه، اشتكى كلُّه، وإن اشتكى رأسُه، اشتكى كله»(١).

• وبلفظ: «المؤمنون كرجلٍ واحدٍ، إن اشتكى رأسُه، تداعى له سائر الجسد بالحمَّى والسهر».

• وعن سهل بن سعد الساعديِّ عن رسول الله ﷺ: «إن المؤمنَ من أهل الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، يألَمُ المؤمن لأهل الإيمان كما يألَمُ الجسدُ لما في الرأس»(٢).

□ وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: «المؤمن للمؤمن كالبنيان، يَشُدُّ بعضه بعضًا»(٣).

• وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمنُ مِرآةُ المؤمن»(٤).

(٤/ ٢٧٠)، والحميدي في «مسنده» (٢/ ٤٠٨) رقم (٩١٩)، وابن حبّان في «صحيحه» (١/ ٢٢٨) رقم (٢٣٣)، والطبراني في «المكارم» (٣٤٣- رقم ٩٠)، والطيالسي في «مسنده» (٢/ ٣٧) رقم (٢٠٥٠ ـ محنة المعبود)، والبيهقي في «شعب الإيمان».

(١) رواه مسلم (٤/ ٢٥٨٧) و(٢٥٨٦). وجاء بلفظ: «المؤمنون كرجل واحدٍ، إن اشتكىٰ رأسه وأحمد اشتكىٰ محله، وإن اشتكىٰ عينه اشتكىٰ كله.

(٢) لا بأس بإسناده: رواه أحمد في «مسنده» (٥/ ٤٣٠)، وقال ابن كثير في «تفسير» (٧/ ٣٥٥): «تفرَّد به أحمد، ولا بأس بإسناده».

(٣) رواه البخاري (٢٤٤٦)، ومسلم (٢٥٨٥)، وأحمد (٤/ ٤٠٤)، والنسائي (٢٥٦٠)، وابن المبارك في «الزهد» (٣٥٠)، والحميدي في «مسنده» (٧٢٢)، وابن أبي شيبة (١٦٢٦٠).

(٤) صحيح: رواه الطبراني في «الأوسط»، انظر «مجمع البحرين» (٥/ ٢٣٣) رقم =

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمنُ مرآة المؤمن، والمؤمنُ أخو المؤمن، يكفُّ عليه ضَيعتَه، ويحوطُه من ورائه»(١).

• وعند الطبراني بلفظ: «المؤمن أخو المؤمن مِن حيث لَقِيهُ يكفُّ عليه صِيغته، ويحوطُه من ورائه».

□ قال الجيلاني في «شرح الأدب المفرد» (١/ ٣٣٣، ٣٣٤): «المؤمن مرآة أخيه»، كما أن المرآة تُرِي الناظرَ ما فيه من العيوب ولو كان أدنى شيء، كذلك أخوه المؤمن يُخبر بعيوب أخيه شفقةً عليه؛ لئلَّا يبقى عليه آل آخر وقته شيءٌ منها، فالمؤمن يَطَّلِع على عيوبه بإعلام أخيه المؤمن، وكذا واجبٌ عليه إماطةُ الأذى والعيب عن أخيه ويحتملُ حملَه، على أن ذكر عيب أخيه له ينبِّهه على عيوب نفسه أيضًا، فيسعى في إزالتها».

قوله: «يكفُّ عليه ضيعتَه»: أي يمنعُ ضياعه وهلاكه، فيجمعُ عليه معيشتَه ويضمُّها إليه.

«ويحوطه من ورائه»: أي يذُبُّ عنه ويوفِّر عليه مصالحه» اهـ.

• وعن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمنون تكافأُ دماؤهم،

(٤٣٧١)، والضياء في «المختارة»،وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٩٢٦)، و«صحيح الجامع» رقم (٦٦٥٥).

(١) حسن: رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٢٣٩)، وأبو داود (٤٩١٨)، والطبراني في «المكارم» (٩٢)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١٢٤، ١٢٥)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ١٦٨)،والحديث له شواهد من حديث أنس عند الطبراني في «الأوسط». وحسّنه العراقي في «تخريج الإحياء» (٢/ ١٨)، والمناوي في «فيض القدير» (٦/ ٢٥٢)، والألباني في «الصحيحة» (٩٢٦)، وحسّنه أيضًا في «صحيح الجامع» رقم (٦٦٥٦).

وهم يدٌ على مَن سِوَاهم، ويسعَى بذمَّتهم أدناهم..»[(١)].

• وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «المسلمون تتكافأُ دِماؤهم، يسعى بِذمَّتهمْ أدناهمْ، ويجيرُ عليهم أقصاهم، وهم يدٌ على مَن سواهم، يردُّ مُشِدُّهُم على مُضْعَفِهِم، ومُسْرِعُهُم على قاعدهم»[(٢)].

«ولا خيرَ فيمن يحجُبُ خيرَه عن غيره، ويَزوي معروفَه عمَّن يستحقه، ولا يُعطي كلَّ ذي حقٍّ حقَّه.

ومَن يكون هذا حالُه، فوجوده كعدمه، وحضورُه كغيابه، وموته كحياته، فلا هو في العِير ولا في النفير، ولا يوزنُ في موازين الناس بقنطار ولا بِقطمير، لا وزن له ولا حجم، ولا حيِّز ولا جُرْم، فهو من سَقَط المتاع، ومن الهمل الرَّعاع، فلا هو يدفع أو يمنع، وعود خلال منه أنفع!!

إذا كنــت لا تُرجــى لـدفعِ مُلِمَّـةٍ ... ولم يَكُ للمعروف عنـدك موضـعُ
ولا أنت ذو حياةٍ يعـايش بجاهـه ... ولا أنت يوم البعث للنَّاسِ تَـشْفَعُ
فعيشُكَ في الـدنيا وموتُـكَ واحـدٌ ... وعـود خـلالٍ مـن حياتِـكَ أنفـع

ومن عزَّ نوالُه وقلَّ عطاؤُه، فنعمته إلى زوالٍ، وما عنده من خير فهو إلى اضمحلال؛ لأنها غيرُ محفوظة بالبذل، وغير مصانةٍ بالإسداء، أو

---

(١) صحيح: رواه أبو داود، والنسائي، والحاكم في «المستدرك»، وصححه الألباني في «الأرواء» رقم (٢٢٠٩)، و«صحيح الجامع» رقم (٦٦٦٦).

(٢) حسن: رواه أبو داود في «سننه»، وابن ماجه، وحسّنه الألباني في «الإرواء» (٢٢٠٨)، و«صحيح الجامع» (٦٧١٢)، و«صحيح أبي داود» (٢/٥٢٦) رقم (٢٣٩٠).

محروسة بالإهداء»(١).

• فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إن الله -تعالى- أقوامًا يختصُّهم بالنِّعم لمنافع العباد، ويُقرُّها فيهم ما بذلوها، فإذا منعوها، نزعها منهم، فحوَّلَها إلى غيرهم»(٢).

• وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ما مِنْ عبدٍ أنعم الله عليه نعمةً فأسبغها عليه، ثمَّ جَعل مِن حوائج الناسِ إليه فتبرَّمَ؛ فقد عرَّض تلك النِّعمةَ للزَّوالِ»(٣).

• وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله عند أقوام نعمًا أقرَّها عندهم ما كانوا في حوائج المسلمين -ما لم يملُّوها-، فإذا ملُّوهم نقلها إلى غيرهم»(٤).

---

(١) «بذل المعروف» (ص١١- ١٢).

(٢) حسن: رواه ابن أبي الدنيا في «قضاء الحوائج» (ص٧٤) رقم (٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١١٥)، (١٠/ ١٥)، وتمام في «فوائده» (٤/ ٦٥) رقم (١٢٨٥)، ووالبيهقي في «شعب الإيمان» (٦/ ١١٧ و١١٨) رقم (٧٦٦٢، ٧٦٦٣)، والخطيب في «تاريخه» (٩/ ٤٥٩)، وهو عند أبي نعيم في «تاريخ أصبهان» (٢/ ٧٦)، والحديث حسَّنه السيوطي في «الجامع الصغير»، وذكره المنذري في «الترغيب» (٣/ ٣٩١) ومال إلى تحسينه فقال: «رواه الطبراني في و«الأوسط»، ولو قيل بتحسين سنده لكان ممكنًا»، وأقرَّ الألباني تحسنه كما في «الصحيحة» (١٦٩٢)، و«صحيح الجامع» رقم (٢١٦٤).

(٣) صحيح: رواه الطبراني في «الأوسط» (٣٩٣٨) «مجمع البحرين»، وأبو نعيم في «تاريخ أصبهان» (١/ ١٧٥)، وذكره الهيثمي في «المجمع» (٨/ ١٩٥) وقال: إسناده جيد، وقال المنذري في «الترغيب» (٣/ ٣٩١): رواه الطبراني بسند جيد، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢/ ٧٠٧) (٢٦١٨)..

(٤) صحيح: رواه الطبراني، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» =

لـيس في كـل حالـة وأوانِ ... تتهيـأ صـنائعُ الإحـسانِ
فـإذا أَمْكَنَـتْ فبـادِرْ إليهـا ... حـذرًا مـن تَعَـذُّر الإمكـانِ [(١)]

□ وقال فيضُ بن إسحاق رَحِمَهُ اللَّهُ: «كنتُ عند الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ فجاء رجلٌ فسأله حاجةً، فألحَّ في السؤال عليه، فقلت: لا تؤذِ الشيخ، فزجرني الفضيل، وصاح عليَّ، وقال: أما علمتَ أن حوائج الناس إليكم نِعمٌ من الناس عليكم؟! فاحذروا أن تملُّوا النعم فتُحوَّل نقمًا، ألا تحمد ربَّك أن جعلك موضعًا تُسْأل، ولم يجعلْكَ تَسْأل» [(٢)].

ومـا المـرء إلَّا حيـثُ يجعـلُ نفسَه ... ففي صالح الأعمال نفسَك فَاجْعَلِ [(٣)]

□ وعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه كان إذا بعث عمَّاله شرط عليهم أمورًا؛ منها: «ولا تغلقوا أبوابكم دون حوائج الناس، فإن فعلتم شيئًا من ذلك، حلَّت بكم العقوبة، ثم يشيِّعهم».

• عن علقمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«كلُّ معروفٍ صنعتَه إلى غَنِيٍّ أوْ فقيرٍ فهو صَدَقة»** [(٤)].

• وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«كُلُّ معروف**

(٢/ ٧٠٧) (٢٦١٦).

(١) لمحمد بن طاهر الرقيِّ.

(٢) كتاب «الحدائق» لابن الجوزي (٢/ ٣٨٥).

(٣) لحزن بن جناب.

(٤) حسن: رواه الخطيب في «الجامع»، وابن عساكر عن جابر، والطبراني في «الكبير» عن ابن مسعود، وكذا رواه الخرائطي، وابن عدي، وأبو نعيم في «الحلية» عن ابن مسعود، حسَّنه الألباني في «الصحيحة» (٢٠٤٠)، و«صحيح الجامع» (٤٥٥٨).

صدقة، والدَّالُّ على الخير كفاعله»[١].

• وقال ﷺ: «كل معروف صدقة»[٢].

• وقال ﷺ: «كلُّ معروف صَدَقَة، وإنَّ من المعروف أن تلقَى أخاك ووجهك إليه منبسط، وأن تَصُبَّ مِن دَلْوِك في إناءِ جارِكَ»[٣].

• وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال ﷺ: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمُه، ولا يُسلِمُه، ومَن كان في حاجةِ أخيه، كان الله في حاجته، ومن فرَّج عن مسلم كربةً، فرَّج الله عنه كربةً من كربات يوم القيامة، ومَن ستر مسلمًا، ستره الله يوم القيامة»[٤].

• وقال رسول الله ﷺ: «إن أهلَ المعروفِ في الدنيا هم أهلُ المعروف في الآخرة، وإنَّ أهلَ المنكَرِ في الدنيا أهل المنكَرِ في الآخرة»[٥].

• وعن سهل بن سعْد السَّاعِديّ رضي الله عنه مرفوعًا: «إنِ هذا الخيرَ خزائنُ،

---

(١) صحيح: رواه البيهقي في «شعب الإيمان». وصحّحه الألباني في «الصحيحة» رقم (١٦٦٠)، و«صحيح الجامع» رقم (٤٥٥٦).

(٢) رواه أحمد والبخاري عن جابر، وأحمد، ومسلم، وأبو داود عن حذيفة.

(٣) حسن: رواه أحمد، والترمذي، والحاكم في «المستدرك» عن جابر، وكذا رواه البخاري في «الأدب المفرد» وحسَّنه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٥٥٧).

(٤) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم، والترمذي، وأبو داود، والنسائي عن ابن عمر.

(٥) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير» عن سلمان وعن قبيصة بن برقة وعن ابن عباس، ورواه أبو نعيم في «الحلية» عن أبي هريرة، وكذا رواه عنه الطبراني في «الصغير»، ورواه البخاري في «الأدب المفرد» والبزار عن قبيصة، ورواه الحاكم في «المستدرك» عن علي، والبزار عن ابن عمر، ورواه البخاري في «الأدب المفرد» وعبد الله بن أحمد في «المسند» عن سلمان. وصححه الألباني في «الروض النضير» (١٠٢٠) و(١٠٨٢)، و«صحيح الجامع» (٢٠٣١).

لتلك الخزائن مفاتيحُ، فطُوبى لعبد جعله الله مِفْتاحًا للخير مِغْلاقًا للشَّرِ، وويلٌ لعَبْدٍ جعله الله مِغْلاقًا للخير مِفْتاحًا للشَّرِّ»[(١)].

• وورد بلفظ: «عند الله خزائن الخير والشَّرِّ، مفاتيحها الرجال، فطوبَى لمن جعله الله مِفْتاحًا للخير مغلاقًا للشَّر، وويل لمن جعله الله مفتاحًا للشَّر مغلاقًا للخير»[(٢)].

□ ولله درُّ القائل:

ولستَ ترى مثلَ الرِّجال تفاوتًا ... إلى الفضل حتى عُدَّ ألفٌ بواحِدِ

□ فلله درُّ مَن هو بالخير يُذكَر، وبِكفِّ الشَّرِّ يُشْهَر، وببذل المعروف يُعَرف، وبالإحسان يُوصف.

□ سُئِل عبد الله بن المبارك عن حسن الخُلُق، فقال: «و بسط الوجه،

(١) حسن: رواه ابن ماجه في «سننه» (المقدمة) (١/ ٨٧) رقم (٢٣٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٣٢٩)، والطبراني في «مكارم الأخلاق» (٣٤١) رقم (٢٣٨)، وفي إسناد الحديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو متفق علىٰ ضعفه كما قال ابن الجوزي، وأخرجه ابن ماجه عن أنس (١/ ٨٦، ٨٧) وفيه محمد بن أبي حميد وهو ضعيف كما قال المناوي في «فيض القدير» (٢/ ٥٢٨)، وله شواهد عند ابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ١٢٦، ١٢٧) بأرقام (٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩) من حديث أنس وسهل، وأخرجه المَرْوَزيّ في «الزهد» لابن المبارك عن أبي الدرداء (ص٣٣٢) رقم (٩٤٩) وقال: غريب صحيح الإسناد، والحديث حسَّنه الألباني من طريق سهل بن سعد كما في تعليقه علي «السُّنَّة» لابن أبي عاصم (١/ ١٢٨).

(٢) حسن: سبق تخرجه. انظر «صحيح الجامع» رقم (٤١٠٨) والسُّنَّة لابن أبي عاصم (٢٩٦- ٣١٩).

(٣) للوليد بن عُبيد البحتري.

وبذل المعروف، وكفُّ الأذى»[١].

□ ولله در القائل:

عمر الفتى ذكره لا طول مدَّتِه ... وموتُه خزيُه لا يومه الداني

فَأَخْيِ ذكرَك بالإحسانِ تَفْعَلُهُ ... تُجْمَعْ بِهِ لَكِ في الدنيا حَيَاتَان[٢]

□ وما أحسن قول القائل:

والمرءُ بالأخلاق يسمو ذكرُهُ ... وبها يُفضَّلُ في الورى ويُوقَّر[٣]

□ وما أطيب قول عمر بن الوردي:

سارع إلى فعل الجميل وقلِّدِ الْـ ... أعناق حُسْنى فالزمان عواري

وتوخَّ فعلَ المكرمات تبرعًا ... فالمكرمات حميدةُ الآثار

□ قال عبدان بن عثمان الأزدي: «ما سألني أحدٌ حاجة إلَّا قمتُ له بنفسي، فإِنْ تمَّ، وإلَّا قمتُ له بمالي، فإن تمَّ، وإلَّا استعنت له بالإخوان، فإِنْ تمَّ، وإلَّا استعنت بالسلطان..

ولم أجِدِ الإنسانَ إلَّا ابن سعيِهِ ... فمن كان أسعَى كان بالمجد أجْدرا[٤]

□ وقال حكيم بن حزام: «ما أصبحتُ وليس ببابي صاحبُ حاجةٍ، إلَّا علمتُ أنها من المصائب التي أسأل الله الأَجْر عليها».

✍ **أخي**: مَنْ شُهِر ببذل المعروف في الدنيا شُهِر به في الآخرة، والجزاء

---

(١) انظر «صحيح سنن الترمذي» (٢/ ١٩٤) (١٦٣١).

(٢) لابن الرومي.

(٣) لمحمود الأيوبي.

(٤) لأبي العتاهية.

من جنس العمل..

الخـير زرعٌ والفتى حاصدٌ   وغايةُ المزروع أن يُحصدَا
وأسعدُ العالَمِ مَن قدَّم الإحسان   في الدنيا لينجو غدَا(١)

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد إلَّا ولهُ صيتٌ في السماء، فإذا كان صيتُه في السماء حسنًا، وُضِعَ في الأرض حسنًا، وإذا كان صيتُهُ في السماءِ سيِّئًا، وُضِعَ في الأرض سيِّئًا»(٢).

إذا المرء لم يمدحه حُسْنُ فعالِه   فليسَ لَهُ -والْحَمْدُ لله- مَادِحُ(٣)

• عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أهلُ الجنة: مَن ملأ الله أُذنيه من ثناء الناس خيرًا، وهو يسمع، وأهلُ النار: مَن ملأ أذنيه من ثناء الناس شرًّا وهو يسمع»(٤).

عليك بفعلِ الخيرِ لَوْ لَمْ يكن له   من الفضل إلَّا حسنُهُ في المسامع(٥)

• قال رسول الله ﷺ: «من أفضل العمل إدخالُ السرور على المؤمن، تقضي عنه دينًا، تقضي له حاجة، تُنَفِّسُ له كُرْبة»(٦).

---

(١) لمحمد بن علي الهندي.

(٢) صحيح: أخرجه البزّار عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٢٢٧٥)، و«صحيح الجامع» رقم (٥٧٣٢).

(٣) لأبي العتاهية.

(٤) صحيح: رواه ابن ماجه عن ابن عباس، والحاكم في «المستدرك» والزار عن أنس.

(٥) لأبي العلاء المعري وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٧٤٠)، و«صحيح الجامع» (٢٥٢٧)، و«صحيح سنن ابن ماجه» (٣٤٠٣).

(٦) صحيح بمجموع الطرق: رواه البيهقي في «شعب الإيمان» عن ابن المنكدر مرسلاً، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٢٩١)، و«صحيح الجامع» =

□ وهذا التابعي الجليل عبد الله بن شُبْرُمَة، كان يقضي حاجةً لبعض إخوانه من المسلمين، فجاءه بهديَّة، فقال: ما هذا؟ قال: لِمَا أسديتَ إليَّ، فقال: خذ مالك -عافاك الله-، إذا سألت أخاك حاجةً فلم يُجهِد نفسه في قضائها فتوضَّأْ للصلاة، وكبِّر عليه أربع تكبيرات، وعُدَّه في الموتى»[(١)].

• وعن أنس رضي الله عنه مرفوعًا: «**مَن لقيَ أخاه بما يحب ليَسُرَّه بذلك، سرَّه الله** عز وجل»[(٢)].

□ قال جميل بن مُرَّة: «من اهتبل جوعة مسلم فأطعمه غُفِر له»[(٣)].

□ وقيل لمحمد بن المنكدر: «أي الدنيا أعجب إليك؟ قال: إدخال السرور على المؤمن»[(٤)].

آداب صنائع المعروف:

□ ولبذل المعروف آداب ينبغي أن يراعيها باذلُه، ويهتم بها مسديه، ويعتني بها معطيه قال ابن عباس رضي الله عنهما: «المعروف أميزُ زرع، وأفضلُ كنز، ولا يتم إلَّا بثلاث خصال: بتعجيله، وتصغيره، وستره»[(٥)].

□ وصدقَ وبالحق نطق؛ فإن مما يُفقِدُ المعروفَ بهاءَه ورونقه، وشذاه

(٥٨٩٧).

(١) «وفيَّات الأعيان» لابن خلكان (٢/ ٢٩٠).

(٢) حسن: رواه الطبراني في «الصغير»، وحسَّنه الهيثمي في «المجمع» (٨/ ١٩٣)، وحسَّنه المنذري في «الترغيب والترهيب» (٣/ ٣٩٤).

(٣) إسناده صحيح: انظر «قضاء الحوائج» لابن أبي الدنيا ـ تحقيق عمرو عبد المنعم سليم (ص٥٣)- مكتبة ابن تيمية- القاهرة.

(٤) إسناده صحيح: انظر «قضاء الحوائج» (ص٥٤).

(٥) «الآداب الشرعية» لابن مفلح (١/ ٣٠٩).

وعبقه تأخيرُه عن وقته، والمماطلةُ به عن أوانه، والتسويفُ به عن زمانه، حتى يُملَّ انتظاره، وتقلَّ قيمته، ويَزهد فيه من يطلبه..

تمامُ ما تولي من المعروفِ ... تعجيله عفوًا بلا تسويفِ[١]

□ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان النبيُّ ﷺ رحيمًا، وكان لا يأتيه أحد إلَّا وعده، وأنجز له إن كان عنده، وأقيمت الصلاة، وجاءه أعرابي فأخذ بثوبه، فقال: إنَّما بقي من حاجتي يسيرة؛ وأخاف أنساها، فقام معه ﷺ حتى فرغَ من حاجته، ثم أقبل فصلى»[٢].

إن الحوائج ربما أزرى بها ... عند الذي تُقْضَى لَهُ تطويلُهَا

فإذا ضمنتَ لصاحبٍ لكَ حاجةً ... فاعلم بأن تمامها تعجيلُها

□ فلا تكن رعدًا بدون مطر، ولا سرابًا من غير ماء..

جُودُ الكريم إذا ما كان عن عِدَةٍ ... وقد تأخَّر لم يسلم من الكدر

إذا السحائبَ لا تجدي بوارقُهَا ... نفعًا إذا هي لم تمطر على الأثر[٣]

□ ويكبُرُ المعروف عندما يصغُر في عين من منحه وأعطاه، ويعظُم قدره طالما يحتقره من أسداه وأولاه..

زاد معروفَك عندي عظمًا ... أنه عندك مستورٌ صغيرُ

---

(١) لعبد الله السابوري.

(٢) صحيح: رواه البخاري في «الأدب المفرد» وصححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (ص١٢٠) رقم (٢١٢).

(٣) لابن عساكر الموصلي.

تتناســـاه كـــأن لم تأتِـــهِ ... وهو عند الناس مـشهورٌ كبـيرُ [(١)]

□ وقال أبو سليمان الداراني: «لو أن الدنيا كُلَّها في لقمة، ثم جاءني أخٌ لي لأحببتُ أن أضعها في فيه» [(٢)].

□ وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «ثلاثةٌ لا أُكافئهُم: رجلٌ بدأني بالسَّلام، ورجلٌ أوسع لي في المجلس، ورجلٌ اغبرَّت قدماهُ في المشي إليَّ إرادة التسليم عليَّ، فأمَّا الرابعُ فلا يُكافئه عني إلَّا الله عَزَّ وَجَلَّ قيل: وما هو؟ قال: رجلٌ نزلَ به أمرٌ فباتَ ليلتهُ يُفكر بمن ينزلُهُ، ثمَّ رآني أهلًا لحاجته فأنزلها بي» [(٣)].

□ وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «ما أدري أيُّ النِّعمين أعظمُ عليَّ من ربِّي، من رجلٍ بذَلَ مُصاصَ وجهه إليَّ فرآني موضعًا لحاجته، وأجرى الله قضاءَها أو يسَّره علي يديَّ، ولأن أقضيَ لامرئٍ مسلم حاجةً أحبُّ إليَّ من ملء الأرض ذهبًا وفضَّةً» [(٤)].

□ «وستر المعروف من أقوى أسباب ظهوره، وأبلغ دواعي نشره، لِمَا جُبلتْ عليه النفوس من إظهار ما خفى وإعلان ما كُتِمَ» [(٥)].

خــلٌّ إذا جئتَــهُ يومًـــا لتـــسأله ... أعطاك ما ملكــتْ كفَّـاه واعتـذرا

يخفـــي صـــنائعه والله يظهـــره ... إن الجميـلَ إذا أخفيتَـه ظَهَــرَا [(٦)]

---

(١) للخريمي.

(٢) «كتاب المتحابين في الله» لابن قدامة (ص٧٨).

(٣) «كتاب المجالسة وجواهر العلم» لأبي بكر الدينوري (٢/ ٥٠٥) رقم (٦٨٣).

(٤) «حياة الصحابة» للكاندهلوي (٢/ ٤٧٦).

(٥) «أدب الدين والدنيا» للماوردي (ص١٧٤).

(٦) لسهل بن هارون.

□ ويزيد المعروفَ معروفًا، ويغدو بالجمال موصوفًا سهولةُ النفس في بذله، وعدمُ التكلف فيه، والضيقِ به، وكرهِ النفس له، فإن النفس تمجُّ ما أخذ بسيف الحياء، أو بالضيق والجفاء، أو بإراقة ماء الوجه..

إن لِلْمَعْـرُوفِ أَهْـلًا ... وَقَلِيـلٌ فَـاعِلُوهُ
أَهْنَأُ الْـمَعْرُوفِ مَا لَمْ ... تُبْتَذَلْ فِيهِ الْوُجُوهُ[(١)]

□ ولله درُّ القائل:

مَنْ يفعَلِ الخيرَ لا يُعدَم جوازيه ... لا يذهب العرف[(٢)] بين الله والناس[(٣)]

□ عن محمد بن زياد رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «أدركتُ السلف، وإنهم ليكونون في المنزل الواحد بأهليهم، فربما نزل على بعضهم الضيف، وقِدْرُ أحدِهم على النار، فيأخذها صاحب الضيف لضيفه، فيفقد القدرَ صاحِبُها، فيقول صاحب القدر: بارك الله لكم فيها»[(٤)].

ناري ونارُ الجار واحدةٌ ... وإليه قبلي تنزلُ القِدْرُ[(٥)]

□ فلله دَرُّهُمْ، وعليه أجرُهُمْ، ما أسهل نفوسهم! وأطيب قلوبهم! وأعظم شمائلهم!..

هم القومُ إن قالوا أصابوا وإن دُعُوا ... أجابوا وإن أَعطوا أطابوا وأجزلوا
هـم يمنعون الجارَ حتى كأنما ... لجارهم بين السماكين منزلُ[(٦)]

---

(١) لأبي العتاهية.
(٢) أي: المعروف.
(٣) للحطيئة.
(٤) «صحيح الأدب المفرد» (ص٢٧٤) رقم (٥٦٧).
(٥) لمسكين الدارمي.
(٦) لمروان بن أبي حفصة انظر «بذل المعروف» (ص١٨) وما بعدها.

قبَس من نور السَّلف:

✍ هذي جواهر ودرر، فيها أجمل العِظات وأطيب العبر، هذا قبس من نور سلفنا الصالح، وغيضٌ من فيضهم، وقليل من كثيرهم، وقطرةٌ مِن عبابهم، وشذًى من عبيرهم:

صور من صنائع المعروف وبذل المعروف للناس وإرادة الخير (١):

* قال الله تعالى: ﴿يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ۝٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ۝٢٧﴾ [يس].

* قال تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ۝٦﴾ [الكهف].

* قال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَجُلٞ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ فَٱخۡرُجۡ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ۝٢٠﴾ [القصص].

• عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ لرجل: «**كيف أصبحتَ يا فلان؟**» قال: أحمد الله إليك يا رسول، فقال رسول الله ﷺ: «**هذا ما أردتُ منك**»(٢).

□ عن عبد الله الهوزني، قال: لقيت بلالًا رضي الله عنه مؤذِّنَ رسول الله ﷺ بحلب، فقلت: يا بلال، حدِّثني كيف كانت نفقةُ رسول الله ﷺ؟ قال: ما كان له شيءٌ، كنت أنا الذي أَلِـي ذلك منه، منذ بعثه الله، إلى أن تُوفي، وكان إذا أتاه الإنسانُ مسلمًا فرآه عاريًا، يأمرني فأنطلق، فأستقرض،

---

(١) انظر «بذل المعروف» (ص٢٩ ـ ٣٤).

(٢) صحيح: أخرجه الطبراني في «الأوسط». وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٠٩٧، ٢٩٥٢).

فأشتري له البُردة، فأكسوه، وأطعمه..»[١].

• عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الرجلَ ليسألُني الشيءَ، فأمنعه حتى تشفعوا فيه فتؤجروا**»[٢].

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام رسولُ الله ﷺ في صلاةٍ وقمنا معه: فقال أعرابي -وهو في الصلاة-: اللهم ارحمني ومحمدًا، ولا ترحم معنا أحدًا، فلما سلَّمَ النبيُّ ﷺ قال للأعرابي:«**لقد حجَّرتَ واسعًا**»؛ يريد: رحمة الله»[٣].

• عن عائشة بنت سعد عن أبيها رضي الله عنه قال: إن النبيَّ ﷺ كان بين يديه طعام، فقال: «**اللهم سُقْ إلى هذا الطعام عبدًا تحبُه ويحبُّك**» فطلعَ سعدُ بن أبي وقاص رضي الله عنه[٤].

• عن أبي المُصبِّح المقرئي، قال: بينا نحن نسير بأرض الروم في طائفة عليها مالك بن عبد الله الخثعمي؛ إذ مرَّ مالكٌ بجابر بن عبد الله رضي الله عنهما وهو يمشي يقود بغلًا له، فقال له مالك: أي أبا عبد الله، اركب؛ فقد حَمَلك الله، فقال جابر: أصلح دابتي، وأستغني عن قومي؛ وسمعت رسول الله ﷺ

(١) «صحيح سنن أبي داود» (٢٦٢٨).

(٢) صحيح: أخرجه النسائي في «سننه»، والطبراني في «الكبير»، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (١٤٦٤)، و«صحيح الجامع» (١٦٢٢)، و«صحيح سنن النسائي» (٢/ ٥٣٩) (٢٣٩٧).

(٣) رواه البخاري (٦٠١٠) وأحمد، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، وابن خزيمة، وابن حبان.

(٤) أخرجه البزار في «البحر الزخار»، والحاكم في «المستدرك» انظر: «السلسلة الصحيحة» (٧ ـ ٢/ ٩٣٦)، (٣٣١٧).

يقول: «من اغبرَّت قدماه في سبيل الله؛ حرَّمه الله على النار»، فأعجب مالكًا قولُهُ؛ فسار حتى إذا كان حيث يسمعُه الصوت، ناداه بأعلى صوته: يا أبا عبد الله! اركب، فقد حملك الله، فعرف جابر الذي أراد برفع صوته، فقال: أصلح دابتي، وأستغني عن قومي، وسمعت رسول الله ﷺ يقول: «من اغبرَّت قدماه في سبيل الله، حرَّمه الله على النار».

فتواثب الناسُ عن دوابِّهم، فما رأيت يومًا أكثر ماشيًا منه[١].

□ حكي عن الأوزاعي رَحِمَهُ اللهُ: «أنه عطس رجلٌ بحضرته، فلم يحمد الله، فقال له الأوزاعي: كيف تقول إذا عطستَ؟ فقال: أقول الحمد لله، فقال له: يرحمك الله!!»[٢].

□ قال إبراهيمُ التيمي رَحِمَهُ اللهُ: «إن الرجل ليظلمُني فأرحمه، قيل: كيف ترحمه، وهو يظلمك؟! قال: إنه لا يدري لسُخطِ من يتعرض»[٣].

□ قال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: «ما كلمت أحدًا إلَّا أحببتُ أن يوفَّق ويُسدد ويُعان، ويكون عليه رعايةٌ من الله وحفظ، وما كلمتُ أحدًا قطُّ إلَّا ولم أُبالِ بيَّن الله الحق على لساني، أو لسانه»[٤].

□ جلس عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في السوق يبتاع طعامًا، فابتاع ثم طلب الدراهم، وكانت في عمامته فوجدها قد حُلَّتْ، فقال: لقد جلست، وإنها لمعي، فجعلوا يدْعون على من أخذها، ويقولون: اللهم اقطعْ يد

---

(١) «صحيح موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان» (٢/ ٩٠)، (١٣١٤).
(٢) «معالم السنن» للخطابي (٣/ ١٣١).
(٣) «كتاب الحدائق» لابن الجوزي (٢/ ٤٧٧).
(٤) «الفقيه والمتفقه» للبغدادي (٢/ ٤٩).

السارق الذي أخذها، اللهم افعلْ به كذا، فقال عبد الله: اللهم إن كان حمله على أخذها حاجةٌ، فبارك له فيها، وإن كان حملته جراءةٌ على الذنب فاجعله آخر ذنوبه»[١].

□ كان مورِّقٌ العجلي رَحِمَهُ اللَّهُ يتَّجِرُ فيصيب المال فيُفرِّقُه على الفقراء والمساكين، ويتصدَّقُ به على أهل الحاجة، ويَصِلُ به إخوانه، وكان يقول: «لولا الفقراءُ ما تعرضت للتجارة»[٢].

□ ذكر عن بعض الزاد أنه كان في بيته وِقرٌ من الحنطة، فقحط الناس، فباع ما عنده من الحنطة، ثم جعل يشتري لحاجته، فقيل له: «لو أمسكتَ ما عندك؟! فقال: أردتُ أن أشاركَ الناس في غمهم»[٣].

□ جاء رجلٌ إلى الحسن بن سهل رَحِمَهُ اللَّهُ يستشفعُ به في حاجة، فقضاها، فأقبل الرجل يشكره، فقال له الحسن بن سهل: «علام تشكرُنا؟ ونحن نرى أن للجاه زكاةً كما أن للمال زكاة؟!»[٤].

□ دُعي عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى قوم على رِيبة، فانطلق ليأخذهم، فتفرقوا، فلم يدركهم، فأعتق رقبةً شكرًا لله تعالى أن لا يكون جرى على يديه خِزيُ مسلم»[٥].

□ جاء رجلٌ إلى الفضيل بن برزوان رَحِمَهُ اللَّهُ فقال: «إن فلانًا يقعُ فيك،

---

(١) «إحياء علوم الدين» للغزالي (٣/ ١٩٦).
(٢) «الزهد» لأحمد بن حنبل (ص٣٨١).
(٣) «تنبيه الغافلين» لأبي الليث السمرقندي (ص٩٢).
(٤) «الآداب الشرعية» لابن مفلح (٢/ ١٧٦).
(٥) «فيض القدير» للمناوي (٦/ ١٩٣).

فقال: لأَغيظنَّ مَن أَمَره، يغفر الله لي وله، قيل: من أمره؟ قال: الشيطان»[(١)].

□ عن كثير بن مُرَّة، قال: «دخلت المسجد يوم الجمعة، فوجدت عوفَ بن مالك الأشجعي جالسًا في حلقة، مادًّا رجليه بين يديه، فلما رآني قبض رجليه، ثم قال لي: تدري لأبي شيءٍ مددتُ رجلي؟ ليجيء رجلٌ صالحٌ فيجلس»[(٢)].

□ قال يونس بن محمد المؤدِّب، أخبرني زياد، قال:«كان زُبيد بن الحارث مؤذنَ مسجده، فكان يقول للصبيان: تعالَوا فصلُّوا، أهبْ لكم جَوزًا، فكانوا يُصلون ثم يُحيطون به، فقلتُ له في ذلك، فقال: وما عليَّ أن أشتري لهم جوزًا بخمسة دراهم، ويتعوَّدون الصلاة، وكان إذا كانت ليلة مَطيرة طاف على عجائز الحيِّ، ويقول: ألكم في السوق حاجة؟»[(٣)].

□ دخل لصٌّ على مالك بن دينار، فما وجد ما يأخذ، فناداه مالكٌ: لم «تجد شيئًا من الدنيا، فترغبُ في شيء من الآخرة؟ قال: نعم. قال: توضأ، وصلِّ ركعتين، ففعل، ثم جلس، وخرج إلى المسجد. فسئل: من هذا؟ قال: جاء ليسرق فسرقناه»[(٤)].

□ عن طعمة الجعفري، قال: «كان عمران بن موسى بن طلحة يأتيني بالألف دينار والألفي دينار، ويقول: اقسمها على إخوانك، ولا تعلمهم

---

(١) «الزهد والرقائق» لابن المبارك (ص٢٣٤) رقم (٦٧٠).

(٢) «صحح الأدب المفرد» (ص٤٤٢) رقم (٤٧٩).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٥/ ٢٩٧).

(٤) «السير» (٥/ ٣٦٣).

أنها من قِبلي، وكان يقول: ما رأيتُك إلَّا رأيتُ لك عليَّ فضلًا بقضاء حوائجي.

قال طعمة: وإنما قضاء حوائجه أن يعطيني الدنانير والدراهم، أقسِّمُهَا على الفقهاء»[١].

صنائع المعروف عُباب زاخر وبحرٌ وافر لا يُجيد السباحة والغوص فيه إلا عالي الهمة:

صنائعُ المعروف لا حدَّ لها، وعالي الهمة هو الذي يقتنصُ أكثرها، ويُجمِّل واقعَ الناس المرير بعبقٍ من عطرها.. ويطيِّب ذكره في الداريْن بفعلها، لا همَّ له إلَّا سعادة يراها على وجوهِ إخوانه من المسلمين.. ومجالاتُ بذل المعروف كثيرة وسُننه هنا على بعضها دعوة منَّا لأصحاب المعالي وعشاق السموِّ أن يقتطفوا من أزاهيرها:

من كتاب الإيمان

١- الدلالة على أوْجهِ الخير:

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من دعا إلى هُدى، كان لهُ من الأجر مثلُ أُجور من تبعَهُ، لا ينقصُ ذلك من أُجورهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلالةٍ، كان عليه من الإثم مثل آثامِ من تبعه، لا ينقُصُ ذلك من آثامهم شيئًا»**[٢].

(١) «كتاب الإخوان» لابن أبي الدنيا (ص٢٠٨) رقم (١٦٦).
(٢) رواه أحمد، ومسلم (٤/ ١٦٣٦) (٢٦٧٤)، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه.

٢- من سنَّ سُنَّةً حَسَنَةً يُعْمَل بها من بعدِه:

* قال تعالى: ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان].

* قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [السجدة: ٢٤].

• عن جرير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن سنَّ في الإسلام سنةً حسنةً، فله أجرها، وأجرُ من عمل بها من بعده، من غير أن ينقصَ من أجورهم شيءٌ، ومن سنَّ في الإسلام سنةً سيئةً، فعليه وزرُها، ووزرُ من عمل بها من بعده، من غير أن ينقصَ من أوزارهم شيء»[(١)].

• عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من سنَّ سنةً حسنة؛ فله أجرُها ما عُمل بها في حياته، وبعد مماته حتى تُتْرَكَ، ومن سن سنةً سيئة؛ فعليه إثمُها حتى تُترك، ومَن مات مرابطًا في سبيل الله؛ جرى عليه عمل المرابطِ في سبيل الله حتى يُبْعَثَ يوم القيامة»[(٢)].

• وعن أبي جُحيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من سنَّ سُنَّةً حسنة عُمِل بها بعدَه، كان له أجرُه، ومثلُ أجورهم من غير أن ينقُصَ من أجورهم شيء، ومن سَنَّ سُنَّةً سيِّئةً، فعُمِل بها بعدَه، كان عليه وِزْرُها، ومثل أوزارهم من غير أن ينقُصَ من أوزارهم شيء»[(٣)].

٣- إحياء سُنَّة مَيِّتة:

• عن عمرو بن عوف المُـزَني رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن

---

(١) رواه أحمد، ومسلم (٢/ ٥٨٣) (١٠١٧)، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه.

(٢) صحيح: أخرجه الطبراني في «الكبير»، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢/ ٦٧) (١٢٢٢).

(٣) صحيح: رواه ابن ماجه في «سننه»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٣٠٦).

أحيا سنةً من سنتي، فعمل بها الناس، كان له مثلُ أجر مَن عمل بها لا ينقصُ من أجرهم شيئًا، ومَن ابتدع بدعةً، فعمل بها لا ينقصُ من أوزار من عمل بها شيئًا»[١].

٤- العون على الطاعة:

• عن أنس رضي الله عنه قال: خرج رسولُ الله ﷺ إلى الخندق، فإذا المهاجرون والأنصار يحفِرون في غداةٍ باردة، فلم يكن لهم عبيدٌ يعملون ذلك لهم، فلما رأى ما بهم من النصب والجوع، قال:

اللهم لا العيش إلَّا عيشُ الآخره فـارحم الأنـصارَ والمهـاجرةْ

□ فقالوا مجيبين له:

نحـن الـذين بـايعوا محمـدَا عـلى الجهـاد مـا بقينـا أبـدَا[٢]

• عن أبي طُليق رضي الله عنه قال: «إنَّ امرأته طُليق أتته، فقالت له: حضر الحج يا أبا طليق، وكان له جملٌ وناقة، يحجُّ على الناقة، ويغزو على الجمل، فسألته أن يعطيَها الجمل تحج عليه؟ فقال: ألم تعلمي أنِّي حبستُه في سبيل الله؟! قالت: إن الحج من سبيل الله؛ فأعطنيه، يرحمْكَ الله! قال: ما أريد أن أعطيكِ. قالت: فأعطِني ناقتك، وحُجَّ أنت على الجمل. قال: لا أوثركِ بها على نفسي. قالت: فأعطني من نفقتك. قال: ما عندي فضلٌ عني وعن عيالي ما أخرج به، وما أترك لكم، قالت: إنك لو أعطيتني أخلفكها الله.

قال: فلما أَبَيْتُ عليها، قالت: فإذا أتيتَ رسول الله ﷺ فأقرئه مني

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجه في «سننه»، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (١/ ٤١) (١٧٣).

(٢) رواه البخاري (٣/ ٢٨٨) رقم (٢٨٣٤).

السلام، وأخبره بالذي قلت لك. قال: فأتيتُ رسول الله ﷺ فأقرأته منها السلام، وأخبرته بالذي قالت أم طليق، قال: **«صدقتْ أمُّ طُليق؛ لو أعطيتَها الجمل كأنه في سبيل الله، ولو أعطيتها ناقتَك كانت وكنتَ في سبيل الله، ولو أعطيتَها من نفقتك أخلفكها الله»**(١).

٥- حماية المؤمنين من أذى الكافرين:

• عن معاذ بن أنس الجهني رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَن حمى مؤمنًا من منافق، بعث الله ملكًا يحمي لحمه يوم القيامة من نار جهنم، ومَن رمى مسلمًا بشيء يُريدُ شَينهُ به، حَبَسَهُ الله على جِسرِ جهنَّم حتى يخرجَ مِمَّا قال»**(٢).

٦- الدعاء للعاصي والكافر بالهداية:

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ أُتي برجل قد شرب، فقال: **«اضربوه»**، قال أبو هريرة: فمنَّا الضارب بيده، والضارب بنعله، والضارب بثوبه، فلما انصرف قال بعض القوم: أخزاك الله، فقال رسول الله ﷺ: **«لا تقولُوا هكذا، لا تُعينوا عليه الشيطان، ولكن قولوا: اللهم اغفر له، اللهم ارحمْه»**(٣).

• وعنه رضي الله عنه قال: قدم طفيلُ بن عمرو الدوسيِّ رضي الله عنه وأصحابه على

---

(١) صحيح: أخرجه الدولابي في «الأسماء والكنىٰ»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٧/ ١٩١) رقم (٣٠٦٩).
(٢) صحيح: أخرجه أبو داود في «سننه»، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٣/ ٩٢٤) (٤٠٨٦).
(٣) صحيح: أخرجه أبو داود في «سننه»، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٣/ ٨٤) (٣٧٥٩).

النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله، إن دوسًا عصت وأبت، فادعُ الله عليها، فقيل: هلكت دوسٌ فقال ﷺ: «اللهمَّ اهدِ دوسًا وائتِ بهم»(١).

٧- دَفْعُ التَّطَيُّرِ عن المسلم بالفأْل الحسن:

• عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا عدوى، ولا طِيَرة، ويُعجبني الفأل» قالوا: وما الفأل؟ قال: «كلمةٌ طيبة»(٢).

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا طِيرةَ، وخيرها الفأل» قيل: يا رسول الله، وما الفأل؟ قال: «الكلمةُ الصالحة يسمعُها أحدُكم»(٣).

• وعن رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ سمع كلمة، فأعجبته، فقال: «أخذْنا فألَك من فيك»(٤).

٨- قَطْعُ التمائم:

• عن ابن مسعود رضي الله عنه أنَّه دخل على امرأته وفي عُنقها شيءٌ معقودٌ فجذَبَهُ فقطَّعه، ثم قال: لقد أصبحَ آلُ عبدالله أغنياء أن يُشركوا بالله ما لم يُنزِّل به سُلطانًا، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ الرُّقى والتَّمائم والتِّولَةَ شِركٌ». قالوا: يا أبا عبد الرحمن! هذه الرُّقى والتمائم قد عرفناهما، فما التِّوَلَةُ؟ قال: شيءٌ تصنعهُ النساءُ يَتحبَّبن إلى أزواجِهنَّ(٥).

---

(١) رواه البخاري (٥/ ٣١٧) (٢٩٣٧).
(٢) رواه البخاري (٧/ ٤٠) (٥٧٧٦).
(٣) رواه مسلم (٤/ ١٣٩٢) (٢٢٢٣).
(٤) صحيح: رواه أبو داد في «سننه»، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٢/ ٧٤٢) (٣٣١٧).
(٥) صحيح: رواه ابن حبان في «صحيحه»، والحاكم في «المستدرك» وصححه =

٩- الحبُّ في الله:

• عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أوثقُ عرى الإيمان الموالاةُ في الله، والمعاداةُ في الله، والحبُّ في الله، والبغضُ في الله»(١).

• عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما تحابَّ اثنانِ في الله تعالى إلّا كان عزَّ وجلَّ أشدهما حبًّا لصاحبه»(٢).

• عن معاذِ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله عزَّ وجلَّ: المتحابُّون في جلالي لهم منابرُ من نور، يَغْبِطُهُمُ النبيون والشهداء»(٣).

• وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى: حُقَّتْ محبَّتي للمُتحابِّين فِيَّ، وحُقَّتْ محبتي للمتواصلين فيَّ، وحُقت محبتي للمتناصحين فيَّ، وحُقَّتْ محبتي للمتزاورين فيَّ، وحقَّت محبتي للمتباذِلِين فيَّ.

المتحابُّون فيَّ على منابر من نورٍ، يَغبِطهم بمكانهم النبيُّون والصِّدِّيقون

المنذري، والألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣/ ٣٤٩) (٣٤٥٧).

(١) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير»، والبغوي في «شرح السُّنَّة» عن ابن عباس. وكذا رواه الحاكم في «المستدرك»، والطبراني في «الكبير» و«الأوسط» عن ابن مسعود، وأحمد، وابن أبي شيبة، وابن نصر عن البراء، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٧٢٨)، و«صحيح الجامع» (٢٥٣٩).

(٢) صحيح: رواه البخاري في «الأدب المفرد»، وابن حبان في «صحيحه»، والحاكم في «المستدرك»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٤٥٠)، و«صحيح الجامع» (٥٥٩٤).

(٣) صحيح: رواه الترمذي عن معاذ، ورواه ابن حبان، والحاكم في «المستدرك»، وصححه الألباني في «تحقيق المشكاة» (٥٠١١)، و«صحيح سنن الترمذي» (٢/ ٢٨٤) (١٩٤٨)، و«صحيح الجامع» (٤٣١٢).

والشهداء»[(١)].

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي، اليوم أُظِلُّهُمْ في ظِلِّي يوم لا ظلَّ إلَّا ظلي»[(٢)].

• وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبيُّ ﷺ: «ثلاثٌ من كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكونَ الله ورسوله وأنْ يُحبَّ المرءَ لا يحبه إلَّا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر -بعد إذْ أنقذه الله منه-؛ كما يكره أنْ يُلْقَى في النار»[(٣)].

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَرَّه أن يجدَ طعمَ الإيمان فليُحِبَّ المرءَ لا يُحبُّهُ إلَّا لله عز وجل»[(٤)].

• وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أَحبَّ عبدٌ عبدًا لله، إلَّا أكرَم ربَّه»[(٥)].

١٠- محبة الخير للمسلمين كالنَّفْسْ:

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اتَّقِ المحارمَ تكنْ أعبدَ

(١) صحيح: رواه أحمد في «مسنده»، والطبراني في «الكبير»، والحاكم في «المستدرك» عن عبادة، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب الترهيب» (٣/ ١٦٢) (٣٠٢١)، و«صحيح الجامع» (٤٣٢١).

(٢) رواه أحمد في «مسنده»، ومسلم في «صحيحه» (/ ١٥٧٨) (٢٥٦٦).

(٣) رواه أحمد، والبخاري ومسلم، والترمذي، والنسائي وابن ماجه.

(٤) حسن: رواه أحمد، والحاكم، والطيالسي، وابن نصر، والبزار، وحسَّنه الألباني في «الصحيحة» (٢٣٠٠)، و«صحيح الجامع» (٦٢٨٨).

(٥) حسن: رواه أحمد في «المسند» وابن قدامة في «المتحابين في الله»، وحسَّنه الألباني في «الصحيحة» (١٢٥٦)، و«تخريج المشكاة» (٥٠٢٢)، و«صحيح الجامع» (٥٥١٦).

الناس، وارضَ بما قَسَم الله لك تكنْ أغنى الناس، وأحسِنْ إلى جارك تكن مؤمنًا، وأحبَّ للناس ما تُحبُّ لنفسك تكن مسلمًا، ولا تُكثِرِ الضحك، فإن كثرةَ الضحك تُميتُ القلب»[(١)].

• عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمنُ أحدُكم حتى يحبَّ لأخيه ما يُحبُّ لنفسه»[(٢)]، وفي رواية: «من الخير»[(٣)].

• وقال رسولُ الله ﷺ: «أَحِبَّ للناس ما تُحِبُّ لنفسك»[(٤)].

• عن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال: «لا يبلغُ العبدُ حقيقةَ الإيمانِ حتى يُحِبَّ للناس ما يُحبُّ لنفسِهِ»[(٥)].

□ قال سريُّ السَّقطيُّ: «منذ ثلاثين سنةً وأنا في الاستغفار من قولي مرَّة: الحمد لله. قيل له: هو كيف ذلك؟ فقال: وقع ببغداد حريق، فاستقبلني واحد، وقال: نجا حانوتُك، فقلت: الحمد لله. فأنا نادمٌ من ذلك الوقت على ما قلت، حيث أردت لنفسي خيرًا من الناس»[(٦)].

---

(١) حسن: رواه أحمد، والترمذي، والبيهقي في «شعب الإيمان»، وحسّنه الألباني في «الصحيحة» (٩٣٠)، و«صحيح الجامع» (١٠٠)، و«صحيح سنن الترمذي» (٢/٢٦٦) (١٨٧٦).

(٢) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه عن أنس.

(٣) «صحيح سنن النسائي» (٣/ ١٠٣٢) (٤٦٤٤).

(٤) صحيح: رواه البخاري في «التاريخ»، وأبو يعلى، والطبراني في «الكبير»، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن يزيد بن أسيد، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٧٢)، و«صحيح الجامع» (١٨٠).

(٥) صحيح: رواه ابن حبان في «صحيحه»، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢/ ٣٤٠) (١٧٨٠).

(٦) «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٢/ ٣٥٧).

١٢- سلامة الصدر للمسلمين:

* قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٠)﴾ [الحشر].

• عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**أفضلُ الناس كلُّ مخموم القلب، صدوقِ اللسان**»، قالوا: صدوق اللسان نعرفُه، فما مخموم القلب؟ قال: «**التقيُّ النقي، الذي لا إثمَ فيه، ولا بغي، ولا غلَّ، ولا حسد**»(١).

□ دُخل على أبي دُجانة الأنصاري رضي الله عنه وهو مريض، وكان وجهه يتهلَّل، فقيل له: «ما لوجهك يتهلَّلُ؟ فقال: ما من عملِ شيءٍ أوثق عندي من اثنتين؛ كنتُ لا أتكلَّمُ فيما لا يعنيني، والأخرى: كان قلبي للمسلمين سليمًا»(٢).

١٢- رقَّة القلب ولينه مع المسلمين:

• عن أبي عنبة الخولاني رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله آنيةً من أهلِ الأرض، وآنيةُ ربكم قلوبُ عباده الصالحين، وأحبُّها إليها ألينُها وأرقُّها»(٣).

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجه في «سننه»، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (٢/ ٤١١) (٣٣٩٧).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١/ ٢٣٤).

(٣) حسن: رواه الطبراني في «الكبير»، وحسَّنه الألباني في «الصحيحة» (١٦٩١)، و«صحيح الجامع» (٢١٦٣).

• عن عياض بن حمار رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أهلُ الجنة ثلاث: ذو سلطان مُقسطٍ موفق، ورجلٌ رحيمٌ رقيُ القلب لكل ذي قربى ومسلم، وعفيفٌ متعففٌ ذو عيال»(١).

كتاب العلم:

١٣- تعليم الناس القرآن:

• عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خيرُكم مَنْ تعلَّمَ القرآن وعلَّمَهُ»(٢).

• وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ أفضلَكُمْ مَنْ تعلَّم القرآنَ، وعلمه»(٣).

• عن أبي مالك الأشجعي عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن علَّم آيةً من كتاب الله عز وجل، كان له ثوابُها ما تُليت»(٤).

١٤- تعليم الناس الخير:

* قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [السجدة: ٢٤].

* وقال تعالى: ﴿مُبَارَكًا﴾ [مريم: ٣١].

□ قال مجاهد: «معلمًا للخير»(٥).

---

(١) رواه مسلم (٤/ ١٧٤٢) (٢٨٦٥).
(٢) رواه البخاري (٦/ ٤٢٧) (٥٠٢٧).
(٣) رواه البخاري (٦/ ٤٢٧) (٥٠٢٨).
(٤) صحيح: أخرجه أبو سهل القطان عن شيوخه، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣/ ٣٢٣).
(٥) «كتاب العلم» لأبي خيثمة، تحقيق الألباني (ص١٢) رقم (٣٠).

• عن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه ﷺ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «من علَّم علمًا، فله أجرُ مَن عمِلَ به، لا ينقُصُ من أجرِ العاملِ»[(١)].

• وعن أبي أمامة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «من غدا إلى المسجد لا يريد إلَّا أن يتعلم خيرًا أو يُعلِّمه، كان كأجرِ حاجٍّ، تامًّا حجَّتُهُ»[(٢)].

• وعن أبي هريرة ﷺ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَن جاء مسجدي هذا، لم يأته إلَّا لخير يتعلَّمُهُ، فهو منزلة المجاهد في سبيل الله، ومن جاء لغير ذلك، فهو بمنزلة الرجل ينظر إلى متاع غيره»[(٣)].

• وعنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ مَّا يلحقُ المؤمنَ مِن علمِهِ وحسناتِهِ بعد موتِهِ علمًا علَّمَهُ ونشَرهُ، وولدًا صالحًا تركهُ، ومُصحفًا ورَّثَهُ، أو مسجدًا بناهُ، أو بيتًا لابن السبيل بناهُ، أو نهرًا أجراهُ، أو صدقةً أخرجها من مالِهِ في صحَّتِهِ وحياتِهِ يلحقُهُ مِن بعد مَوتِهِ»[(٤)].

١٥- توريث المصاحف وكتب العلم:

• عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن مما يلحقُ المؤمنَ من علمِهِ وحسناته بعد موته، علمًا نشره، وولدًا صالحًا تركه، ومصحفًا ورَّثَهُ، أو مسجدًا بناه، أو بيتًا لابن السبيل بناه، أو نهرًا أجراه، أو صدقةً

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجه في «سننه»، وصحّحه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (١/ ٤٦) (١٩٦).

(٢) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير» والحاكم في «المستدرك»، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١/ ١٤٥) (٨٦).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) حسن: رواه ابن ماجه في «سننه»، وحسنه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (١/ ٤٦) (١٩٨).

أخرجها من ماله في صحته وحياته، تلحقه من بعد موته»[١].

١٦- الجدال بالحق لردِّ الباطل ودحضه:

* قال تعالى: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ [العنكبوت].

* قال تعالى: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل: ١٢٥].

* قال تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا ﴾ [هود: ٣٢].

١٧- الحرص على هداية الناس:

* قال تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ۝٦ ﴾ [الكهف].

* وقال تعالى: ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ﴾ [فاطر: ٨].

* وقال تعالى: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ۝١٢٨﴾ [التوبة].

* وقال تعالى: ﴿قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ۝٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ۝٢٧﴾ [يس].

• عن جابر رضي الله عنه قال: مكثَ رسول الله ﷺ بمكة سبع سنين يتبَّع الناس بمنازلهم؛ بعُكاظ، ومجنَّة، والموسم بمنى يقول: «**من يُؤويني وينصرني، حتى أبلِّغَ رسالات ربي؟!**»[٢].

---

(١) حسن: رواه ابن ماجه في «سننه» وحسّنه الألباني في «الإرواء» (١٠٧٩)، و«أحكام الجنائز» (١٧٦)، و«المشكاة» (٢٥٤)، و«صحيح الجامع» (٢٢٣١).

(٢) صحيح: رواه ابن حبان في «موارد الظمآن»، وصححه الأباني في «صحيح موارد الظمآن» (٢/ ١٣٢) (١٤٠٥).

١٨- الحلم على الجاهل في تعليمه:

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام أعرابي فبال في المسجد، فتناوله الناس، فقال لهم النبي ﷺ: «دعوه، وأهريقوا على بَوله سجلًا من ماء -أو ذنوبًا من ماء-؛ فإنما بعثتم ميسرين، ولم تُبعثوا معسرين»(١).

• عن عائشة رضي الله عنها قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لم يَبْعَثْني معنتًا، ولا متعنتًا، ولكن بَعَثَني مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا»(٢).

• عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «علِّموا ويسِّروا ولا تعسروا، وبشِّروا ولا تنفِّروا، وإذا غضب أحدُكم فليسكت»(٣).

• عن معاويةَ بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال: بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجلٌ من القوم، فقلتُ: يرحمك الله! فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: واثكل أمياه! ما شأنكم تنظرون إليَّ؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمِّتونني لكني سكتُّ، فلما صلى رسول الله ﷺ فبأبي هو وأمي، ما رأيت معلمًا قبله ولا بعده أحسن تعليمًا منه، فوالله، ما كَهَرني، ولا ضربني، ولا شتمني، قال: «إن هذه الصلاةَ لا يصلحُ فيها شيءٌ من كلام الناس، إنما هو التسبيحُ والتكبير، وقراءة القرآن»(٤).

---

(١) رواه البخاري (١/ ٧٦) (٢٢٠).

(٢) رواه مسلم (٢/ ٨٩٤) (١٤٧٩).

(٣) صحيح: رواه البخاري في «الأدب المفرد»، وأحمد في «المسند»، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٣/ ٣٦٣) (١٣٧٥).

(٤) رواه مسلم (١/ ٣١٨) (٥٣٧).

١٩- كفاية طالب العلم المعيشةَ:

• عن أنس رضي الله عنه قال: كان أخَوانِ على عهد النبي ﷺ فكان أحدُهما يأتي النبي ﷺ (وفي رواية: يحضر حديث النبي، ومجلسه) والآخر يحترف، فشكا المحترف أخاه إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إن هذا أخي لا يعينُني بشيء، فقال: «لعلك تُرزَقُ به»(١).

□ قال وكيع رحمه الله: «قالت أم سفيان الثوري لسفيان: يا بني اطلب العلم، وأنا أكفيك بمغزلي»(٢).

٢٠- العناية بطلاب العلم:

• عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: «سيأتيكُم أقوامٌ يطلُبون العلم، فإذا رأيتُموهُم فقولوا لهم: مرحبًا! مرحبًا بوصيةِ رسولِ الله ﷺ وأقنُوهُم»(٣)؛ أي: علِّموهُم.

□ وعنه رضي الله عنه أنه قال: مرحبًا بوصية رسول الله ﷺ كان رسول الله ﷺ يوصينا بكم(٤)؛ يعني: طلبة الحديث.

• عن صفوان بن عسال المرادي رضي الله عنه قال: أتيت النبيَّ ﷺ وهو في المسجد مُتكئٌ على بُردٍ له أحمر، فقلتُ له: يا رسول الله، إني جئتُ أطلبُ

(١) صحيح: رواه الترمذي في «سننه»، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٢/ ٢٧٤) (١٩١٢).

(٢) «كتاب الورع» للمروزي (ص١٤٤) رقم (٦٧١).

(٣) صحيح: رواه ابن ماجه في «سننه»، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (١/ ٤٧) (٢٠١).

(٤) صحيح: أخرجه تمام في «الفرائد»، وأبو بكر بن أبي علي في الأربعين، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١/ ٥٠٣) (٢٨٠).

العلمَ، فقال: «مرحبًا بطالب العلم، إنَّ طالبَ العلم تَحُفُّه الملائكةُ، وتظلُّه بأجنحتها، ثم يركبُ بعضُهم بعضًا حتى يبلغوا السماءَ الدنيا من محبتهم لما يطلُبُ»(١).

□ عن سفيان بن عيينه، قال: حُدِّثت عن أبي جعفر محمد بن الحسين أنه قال: «قدومي مكة حبًّا للقاء عمرو بن دينار، وعبيد بن عمير. قال: وكان يحمل إليهم النفقة، والصلّة، والكسوة، ويقول هيئتها لكم من أول السنة»(٢).

٢١- تعلُّم لغات قوم لأمْنِ مكرهم بالإسلام وأهله:

● عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أمرني رسول الله ﷺ: أن أتعلم له كلمات من كتاب يهود، وقال: **«إنِّي والله، ما آمنُ يهُودَ على كتَابي»**، قال: فما مرَّ بي نصف شهر حتى تعلمته له، قال: فلما تعلمته كان إذا كتب ليهود، كَتَبْتُ إليهم، وإذا كتبوا إليه قَرَأْتُ له كتابهم (٣).

□ وفي رواية قال: «أمرني رسول الله ﷺ أن أتعلم السريانية».

٢٢- تعليم الناس ما ينفعهم في أمر مَعَاشِهم:

● عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ مرَّ بغلام يسلخُ شاةً، فقال له: **«تنحَّ حتى أريكَ؛ فإني لا أراك تُحسن تَسلخُ»**.

---

(١) صحيح: رواه أحمد والطبراني، والحاكم، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢/ ١٤٠) (٧١).

(٢) «كتاب الإخوان» لابن أبي الدنيا (ص١٥٤) (٩٢).

(٣) صحيح: رواه الترمذي في «سننه»، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٢/ ٣٤٩) (٢١٨٣).

قال: فأدخل رسول الله ﷺ يده بين الجلدِ واللحم، فدحص بها، حتى توارت إلى الإبط، ثم قال: «هكذا يا غلام، فاسلخ»[(١)].

• عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «كلُّ شيءٍ ليسَ من ذكرِ الله لهوٌ ولعبٌ، إلَّا أن يكون أربعة: مُلاعبةُ الرجلِ امرأتهُ، وتأديبُ الرَّجل فرسهُ، ومشي الرَّجلِ بين الغرضين، وتعليمُ الرَّجلِ السِّبَاحَة»[(٢)].

٢٣- تَلَمُّس رضا أهل الفضل من العلماء والعُبَّاد:

• عن جابر بن عبد الله بن حرام رضي الله عنهما قال: أمر أبي بخزيرة[(٣)] فصنعت، ثمَّ أمرني فحملتها إلى رسول الله ﷺ فأتيته وهو في منزله، فقال: «ما هذا يا جابر؟ ألحم ذا؟» قلت: لا، ولكنها خزيرة، فأمر بها فقبضت، فلما رجعتُ إلى أبي. قال: هل رأيتَ رسول الله ﷺ؟ فقلت: نعم، فقال: هل قال شيئًا؟ فقلت: نعم، قال: «ما هذا يا جابر؟ ألحمٌ ذا؟».

فقال أبي: عسى أن يكون رسولُ الله ﷺ قد اشتهى اللحم، فقامَ إلى داجن عنده فذبحها، ثم أمر بها فشويت، ثم أمرني فحملته إلى رسول الله ﷺ فانتهيتُ إليه، وهو في مجلسه ذلك، فقال: «ما هذا يا جابر؟»، فقلت: يا رسول الله، رجعتُ إلى أبي قال: هل رأيتَ رسول الله ﷺ؟ فقلت: نعم، فقال: ما قال لك شيئًا؟ قلت: نعم، قال: «ما هذا يا جابر؟ ألحم ذا؟».

---

(١) صحيح: رواه ابن حبان في «موارد الظمآن»، وصححه الألباني في «صحيح موارد الظمآن» (١/ ١٦٥) (١٨٦).

(٢) رواه النسائي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٥٣٤).

(٣) لحمٌ يُقطَّعُ صِغارًا، ويُصبُّ عليه ماء كثير، فإذا تضج ذُرَّ عليه الدقيق، فإن لم يكن فيها لحم فهي عصيدة.

فقال أبي: عسى أن يكون رسول الله ﷺ قد اشتهى اللحمَ، فقامَ على داجن عنده فذبحها، ثم أمر بها فشويت، ثمَّ أمرني فحملتها إليك، فقال رسول الله ﷺ: «**جزى الله الأنصار عنَّا خيرًا، ولا سيَّما عبد الله بن عمرو ابن حرام، وسعد بن عبادة**»(١).

• قام ابن عباس رضي الله عنهما إلى زيد بن ثابت رضي الله عنه فأخذ بركابه، فقال: تنَحَّ يا ابن عم رسول الله ﷺ فقال: «**إنما هكذا نفعل بعلمائنا وكبرائنا**»(٢).

---

(١) صحيح: رواه ابن حبان في «موارد الظمآن»، وصححه الألباني في «صحيح موارد الظمآن» (٢/ ٣٩٢) (١٩٢٥).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ١٦٤).

كتاب المساجد

٢٤- إنارة المساجد من غير إسراف:

• عن ميمونة مولاة النبي ﷺ أنها قالت: يا رسول الله، أفتِنا في بيت المقدس. فقال: «ائتوه فصلوا فيه -وكانت البلاد إذ ذاك حربًا-، فإن لم تأتوه، وتصلوا فيه، فابعثوا بزيت يُسْرَجُ في قناديله»(١).

٢٥- تطهير المساجد وتنظيفها:

* قال تعالى: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾ [الحج: ٢٦].

• عن أنس رضي الله عنه قال: إن النبي ﷺ رأى نخامةً في قبلة المسجد، فغضب حتى احمرَّ وجهُه، فجاءته امرأةٌ من الأنصار فحكَّتْهَا، وجعلت مكانها خلوقًا، فقال رسول الله ﷺ: «ما أحسنَ هذا!!»(٢).

☐ عن سمُرة رضي الله عنه: أنه كتب إلى ابنه: أما بعد، فإن رسول الله ﷺ كان يأمرنا بالمساجد أن نصنعها في دُورنا، ونصلح صنعتها، ونطهِّرَها(٣).

• عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «عُرِضت عليَّ أعمالُ أمتي، حسنها وسيئتها، فوجدتُ في محاسِنِ أعمالها الأذى يُماطُ عن الطريقِ،

---

(١) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود، وابن ماجه.. انظر «الثمر المستطاب في فقه السنة والكتاب» للألباني (٢/ ٥٩٤).

(٢) صحيح: رواه ابن ماجه في «سننه»، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (١/ ١٢٧) (٦١٦).

(٣) صحيح: أخرجه أبو داود في «سننه» وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (١/ ٩٢) (٤٣٧).

ووجدتُ في مساوئ أعمالها النُّخاعَةَ تكونُ في المسجد لا تُدفَنُ»(١).

• عن بريدة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «في الإنسانِ ثلاثمئةٍ وستُّون مفصلًا، فعليه أن يتصدَّقَ عن كلِّ مَفصلٍ منهُ بصدقةٍ». قالوا: ومن طيق ذلك يا نبي الله؟ قال: «النُّخاعةُ في المسجد تدفِنُها، والشيء تُنحيهِ عن الطريق، فإن لم تجد فركعتا الضُّحى تُجزئك»(٢).

• عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلًا أسود -أو امرأة سوداءَ- كان يقمُّ المسجد فمات فسأل النبي ﷺ عنه فقالوا: مات، قال: «أفلا كنتم آذنتموني به، دلوني على قبره -أو قال: قبرها- فأتى قبرها فصلَّى عليها»(٣).

٢٦- تطييب المساجد:

□ عن عائشة رضي الله عنها قالت: «إن رسول الله ﷺ أمر بالمساجد أن تبنى في الدور، وأن تطهر وتطيب»(٤).

□ قال سفيان رحمه الله: «بناء المساجد في الدور يعني القبائل»(٥).

□ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يجمِّرُ مسجد رسول الله ﷺ كل جمعة»(٦).

(١) رواه مسلم (١/ ٣٢٦) (٥٥٣).

(٢) صحيح: رواه أبو داود في «سننه»، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٣/ ٩٨٤) (٤٣٦٥).

(٣) رواه البخاري (١/ ١٤٧) (٤٥٨).

(٤) صحيح: رواه ابن ماجه في «سننه» وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (١/ ١٢٦) (٦١٣).

(٥) «صحيح سنن الترمذي» (١/ ١٨٤) أخرجه أبو يعلى.. انظر «الثمر المستطاب في فقه السنة» والكتاب للألباني (٢/ ٥٨٦).

(٦) صحيح: أخرجه الحاكم والطبراني في «الأوسط».. انظر «الثمر المستطاب» (٢/ ٨٢٣).

٢٧- تعليق العِذْق، أو العنقود، أو إيجاد الطعام للفقراء في المسجد:

□ عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ أمر من كل حائط بقنو للمسجد[١].

□ عن البراء بن عازب رضي الله عنه في قوله سبحانه: ﴿وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٧]، قال: نزلت في الأنصار، كانت الأنصارُ تخرج إذا كان جُدادُ النخل من حيطانها أقناء البسر، فيعلقونه على حبل بين أسطوانتين في مسجد رسول الله ﷺ فيأكل منه فقراء المهاجرين.

٢٨- وقبل هذا كله.. بناء المساجد:

• عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من بنى مسجدًا لله، بنى الله له في الجنة مثلهُ**»[٢].

• عن جابر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**من بنى لله مسجدًا، ولو كمِفحَصِ قطاةٍ -أو أصغر-، بُني له بيتٌ في الجنة**»[٣].

□ «وهذا المسجد يشهدُ لصاحبه بالإيمان وطاعةِ الواحد الديان، وما يكون فيه من طاعة الله تعالى مِن ذِكرٍ وشكر، ودعاءٍ ودعوة، ودروس وموعظة، وبذلٍ وفضل، واعتكافٍ وعملٍ من أعمال الخير، إلَّا يرجى أن تكون في ميزان من بناه وفي كتاب من شيده؛ لأنَّه كان سببًا فيه وعونًا

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجه في «سننه»، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (١/ ٣٠٥) (١٤٧٥).

(٢) رواه مسلم (٤/ ١٨٠٩) (٥٣٣).

(٣) صحيح: رواه ابن ماجه في «سننه»، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (١/ ١٢٤) (٦٠٣).

عليه»(١).

٢٩- العناية بإخوانه من رُوَّاد المسجد:

• عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إنَّ للمساجد أوتادًا؛ الملائكة جلساؤهم، إن غابوا يفتقدونهم، وإن مرضوا عادوهم، وإن كانوا في حاجة أعانوهم»، ثم قال: «جليس المسجد على ثلاث خصالٍ: أخٍ مستفادٍ، أو كلمةٍ حكمةٍ، أو رحمةٍ منتظرةٍ»(٢).

• عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «المسجدُ بيتُ كلِّ تقِيٍّ»(٣).

كتاب الصلاة

٣٠- الأذان بالصلاة، والحرص على إيقاعه في وقته:

• عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من أذَّن اثنتي عشرةَ سنةً، وجبت له الجنة، وكُتب له بتأذينه في كل يوم ستونَ حسنةً، ولكل إقامةٍ ثلاثون حسنة»(٤).

• عن ابن أبي أوفى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ خيار عبادِ الله:

---

(١) «بذل المعروف» (ص٧٠).

(٢) صحيح: رواه أحمد في «المسند»، والحاكم في «المستدرك»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣٤٠١).

(٣) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير» والبزار. وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١/ ٢٥٣) (٣٣٠).

(٤) صحيح: رواه ابن ماجه في «سننه»، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (١/ ١٢٢) و(٥٩٤).

الذين يراعُونَ الشمسَ والقَمَر والنُّجومَ والأظلة؛ لذكر الله عَزَّوَجَلَّ»[١].

٣١- سَدُّ الفُرَجِ في صفوف الصلاة:

• عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله وملائكته يُصَلُّونَ على الذين يَصِلُونَ الصفوف، ومن سدَّ فُرجة بنى الله له بيتًا في الجنة، ورفعه بها درجة**»[٢].

• عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**خيارُكم ألينُكم مناكبَ في الصلاة، وما من خطوةٍ أعظمُ أجرًا من خطوةٍ مشاها رجل إلى فُرجةٍ في الصفِّ فسدَّها**»[٣].

٣٢- الصلاة مع المنفرد ليُدْرِك فضل الجماعة:

• عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ أبصر رجُلًا يُصلي وحدهُ، فقال: «**ألا رجلٌ يتصدق على هذا، فيصلِّي معهُ**»[٤].

٣٣- وَصْل الصُّفوف:

• عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله وملائكته يُصَلُّونَ على الذين يَصِلُونَ الصفوف، ومن سَدَّ فرجةً رفعه الله بها درجة**»[٥].

---

(١) صحيح: أخرجه ابن شاهين في «الأفراد»، والبزار في «المسند»، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٢٩٩).

(٢) صحيح: رواه ابن ماجه في «سننه»، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (١/ ١٦٤) (٨١٤).

(٣) صحيح: أخرجه الطبراني في «الأوسط»، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٥٣٣).

(٤) صحيح: رواه أبو داود، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (١/ ١٥) (٥٣٧).

(٥) حسن: رواه أحمد، وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم في عائشة، وحسنه الألباني =

• عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أقيموا الصفوف، فإنما تَصُفُّون بصفوف الملائكة، وحاذوا بين المناكب، وسدُّوا الخلل، وَلِينوا بأيدي إخوانكم، ولا تذرُوا فرجاتٍ للشيطان، ومَن وصل صفًّا وصله الله، ومن قطع صفًّا قطعه الله» (١).

٣٤- الفتح على الإمام حين يُرْتَجُّ عليه:

• عن المسوَّر بن يزيد المالكي رضي الله عنه قال: شهدت رسول الله ﷺ قرأ في الصلاة، فتعايى في آية، فقال رجل: يا رسول الله. إنَّك تركت آية. قال: «فهلا أذكرتَنيها؟!»، قال: ظننت أنَّها نُسِخَتْ، قال: «فإنها لم تُنْسَخْ» (٢).

• عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ صلَّى صلاة، فالتبسَ عليه، فلما فرغَ، قال لأبيٍّ: «شهدتَ معنا؟». قال: نعم، قال: «فما منعك أن تفتحها عليَّ» (٣).

٣٥- متابعةُ مَن لا يصلي الصبح في جماعة، والسؤال عنه:

• عن أُبي بن كعب رضي الله عنه قال: صلَّى بنا رسول الله ﷺ يومًا الصبح

في «صحيح أبي داود» (٦٨٠)، و«صحيح الترغيب» (٥٠١)، و«صحيح الجامع» (١٨٤٣).

(١) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود، والطبراني في «الكبير»، والنسائي، والحاكم في «المستدرك»، وصححه الألباني في «صحيح ابن أبي داود» (٦٧٢)، و«الصحيحة» (٧٤٣)، و«صحيح الترغيب» (٤٩٥)، و«صحيح الجامع» (١١٨٧).

(٢) صحيح: رواه أبو داود في «سننه»، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٨٠٢).

(٣) صحيح: رواه أبو داود في «سننه»، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (١/ ١٧١) (٨٠٣).

فقال: «أشاهد فلان؟» قالوا: لا. قال: «أشاهد فلان؟» قالوا: لا. قال: «إن هاتين الصلاتين أَثْقَلُ الصلوات على المنافقين، ولو تعلمون ما فيهما لأتيتموهما ولو حَبْوًا على الرُّكَبِ، وإن الصفَّ الأول على مِثل صف الملائكة، ولو علمتم ما فضيلتُه لابتدرتموه، وإن صلاةَ الرجل من الرجل أزكى من صلاته وَحْدَهُ، وصلاته مع الرجلين أَزْكَى من صلاته مع الرجل، وما كَثُرَ فَهُوَ أحبُّ إلى الله تعالى»[١].

٣٦- لِينُ المناكب في الصلاة:

• عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «خيارُكُمْ أَلْيَنُكُمْ مناكب في الصلاة»[٢].

□ معنى لِين المناكب: لزوم السكينة في الصلاة والطمأنينة فيها لا يلتفت، ولا يُحاك بمنكبه منكب صاحبه، وقد يكون فيه وجهٌ آخر؛ وهو أن لا يمتنع على من يريد الدخول بين الصفوف ليسدَّ الخلل أو لضيق المكان، بل يمكِّنُهُ من ذلك، ولا يدفعه بمنكبه لتتراصَّ الصفوفُ، وتتكاتف الجموع[٣].

---

(١) انظر «صحيح سنن أبي داود» (١/ ١١١) (٥١٨).

(٢) حسن: رواه أبو داود، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن ابن عباس، وحسَّنه الألباني في «صحيح أبي داود» (٦٧٦)، و«تخريج المشكاة» (١٠٩٩)، و«صحيح الجامع» (٣٢٦٤).

(٣) «معالم السنن» للخطابي (١/ ١٥٩).

كتاب الصدقات والأموال

٣٧- إعطاء السائل شيئًا، ولو قليلاً:

* قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠﴾ [الضحى].

• عن جابر رضي الله عنهما: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أتاكم السائلُ، فضعوا في يده ولو ظِلفًا محرَقًا**»(١).

• عن أم بُجيد رضي الله عنها وكانت ممن بايعت رسول الله ﷺ أنها قالت لرسول الله ﷺ إن المسكينَ لَيَقُومُ على بابي، فما أجد له شيئًا أعطيه إياه، فقال لها رسول الله ﷺ: «**إنْ لم تَجِدي شيئًا تُعطينهُ إيَّاهُ إلَّا ظِلفًا مُحرقًا، فادْفَعِيهِ إليه**»(٢).

□ قال الحسن: «والله، لقد أدركت أقوامًا كانوا ما يردُّون سائلًا إلَّا بشيء، ولقد كان الرجل منهم يخرج فيأمر أهله ألَّا يردُّوا سائلًا»(٣).

□ وقال بعض الحكماء: «من انتجعك مؤملًا لك، فقد أسلفك حسنَ الظنِّ بك»(٤).

□ قال ابن عيينة: «كان سعيد بن العاص إذا قصده سائلٌ، وليس عنده

---

(١) صحيح: رواه ابن عديّ في «الكامل»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١/ ١١١) (٢٦٧)، و«تخريج المشكاة» (١٨٧٩، ١٩٤٢).

(٢) صحيح: رواه أبو داود، والترمذي، النسائي، وابن حبان، والحاكم في «المستدرك»، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٨٧٦)، و«صحيح الجامع» (١٤٤٠)، و«صحيح سنن النسائي» (٢٤١٢).

(٣) «كتاب الزهد» للإمام أحمد (ص٣١٩).

(٤) «كتاب الحدائق» لابن الجوزي (٢/ ٢١٥).

شيء، قال: اكتب عليَّ سِجْلًا بمسألتك إلى الميسرة»[١].

٣٨- الجود بالفَضْل:

• عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا ابن آدم، إنك أن تَبْذُلَ الفضلَ خيرٌ لَكَ، وأن تمسك شرٌّ لك، ولا تلامُ على كفافٍ، ابدأ بمن تعول، واليدُ العُلْيَا خيرٌ من اليدِ السُّفْلَى»[٢].

• عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس، ابتاعوا أنفسَكم من الله من مال الله، فإن بَخِلَ أحدُكم أن يُعطي مالَه للناس، فليبدأ بنفسِهِ وليتصدَّق على نفسه، فليأكل وليكتَسِ مما رزقه الله عز وجل»[٣].

• عن مالك بن نَضْلة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الأيدي ثلاثة: فيدُ الله العُلْيَا، ويدُ المعطي التي تليها، ويدُ السَّائِلِ السُّفْلَى؛ فأَعْطِ الفَضْلَ، ولا تعجَز عن نفسِكَ»[٤].

٣٩- الرَّضْخُ مِنَ المالِ لِلْمُعْوَزِين:

• عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها أنها: جاءت إلى النبي ﷺ فقال لها: «لا تُوعي فيوعيَ اللهُ عليكِ، ارضَخِي ما استطعتِ»[٥].

---

(١) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٣/ ٤٤٧).
(٢) رواه أحمد، ومسلم (١٠٣٦)، والترمذي.
(٣) صحيح: أخرجه الخرائطي في «مكارم الأخلاق»، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٣/ ٨٧) (١٠٩٦).
(٤) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود، والحاكم في «المستدرك»، وابن خزيمة، وابن حبان، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٧٩٤)، و«صحيح الترغيب والترهيب» (٨١٤).
(٥) رواه مسلم (٢/ ٤٤١) (١٤٣٤).

• عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله، ماذا ينجي العبد من النار؟ قال: «**الإيمان بالله**»، قلت: يا نبي الله، إن مع الإيمان عمل؟ قال ﷺ: «**يرضخُ مما رزقه الله**». قلت: يا رسول الله، أرأيت إن كان فقيرًا لا يجد ما يرضخ؟ قال ﷺ: «**يأمرُ بالمعروف وينهى عن المنكر**». قلت: يا رسول الله، أرأيت إن كان عييًّا لا يستطيع أن يأمر بمعروف، ولا ينهى من منكر؟ قال: «**يصنعُ لأخرق**». قلت: أرأيت إن كان أخرق؛ لا يستطيع أن يصنع شيئًا؟ قال: «**يُعين مغلوبًا**». قلتُ: أرأيت إن كان ضعيفًا لا يستطيع أن يعين مظلومًا؟! فقال ﷺ: «**ما تريدُ أن تترك في صاحبك من خير؟! تمسك الأذى عن الناس**». فقلت: يا رسول الله، إذا فعل ذلك دخل الجنة؟! قال: «**ما من مسلم يفعل خصلةً من هؤلاء، إلَّا أخذت بيده حتى تدخله الجنة**»(١).

٤٠- الجود على الناس بما في اليد:

• عن إبراهيم بن أدهم رحمه الله قال: جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، دُلَّني على عمل يُحبُّني الله عليه، ويُحبُّني الناسُ عليه؟ فقال: «**أمَّا العملُ الذي يُحبُّكَ الله عليه فالزُّهدُ في الدنيا، وأمَّا العملُ الذي يُحبُّك الناسُ عليهِ فانبِذْ إليهِم ما في يديك من الحُطَامِ**»(٢).

---

(١) صحيح: أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير»، وصحَّحه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٦٦٩).

(٢) صحيح: رواه ابن أبي الدنيا، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣/ ٢٥٣) (٣٢١٤).

٤١- الصدقةُ على العُصاةِ ليَسْتَغنوا بها عن الحرام:

• عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «قال رجل: لأتصدقن الليلة بصدقة، فخرج بصدقتِهِ، فوضَعَهَا في يد زانية، فأصبحوا يتحدثون: تُصُدِّقَ الليلةَ على زانية! قال: اللهمَّ لك الحمد، على زانية! لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يد غني، فأصبحوا يتحدثون: تُصُدِّقَ على غني! قال: اللهم لك الحمد، على غنيٍّ! لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته، فوضعها في يد سارق، فأصبحوا يتحدثون: تُصُدِّقَ على سارق! فقال: اللهم لك الحمد، على زانية، وعلى غني، وعلى سارق! فأتي فقيل له: أما صدقتك فقد قُبِلَتْ؛ أما الزانية فلعلَّها تستعفُّ بها عن زناها، ولعل الغني يعتبر فينفق مما أعطاه الله، ولعل السارق يستعفُّ بها عن سرقَتِهِ»(١).

٤٢- الصدقة ولوْ بالقليل:

• عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «يا عائشةُ، استتري من النار ولو بشق تمرة، فإنها تسُدُّ من الجائع مسدَّها من الشبعان»(٢).

• عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الصدقة لتطفئ عن أهلها حرَّ الْقبُورِ، وإنما يَسْتَظِلُّ المؤمنُ يومَ القيامة في ظِلِّ صَدَقَتِهِ»(٣).

---

(١) رواه مسلم (٢/ ٧٠٩) (١٠٢٢).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند»، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١/ ٥١٩) (٨٦٥).

(٣) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير»، والبيهقي، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١/ ٥٢٤) (٨٧٣).

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سبق دِرْهَمٌ مئة ألف دِرْهَم». فقال رجل: وكيف ذاك يا رسول الله؟! قال: «رجل له مالٌ كثير، أخذَ من عُرضه مئة ألف درهم؛ تصدَّق بها، ورجل ليس له إلَّا درهمان؛ فأخذَ أحدَهما فتصدَّق به»(١).

٤٣- مَنيحة اللبن والفِضَّة:

* قال تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (٢٧٢)﴾ [البقرة].

• عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن مَنَح مَنيحَةَ لَبَن، أو وَرِق، أو هَدَى زقاقًا كان لهُ مثلُ رَقَبَةٍ»(٢).

وبلفظ آخر: «مَن منح مِنحة وَرِق، أو مِنحة لبن، أو أهدى زُقاقًا، فهو كعتق نسمةٍ»(٣).

منحة اللبن: أن يعطيه ناقةً أو شاة، ينتفعُ بلبنها، ويعيدها، وكذلك إذا أعطاه لينتفع بوبرها وصوفِها زمانًا، ثم يردها(٤).

---

(١) حسن: رواه النسائي عن أبي ذر، والنسائي، وابن حبان، والحاكم في «المستدرك» عن أبي هريرة، رواه ابن خزيمة، وأبو داود. وحسّنه الألباني في «صحيح موارد الظمآن» لابن حبان (٢/ ٣٦٥) (٦٩٥)، و«تخريج مشكلة الفقر» (١١٩) و«صحيح الترغيب والترهيب» (٨٧٥)، و«صحيح الجامع» (٣٦٠٦).

(٢) صحيح: رواه الترمذي، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٢/ ١٨٦) (١٥٩٥).

(٣) صحيح: رواه أحمد، والترمذي، وابن حبّان، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٨٨٩) و(٢/ ٢٤١)، و«صحيح الجامع» (٦٥٥٩).

(٤) «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٤/ ٣٦٤).

ومنحة الوَرِق: أن يعطيه هبةً أو صلةً، وقال أحمد بن حنبل: «منحة الوَرِق: هو القرض، والمنحة قد تكون صلةً على طريق المِلْك، وقد تكون عارية (١)» (٢).

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَن منح مِنْحة غَدَت بصدقة، وراحت بصدقة، صَبُوحَها وغبوقَها»** (٣).

٤٤- مَنِيحةُ (٤) العنز أو اللِّقْحَةُ الصفِيُّ:

المنيحة هي في الأصل: العطية، قال أبو عبيد: المنيحةُ عند العرب على وجهين: أحدهما: أن يعطي الرجلُ صاحبه صلةً فتكون له، والآخر: أن يعطيه ناقةً أو شاةً ينتفع بحلبها ووبرها زمنًا ثم يردها. والمراد بها في الحديث: عاريةُ ذواتِ الألبان؛ ليؤخذ لبنُها، ثم ترد لصاحبها.

• عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«نعم المَنِيحة اللِّقْحَةُ الصَّفِيُّ (٥) مِنْحَة، والشاةُ الصَّفِيُّ تغدو بإناء، وتروح بإناء»** (٦).

□ عن مالك قال: **«نعم الصدقة..»**.

□ وعند مسلم: **«ألَا رجلٌ يمنحُ أهل بيتٍ ناقةً، تغدو بإناءٍ وتروح**

---

(١) «شرح السُّنَّة» للبغوي (٦/ ١٤٦).

(٢) قال الترمذي: «قوله: «أو هدىٰ زقاقا» إنما يعني به هداية الطريق، وهو إرشاد السبيل.

(٣) رواه مسلم.

(٤) من جنس الهبة والهدية، وتجوز أيضًا من باب الصدقة.

(٥) اللِّقْحة: الناقة ذات اللَّبن القريبة العهد بالولادة، والصَّفِيُّ: الكريمة الغزيرة اللبن.

(٦) رواه البخاري.

بإناءٍ؛ إن أجرها لعظيم».

• وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أربعون خصلةً، أعلاهن مَنيحة العنْز؛ ما مِن عامل يَعْمل بخصلةٍ منها رجاءَ ثوابها، وتصديق موعودها؛ إلّا أدخله الله الجنة»[١].

□ قال حسان بن عطية: «فعددنا ما دون منيحة العنْز -من ردِّ السلام، وتشميت العاطس، وإماطة الأذى عن الطريق، ونحوه-، فما استطعنا أن نَبلُغ خمس عشرة خصلة»[٢].

□ قال ابن بطَّال: «وقد بلغني أنَّ بعضهم تطلَّبها فوجدها تزيدُ على الأربعين، فمما زاده: إعانة الصانع، والصنعة للأخْرق، وإعطاء شِسْعِ النعل، والستر على المسلم، والذَّب عن عرضه، وإدخال السرور عليه، والتفسح في المجلس، والدلالة على الخير، والكلم الطيب، والغرْس والزَّرع والشفاعة، وعيادة المريض، والمصافحة، والمحبةُ في الله، والبغْض لأجله، والمجالسة لله، والتزاورَ، والنصح، والرحمة. وكلُّها في الأحاديث الصحيحة، وفيها ما قد يُنازع في كوْنه دون منيحة العنْز.

ثم عقَّب ابن حجر: «بإمكان تتبُّعِ أربعين خصلة من خصال الخير أدناها منيحةُ العنْز»[٣].

بعدد المفاضل تتعدّد أنواع الصدقات، ومجالاتها كثيرة:

وهذا بابٌ واسعٌ، ويغني فيه عن المال لمن لم يجده، أبواب كثيرة، منَّة

(١) رواه البخاري، وأبو داود.
(٢) رواه البخاري.
(٣) «فتح الباري» (٥/ ٢٩٠).

من الله وفضلًا.

• فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يصبحُ على كلِّ سُلامى من ابن آدم صدقة؛ تسليمُهُ على من لقي صدقة، وأمره بالمعروف صدقة، ونهيه عن المنكر صدقة، وإماطةُ الأذى عن الطريق صدقة، وبُضْعة أهله صدقة، ويجزئ من ذلك كله: ركعتان من الضحى». قالوا: يا رسول الله، أحدنا يقضي شهوته، أتكونُ له صدقة؟ قال: «أرأيتَ لو وضعها في غير حلِّها ألم يكن يأثم؟»[(١)].

• وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يصبحُ على كلِّ سُلامى من أحدكم صدقة؛ فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدةٍ صدقة، وكلُّ تهليلةٍ صدقة، وكلُّ تكبيرةٍ صدقة، وأمرٌ بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، ويجزئ من ذلك: ركعتان تركعهما من الضحى»[(٢)].

• وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إنه خُلق كلّ إنسان من بني آدم على ستين وثلثمئة مفصل، فمن كبّر الله، وحمد الله، وهلَّل الله، وسبَّح الله، أو استغفر الله، وعزَل حجرًا عن طريق الناس أو شوكة أو عظْمًا عن طريق الناس، أو أمر بمعروفٍ، أو نهي عن منكرٍ، عدد الستين والثلثمئة؛ فإنه يُمسي أو يمشي يومئذٍ وقد زحزح نفسَه عن النار»[(٣)].

فبعدد المفاصل تتعدّد أنواع الصدقات.

---

(١) رواه أحمد، ومسلم، وأبو داود واللفظ له.

(٢) رواه مسلم والنسائي.

(٣) رواه مسلم.

٤٥- والعامل بالحقِّ على الصَّدقة أجره عظيم:

• عن رافع بن خديج رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «العاملُ بالحقِّ على الصدقة، كالغازي في سبيل الله عز وجل حتى يرجع إلى بيته»(١).

٤٦- والخازن الأمين أحدُ المتصدِّقين:

• قال رسول الله ﷺ: «الخازن المسلم الأمين، الذي يُعطي ما أُمرَ به كاملًا مُوفرًا طيِّبةً به نفسه، فيدفعه إلى الذي أُمِر له به: أَحَدُ المتصدِّقين»(٢).

٤٧- ٥٠- إسماع الأَصَمِّ، وهداية الأعمى، ودلالةُ المستدل على حاجته، وإعانة الضعيف:

• عن أبي ذر رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ: «ليس من نفْس ابن آدم، إلَّا عليها صدقة، في كلِّ يوم طلعتْ فيه الشمس». قيل: يا رسول الله، ومن أين لنا صدقة نتصدّق بها؟ فقال: «إن أبوابَ الخير لكثيرة: التسبيح والتحميد، والتكبير والتهليل، والأمر بالعروف والنهي عن المنكر، وتُميط الأذى عن الطريق وتُسمع الأصمَّ، وتَهدي الأعمى، وتَدُلُّ المُسْتَدِلَّ على حاجته، وتسعى بشدَّة ساقيك مع اللهفان المستغيث، وتحملُ بشدَّة ذراعيك مع الضعيف، فهذا كلُّه صدقة منك على نفسه»(٣).

ذكر هذه الخصال ابن حبان تحت عنوان «ذكْر الخصال التي تقوم لمُعدَم المال مقام الصدقة لباذلها».

---

(١) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود، والترمي، وابن ماجه، والحاكم، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (٤١١٧).

(٢) رواه أحمد، والبخاري ٠٢٣١٩) ومسلم، وأبو داود، والنسائي عن أبي موسى.

(٣) رواه مسلم.

٥١- التعبيرُ عن الأَرتَم (الأرثم وهو الأرت):

• عن أنس رضي الله عنه قال: حدَّث نبيُّ الله بحديث، فما فرحنا بشيء منذ عرفنا الإسلام أشدَّ من فرحنا به. قال: «إنَّ المؤمن ليُؤْجر في إماطة الأذى عن الطريق، وفي هداية السيل، وفي تعبيره عن الأرْتَم، وفي مِنْحة اللبن، حتى إنه ليُؤجر في السلعة تكون مصرورة فيلمسها فتخطئها يده»(١). رواه أبو يعلى، والبزَّار وزاد: «إنَّه ليؤجرُ في إتيانه أهله، حتى إنَّه ليؤجر في السلعة تكون في طرف ثوبه فيلمسُها، فيفقد مكانها فيخفق فؤاده، فيردُّها الله عليه ويكتب له أجرها».

والأرْتم «الأرْثم»: الأرَت: هو الذي لا يفصح الكلام ولا يُبيِّنه؛ فتعبيرك عن مراده، وإفصاحك بمقصوده، تُثاب عليه بالجنة، ومثله الترجمة عمَّن لا يُحسن العربية، أو لا يفهمها.

الأرْثم: كأنه أخِذ من قوله: رَثَمْتَ أنفه إذا كسرته، فكأنَّ فمه قد كُسر فلا يُفصح في كلامه.

---

(١) حديث حسن لغيره: رواه أبو يعلى في «مسنده»، والبزار، والطبراني في «الأوسط»، وفي إسناده المنهال بن خليفة؛ وثقه أبو حاتم وأبو داود والبزار، وفيه كلام، سكت عنه البوصيري، وقال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٣/ ٦١٨- ٦١٩): «وفي إسناده المنهال بن خليفة، وقد وثقه غير واحدٍ، وتقدَّم ما يشهد لهذا الحديث».

٥٢- ٥٨- من الصَّدَقة: التسبيح، والتكبير، والتحميد، والتهليل، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإعفاف الرجل أهْلَه وإتيانُها (أي جماعها):

• عن أبي ذر رضي الله عنه قال: جاء ناسٌ فقراء إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله، ذهب أهلُ الدثور بالأجور؛ يُصلُّون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدَّقون بفضْل أموالهم. قال: «أو ليس قد جعل اللهُ لكم ما تتصدَّقون به؟ إنَّ بكلِّ تسبيحةٍ صدقة، وكلِّ تكبيرةٍ صدقة، وكلِّ تحميدةٍ صدقة، وكلِّ تهليلة صدقة، وأمْرٍ بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، وفي بُضْع أحدِكم صدقة». قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدُنا شهوته، ويكون له فيها أجْر؟! قال: «أرأيتم لو وضعها في حرام، أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في حلال كان له أجْر»[(١)].

٥٩- ٦٢- التَّبسُّم في وجه المسلم، وإرشاد الضَّالِّ، والبَصَرُ لرَدِئ البصر، وإفراغُك من دَلْوك في دَلْو أخيك:

• عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تَحقِرَنَّ من المعروف شيئًا، ولو أن تلقَى أخاك بوجهٍ طلق»[(٢)].

• عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تبسُّمُك في وجه أخيك لك صدقة، وأمْرُك بالمعروف صدقة، ونهيُك عن المنكر صدقة، وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة، وبصرُك للرجل الرديء البصر: لك صدقة، وإماطتك الحجر والشَّوك والعظم عن الطريق لك صدقة، وإفراغك من دلْوك في دلْو أخيك: لك صدقة»[(٣)].

---

(١) رواه مسلم. والبضع: الفرْج.
(٢) رواه أحمد، ومسلم، والترمذي.
(٣) صحيح: رواه الترمذي -واللفظ له وحسَّنه- وابن حبان، وصححه الألباني في

٦٣-٦٥- إعانة الرَّجُل في دابَّتِه، والعدل بين اثنين والكلمة الطيبة:

• عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «كل سُلامى[1] من الناس عليه صدقة، كلَّ يوم تطلعُ فيه الشمس؛ يعدلُ بين الاثنين: صدقة، ويعين الرجل في دابَّته فيحملُه عليها أو يرفعُ له عليها متاعه صدقة، والكلمةُ الطيبة: صدقة، وبكل خطوةٍ يمشيها إلى الصلاة: صدقة، ويميط الأذى عن الطريق: صدقة»[2].

٦٦- نفقة الرجل على أهْله يَحْتَسِبُها:

• عن أبي مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أنفَقَ الرجل على أهله نفقةً وهو يحتسبها، كانت له صدقةً»[3].

٦٧- إماطة الأذى عن الطريق:

• عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مرَّ رجلٌ بغصنِ شجرة على ظهر الطريق، فقال: والله لأنحينَّ هذا من المسلمين لا يؤذيهم. فأدخِل الجنة»[4].

٦٨-٧٠- وَهْبُ صِلَة الحَبْل، ووَهْب الشِّسع، وإيناسُ الوَحْشان:

• عن أبي جري الهجيمي ﷺ قال: أتيتُ رسول الله ﷺ فقلتُ: يا

«صحيح الترمذي» (١٥٩٤).

(١) سُلامَى: مفصل، وعدد مفاصل الإنسان ستون وثلاثمئة، كما جاء في «صحيح مسلم» من حديث عائشة.

(٢) رواه أحمد والبخاري، ومسلم.

(٣) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم، والنسائي.

(٤) رواه أحمد، ومسلم.

رسول الله، إنَّا قومٌ من أهل البادية، فعلِّمنا شيئًا ينفعنا الله به. قال: «**لا تحقرنَّ من المعروف شيئًا أن تأتيه؛ ولو أنْ تهب صِلَةَ الحَبْل، ولوْ أنْ تُفرغ من دلوك في إناء المستقي، ولو أن تَلْقَى أخاك المسلم ووجْهُك بَسِطٌ إليه، ولو أن تُونسَ الوَحْشان بنفسك، ولو أن تهب الشِّسْع**»[١].

هذا من المعروف، «**وكل معروف صدَقة**» كما صح في الحديث عن رسولنا ﷺ ومعنى «**أن تهب صِلَة الحبل**»: أن يكون لأخيك المسلم حبل يستقي به، أو يربط به شيئًا من متاعه، ويحتاج إلى وصلةٍ لقِصَره، فوهبته قطعة حبل وصَله بها، قاصدًا مساعدته بها، راجيًا ثواب الله.

ومعنى: «**ولو أن تؤنس الوحشان بنفسك**»: إذا وجدت أخاك المسلم وحشان، أي: مختليًا مهمومًا من شيء يخافه، فآنستَ وحشته بنفسك، وأذهبت عنه همه وفزعه حتى أمن استأنس واطمأن.

وفي مدينة «فاس» أعيان موقوفة، يُصْرف منها مُرَتَّبٌ شهري لشخص يُسمى «مونس الغريب».

ومعنى «**لو أن تهب الشِّسْع**»: الشسع: ما يُسدُّ إلى زمام النعل، وهو رباط الحذاء.

٧٢- غرْس الأشجار، زرع الزَّرع:

• عن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يَغرسُ مسلمٌ غرسًا، ولا يزرعُ زرعًا، فيأكلُ منه إنسان ولا دابَّة ولا شيء؛ إلَّا كانت له صدقة**»[٢].

---

(١) إسناده صحيح.

(٢) رواه مسلم.

• وعن أنسٍ رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «ما مسلمٌ يغرسُ غرسًا، أو يزرعُ زرعًا، فيأكل منه طيرٌ أو إنسان؛ إلَّا كان له به صدقة»(١).

• وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما مِنْ مسلم يغرسُ غرْسًا إلَّا كان ما أُكِلَ منه له صدقةٌ، وما سُرِقَ منه صدقةٌ، وما أكلَ السَّبُعُ فهو له صَدَقة، وما أكلت الطيورُ فهو له صدقةٌ، ولا يرزؤهُ أحدٌ كان له صدقةٌ»(٢).

٧٢- إدانةُ المحتاج:

• عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلمٍ يُقرِضُ قرضًا مرتين، إلَّا كان كصدقتها مرة»(٣).

• وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن السَّلفَ يجري مجرى شَطرِ الصَّدقةِ»(٤).

• وعنه رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «كلُّ قرض صدقة»(٥).

• عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «دخل رجلٌ الجنة، فرأى مكتوبًا على بابها: الصدقةُ بعشرِ أمثالها، والقرضُ بثمانية عشر»(٦).

---

(١) رواه البخاري، ومسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) صحيح: رواه ابن ماجه، وصحّحه الألباني في «الصحيحة» رقم (١٥٥٣)، و«صحيح سنن ابن ماجه» (٢/ ٥٦) (١٩٧٢)، و«صحيح الجامع» (٥٧٦٩).

(٤) صحيح: رواه أحمد وأبو يعلىٰ، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٤/ ٧٠) (١٥٥٣)، و«صحيح الجامع» (١٦٤٠).

(٥) حسن: رواه الطبراني في «الأوسط»، وأبو نعيم في «الحلية»، والبيهقي، وحسّنه الألباني في «صحيح الترغيب» (٨٩٩)، و«صحيح الجامع» (٤٥٤٢).

(٦) صحيح: رواه الطبراني والبيهقي، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٣٤٠٧).

• عن بريدة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أنظَرَ معسرًا، فله كلَّ يوم مثلُه صدقة»، ثم سمعته يقول: «من أنظر معسرًا فله مثليه صدقة»، فقلت: يا رسول الله، سمعتك تقول: «من أنظر معسرًا فله كلَّ يوم مثله صدقة»، ثم سمعتك تقول: «من أنظر معسرً؛ فله كل يوم مثليه صدقة». قال له: «كل يوم مثله صدقة قبل أن يحل الدَّين، فإذا حل فأنظره، فله كل يوم مثليه صدقة»(١).

□ قال ابن عمر رضي الله عنهما: لأن أقرض رجلًا دينارًا فيكون عنده، ثم آخذه فأقرضه آخر، أحب إليَّ من أن أتصدق به، فإن الصدقة إنما يكتب لك أجرها حين تَصَّدَقُ بها، وهذا يُكتَبُ لك أجره ما كان عند صاحبه»(٢).

٧٣- التجاوز عن المُوسر:

• عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تلقَّت الملائكةُ رُوحَ رجلٍ ممن كان قبلكم، فقالوا: أَعَمِلْتَ من الخير شيئًا؟ قال: لا. قالوا: تَذَكَّرْ. قال كنت أدينُ الناس. فآمر فتياني أن يُنظِروا المعسر، ويتجوَّزُوا عن الموسر، قال: قال الله عز وجل: تجوزوا عنه»(٣).

٧٤- التَّجَاوزُ في النَّقْدِ:

• عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن رجلًا مات فدخل

(١) صحيح: رواه أحمد، وابن ماجه، والحاكم في «المستدرك»، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١/ ٥٤٢) (٩٠٧)، و«الصحيحة» (٨٦)، و«الإرواء» (١٤٣٨)، و«صحيح الجامع» (٦١٠٨).

(٢) «الزهد والرقائق» لابن المبارك رقم (٧٧١) (ص٢٦٦).

(٣) رواه مسلم (٣/ ١٥٦٠).

الجنة. فقيل له: ما كنتَ تعمل؟ قال: فإما ذَكَر، وإما ذُكِّرَ: كنتُ أبايع الناس، فكنت أنظر المعسر، وأجوز في السَّكَّةِ، أو في النقد، فَغُفِرَ لَهُ»(١).

٧٥- إِنْظارُ المُعْسِرِ إلى مَيْسَرةٍ:

* قال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٠].

• عن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أنظر معسرًا، فله بكل يوم مثلَه صدقة قبل أن يحلَّ الدين، فإذا حل الدينُ فأنظره، فله بكل يوم مثليه صدقة»(٢).

• عن شداد بن أوس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَن أنظر معسرًا، أو تصدَّق عليه، أظلَّه الله في ظله يوم القيامة»(٣).

• وعن أبي اليسر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أَنْظَرَ مُعْسِرًا، أَوْ وَضَع عنه، أظلَّهُ الله في ظلِّهِ يوم لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّه»(٤).

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا، أَوْ وَضَع له، أظلَّه الله يوم القيامة تحت ظِلِّ عرشه، يوم لا ظلَّ إلَّا ظِلُّه»(٥).

---

(١) «صحيح مسلم» (٣/ ٩٦٨) (١٥٦٠).

(٢) صحيح: رواه أحمد، وابن ماجه، والحاكم في «المستدرك»، وسبق تخريجه.

(٣) صحيح: رواه الطبراني في «الأوسط»، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١/ ٥٤٤) (٩١٣).

(٤) رواه أحمد، ومسلم.

(٥) صحيح: رواه أحمد، والترمذي، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٩٠٠)، و«صحيح الجامع» (٦١٠٧).

٧٦- التَّنْفِيس عن الغريم:

• عن أبي قتادة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «من نفَّس عن غزيمه، أو محا عنهُ، كان في ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(١).

٧٧- التيسير على المُعسر:

• عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «كان رجلٌ يُداينُ الناسَ، فكان يقولُ لِفَتَاهُ: إذا أتيتَ مُعسرًا فتجاوز عنهُ، لعلَّ اللهَ يتجاوزَ عنَّا، فلقي الله فتجاوز عنه»(٢).

• عن أبي قتادة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سرَّه أن يُنجيهُ الله من كرب يوم القيامة، فَلْيُنَفِّسْ عَنْ مُعْسِرٍ، أَوْ يَضعْ عَنْهُ»(٣).

٧٨- حماية الأعراض بالمال:

• عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «ذبُّوا بأموالكم عن أعراضكم». قالوا: يا رسول الله، كيف نذبُّ بأموالنا عن أعراضنا؟ قال: «يُعطى الشاعر ومَن تخافون من لسانه»(٤).

□ كتب الحسنُ بن علي إلى الحسين ﵄ يعيبُ عليه إعطاءَ الشعراء.

---

(١) رواه أحمد، ومسلم، والدارمي.

(٢) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم (١٥٦٢)، والنسائي.

(٣) رواه مسلم (٣/ ١٩٦٩) (١٥٦٣).

(٤) صحيح: أخرجه السهمي في «تاريخ جرجان»، والجيلمي في «مسند الفردوس»، ورواه الخطيب في «تاريخه» عن أبي هريرة، وابن لال عن عائشة بلفظ «ذبُّوا عن أعراضكم بأموالكم». وصححه الألباني في «الصحيحة» (٤٠٨٦)، و«صحيح الجامع» (٣٤٢٦).

فقال الحسين رضي الله عنه: «إنَّ خيرَ المالِ ما وُقِي به العِرْضُ»(١).

٧٩- قضاء الدَّيْن عن المديون:

• عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أحبُّ الأعمال إلى الله ﷺ سرورٌ تُدخلُه على مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عنه كُربةً، أو تطردُ عنه جُوعًا، أو تقضِي عَنْهُ دَيْنًا»(٢).

٨٠- المحافظة على مال الأخ في غَيْبته:

• عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «المؤمن مرآة المؤمن، المؤمن أخو المؤمن، يكُفُّ عليه ضيعتَهُ، ويحوطُهُ من وَرَائِهِ»(٣).

٨١- الوقف للمسلمين:

• عن ابن عمر رضي الله عنهما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا رسول الله، إنَّ المئة سهم التي بخيبر، لم أصب مالًا قط هو أحب إليَّ منها، وقد أردت أن أتصدق بها، فقال النبي ﷺ: «احْبِسْ أصلَها، وسبِّل ثَمَرتَهَا»(٤).

□ الوقف: حَبْسُ العينِ على ملك الواقف، والتَّصَدُّق بالمنافع على الفقراء، مع بقاء العين(٥).

---

(١) «مداراة الناس» لابن أبي الدنيا (ص١١٣) رقم (١٣٩).

(٢) صحيح: رواه أبو الشيخ في «الثواب»، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٩٥٥).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) صحيح: رواه النسائي، وابن ماجه، وصححه الألباني في «إرواء الغليل» (١٥٨٣)، و«صحيح سنن ابن ماجه» (٢/٤٩) (١٩٤٢)، و«صحيح الجامع» (١٨١).

(٥) «أنيس الفقهاء» للقرنوي (ص١٩٧).

كتاب الطب

٨٢- الوقوف مع أصحاب البلايا:

• عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كُنْ مع صاحب البلاء؛ توضعًا لربِّكَ وإِيمانًا»(١).

٨٣- بَثُّ الأملِ في قلب المريض:

• عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبيُّ ﷺ إذا دخلَ على مريضٍ يعودُهُ، قال له: «لا بأسَ، طَهُورٌ إنْ شاءَ اللهُ تعالَى»(٢).

□ ويكون ذلك بتبشيره بالشفاء، وقُرب العافية، وإظهار تحسُّن حالته، وطيب صحته، وذكر بُرء من هم أشد منه مرضًا، وأوطأ منه سقمًا، وتذكيره بالأجور العظيمة لمن صبر على المرض»(٣).

٨٤- الدعاء للمريض:

• عن أنس بن مالك: قال رسول إن رسول الله ﷺ كان إذا دخلَ على مريضٍ، قال: «أذهِبِ البأسَ ربَّ الناس، واشفِ أنتَ الشافي، لا شَافي إلَّا أنتَ، اشفِ.شفاءً لا يُغادرُ سقمًا»(٤).

وورد بلفظ: «أذهِب البأس ربَّ النَّاس، اشف أنت الشافي، لا شفاء

---

(١) صحيح: أخرجه الطحاوي في الآثار، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٨٧٧).

(٢) رواه البخاري (٧/ ٧) (٥٦٥٧).

(٣) «بذل المعروف» (ص١٩٦).

(٤) رواه البخاري بهذا اللفظ (٧/ ٣١) (٥٧٤٢).

إلَّا شفاؤك، شفاءً لا يغادر سقمًا»(١).

• عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مُسلم يعُودُ مُسلمًا، فيقولُ سبعَ مرَّات: أسألُ اللهَ العظيمَ ربَّ العرش العظيمِ أن يشفيك، إلَّا شُفِيَ، إلَّا أن يكون قد حضرَ أجلُهُ»(٢).

• عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا جاء الرَّجُلُ يعُودُ مريضًا، فليقل: اللهمَّ اشفِ عبدَكَ ينكأ لكَ عدُوًّا، أو يمشي لك إلى جنازةٍ»(٣).

• وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا عاد أحدُكم مريضًا فليقل: اللهمَّ اشْفِ عبدك، ينكأُ لك عدوًّا، أو يمشي لك إلى الصلاة»(٤).

٨٥- ملاطفة المريض للتخفيف عنه:

• عن عائشة رضي الله عنها قالت في قصة الإفك: فقدمنا المدينةَ، فاشْتكَيْتُ بها شهرًا، يفيضون من قول أصحاب الإفك، ويريبني في وجعي أني لا أرى

---

(١) رواه أحمد، وأبو داود، وابن ماجه عن ابن مسعود، وأحمد، وابن ماجة عن عائشة. ورواه أحمد، والبخاري، ومسلم وابن حبان عن عائشة، وأحمد، وابن ماجة عن عائشة.

(٢) صحيح: رواه أبو داود في «سننه» وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٢٦٦٣).

(٣) حسن: رواه أبو داود في «سننه»، وحسَّنه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٢٦٦٤).

(٤) حسن: رواه الحاكم في «المستدرك»، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (١٣٦٥)، و«صحيح الجامع» (٦٨١).

من النبي ﷺ اللُّطْفَ الذي كنت أرى منه حين أمرض، إنما يدخل فيسلم، ثم يقول: «كيف تيكم؟»(١).

٨٦- عيادة المرضَى:

• عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا عادَ الرَّجلُ أخاهُ المسلمَ مشى في خرافةِ الجنَّةِ حتَّى يجلسَ، فإذا جلس غمرتْه الرحمةُ، فإن كان غُدوةً صلَّى عليه سبعون ألف ملكٍ حتى يُمسي، وإن كان عشيًّا صلَّى عليه سبعون ألفَ ملكٍ حتَّى يصبحَ»(٢).

• وقال رسول الله ﷺ: «من عادَ مريضًا، لم يزل في خُرْفةِ الجنة حتى يرجع»(٣).

• عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من عاد مريضًا خاضَ في الرحمة، حتى إذا قعد، استقرَّ فيها»(٤).

• عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عُودوا المرضى، واتَّبعوا الجنائزَ؛ تُذكِّرْكُمُ الآخرةَ»(٥).

---

(١) رواه البخاري (٣/ ٢١٢) (٢٦٦١).

(٢) صحيح: رواه أحمد، وأبو يعلى، والبيهقي في «سننه»، وأبو داود والحاكم، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٣٦٧)، و«صحيح الجامع» (٦٨٢)، و«صحيح سنن أبي داود» (٢/ ٥٩٨) (٢٦٥٥).

(٣) رواه مسلم عن ثوبان.

(٤) صحيح: أخرجه البزّار في «مسنده»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٤/ ٥٦٢) (١٩٢٩).

(٥) صحيح: رواه أحمد، وابن حبان، والبزار والبيهقي في «سننه»، وابن المبارك، والبخاري في «الأدب»، وأبو يعلى، والبغوي في «شرح السنة»، وصححه الألباني

• وعن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من يُسْلم يعودُ مسلمًا غُدْوةً، إلَّا صلَّى عليه سبعون ألف ملكٍ حتى يُمسِي، وإن عادهُ عشيّةً صلَّى عليه سبعون ألف ملكٍ حتى يصبحَ، وكان له خريف في الجنة»(١).

• عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: كنا جلوسًا مع رسول الله ﷺ إذ جاءهُ رجلٌ من الأنصار فسلَّم عليه، ثم أدبرَ الأنصاريُّ. فقال رسول الله ﷺ: «يا أخا الأنصار! كيف أخي سعدُ بن عبادة؟»، فقال: صالحٌ. فقال رسول الله ﷺ: «يعودُهُ منكم» فقام، وقمنا معه، ونحن بضعةَ عشرةَ، وما علينا نِعالٌ ولا خفافٌ، ولا قلانسٌ، ولا قمصٌ، نمشي في تل السِّباخ، حتَّى جئناهُ، فاستأخر قومُهُ مِن حوله حتَّى دنا رسولُ الله ﷺ وأصحابه الذين معَهُ(٢).

٨٧- صُنْعُ التَّلْبِينة للمريض:

• عن عائشة رضي الله عنها أنَّها كانت تأمر بالتلبين للمريضِ، وللمَحْزُونِ عَلَى الهالكِ، وكانَتْ تَقُولُ: إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقولُ: «إنَّ التَّلبينةَ تُجِمُّ فؤادَ المريضِ، وتَذْهِبُ ببعضِ الحُزنِ»(٣).

□ عن هشام عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تأمر بالتلبينة،

في «أحكام الجنائز» (٦٦- ٦٧)، و«الصحيحة» (١٩٨١)، و«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٤٩٧)، و«صحيح الجامع» (٤١٠٩).

(١) صحيح: رواه الترمذي، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٣٦٧)، و«صحيح الجامع» (٥٧٦٧).

(٢) «صحيح مسلم» (٢/ ٥٣١) (٩٢٥).

(٣) رواه البخاري في «صحيحه» (٧/ ١٨) (٥٦٨٩).

وتقول: هَوَ الْبَغيضُ النافِعُ[(١)].

* والتلبينة: حساء رقيق من دقيق ونخالة، وربما جُعِلَ فيها عسلٌ[(٢)].

• عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان ﷺ إذا أخذَ أهلَهُ الوعَكُ أمر بالحَساء فصُنِع، ثم أمرهم فَحَسَوْا، وكان يقولُ: «**إنهُ لَيرْتُوا فؤادَ الحزينِ، ويَسْرُو عن فؤادِ السَّقيم، كما تسرُوا إحداكُنَّ الوسَخ عن وجهها**»[(٣)].

٨٨- علاجُ المَرْضَى، ومُداواتهم:

• عن أسامة بن شريك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**تداوَوْا، فإن الله عز وجل لم يضع داءً إلَّا وَضَع له دواءً، غيرَ داءٍ واحدٍ: الهَرَم**»[(٤)].

• عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إن أخي استطلق بطنه. فقال رسول الله ﷺ: «**اسقِهِ عسلًا**» فسقاه. ثم جاءه فقال: إني سقيتُه فلم يزدْهُ إلَّا استطلاقًا. فقال له ثلاث مرات. ثم جاءه الرابعة فقال: «**اسقِهِ عسلًا**». فقال: لقد سقيته فلم يزده استطلاقًا. فقال رسول الله ﷺ: «**صدق الله، وكذب بطن أخيك**». فسقاه فبرأ[(٥)].

---

(١) «صحيح البخاري» (٧/ ١٨) (٥٦٩٠).

(٢) «الآداب الشرعية» لابن مفلح (٢/ ٣٦٣).

(٣) صحيح: رواه الترمذي، وابن ماجه، والحاكم في «المستدرك»، وابن عدي، وأبو نُعيم في «الحِلْية»، وصححه الألباني في «تخريج المشكاة» (٤٢٣٤)، و«صحيح جامع» (٤٦٤٦).

(٤) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم، وصححه في الألباني في «الروض النضير» (١٢)، و«غاية المرام» (٢٩٢)، و«صحيح الجامع» (٢٩٣٠).

(٥) رواه مسلم (٤/ ١٣٨٦) (٢٢١٧).

٨٩- علاجُ المسلم بالرُّقْيَة الشَّرْعِيَّة:

• عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: لدغت رجل منا عقربٌ، ونحن جلوس مع رسول الله ﷺ فقال رجل: يا رسول الله، أرقي؟ قال رسول الله ﷺ: «**مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ، فَلْيَنْفَعْهُ**»(١).

□ عن عائشة رضي الله عنها قالت: «أمرني الرسول -أو أمر- أن يُسترقى من العين»(٢).

• عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: إن النبي ﷺ رأى في بيتها جاريةً في وجهها سَفعة(٣)، فقال: «**استرقُوا لها، فإن بها النظرة**»(٤).

• عن عائشة رضي الله عنها قالت: إن رسول الله ﷺ دخل عليها وامرأة تعالجها، أو ترقيها، فقال ﷺ: «**عالجيها بكتابِ الله**»(٥).

□ وتكون الرُّقية بصريح الكتاب، وصحيح السنة، ويجبُ في ذلك البُعدُ عن الشرك وأسبابه، والبدع ومحدثاتها، والفتن وأسبابها.

٩٠- تحجيم الناس:

• عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه سُئِلَ عن أجر الحجَّامِ، فقال: احتجم رسول الله ﷺ، حجمه أبو طَيْبة، وأعطاه صاعين من طعام، وكلَّم مواليه

---

(١) رواه أحمد، ومسلم (٤/ ١٣٧٧) (٢١٩٩)، وابن ماجه.

(٢) رواه البخاري (٧/ ٣٠) (٥٧٣٨).

(٣) هو سواد في الوجه قاله إبراهيم الحربي.. انظر «فتح الباري» (١٠/ ٢٠٢).

(٤) رواه البخاري (٧/ ٣٠) (٥٧٣٩)، ومسلم.

(٥) صحيح: رواه ابن حبان في «صحيحه»، وصحّحه الألباني في «الصحيحة» (١٩٣١)، و«صحيح الجامع» (٣٩٦٩).

فخففُوا عنه، وقال: «إن أمثل ما تداويتم به الحجامة، والقسط البحري»[(١)].

• عن سلمى خادم رسول الله ﷺ قالت: ما كان أحدٌ يشتكي إلى رسول الله ﷺ وجعًا في رأسه، إلَّا قال: «احتَجِم»، ولا وجَعًا في رجليه، إلَّا قال: «اخضِبهُما»[(٢)].

٩١- مَنْعُ المريض مما يؤذيه ويضرُّه:

• عن أم المنذر بنت قيس الأنصارية ﵂ قالت: دخل عليَّ رسول الله ﷺ ومعه عليٌّ، وعليٌّ ناقِهٌ، قريبُ العهد بالمرض، ولم يستكمل صحته، ولنا دوالي -العذق من البسر الذي ينضج التراخي- معلقة، فقام رسول الله ﷺ يأكل منها، وقام عليٌّ يأكل؛ فطفق رسول الله ﷺ يقول لعليٍّ ﵁: «مه! إنك ناقِهٌ»، حتى كفَّ عليٌّ، قالت: وصنعت شعيرًا وسلقًا فجئت به، فقال رسول الله ﷺ: «يا عليُّ، أصب من هذا، فهو أنفع لك»[(٣)].

• عن قتادة بن النعمان ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أحبَّ الله عبدًا، حَمَاهُ الدنيا كما يظلُّ أحدُكُم يحمي سقيمَهُ الماء»[(٤)].

• وقال رسول الله ﷺ: «إن الله ليحمي عبدَه المؤمنَ من الدنيا، وهو

---

(١) رواه البخاري (٧/ ١٩) (٥٦٩٦).

(٢) صحيح: رواه أبو داود في «سننه»، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٢/ ٧٣٢) (٣٢٦٧).

(٣) صحيح: رواه أبو داود في «سننه»، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود (٢/ ٧٣) (٣٢٦٥).

(٤) صحيح: رواه الترمذي، والحاكم في «المستدرك»، والبيهقي في «شعب الإيمان»، وصححه الألباني في «تخريج المشكاة» (٥٢٥٠)، و«صحيح سنن الترمذي» (٢/ ٢٠١) (١٦٥٩)، و«صحيح الجامع» (٢٨٢).

يُحِبهُ، كما تحمُون مريضَكم الطعام والشراب تخافون عليه»[(١)].

٩٢- الاغتسال لِلْمَعْبُون إذا طَلَب:

• عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«العين حقٌّ، ولو كان شيءٌ سابقَ القدر، لسبَقَتْهُ العينُ، وإذا استُغْسِلْتُمْ فاغْسِلُوا»**[(٢)].

• عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف، أنه قال: اغتسل أبي -سهلُ بن حنيف رضي الله عنه بالخرَّار، فنزع جبَّة كانت عليه، وعامر بن ربيعة رضي الله عنه ينظرُ، قال: وكان سهل رجلًا أبيض حسن الجلد، قال: فقال عامر بن ربيعة: ما رأيتُ كاليوم ولا جلد عذراء، فوُعِكَ سهل مكانَهُ، فاشتدَّ وعكه، فأُتي رسول الله ﷺ فأُخبرَ أنَّ سهلًا وُعِكَ، وأنَّه غير رائح معك يا رسول الله، فأتاه رسول الله ﷺ فأخبره سهل بالذي كان من شأن عامر بن ربيعة، فقال رسولُ الله ﷺ: **«علامَ يقتلُ أحدكم أخاه؟! ألا برَّكت؟! إنَّ العين حقٌّ، توضأ له»**.

فتوضأ له عامر بن ربيعة، فراح سهلٌ مع رسول الله ﷺ ليسَ به بأس[(٣)].

---

(١) صحيح: رواه أحمد عن محمود بن لبيد، والحاكم في «المستدرك» عن أبي سعيد، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٨١٤).

(٢) رواه أحمد، ومسلم (٤/ ١٣٧٢) (٢١٨٨).

(٣) صحيح: رواه ابن حبان في «موارد الظمآن»، وعند النسائي، وابن ماجه «علام يقتل أحدكُم أخاه، إذا رأىٰ أحدكم من أخيه ما يعجبهُ فيَدْعُ له بالبركة» صححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٠٢٠)، و«صحيح موارد الظمآن» (١/ ٣٦٥) (٦٩٥).

٩٣- تحنيك المَوْلُود:

□ عن عائشة رضي الله عنها قالت: «إن رسول الله ﷺ كان يؤتى بالصبيان فيبرك عليهم ويحنِّكُهُمْ ويدعو لهم»(١).

٩٤- خَتْنُ الأولاد والبنات:

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «الفطرةُ خمسٌ: الختانُ، والاستحدادُ، وقصُّ الشاربِ، وتقليمُ الأظفارِ، ونتفُ الآبَاطِ»(٢).

• عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لأمِّ عطية: «إذا خَفَضْتِ فأشمِّي، ولا تُنْهِكِي، فإنَّهُ أسرى للوجه، وسأحْظَى للزَّوْجِ»(٣).

ومن ذلك الرؤيا لضعيف البصر، وإسماع الأبكم والأصم:

وقد مرَّ ذكره.

---

(١) رواه البخاري، ومسلم (٢١٤٧)، وأبو داود.

(٢) رواه البخاري (٧/ ٧٣) (٥٨٩١).

(٣) حسن: رواه الدولابي، والخطيب في «التاريخ»، والطبراني في «الأوسط» بلفظ: «وأحظى عند الزوج»، وحسَّنه الألباني في «الصحيحة» (٧٢٢)، و«صحيح الجامع» (٥٠٩).

كتاب الجنائز

٩٥- الجلوس عند المحتضَر لدلالته على الخير:

• عن أنس بن مالك ﷺ قال: كان غلامٌ يهودي يخدم النبي ﷺ فمَرِضَ، فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: «أَسْلِمْ»، فنظر إلى أبيه، وهو عنده، فقال له: أطع أبا القاسم؛ فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: «الحمد لله الذي أنقذه من النار»(١).

٩٦- تلقين المُحْتَضَر الشهادة:

• عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لَقِّنُوا موتاكم: لا إله إلَّا الله»(٢).

٩٧- تطهير ثياب المُحْتَضَر:

• عن أبي سعيد الخدري ﷺ أنه لَمَّا حضره الموت، دعا بثياب جُدُدٍ، فلبسها، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الميِّت يُبعثُ في ثيابِهِ التي يمُوتُ فيها»(٣).

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه» (١/ ٤١٢) (١٣٥٦).

(٢) رواه أحمد، ومسلم، والترمذي، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه عن أبي سعيد، ورواه مسلم وابن ماجه عن أبي هريرة، ورواه النسائي عن عائشة.

(٣) صحيح: رواه أبو داود، وابن حبان، والحاكم في «المستدرك»، والبيهقي في «سننه»، وصحَّحه الألباني في «الصحيحة» (١٦٧١)، و«صحيح سنن أبي داود» (٢/ ٦٠٢) (٢٦٧١)، و«صحيح الجامع» (٦٧٣٩).

٩٨- تغميضُ عَيْنِ الميت حَالَ موته:

• عن شداد بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا حضرتُم موتَاكُم، فأغمضوا البصر، فإنَّ البصر يتبع الرُّوح، وقولوا خيرًا، فإنَّ الملائكة تؤمِّنُ على ما قال أهلُ البيت»[١]. ومن السنة والدعاء للميت عند تغميض عينيه مثلما فعل رسول الله ﷺ مع أبي عند موته.

٩٩- تغسيلُ الميِّت وسَتْرُه:

• عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ غسَّلَ مَيِّتًا فستره، ستره الله من الذنوب، ومن كفَّنَهُ، كساه الله من السُّندس»[٢].

◻ «غُسْلًا مُوَافِقًا للسُّنَّةِ، مع ستر حاله؛ فلا يذكر ما رأى منه مما يعاب؛ كوصف بدنه، أو تغير لونه، ورائحته، أو ظهور ما تشمئز منه النفس، أو غير ذلك من أسرار الميت»[٣].

١٠٠- تبخيرُ بدن وكفن الميت بالطِّيب (تجميره):

• عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أجمرتُم الميِّتَ، فأجمروهُ ثلاثًا»[٤].

---

(١) حسن: رواه أحمد، وابن ماجه، والحاكم في «المستدرك»، وحسَّنه الألباني في «الصحيحة» (١٠٩٢)، و«صحيح الجامع» (٤٩٢)، و«صحح سنن ابن ماجه» (١/ ٢٤٥) (١١٩٠).

(٢) حسن: رواه الطبراني في «الكبير»، وابن بشران، وحسّنه الألباني في «الصحيحة» (٢٣٥٣)، و«صحيح الجامع» (٦٤٠٣).

(٣) «بذل المعروف» (ص٨٦).

(٤) صحيح: رواه أحمد في «مسنده»، والبيهقي في «سننه»، والضياء، وابن أبي شيبة، وابن حبان، والحاكم، وصححه الألباني في «أحكام الجنائز» (٦٤)، و«صحيح =

١٠١- الإحسانُ في تكفين الميت:

• عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: «إذا كَفَّنَ أحدُكم أخاه، فليُحْسِنْ كَفَنَهُ»[(١)].

• عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا ولي أَحَدُكُمْ أخاه فَلْيُحْسِنْ كفنه، فإنهم يُبْعَثُونَ في أكفانهم، ويتزاورون في أكفانهم»[(٢)].

□ والمراد بإحسان الكفن: نظافته، ونقاوته، وكثافته، وستره، وتوسطه، وكونه من جنس لباسه في الحياة -لا أفخر منه، ولا أحقر-، وليس المراد بإحسانه السَّرفَ والمغالاةَ، ونفاسته[(٣)].

• عن أبي رافع رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «.. ومن كفَّن ميِّتًا كساهُ اللهُ من سُندسٍ وإستَبرق في الجنَّة..»[(٤)].

• عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «خيرُ ثيابِكُم البياضُ، فكفِّنُوا فيها موتَاكُم، وألبِسُوها أحياءكم»[(٥)].

الجامع» (٢٧٨).

(١) رواه مسلم (٢/ ٥٤٢) (٩٤٣).

(٢) صحيح: رواه سمويه، والخطيب في «التاريخ»، والعقيلي في «الضعفاء»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٤٢٥)، و«صحيح الجامع» (٨٤٥). وهو عند مسلم بلفظ: «إذا وَلِيَ أحدكم أخاه، فليُحْسِن كفنه»، وكذا رواه أحمد والنسائي عن جابر، والترمذي، وابن ماجه عن أبي قتادة، والحاكم وابن الجارود

(٣) «تحفة الأحوذي» للمباركفوري (٤/ ٦٤).

(٤) صحيح: رواه الحاكم في «المستدرك»، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٣٤٩٢).

(٥) صحيح: رواه ابن ماجه، والطبراني في «الكبير»، والحاكم في «المستدرك»، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (١٢٠١)، و«صحيح الجامع» =

١٠٢- الاستغفار للميت عند موته والصلاة عليه الدعاء له في الصلاة:

• عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من رجل مسلم يموت، فيقوم على جنازته أربعونَ رجلًا -لا يشركون بالله شيئًا-، إلَّا شفَّعَهُمُ الله فيه**»[١].

□ ومن حق المسلم على أخيه: الصلاة عليه عند موته.

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا صلَّيتُم على الميِّتِ، فأَخْلِصُوا له الدُّعَاءَ**»[٢].

• عن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يصلي على ميت، فسمعت في دعائه، وهو يقول: «**اللهمَّ، اغْفِرْ لَهُ، وارحمْهُ، وعافه، واعفُ عنْهُ، وأَكْرِمْ نُزُلَهُ، ووسِّعْ مدخلَهُ، واغسلْهُ بالماءِ، والثَّلجِ، والبردِ، ونقِّه من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس، وأبدلْهُ دارًا خيرًا من داره، وأهلًا خيرًا من أهله، وزوجًا خيرًا من زوجه، وأدخله الجنة، ونجه من النار**»، أو قال: «**وأعذه من عذاب القبر**»[٣].

• عن أبي إبراهيم الأنصاري، عن أبيه رضي الله عنه: أنه سمع النبي ﷺ يقول في الصلاة على الميت: «**اللهمَّ، اغفر لحيِّنا وميِّتنا، وشاهِدِنا وغائبنا، وذكرِنا**

(٣٣٠٥).

(١) رواه أحمد، ومسلم (٩٤٨)، وأبو داود.

(٢) حسن: رواه أبو داود، وابن ماجه، وابن حبان في «صحيحه»، والبيهقي في «سننه»، وحسَّنه الألباني في «الإرواء» (٧٣٢)، و«أحكام الجنائز» (١٢٣)، و«صحيح سنن أبي داود» (٢٧٤٠)، و«صحيح الجامع» (٦٦٩).

(٣) صحيح: رواه النسائي في «سننه»، وصححه الألباني في «صحيح سنن النسائي» (١٨٧٥).

وأُنثانا، وصغيرنا وكبيرنا»[١].

• عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ على رجل من المسلمين، فسمعته، يقول: «اللهمَّ، إن فلان بن فلان، في ذمَّتك، وحبل جوارك، فقِهِ من فتنة القبر، وعذاب النار، وأنت أهلُ الوفاء والحمد، اللهمَّ فاغفر له، وارحمهُ إنَّك أنت الغفور الرَّحيم»[٢].

١٠٣- الدعاء لوَالِدَيْ السِّقْطِ:

• عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الراكبُ يسير خلف الجنازة، والماشي خلفها، وأمامها، وعن يمينها وعن يسارها قريبًا منها، والسِّقْطُ يُصلَّى عليه، ويُدْعَى لوالِدَيْه بالمغفرة والرحمة»[٣].

١٠٤- الصلاة على الغائب الذي لم يُصَلَّ عليه:

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: نعى لنا رسول الله ﷺ النجاشي صاحب الحبشة اليوم الذي مات فيه، فقال: «استغفروا لأخيكم».

• قال أبو هريرة رضي الله عنه إن النبي ﷺ صفَّ بهم بالمصلى، فكبر عليه أربعًا[٤].

---

(١) صحيح: رواه النسائي في «سننه»، وصححه الألباني في «صحيح سنن النسائي» (١٨٧٧).

(٢) صحيح: رواه أبو داود في «سننه»، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٢٧٤٢).

(٣) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، والحاكم في «المستدرك»، وصححه الألباني في «الإرواء» (٧١٦)، و«صحيح سنن أبي داود» (٢٧٢٣)، و«صحيح الجامع» (٣٥٢٥).

(٤) رواه البخاري في «صحيحه» (١/ ٤٠٤) (١٣٢٨).

• عن حذيفة بن أسيد ﷺ أن النبي ﷺ خرج بهم، فقال: «صلُّوا على أخٍ لكم ماتَ بغير أرضِكُم» قالوا: مَن هُو؟ قال: «النجاشيُّ»[(١)].

١٠٥- الصلاة على قبر مَن لم يُدْرِكِ الصلاةَ عليه بزمن قريب:

• عن ابن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ مرَّ بقبر قد دُفِنَ ليلًا، فقال: «متى دُفن هذا؟!». قالوا: البارحة، قال: «أفلا آذنتموني؟» قالوا: دفناه في ظلمة الليل، فكرهنا أن نوقظك، فقام فصفنا خلفه. قال ابن عباس ﷺ: وأنا فيهم فصلَّى عليه[(٢)].

□ عن ابن عباس ﷺ أن النبيَّ ﷺ صلَّى على ميِّتٍ بعد موته بثلاثٍ[(٣)].

١٠٦- الثناء على الميت بخير ما يعلم فيه:

• وعن عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أيُّما مسلم شهد له أربعةٌ بخير، أدخله الله الجنة». فقلنا.. ثلاثة؟ قال: «ثلاثة»، فقلنا: واثنان؟ قال: «واثنان». ثم لم نسأله عن الواحد»[(٤)].

• عن أنس بن مالك ﷺ قال: مرُّوا بجنازة، فأثنوا عليها خيرًا، فقال النبيُّ ﷺ: «وجَبَت» ثمَّ مَرُّوا بأُخرى، فأثنوا عليها شرًّا، فقال: «وجبت».

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجه في «سننه»، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (١/ ٢٥٦) (١٢٤٨).

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» (١/ ٤٠١) (١٣٢١).

(٣) صحيح: أخرجه الدارقطني في «سننه»، والبيهقي في «سننه»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣٠٣١).

(٤) رواه البخاري (١٣٦٨).

فقال عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه: ما وجبَت؟ قال: «هذا أثنيتُم عليه خيرًا، فوَجبَت لهُ الجنَّةُ، وهذا أثنيتُم عليه شرًّا فوجبت له النار؛ أنتم شُهداءُ الله في الأرض»[١].

١٠٧- اتِّباعُ جنازةِ المسلم:

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «حقُّ المسلم على المسلم ستٌّ». قيل: ما هن؟ يا رسول الله؟ قال: «إذا لقيتَه فسلِّم عليه، وإذا دعاك فأجبْهُ، وإذا استنصحك فانْصَحْ لَهُ، وإذا عطس فحمد الله فشمِّتْهُ، وإذا مَرِضَ فَعُدْهُ، وإذا مات فاتْبَعْهُ»[٢].

• وقال ﷺ: «حقُّ المسلم على المسلم خمسٌ: ردُّ السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس»[٣].

• عن البراء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن تبع جنازةً حتى يصلِّي عليها، كان له من الأجر قيراط، ومَن مشى مع الجنازة حتى تُدْفَنَ، كان له من الأجر قيراطان، والقيراطُ مثل أُحُدٍ»[٤].

• وعن أبيٍّ بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن تبع جنازةً حتى يُصَلَّى عليها، ويفرَغ منها، فله قيراطان، ومن تبعها حتى يصلَّى عليها، فله قيراط، والذي نفس محمد بيده، لهو أثقلُ في ميزانه من أُحُد»[٥].

---

(١) رواه البخاري (١٣٦٧).

(٢) رواه مسلم، والبخاري في «الأدب المفرد»، وأحمد في «مسنده».

(٣) رواه البخاري، ومسلم.

(٤) رواه أحمد، والنسائي عن البراء، ورواه أحمد، ومسلم، وابن ماجه، والطيالسي عن ثوبان.

(٥) صحيح: رواه أحمد، وابن ماجه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦١٣٥)، و«أحكام الجنائز» (ص٦٨).

١٠٨- حملُ الجنازة والإسراعُ بها:

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أسرعوا بالجنازة، فَإِنْ تَكُ صالحةً، فخيرٌ تقدمونها إليه، وإن تكن غير ذلك، فشرٌّ تضعونَهُ عَنْ رقابكم»(١).

□ عن عبد الرحمن بن يونس قال: «شهدتُ جنازةَ عبد الرحمن بن سمُرة، وخرج زيادٌ يمشي بين يدي السرير، فجعل رجلٌ من أهل عبد الرحمن ومواليهم يستقبلون السرير، ويمشُون على أعقابهم، ويقولون: رويدًا، بارك الله فيكم، فكانوا يدبُّون دبيبًا، حتى إذا كنا ببعض طريق فلحقنا أبو بكرة رضي الله عنه على بَغْلة، فلما رأى الذي يصنعون حمل عليهم ببغلته، وأهوى إليهم بالسوط، وقال: خلُّوا، فوالذي أكرم وجهَ أبي القاسم ﷺ لقد رأيتُنا مع رسول الله ﷺ وإنا لنكاد نرمَلُ بها رَمَلًا. فانبسط القوم»(٢).

١٠٩- الدعاءُ لأهل المقابر عند دخولها والمرور عليها:

• عن بُريدة رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ كان إذا أتى على المقابر قال: «السلام عليكم -أهلَ الدِّيَارِ من المؤمنين والمسلمين-، وإنَّا -إن شاء الله- بكم لاحقون، وأنتم لنا فَرَطٌ، ونحن لكم تَبَعٌ، أسألُ اللهَ العافيةَ لنا ولكم»(٣).

---

(١) رواه أحمد، والبخاري (١٣١٥)، و«أصحاب السنن الأربعة»، والبيهقي في «سننه».

(٢) صحيح: رواه النسائي في «سننه»، وصححه الألباني في «صحيح سنن النسائي» (٢/٤١٢) (١٨٠٤).

(٣) صحيح: رواه النسائي في «سننه»، وصححه الألباني في «صحيح سنن النسائي» (٢/٤٣٨) (١٩٢٨).

• عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ كلما كان ليلتُها من رسول الله ﷺ يخرجُ من آخر الليل إلى البقيع، فيقول: «السَّلامُ عليكم -دارَ قوم مؤمنين-، وأتاكم ما تُوعدون غدًا، مؤجَّلونَ، وإنا -إن شاءَ اللهُ- بكم لاحقون، اللهمَّ اغفر لأهل بقيع الغرقد»[١].

١١٠- حفر القبر للميت والإحسانُ فيه:

• عن أبي رافع رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من غَسَّلَ مسلمًا فكتم عليه، غَفر الله له أربعين مرةً، ومَن حفر له فأجنَّه، أُجرى عليه كأجر مسكنٍ أسكنه إياه إلى يوم القيامة، ومَن كفَّنَهُ كساه الله يوم القيامة من سُندس وإستبرق الجنة»[٢].

١١١- المشاركة في دفن الميت:

□ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ صلَّى على جنازة، ثم أتى قبر الميت، فحثى عليه من قِبَل رأسه ثلاثًا[٣].

• عن هشام بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «احفِروا وأوسِعُوا وأحسِنُوا»[٤].

---

(١) رواه مسلم في «صحيحه» (٢/ ٥٥٩) (٩٧٥).
(٢) صحيح: رواه ابن ماجه في «سننه»، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (١/ ٢٦١) (١٢٧١).
(٣) صحيح: أخرجه الحاكم في «المستدرك» والبيهقي.. انظر «أحكام الجنائز» للألباني (ص٥١) رقم (٣٠).
(٤) صحيح: رواه ابن ماجه في «سننه» واللفظ له، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (١/ ٢٦٠) (١٢٦٦).

وبلفظ: «احفروا، وأعمقوا، وأوْسِعوا»(١).

• واللحد أفضل، كما قال رسول الله ﷺ: «اللَّحْدُ لنا، والشِّقُّ لغيرنا»(٢).

١١٢- الدعاء للميت بعد الفراغ من دفنه.

• عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت، وقف وقال: «استغفروا لأخيكم، وَسَلُوا له بالتثبيت، فإنه الآن يُسأل»(٣).

١١٣- تَعْزِيةُ المُسْلِم:

• عن عمر بن حزم رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما مِن مُؤمنٍ يعزِّي أخاه بمُصيبة، إلَّا كساهُ الله -سبحانه- من حُلَلِ الكرامة يوم القيامة»(٤).

• عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ عَزَّى أخاه المؤمنَ في مصيبَتِه، كساه الله حلَّةً خضراءَ يُحبَرُ بها يوم القيامة»، قيل: يا رسول الله! ما يُحبر؟ قال: «يُغبط»(٥).

---

(١) صحيح: رواه أحمد، و«أصحاب السنن الأربعة»، والبيهقي في «سننه»، وصححه الألباني في «أحكام الجنائز» (١٤٢)، و«صحيح الجامع» (٢٠٢).

(٢) صحيح: رواه أصحاب السنن الأربعة، وصححه الألباني في «أحكام الجنائز» (١٤٤)، وطصحيح سنن ابن ماجه» (٢/ ١٢٦١)، و«صحيح الجامع» (٥٤٨٩).

(٣) صحيح: رواه أبو داود في «سننه»، والبيهقي في «سننه»، وعبد الله بن أحمد في «المسند»، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٢/ ٦٢٠) (٢٧٥٨)، و«صحيح الجامع» (٤٧٦٠).

(٤) صحيح: رواه ابن ماجه في «سننه»، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (١/ ٢٦٧) (١٣٠١).

(٥) حسن: أخرجه الخطيب في «تاريخه»، وابن عساكر في «تاريخ دمشق»، وقال =

١١٤- صُنْعُ التَّلْبِينة للمحزون:

• عن عروة رضي الله عنه عن عائشة رضي الله عنها أنَّها كانت إذا ماتَ الميِّتُ من أهلها، فاجتمعَ لذلك النِّساءُ، ثم تفرَّقنَ إلَّا أهلها وخاصَّتَها، أمرت ببرُمة من تلبينة، فطُبخت، ثمَّ صنع ثريدٌ، فصُبَّت التلبينةُ عليها، ثم قالت: كُلن منها، فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**التلبينةُ مُجِمَّةٌ**[١] **لفؤادِ المريضِ، تُذهِبُ بعضَ الحزنِ**»[٢].

١١٥- صُنْعُ الطعامِ لأهل الميت:

• عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اصنعوا لآل جعفر طعامًا، فَقَدْ أَتَاهُمْ مَا يَشْغَلُهُمْ**»[٣].

١١٦- صِلَةُ أهل وُدِّ الميِّتِ بعد موته:

• عن أبي بردة -رحمه الله تعالى- قال: قدمتُ المدينة، فأتاني عبدُ الله ابن عمر رضي الله عنهما فقال: أتدري لِمَ أتيتُكَ؟ قلت: لا، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من أحبَّ أن يصل أباهُ في قبره، فليصلْ إخوان أبيهِ بعدَهُ**»[٤]،

الألباني في «أحكام الجنائز» (ص١٦٣) رقم (١١١): وهو حديث حسن بمجموع الطريقيْن.

(١) أي: مُريحة لفؤاده. والتلبينة: حساءٌ يُعمَل من دقيق أو فخالة، وربما جُعِل فيها عسل.

(٢) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم (٢٢١٦).

(٣) حسن: رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه، والحاكم، وحسّنه الألباني في «أحكام الجنائز» (١٦٦)، و«صحيح سنن أبي داود» (٢/٦٠٦) (٢٦٨٦)، و«صحيح الجامع» (١٠١٥).

(٤) صحيح: رواه أبو يعلى، وابن حبان، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٤٣٢)، =

وإنه كان بين أبي عمر، وبين أبيك إخاءٌ ووُدٌّ، فأحببت أن أصل ذلك [(١)].

• وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ أَبَرَّ البرِّ أَنْ الرجلُ أهل ودِّ أبيه، بعد أن يُولي الأب**»[(٢)].

• عن عبد الله بن ينار رحمه الله عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان إذا خرج إلى مكة كان له حمارٌ يتروح عليه -إذا ملَّ ركوب الراحلة-، وعمامةٌ يشُدُّ بها رأسه، فبينا هو يومًا على ذلك الحمار، إذ مرَّ به أعرابيٌّ، فقال: ألستَ ابن فلان ابن فلان؟ قال: بلى. فأعطاه الحمار، وقال: اركب هذا، والعمامة، قال: اشدُدْ بها رأسك. فقال له بعض أصحابه: غفر الله لك! أعطيت هذا الأعرابيَّ حمارًا كنت تروحُ عليه، وعمامةً كنت تشدُّ بها رأسك؟ فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن من أبرِّ البرِّ: صِلَةَ الرجلِ أهلَ وُدِّ أبيه بعد أن يولِّي**» وإن كن صديقًا لعمر[(٣)].

١١٧- قضاءُ دين المُتوفَّي:

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**نفْسُ المؤمن معلَّقَةٌ بِدَيْنِهِ حَتَّى يُقضَى عَنْهُ**»[(٤)].

و«صحيح الجامع» (٥٩٦٠).

(١) صحيح: رواه الطبراني في «الأوسط»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٣٠٣)، و«صحيح الجامع» (٥٩٠١).

(٢) رواه أحمد، والبخاري في «الأدب»، ومسلم، وأبو داود والترمذي.

(٣) هو الحديث السابق.

(٤) صحيح: رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه، والحاكم في «المستدرك»، وصححه الألباني في «تخريج المشكاة» (٢٩١٥)، و«صحيح سنن الترمذي» (١/ ٣١٣) (٨٦١)، «صحيح الجامع» (٦٧٧٩).

• عن سعد بن الأطول رضي الله عنه قال: إن أخاه مات، وترك ثلاثمئة درهم، وترك عيالًا، قال فأردت أن أنفقها على عياله، فقال لي النبي ﷺ: «إن أخاك محبوسٌ بدينه، فاذهبْ فاقْضِ عنه»[١].

• عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: خطبنَا رسولُ الله ﷺ فقال: «ها هُنا أحدٌ من بني فلانٍ؟» فلم يجبهُ أحدٌ. ثمَّ قال: «ها هُنا أحدٌ من بني فلانٍ؟» فم يجبه أحدٌ، ثم قال: «ها هُنا أحدٌ من بني فلانٍ؟» فقامَ رجلٌ فقال: أنا يا رسول الله، فقال: «ما منَعكَ أن تُجيبني في المرتين الأولين؟ إنِّي لم أنوِّه بكم إلَّا خيرًا، إنَّ صاحبَكم حُبِسَ على بابِ الجنَّة بدينٍ كان عليه، فإن شئتُم فافدوهُ، وإن شئتُم فأسلِموهُ إلى عذابِ الله». فقال رجلٌ: عليَّ دينُه، فَقَضَاهُ[٢].

• عن جابر رضي الله عنهما قال: تُوفيِّ رجلٌ، فغَسَّلْنَاهُ وكفَّنَّاهُ وحنَّطناهُ، ثم أتينا به رسول الله ﷺ ليصلِّيَ عليه، فقلنا: تصلِّي عليه. فخطَا خُطوةً ثم قال: «أعليهِ دينٌ؟» قلنا: ديناران. فانصرف، فتحمَّلَها أبو قتادة رضي الله عنه فأتيناهُ، فقال أبو قتادة: الديناران عليَّ. فقال رسول الله ﷺ: «قد أوفى حقُّ الغريم، وبرئ منهُما الميِّت؟» قال: نعم. فصلَّى عليه، ثمَّ قال بعدَ ذلك بيوم: «ما فعل الدينارانِ؟» قلتُ: إنَّما ماتَ أمس. قال: فعاد إليه من الغدِ؛ فقال: قد

---

(١) صحيح: رواه أحمد، وابن ماجه، والبيهقي في «سننه»، وصححه الألباني في «أحكام الجنائز» (١٥)، و«صحيح الجامع» (١٥٥٠)، و«صحيح ابن ماجه» (١٩٧٣).

(٢) صحيح: رواه الحاكم في «المستدرك»، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٨١٠).

قضيتُهما، فقال رسول الله ﷺ: «الآن قد بَردت جلدتُهُ»(١).

□ عن الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «إنَّ أزهدَ الناس في عَالمٍ جيرانُه، وشرُّ الناس لميتٍ أهْلُه؛ يبكونَ عَلَيْهِ، ولا يقضُون دينه»(٢).

١١٨- أداء صيام النذر عن الميت:

• عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: إن امرأة أتت النبي ﷺ فقالت: إنَّ أُمِّي ماتت، وعليها صومُ شهر، فقال: «أرأيتِ لو كان عليها دينٌ، أكنتِ تقضينهُ؟» قالت: نعم. قال ﷺ: «فدينُ الله أحقُّ بالقضَاءِ»(٣).

• عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ: «من مات وعليه صيامٌ، صام عنهُ وليُّهُ»(٤).

١١٩- الحج والعمرة عن الميت، والصدقة عن الميت القريب والبعيد:

• عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: أحج عن أبي؟ قال: «نعم، حُجَّ عن أبيكَ، فإنَّك إن لم تزده خيرًا لم تَزِدهُ شرًّا»(٥).

• عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: إن رجلًا قال للنبي ﷺ: إن أمي افتُلتت نفسُها، وإني أظنها لو تكلمتْ تصدقت، فلي أجرٌ إن أتصدق عنها؟ قال:

---

(١) صحيح: رواه أحمد، والحاكم، والدارقطني، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٨١٢).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٥/ ٥٠).

(٣) رواه البخاري (٣/ ٢٦٢) (٢٧٦١).

(٤) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم (١١٤٨)، وأبو داود.

(٥) صحيح: رواه ابن ماجه في «سننه»، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (٢٣٤٨).

«نعم»[١].

• عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن سعد بن عبادة رضي الله عنه توفيت أُمُّه، وهو غائبٌ، فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إن أُمِّي تُوفيت، وأنا غائبٌ عنها، فهل ينفعُها شيءٌ إن تصدَّقتُ بها عنها؟ قال ﷺ: «نعم»، قال: فإني أُشهِدُك أنَّ حائطي المخراف صدقةٌ عليها[٢].

كتاب الأشربة

١٢١- سقاية الحاج:

• عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن رسول الله ﷺ جاء إلى السقاية، فاستسقى، فقال العباسُ: يا فضلُ، اذهب إلى أمِّك، فائتِ رسول الله ﷺ بشرابٍ من عندها. فقال: «اسقِني». قال: يا رسول الله، إنهم يجعلونَ أيديهم فيه. قال: «اسقِني». فشرب منهم. ثم أتى زمزم، وهم يستقون ويَعملون فيها، فقال: «اعملوا، فإنكم على عملٍ صالح»، ثمَّ قال ﷺ: «لولا أن تُغلَبوا، لنزلتُ حتى أضعَ الحبلَ على هَذِهِ»؛ يعني: عاتقه، وأشار إلى عاتقه[٣].

١٢٢- سَقْيُ الماء للظمآن:

• عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، عملني عملًا يُدخلُني الجنة، قال ﷺ: «إن كُنْتَ أقصرت

---

(١) رواه مسلم (٩٤٨).

(٢) رواه البخاري (٣/ ٢٦٢) (٢٧٦٢).

(٣) رواه البخاري (٢/ ٥٠٥) (١٦٣٥).

الخُطبة، لقد أعرضتَ المسألة؛ أعتق النسمة، وفكَّ الرقبة، فإن لم تُطِقْ، فأطعم الجائعَ، واسْقِ الظمآنَ، وأمر بالمعروف، وانْهَ عن المنكر، فإن لم تُطق ذلك، فَكُفَّ لِسَانَكَ إلَّا عَنْ خَيْرٍ»(١).

• عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ليس صدقةٌ أعظمَ أجرًا من ماء»(٢).

١٢٣- حَفرْ بئرٍ:

• عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ حفَرَ بئرَ ماءٍ لم يشرب منه كَبِدٌ حرَّى من جِنٍّ، ولا إنسٍ، ولا طائرٍ، إلَّا آجره اللهُ يوم القيامة، ومن بنى مسجدًا كمحص قطاةٍ، أو أَصغرَ بنى الله له بيتًا في الجنةِ»(٣).

١٢٤- إجراءُ نهرٍ أو ماءٍ سبيل:

• عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سَبعٌ يجري للعبد أجرُهنَّ، وهو في قبره بعدَ موته: مَنْ علَّم علمًا، أو أجرى نهرًا، أو حَفَرَ بئرًا، أو غرسَ نخلًا، أو بنى مسجدًا، أو ورَّثَ مُصحفًا، أو تركَ ولدًا يستغفرُ له بعدَ موتِه»(٤).

---

(١) رواه أحمد، وابن حبان، والبيهقي، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٨٥٣).

(٢) صحيح: رواه البيهقي، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١/ ٥٦٦) (٩٦٠).

(٣) صحيح: رواه ابن خزيمة في «صحيحه»، وصحَّحه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١/ ١١٠) (١٥٩٤).

(٤) حسن: رواه البزار، سمويه، وابن خزيمة في «صحيحه»، وحسَّنه الألباني في «صحيح الترغيب» (١/ ٣٦) (٧٤)، و«صحيح الجامع» (٣٦٠٢).

- مَنيحة اللِّقْحةِ من الإبل:

وقد مرَّت من قبل.

• وعنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا رجلٌ يمنحُ أهل أهل بيتٍ ناقةً، تغدو بعُسٍّ، وتروح بِعُسٍّ؟ إن أجرها لعظيم»(١).

والعُس هو: القدَح الكبير(٢).

١٢٥- إطعامُ الطعام:

※ قال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ۝٩﴾ [الإنسان].

• عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أطعِموا الجائعَ، وعُودوا المريضَ، وفكُّوا العاني(٣)»(٤).

• وقال ﷺ: «أطعموا الطعام، وأطيبوا الكلام»(٥).

• وقال ﷺ: «أطعِموا الطعام، وأفْشوا السلام، تُورَّثوا الجنان»(٦).

• عن جذيفة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ خُتِمَ له بإطعام

---

(١) رواه مسلم في «صحيحه» (٢/ ٥٨٥) (١٠١٩).

(٢) «شرح مسلم» للنووي (٧/ ١٠٦).

(٣) الأسير.

(٤) رواه البخاري (٧/ ٥) (٥٦٤٩).

(٥) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير» عن الحسين بن علي، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٤٦٥)، و«صحيح الجامع» (١٠٢٠).

(٦) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير» والضياء عن عبد الله بن الحارث، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٤٦٦)، و«الإرواء» (٧٧٧)، و«صحيح الجامع» (١٠٢٢).

مسكين محتسبًا على الله ﷻ دخلَ الجنةَ، ومَنْ خُتِمَ له بصوم يوم محتسبًا على الله ﷻ دخلَ الجنةَ، ومَنْ خُتِمَ له بقول: لا إله إلّا الله محتسبًا على الله ﷻ دخلَ الجنةَ»(١).

• عن هانيءٍ ﷺ أنه لما وفد على رسول الله ﷺ قال: يا رسول الله، أي شيءٍ يُوجب الجنة؟ قال ﷺ: «عليك بِحُسنِ الكلامِ، وبذلِ الطعام»(٢).

• عن صهيب ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خيارُكم من أطْعَمَ الطَّعَامَ»(٣).

• عن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أحبُّ الأعمال إلى الله ﷻ سرورٌ تُدخلُه على مسلم، أو تكشف عنه كُربةً، أو تطردُ عنه جوعًا، أو تقضي عنه دينًا»(٤).

• عن أبي هريرة ﷺ قال: إن رجلًا شكا إلى رسول الله ﷺ قسوةَ قلبِهِ، فقال له: «إن أردت تليينَ قلبِك، فأطعم المسكين، وامسَحْ رأسَ اليتيم»(٥).

(١) صحيح: رواه أبو نعيم في «أخبار أصبهان»، وأحمد في «المسند»، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٤/ ٢٠٠) (١٦٤٥).
(٢) أخرجه البخاري في «الأدب»، والحاكم في «المستدرك»، وابن حبان، وابن أبي الدنيا في «الصمت»، والخطيب والبخاري في «أفعال العباد» عن هانئ بن يزيد، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٩٣٩)، و«صحيح الجامع» (٤٠٤٩).
(٣) صحيح: رواه أحمد، والحاكم، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١/ ٥٦٤) (٩٤٨).
(٤) صحيح: سبق تخريجه.
(٥) حسن: رواه الطبراني في «مكارم الأخلاق»، والبيهقي في «شعب الإيمان» وأحمد عن أبي هريرة، وحسَّنه الألباني في «الصحيحة» (٨٤٥)، و«صحيح الجامع» (١٤١٠).

١٢٦- إطعام الجار:

• قال رسول الله ﷺ: «ما زال جبريل يُوصيني بالجار، حتى ظننت أنه سيورثُهُ».

• عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا طبختَ مرقةً، فأكثِرْ ماءَهَا، وتعاهَدْ جيرانَكَ»(١).

• وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يَحقرنَّ أحدُكم شيئًا من المعروف، وإن لم يَجد، فليَلْقَ أخاه بوجهٍ طليق، وإذا اشتريتَ لحمًا، أو طبختَ قِدرًا، فأكثر مرقته، واغرِفْ لجارك منه»(٢).

• وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا طبخت مرقًا، فأكثر ماءه، ثم انظر أهلَ بيتٍ من جيرانك، فأصِبْهم منها بمعروف»(٣).

• وقال ﷺ: «إذا طبخَ أحدكم قِدْرًا، فليُكثِرْ مرَقها، ثم لْيناولْ جاره»(٤).

• وقال ﷺ: «إذا طبخْتُم اللحم، فأكثروا المَرق، فإنه أوسعُ وابلغُ للجيران»(٥).

---

(١) رواه مسلم في «صحيحه» (٤/ ١٦٠٧) (٢٦٢٥).

(٢) صحيح: رواه الترمذي في «سننه»، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٢/ ١٦٤) (٤٩٦)، و«صحيح الجامع» (٧٦٣٤).

(٣) رواه مسلم (٤/ ١٦٠٧) (٢٦٢٥).

(٤) صحيح: رواه الطبراني في «الصغير» عن جابر، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٣٦٨).

(٥) صحيح: رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه»، وأحمد، وتمام، والبزار عن جابر، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٣٦٨)، و«صحيح الجامع» (٦٧٧).

١٢٧- إطعام الخادم من طعامك والإحسان إليه:

• عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إخوانكم خَوَلُكم، جعلهم اللهُ قُنيةً تحت أيديكمْ، فمَن كان أخوه تحت يدِه، فليطعمهُ مِن طعامِه، وليُلْبِسْه من لباسه، ولا يكلِّفه ما يغلبهُ، فإن كلَّفه ما يغلبه فليُعِنهُ»[(١)].

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أتى أحدَكم خادمُ أحدِكم بطعامه قد وَلِيَ حَرَّه، ومشقَّتَه، ودخانَه، ومؤونته، فلْيُجْلِسْهُ معه، فإن أبي فليناوله أكله في يده»[(٢)].

وفي رواية: «إذا أتى أحدَكم خادِمُهُ بطعامه، فقد كفاه علاجهُ ودخانُه، فليجلسهُ معهُ، فإنْ لم يجلِسه معه فليناوله أُكْلَةً أَوْ أُكلتيْن»[(٣)].

١٢٨- ومن علو الهمَّة في «بذل المعروف» إكرام الضيف وقراه:

• قال رسول الله ﷺ: «مَن كان يُؤمن بالله واليوم الآخر، فليُحْسِن إلى جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليُكرِم ضيفَه، ومَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقُل خيرًا أوْ لِيَسكُتْ»[(٤)].

• وعن أبي شريح رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن كان يُؤمن بالله واليوم الآخر، فليُكرِم ضيفه، جائزتهُ يومٌ وليلةٌ، والضِّيافةُ ثلاثة أيام، فما بعد ذلك فهو صدقةٌ، ولا يَحِلُّ له أن يَثْوِيَ عنده حتى يُحْرِجَهُ»[(٥)].

---

(١) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه.

(٢) رواه البخاري (٦/ ٥٦٢) (٥٤٦٠).

(٣) رواه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه.

(٤) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم، والنسائي، وابن ماجه عن أبي شريح وأبي هريرة.

(٥) أخرجه أحمد والبخاري (٦٠١٩) (٦١٣٥)، ومسلم (٤٨)، وأبو داود =

• وعن أبي شُريح الكَعْبي قال: قال رسول الله ﷺ: «جائزَتُهُ يومٌ وليلةٌ، والضِّيافةُ ثلاثة أيام، لا يَحِلُّ لأحَدٍ أن يُقيم عند أخيه حتى يُؤَثِّمَهُ». قيل: وكيف يؤثمه؟ قال: «يُقيم عندَه وليس عنده شيءٌ يَقرِيه»(١).

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كان يُؤمِن بالله واليوم الآخِرِ فليُكرم ضيفه»(٢).

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من كان يُؤمن بالله واليوم الآخر فليُحسن قِرى ضيفِه»(٣).

• عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ما في الناس مِثلُ رجلٍ آخِذٍ بعِنان فرسه، فيجاهدُ في سبيل الله، ويجتنبُ شرورَ الناس، ومِثلُ رجلٍ بادٍ في غنمه، يَقري الضيف، ويؤدي حقَّهُ»(٤).

• عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا خيرَ فيمَن لا يُضيِّفُ»(٥).

(٣٧٤٨)، والترمذي (١٩٦٨)، والنسائي، وابن ماجه (٣٦٧٥)، والحاكم في «المستدرك».

(١) المصدر السابق.

(٢) رواه البخاري (٦١٣٦)، ومسلم (٤٧)، وأحمد (٢/ ٢٦٧)، والترمذي (٤/ ٦٥٩). وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) صحيح: أخرجه إبراهيم الحربي في «إكرام الضيف» رقم (١١) (ص٢٥) وهو صحيح. وأخرجه أحمد (٢/ ١٧٤) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص. وفي سنده عند أحمد ابن لهيعة وهو ضعيف وقَرَىٰ الضيف: تَقريه قِرًىٰ وقراءً. والقِرىٰ بكسر القاف المعجم: ما قُرِي به الضيف.

(٤) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٢٥٩).

(٥) صحيح: أخرجه أحمد، والبيهقي في «شعب الإيمان»، والروياني، وصححه

• وعن أبي الأحوص، عن أبيه قال: أتيتُ النبي ﷺ فقلت: يا محمد، -ولم أكن أسلمتُ يومئذ-، أرأيت إن نزلتُ بِفِناءِ رجلٍ ولم يُقْرِني ولم يَر لمجيئي عليه حقًّا. ثم أضاقه الدهر، فنزل بي، أفأجزيه بالذي فَعَل أم أَقْرِه؟ قال: «**لا؛ بل أَقْرِه**»(١).

• عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**كان أوَّلَ من ضيَّف الضَّيفَ إبراهيمُ عليه السلام**»(٢).

• وعن عكرمة مولى ابن عباس رضي الله عنه قال: كان إبراهيم عليه السلام يُكنى «أبا الضِّيفان»، وكان لقصره أربعةُ أبواب لكيلا يفوته أحد»(٣).

• وعن عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه أنَّ أبا بكر تضيَّفَهُ رهط فقال لعبد الرحمن دونك أضيافك فإني منطَلِقٌ إلى النبي رضي الله عنه فافرغ من قِرَاهم قَبْل أنْ أجيء، فأتاهم بما كان عنده، فقال: اطعَمُوا، فقالوا: أينُ مُنزِلنا؟ قال: اطعَمُوا، قالوا: ما نحنُ بآكلين حتى يجيء منزلُنا. فقال: اقبلوا عنا قِراكُم؛ فإنه إن جاء ولم تطعموا، لنَلْقَيَنَّ منه، فأَبَوْا، فعرفت أنه سَيَجِدُ عليّ، فلما جاء تنحَّيْتُ فقال: ما صنعتُم بأضيافي؟ فَأخبروه، فقال: يا عبد الرحمن ثم

الألباني في «الصحيحة» (٢٤٣٤)، و«صحيح الجامع» (٧٤٩٢).

(١) صحيح: رواه أبو إسحاق إبراهيم الحربي في «إكرام الضيف» رقم (٥٠) (ص٣٢).

(٢) إسناده جيد: أخرجه ابن أبي عاصم في «كتاب الأوائل» (١٨)، والطبراني في «الأوائل» (١٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٦٦٥)، وابن أبي الدنيا في «قرىٰ الضيف»، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٧٢٥).

(٣) إسناده لا بأس به: انظر: «قرىٰ الضيف» لابن أبي الدنيا رقم (٧) (ص١٨).

قال: يا غنثر أقسمتُ عليك إنْ كنتَ تسمعُ صوتي إلَّا أجبتَ، فخرجتُ إليه، فقلتُ: سلْ أضيافك، فقالوا: صدقَ، قد أتانا به، فقال: إنما انتظرتموني، والله لا أطعمُ الليلة، فقال الآخرون: والله لا نطعمُ حتى تطعَمَه قال: لم أر في الشَّرِّ كالليلة قط، ويلكم ما لكم؟ ألا تقبلون عنا قِراكم؟ ثم قال: هات طعامَك، فجاء به، فوضَع يده وقال: بسم الله. الأول من الشيطان فأكلَ واكلُوا[١].

• وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: تضيَّف رجلٌ من المسلمين رَجُلًا من الأنصار، فغدا الأنصاري إلى رسول الله ﷺ وترك ضيفه إلى أهله، ورجع مشيًا، فقال لأهله: هل أطعمتم ضيفَنا؟ قيل له: انتظرناك، فقال: والله لا آكُلُه، وقالت المرأة: والله لَئن لم تأكله لا آكله، وقال الضيف: والله لئن لم تأكلوه لا آكله، قال: فلما رأيت ذلك ضربتُ بيدي فأكلتُ وأكلت المرأة وولدي وضيفي، ثم غدوتُ على رسول الله ﷺ فقلتُ: بَرُّوا وحنثتُ، فقال: أنت أبرُّهم وأخيرُهم»[٢].

□ ولله در القائل:

سَلِي الطارق المُعْتَرَّ يا أمَّ خالدٍ ... إذا ما رأتني بين ناري ومجزِري
سأبذلُ وجهي إنَّهُ أوَّلُ القِرَى ... وأبذلُ معروفي لهم دونَ مُنْكَري
وقد أشترى عرضي بما لي وما عسى ... أخوك إذا ما ضيَّع العرضَ يشتري
يؤدي على الليل فتى ماجد كريم ... وما لي سارحُ مال مقتري

(١) حسن: أخرجه إبراهيم الحربي في «إكرام الضيف» رقم (٨٨) (ص٤٨).
(٢) حسن: رواه إبراهيم الحربي في «إكرام الضيف» رقم (٨٤) (ص٤٦ ـ ٤٧).

□ وقال معاوية ﷺ: أتعب الناس أبو النجم الغفاري حيث يقول:

لقد علمتْ عرسي قتيلة أنني ... طويلٌ سنا ناري بعيدٌ خمودُها

أداخل ببيتي بالفلاة فلم أجدْ ... سوى مثبت الأوتاد شبَّ وقودُها

إذا لم تجد إلَّا الكريمة للقِرى ... فرِدْ نفسها إن المنايا تريدُها

وقال: أكرمُ أبيات العرب هذه[1].

شيخ عذري يغلب بالسخاء عبد الله بن جعفر وهو من هو سخاءً وكرمًا:

□ عن بُدَيْح مولى عبد الله بن جعفر قال: «خرجتُ مع عبد الله بن جعفر في بعض أسفاره فنزلنا إلى جانب خباءٍ من شَعْرٍ قال: وإذا صاحب الخباء رجلٌ من بني عُذره، قال: فبينا نحن كذلك، إذا نحن بأعرابي قد أقبل يسوق ناقةً حتى وقف علينا، ثم قال: أيْ قوم، أَبغُوني شفرة، فناولناه الشفرة، فوجأ في لَبَّتها، وقال: شأنكم، قال: وأقمنا اليوم الثاني، وإذا نحن بالشيخ العذري يسوق ناقةً أخرى، فقال: أيْ قوم، أبغوني شفرة، قال: فقلنا: إن عندنا من اللحم ما ترى قال: فقال: أبحضرتي تأكلون الغابَّ[2]؟ ناولوني شفرة، فناولناه الشفرة، فوجأ في لَبَّتها، ثم قال: شأنكم بها، وبقينا اليوم الثالث، فإذا نحن بالعذري يسوق ناقةً أخرى حتى وقف علينا، فقال: أي قوم، أبغُوني شفرة، قال: فقلنا: إنَّ معنا من اللحم ما ترى، قال: أَبحضرتي تأكلون الغابَّ؟ إني لأحسبكم قومًا لِئامًا، ناولوني الشفرة، فناولناه الشفرة، فوجأ في لَبَّتها، ثم قال: شأنكم بها، قال: وأخذنا

(١) «قري الضيف» (ص٣٢، ٣٣).
(٢) أي: البايت.

في الرحيل، فقال ابن جعفر لخازنه: ما معك؟ قال: رِزمةُ ثياب، وأربعُمئة دينار، قال: اذهب بها إلى الشيخ العذري، قال: فذهب بها، فإذا جاريةٌ في الخباء، فقال: يا هذه خذي هَدِيَّة ابن جعفر، قالت: إنا قومٌ لا نقبل على قِرًى أجرًا، قال: فجاء ابن جعفر فأخبره، فقال: عُدْ إليها فإن هي قَبلَتْ، وإلَّا فارم بها على باب الخيمة، فعاوَدَها، فقالت: اذهب عنا بارك الله فيك، فإنا قومٌ لا نقبل على قِرَانا أجرًا، فوالله لئن جاء شيخي فرآك هاهنا، لتلقيَّن منه أذى، قال: فرمى بالرِّزمة والصرَّة على باب الخباء، ثم ارتحلنا فما سِرْنا إلَّا قليلًا إذا نحن بشيء يرفعه السراب مرة ويضعه أخرى، فلما دنا منا إذا نحن بالشيخ العذري ومعه الصرَّة والرِّزمة، فرمى بذلك إلينا، ثم ولَّى مدبرًا، فجعلنا ننظر في قفاه هل يلتفت، فهيهات. قال: فكان ابن جعفر يقول: ما غلَبنا بالسخاء إلَّا الشيخ العذريُّ»[(١)].

مائدة عبد الأعلى عبد الله بن عبد الله بن عامر بن كريز:

□ «كانت مائدةُ عبد الأعلى عبد الله بن عبد الله بن عامر بن كريز كلَّ يوم خمسَ عشرة قفيزًا بما يُصلحها من اللحم والحلوى وغير ذلك، وكلما رُفِعت صَحفةٌ وُضِعت على دكان في الدار حتى فرغوا، فتح الباب، أدخل من كان من مسكين وغيره، فأكلوا، ولا يُرْفَع منه شيء»[(٢)].

ما لَهُ إلا قميص واحد، وصرحة داره مملوءة موائد!!!:

□ عن يزيدَ بن أبي حبيب قال: «مررتُ برجلٍ من السَّلَف جالسٌ على باب داره وصرحةُ داره مملوءة موائدَ عليها الناس يتغدَّون، فقلت له:

(١) «قري الضيف» (ص٢٣- ٢٤) رقم (١٥).
(٢) «قري الضيف» رقم (٢٩) (ص٣٣).

رهقتك الجمعة، قال: قميصي يجف، قلت: وما لك إلَّا قميصٌ واحد! قال يزيد: ما له إلَّا قميص، وصرحةُ دارِه مملوءةٌ موائد!!»(١).

أبو قفاص البُحمدي من كرماء العرب:

□ عن صالح الدهان قال: «دعانا أبو قفاص البُحمدي ومعنا جابرُ بن زيد، فلما وُضِعت الموائد، قال جابر: يا أبا قفاص قد عَظمُت عندك النِّعمة فاستقبلْ بشُكر، قال: فلمَّا فرغنا من الغداء، أمر أبو قفاص بمساكين الحي فنُصِبت لهم الموائد، فأُجلسوا عليها، وقام أبو قفاص وولدُه عليهم حتى فرغوا، فقال جابر بن زيد: بارك الله لك يا أبا قفاص فيما أنعم عليك، وزاد في إحسانه إليك، وجعلك الله فيما أنعم به عليك من الشاكرين»(٢).

□ عن أبي ذر رضي الله عنه قال: «أمرني خليلي ﷺ بسبع، أمرني بحب المساكين، والدنوِّ منهم، وأمرني أن أنظر إلى من هو دوني، ولا أنظر إلى مَن هو فوقي، وأمرني أن أصلَ الرحم وإن أدبرَتْ، وأمرني ألا أسألَ أحدًا شيئًا، وأمرني أن أقول بالحق، وإن كان مُرًّا، وأمرني ألا أخافَ في الله لومةَ لائم، وأمرني أن أُكثر من قول: لا حول ولا قوة إلَّا بالله؛ فإنهن من كنز تحت العرش، وفي رواية: «فإنها كنز من كنوز الجنة»(٣).

وأهل بيت النُّبُّوةِ سادة الناس في الكرم:

□ عن جويرية بن أسماء أن عبيد الله بن العبَّاس كان ينحرُ كُلَّ يوم جزورًا، فقال له عبد الله: تنحر في كل يوم جزورًا؟!، قال: وكثيرٌ ذاك يا

---

(١) المصدر السابق رقم (٣٢) (ص٣٤).
(٢) المصدر السابق رقم (٣٣) (ص٣٤- ٣٥).
(٣) صحيح: أخرجه أحمد في «مسنده»، وابن حبان في «صحيحه»، وصحَّحه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٥/ ٢٠٠) (٢١٦٦).

أخي! والله لأنحرَنَّ كلَّ يوم جزورَيْن»(١).

• عن جابر رضي الله عنه مرفوعًا: «**أحبُّ الطعام إلى الله: ما كثُرت عليه الأيدي**»(٢).

▫ قال ميمون بن مهران: «إذا نزل بك ضيفٌ فلا تكلَّفْ له ما لا تطيق، وأطعِمْه من طعام أهلك، والقَهُ بوجهٍ طلق، فإنك إن تكلف له ما لا تُطيق؛ أوشك أن تلقاه بوجهٍ يكرهه»(٣).

▫ وقالوا: «إنما تقاطَعَ الناسُ بالتكلُّف».

▫ وقال بكر بن عبد الله المزني: «إذا أتاك ضيفٌ، فلا تنتظر به ما ليس عندك، وتمنعه ما عندك، قدِّم إليه ما حضر، وانتظر به ما بعد ذلك ما تريد من إكرامه»(٤).

▫ وعن إسحاق بن إبراهيم قال: «دخلنا على كَهْمس العابد، فقدم إلينا إحدى عشرةَ بُسْرةً حمراء، وقال: هذا الجهد من أخيكم، والله المُسْتعان»(٥).

▫ ولله در القائل: «إن زكاةَ الرجل في داره: أن يجعل فيها بيتًا للضيافة».

---

(١) «قري الضيف» رقم (٤٥) (ص٤٠).

(٢) حسن: رواه أبو يعلىٰ في «مسنده»، وابن حبان في صحيحه، والبيهقي في «شعب الإيمان» وحسَّنه الألباني في «صحيح الجامع» (١٧١)، و«الصحيحة» رقم (٨٩٥).

(٣) «قري الضيف» رقم (٣٨) (ص٣٧).

(٤) المصدر السابق رقم (٦١).

(٥) المصدر السابق رقم (٥٨).

• وقال رسول الله ﷺ: «**لا تكلَّفُوا للضيف**»(١).

□ «ونهى عن التكلُّفِ للضيف»(٢)، وقال ﷺ: «**لا يَتكلفَنَّ أحدٌ لضيفه ما لا يقدِر عليه**»(٣).

• وقال رسول الله ﷺ: «**إذا أتاكم كريمُ قومٍ فأكرموه**»(٤).

• وقال ﷺ: «**أيُّما ضيفٍ نزل بقومٍ، فأصبح الضيف محرومًا، فله أن يأخذَ بقَدرِ قِرَاه، ولا حرج عليه**»(٥).

• وقال رسول الله ﷺ: «**ليلةُ الضيف حقٌّ على كُلِّ مسلم، فإِن أصبح**

---

(١) صحيح: رواه ابن عساكر عن سلمان، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٤٤١)، و«الصحيحة» (٢٣٩٢).

(٢) صحيح: رواه الحاكم في «المستدرك»، وابن عدي عن سلمان، وصحَّحه الألباني في «الصحيحة» (٢٣٩٢)، و«صحيح الجامع» (٦٨٧١).

(٣) حسن: رواه البيهقي في «شعب الإيمان» عن سلمان، وكذا رواه أبو نعيم، والخطيب في «تاريخه»، والديلمي، وحسَّنه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٦٠٨)، و«الصحيحة» (٢٤٤٠).

(٤) حسن: رواه ابن ماجه عن ابن مر، والبزار، وابن خزيمة، والطبراني في «الكبير»، وابن عدي، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن جرير، والبزار عن أبي هريرة، وابن عدي عن معاذ وأبي قتادة، والحاكم في «المستدرك» عن جابر، والطبراني في «الكبير» عن ابن عباس، وعن عبد الله بن ضَمُرَة، وابن عساكر عن أنس وعن عدي بن حاتم، والدولابي في «الكُنىٰ» وابن عساكر عن أبي راشد عبد الرحمن ابن عبد بلفظ: «شريف قومه»، وحسَّنه الألباني في «الصحيحة» (١٢٠٥)، و«صحيح الجامع» (٢٧٣٠).

(٥) صحيح: رواه الحاكم في «المستدرك» عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٦٤٠)، و«صحيح الجامع» (٢٧٣٠).

بفنائه فهو عليه دين، فإن شاء اقتضى، وإن شاء ترك»(١).

□ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «يُحشَر الناسُ يوم القيامة أعرى ما كانوا قط، وأجوع ما كانوا قط، فمن كسا لله؛ كساه الله، ومن أطعم لله؛ أطعمه، ومن سقى لله؛ سقاه، ومن عمل لله؛ أعفاه الله»(٢).

كتاب البِرِّ والصِّلَة

١٢٩- السَّعْي على الأرملة والمسكين:

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الساعي على الأرملة والمسكين، كالمجاهد في سبيل الله، أو كالَّذِي يَصُومُ النَّهَارَ، ويقُومُ اللَّيْلَ»(٣).

وفي رواية: «كالقائم لا يفتُرُ، وكالصائمِ لا يُفطِرُ»(٤).

وفي رواية: «أو القائم الليل الصائم النهار»(٥).

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٤/ ١٣٠)، وأبو داود (٣٧٥٠)، وابن ماجه (٣٦٧٧) عن أبي كريمة، وكذا رواه البخاري في «الأدب المفرد»، والطحاوي، وتمام وابن عساكر، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٢٠٤)، و«صحيح الجامع» (٤٥٧٠).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «قضاء الحوائج» رقم (٣٠) (ص٥٢)، ورجال إسناده ثقات إلا شيخ المصنف فإني لم أعرفه.

(٣) رواه البخاري (٦٠٠٦).

(٤) رواه البخاري (٦٠٠٧).

(٥) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه.

١٣٠- بناءُ بيتٍ لابن السبيل:

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علمًا نشره، وولدًا صالحًا تركه، أو مصحفًا ورَّثه، أو مسجدًا بناه، أو بيتًا لابن السبيل بناه، أو نهرًا أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته، وحياته، تلحقه من بعد موته»(١).

١٣١- السَّهَرُ على مصالح المسلمين:

▫ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «كانَ رسول الله ﷺ يسمَرُ مع أبي بكر في الأمر من أمر المسلمين، وأنا معهما»(٢).

▫ وعنه رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ لا يزال يسمَرُ عند أبي بكر رضي الله عنه الليلةَ في الأمر من أُمورِ المسلمين، وإنَّه سمرَ عنده ذات ليلة، وأنا معه»(٣).

١٣٢- قضاء حوائج المسلمين وتنفيس كُرُباتهم:

• قال رسول الله ﷺ: «أحبُّ العبادِ إلى الله أنفعُهم لعياله»(٤).

---

(١) حسن: رواه ابن ماجه، وحسَّنه الألباني في «الإرواء» (١٠٧٩)، و«أحكام الجنائز» (١٧٦)، و«تخريج المشكاة» (٢٥٤)، و«صحيح الجامع» (٢٢٣١)، و«صحيح سنن ابن ماجه» (١/ ٤٦) (١٩٨).

(٢) صحيح: رواه الترمذي في «سننه»، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (١/ ٥٥) (١٤٣).

(٣) صحيح: رواه ابن حبان في «موارد الظمآن»، وصحَّحه الألباني في «صحيح موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان» (١/ ١٨٢) (٢٣٣).

(٤) حسن: رواه عبد الله في «زوائد الزهد» عن الحسن مرسلاً، وحسَّنه الألباني في «صحيح الجامع» (١٧٢).

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ نفَّسَ عن مؤمنٍ كُربةً من كُربِ الدنيا، نفَّسَ الله عنه كربةً من كُربِ يوم القيامة، ومن يسَّرَ على معسِرٍ، يسَّرَ الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن سَتَرَ مسلمًا، ستَرَه الله في الدنيا والآخرة، واللهُ في عونِ الْعَبْدِ، ما كان العبدُ في عونِ أخيهِ، وَمَنْ سلك طريقًا يلتمسُ فيه علمًا، سهَّل الله له طريقًا إلى الجنة، وما اجتمعَ قومٌ في بيتٍ من بيوتِ الله، يَتْلُونَ كتابَ الله، ويتدارسونه بينهم، إلَّا نزلت عليهم السكينة، وغَشِيَتْهُمُ الرحمةُ، وحفَّتْهُمُ الملائكةُ، وذكرَهُمُ اللهُ فيمن عنده، ومَنْ أبْطأَ به عملُهُ، لم يسرع به نَسَبُهُ»(١).

□ وقيل لمعاوية بن عبد الله بن جعفر: «ما بلغ من كرم عبد الله بن جعفر؟ قال: كان ليس له مال دون الناس، هو والناس في ماله شركاء، من سأله شيئًا أعطاه، ومَن استمنحه شيئًا منحه إيَّاه، لا يرى أن يفتقر فيقتصر، ولا يرى أنه يحتاج فيدخر»(٢).

□ قال محمد بن واسع: «ما رددتُ أحدًا عن حاجة أقدرُ على قضائها، ولو كان فيها ذهاب مالي»(٣).

□ وعن أسماء بن خارجة قال: «ما شتمتُ أحدًا قط، ولا رددت سائلًا قط؛ لأنه إنما كان يسألني أحدُ رجليْن: إما كريمٌ أصابته خصاصة وحاجة، فأنا أحقُّ مَن سَدَّ من خلَّته وأعانه على حاجته».

وإمَّا لئيمٌ أَفدي عرضي منه، وإنما يشتمني أحد رجليْن: إمَّا كريمٌ

---

(١) رواه أحمد، ومسلم (٢٦٩٩)، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه.
(٢) «قضاء الحوائج» لابن أبي الدنيا رقم (٥٩) (ص٧٨).
(٣) «قضاء الحوائج» رقم (٦٧) (٨٢).

كانت منه زلَّة أو هفْوة، فأنا أحقُّ مَن غفرها، أو أخذ بالفضل عليه فيها، وإما لئيم، فلم أكن لأجعل عرضي إليه.

وقال:

إذا طارقاتُ الهَمِّ أَسْهرتِ الفتى ... وأعْمَلَ في الفِكْرِ والليل داجِرُ
وباكَرَني إذْ لم يكُنْ مَلْجَأً له ... سِوَايَ ولا مِنَ نَكْبَةِ الدَّهْرِ ناصِرُ
فَرَّجْت بما لي هَمَّهُ في مكانِهِ ... فزَايَلَهُ الهَمُّ الدَّخِيلُ المُخَامِرُ
فكان له مِني عليَّ بِظَنِّه ... بي الخير إني للذي ظن شاكرُ [(١)]

□ وكان مَسلمةُ بن عبد الملك إذا كثر عليه أصحاب الحوائج، وخاف أن يضجر، قال لآذنه: «ائذَنْ لجلسائي، فيأذن لهم، فيفتنُّ ويفتنُّون في محاسن الناس ومروءاتهم، فيطربُ لها ويهتاج عليها، ويصيبُه ما يصيب صاحب الشراب، فيقول لحاجبه: ائذن لأصحاب الحوائج، فلا يبقى أحدٌ إلَّا قُضِيت حاجته»[(٢)].

□ وقال طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي: «ما بات لرجل عليَّ موعود، فتململ في ليلةٍ ليغدو بالظَّفر بحاجته، أشدُّ من تململي بالخروج إليه من عدته تخوُّفًا من عارض عارض خلف، إن الخُلف ليس من خُلُق الكريم»[(٣)].

□ وقال أبو نصر العاملي: «كانَ يُقال: زكاة النعم: اتخاذ الصنائع والمعروف».

---

(١) «قضاء الحوائج» رقم (٦١، ٦٢) (ص٧٩- ٨٠).
(٢) المصدر السابق رقم (٦٣) (ص٨٠).
(٣) المصدر السابق رقم (٦٨) (ص٨٢- ٨٣).

ومما قالوا في الثناء على الكِرام الأجْوَاد:

□ قال ابن عائشة:

سأشكرُ عمرًا إن تراخت منيَّتي   فوائد لم تمنن وإن هي جلَّتِ
فتى غيرُ محجوب الغنى عن صديقه   ولا مظهر الشكوى إذا النَّعْلُ زَلَّتِ
رأى خُلَّتي مِن حيث يخفى مكانها   فكانت قذى عيْنيْه حتى تجلَّتِ [(١)]

□ ودخل زياد الأعجم على عبد الله بن عامر بن كُريز فأنشدَهُ:

أخٌ لكَ لا تَرَاهُ الدَّهْرَ إلَّا   على العِلَّات بَسَّامًا جَوَادا
أخٌ لك ما مَوَدَّتُهُ بِمَذْقٍ   إذا ما عادَ فقْرُ أخيهِ عادا
سألْنَاهُ الجزيلَ فما تَلَكَّأ   وأعْطى فوق مُنْيَتِنَا وزادا
وأَحْسَنَ ثم أحْسَنَ ثم عُدْنا   فأحسن ثم عُدْتُ له فعايا
مِرارًا لا أعودُ إليه إلَّا   تَبَسَّمَ ضاحِكًا وثَنَى الوِسَادَا [(٢)]

١٣٣- الإحسان إلى اليتيم وكفالته:

* قال تعالى: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ [النساء: ٣٦].

• عن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أتحبُّ أن يلينَ قلبُكَ، وتدرِكَ حاجتَكَ؟ ارحَم الْيَتِيمَ، وامسَحْ على رأسِهِ، وأطعِمْهُ من طعامِكَ، يَلِنْ قَلْبُكَ، وتُدْرِكْ حاجتَكَ»[(٣)].

---

(١) المصدر السابق (ص٩٧- ٩٨).
(٢) المصدر السابق (ص١٠٨- ١٠٩).
(٣) صحيح: أخرجه الطبراني في «الكبير»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٨٥٤)، =

•عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ ضَمَّ يتيمًا لَهُ، أو لغيره حتى يُغنيه الله عنه، وَجَبَتْ لَهُ الْـجَنَّةُ»(١).

•عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا وكافلُ اليتيم في الجنَّةِ هكذا، وأشار بالسبابة والوسطى، وفرَّجَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا»(٢).

• عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رجلًا شكا إلى رسول الله ﷺ قسوةَ قلبِهِ، قال: «امسح رأسَ الْيَتِيمِ، وَأَطْعِمِ الْـمِسْكِينَ»(٣).

• وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهمَّ، إنِّي أُحرِّجُ حقَّ الضعيفين: اليتيمِ، والمرأةِ»(٤).

•وقال ﷺ: «أنا وكافلُ اليتيم -له أو لغيره- في الجنة، والساعي على الأرملة والمسكين، كالمجاهدِ في سبيل الله»(٥).

•عن زُرارة بن أوفى رَحِمَهُ اللهُ عن رجل من قومه يقال له: مالكٌ -أو ابن مالك رضي الله عنه سمع النبي ﷺ يقول: «مَنْ ضمَّ يتيمًا بين مسلمين في طعامه

و«صحيح الجامع» (٨٠).

(١) صحيح: أخرجه الطبراني في «الأوسط»، وصححه الألباني في «سلسلة الصحيحة» (٢٨٨٢).

(٢) رواه أحمد، والبخاري (٥٣٠٤)، وأبو داود، والترمذي.

(٣) صحيح: رواه أحمد، وصححه المنذري، وكذا الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٥٤٥).

(٤) صحيح: أخرجه ابن ماجه في «سننه»، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (٢/٢٩٨) (٢٩٦٧).

(٥) صحيح: رواه الطبراني في «الأوسط» عن عائشة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٤٧٦).

وشرابه حتى يستغني عنه، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَمَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا ثُمَّ لَمْ يبرهما، دَخَلَ النَّارَ، فأبعده الله، وأيما مسلمٍ أعتق رقبة مسلمةً كانَتْ فكَاكَهُ مِنَ النَّارِ»(١).

□ «ويكون ذلك ببذل المال والعناية، والتربية، والرعاية، والتوجيه، والحماية، وباللمسة الحانية، والبسمة الصافية، والكلمة الرقيقة، والنصيحة الصادقة، والقيام بالمصالح، والقضاء للحوائج، والحنان بمن فقد الحنانَ، والرعاية لمن حُرم الأمان»(٢).

١٣٤- محبة الفقراء الصالحين، والتودُّدُ إليهم والدنوُّ منهم وتقديرهم:

* قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف].

• عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّما يَنصُرُ الله هذه الأمَّةَ بِضَعيفِهَا، بدَعوتِهِم، وصلاتِهِمْ، وإخلاصِهِم»(٣).

• عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ابغُوني الضَّعيفَ، فإنَّكُم إنما تُرزقُون، وتُنصَرُون بضُعفائكُم»(٤).

---

(١) صحيح: رواه أبو يعلى، والطبراني، وأحمد، وصححه المنذري، والألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢/ ٦٧٦) (٢٥٤٣).

(٢) «بذل المعروف» (ص٢٧٧- ٢٧٨).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) رواه أحمد، ومسلم، وابن حبان، والبخاري في «الأدب»، والحاكم وكذا رواه أبو داود والنسائي.

• عن سهل بن سعد ﷺ قال: مَرَّ رجلٌ على رسول الله ﷺ فقال: «ما تقولون في هذا؟» قالوا: حريٌّ إن خطَبَ أن يُنكَحَ، وإن شَفعَ أن يُشفَّعَ، وإن قال أن يُستمعَ، قال: ثمَّ سكتَ، فمرَّ رجلٌ مِن فقراءِ المسلمينَ، فقال ﷺ: «ما تقولون في هذا؟» قالوا: حَريٌّ إن خَطَبَ أن لا يُنكَحَ، وإن شَفَعَ لا يُشفَّعَ، وإن قال أن لا يُستمعَ، فقال رسول الله ﷺ: «هذا خيرٌ من مِلْءِ الأرضِ مثل هذا»[1].

□ عن سهل بن حنيف ﷺ قال: «كان رسول الله ﷺ يأتي ضُعفاءَ المُسلمينَ، ويزورُهم، ويعودُ مَرضاهم، ويشهدُ جنائزَهم»[2].

١٣٥- الإحسان إلى الجار:

* قال تعالى: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ [النساء: ٣٦].

• عن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما زال جبريلُ يوصيني بالجارِ حتَّى ظننتُ أنَّه سيُورِّثُهُ»[3].

• عن عائشة ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: «إنه من أُعطي حظَّه من الرفق، فقد أعطي من خير الدنيا والآخرة، وصلةُ الرَّحم، وحُسنُ الخُلقِ،

---

(١) رواه البخاري (٥٠٩١).

(٢) صحيح: رواه الحاكم في «المستدرك»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢١١٢).

(٣) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم، وأبو داود والترمذي عن ابن عمر، ورواه أحمد، والبخاري، ومسلم، وأبو داود والترمذي، وابن ماجه عن عائشة.

وحُسنُ الجوارِ، يعمِّرن الدِّيار، ويَزيَدانَ في الأعمارِ»(١).

• عن أبي شُريح العدَوي رضي الله عنه قال: سمعت أُذناي، وأبصرت عينايَ حين تكلَّم النبي ﷺ فقال: «من كان يؤمنُ بالله واليومِ الآخرِ، فليكرِمْ جارَهُ»(٢).

• عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «خيرُ الأصحاب عند الله خيرُهُمْ لصاحِبِهِ، وخيرُ الجيرانِ عندَ الله خيرُهُم لجارِهِ»(٣).

◻ قال الحسن البصري: «ليس حُسنُ الجوار كفُّ الأذَى عن الجار، ولكن حسن الجوار: الصبر على الأذى من الجار»(٤).

◻ باع أبو الجهم العدويُّ دارَه بمئة ألف درهم، ثم قال: «فبكم تشترون جوار سعيد ابن العاص؟ قالوا: وهل يُشترى جوارٌ قط؟! قال: ردُّوا عليَّ داري، ثُمَّ خذوا مالكم، لا أدع جوار رجلٍ؛ إن قعدت، سأل عني، وإن رآني، رحَّب بي، وإن غبتُ، حفظني، وإن شهدت، قرَّبني، وإن سألته، قضى حاجتي، وإن لم أسأله، بدأني، وإن نابتني جائحةٌ، فرَّج عني.

فبلغ ذلك سعيد بن العاص، فبعث إليه بمئة ألف درهم»(٥).

---

(١) صحيح: رواه أحمد في «المسند»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢/ ٣٤) (٥١٩).

(٢) رواه البخاري (٧/ ١٠٤) (٦٠١٩).

(٣) صحيح: رواه أحمد، والترمذي والحاكم في «المستدرك»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٠٣)، و«صحيح سنن الترمذي» (١٥٨٧)، و«صحيح الجامع» (٣٢٧٠).

(٤) «تنبيه الغافلين» (١/ ١٥٣).

(٥) «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٢/ ٥٣٥).

١٣٦- إكرام آل بيت النبي ﷺ والإحسان إليه، والتقرّب إلى الله بحبِّهم ومودَّتهم والأدب معهم:

• عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أُذكِّرُكُمُ اللهَ في أهل بيتي، أُذكِّرُكُمُ اللهَ في أهل بيتي، أُذكِّرُكُمُ اللهَ في أهل بيتي»(١).

• وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنِّي تارك فيكم ما تمسَّكتُم به لن تضلوا بعدي؛ أحدُهما أعظمُ من الآخر: كتابُ الله حبلٌ ممدودٌ من السماء إلى الأرض، وعترتي أهلُ بيتي، ولن يتفرَّقا حتَّى يردَا عليَّ الحوضَ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»(٢).

١٣٧- الإحسانُ إلى من أساءَ إليك:

* قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [النور].

* قال تعالى: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ﴾ [يوسف: ٩٢].

• عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلًا قال: يا رسول الله، إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إليَّ، وأحلم عنهم ويجهلون عليَّ. فقال ﷺ: «لئن كنتَ كما قلتَ، فكأنما تُسِفُّهُمُ المَلَّ، ولا يزال معك من الله ظهيرٌ عليهم ما دُمْتَ على ذلك»(٣).

(١) رواه مسلم (٤/ ١٤٩٢) (٢٤٠٨).

(٢) صحيح: رواه الترمذي، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٢٩٨٠)، و«تخريج المشكاة» (٦١٤٤)، و«صحيح الجامع» (٢٤٥٨).

(٣) رواه مسلم في «صحيحه» (٤/ ١٥٧٤) (٢٥٥٨).

• عن عبد الله بن أبي بكر عن رجل من العرب، قال: زحمتُ رسول الله ﷺ يقوم حنين، وفي رجلي نعلٌ كثيفة، فوطئتُ على رجل رسول الله ﷺ فنفحني نفحةً بسوط في يده، وقال: «بسم الله، أوجعتني».

قال: فبتُّ لنفسي لائمًا أقول: أوجعتِ رسول الله! فبت بليلةٍ كما يعلم الله، فلما أصبحنا إذا رجلٌ يقول: أين فلان؟ قال: قلت: هذا والله، الذي كان مني بالأمس. قال: فانطلقت وأنا متخوفٌ، فقال لي رسول الله ﷺ: «إنكَ وطئتَ بنعلكَ على رجلي بالأمس فأوجعتني، فنفحتك بالسَّوطِ، فهذه ثمانون نعجةً، فُخذها بها»(١).

١٣٨-١٣٩- أخذ الحق للضعيف من القويِّ، وإثبات حق المسلم:

• عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله -تعالى-: لا يُقدِّسُ أمةً لا يُعطون الضعيفَ منهم حقَّهُ»(٢).

• عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «أَمَرَنَا رسول الله ﷺ بسبعٍ: بعيادةِ المريضِ، واتِّبَاعِ الجنائزِ، وتشميتِ العاطسِ، ونصرِ الضَّعيفِ، وعونِ المظلومِ، وإفشاءِ السَّلامِ، وإبرارِ المُقْسِمِ»(٣).

• عن معاوية رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تُقدَّسُ أُمَّةٌ لا يُقضى فيها بالحق، ولا يأخذ الضعيف حقَّهُ من القوي غير مُتتَعٍ»(٤).

(١) صحيح: أخرجه الدارمي في «سننه»، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٣٠٤٣).

(٢) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير» وصححه الألباني في «تخريج المشكاة» (٣٠٠٤)، و«صحيح الجامع» (١٨٥٨).

(٣) رواه البخاري في «صحيحه» (٧/ ١٦٦) (٦٢٣٥).

(٤) صحيح: رواه الطبراني، والبزار، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب =

• عن ابن عمر رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال: «ومَن مشى مع مظلومٍ حتى يُثبتَ له حقَّه، ثَبَّتَ الله قدميه على الصراط يومَ تزولُ الأقدامُ»[(١)].

١٤٠- نُصْرَةُ الظالم على نفسه:

* قال تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر].

• عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**انْصُرْ أخاك ظالمًا أو مظلومًا**» قيل: كيف أنصره ظالمًا؟ قال: «**تحجزُهُ عن الظُّلمِ، فإنَّ ذلك نَصْرُهُ**»[(٢)].

□ «وينصره على نفسه بتخويفه بالله، ومنعه من الظلم، وتحذيره من الإثم، وتوضيح عاقبة الجُرْم»[(٣)].

١٤١- نُصْرَةُ المسلم بظهر الغيب:

• عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ نَصَرَ أخاهُ بظهرِ الغيب، نصرَهُ الله في الدنيا والآخرةِ**»[(٤)].

• عن جابر وأبي طلحة الأنصاري رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «**ما من امرئٍ يخذُلُ مسلمًا في موطن يُنقصُ فيه من عِرضه، ويُنتهكُ فيه من**

والترهيب» (٢/ ٥٢٢) (٢١٩١).

(١) صحيح: رواه ابن أبي الدنيا، الأصبهاني، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٦١٤).

(٢) رواه أحمد، والبخاري (٦٩٥٢)، والترمذي.

(٣) «بذل المعروف» (ص٢٩٥).

(٤) حسن: رواه البيهقي في «سننه»، والضياء في «المختارة» والدينوري في «المجالسة»، وحسّنه الألباني في «الصحيحة» (١٢١٧)، و«صحيح الجامع» (٦٥٧٤).

حُرمتِه، إلَّا خذلَهُ الله تعالى في موطن يحبُّ فيه نصرته، وما من أحدٍ ينصُرُ مسلمًا في موطن يُنتقصُ فيه من عِرضهِ، تنتهكُ فيه من حُرمتهِ، إلَّا نصره الله في موطنٍ يحبُّ فيه نُصرتَهُ»(١).

• عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: أمرنا النبي ﷺ بسبع، ونهانا عن سبعٍ فذكر: «عيادةَ المريضِ، واتِّباع الجنائز، وتشميت العاطِسِ، وردَّ السلامِ، ونصرَ المظلومِ، وإجابةَ الداعي، وإبرارَ المقْسِمِ»(٢).

١٤٢- نجدةُ الملهوفِ وإغاثته:

• عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «على كل مسلم صدقة» قيل: أرأيت إن لم يجد؟ قال ﷺ: «يعتملُ بيده فينفعُ نفسه، ويتصدق»، قيل: أرأيت إن لم يستطع؟ قال ﷺ: «يُعينُ ذا الحاجةِ الملهوف» قيل: أرأيت إن لم يستطع؟ قال ﷺ: «يأمرُ بالمعروف أو الخير» قال: أرأيت إن لم يفعل؟ قال: «يُمسِكُ عن الشرِّ؛ فإنها صدقةٌ»(٣).

• عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ: «إياكُم والجلوسَ بالطرقات» قالوا: يا رسول الله، ما بُدَّ لنا من مجالسنا نتحدثُ فيها، فقال رسول الله ﷺ: «إن أبيتُم، فأعطوا الطريق حقَّه». قالوا: وما حقُّ الطريق يا رسول الله؟ قال: «غضُّ البصرِ، وكفُّ الأذى، وردُّ السَّلام، والأمرُ

---

(١) حسن: رواه أحمد، وأبو داود ورواه الطبراني في «الأوسط» عن جابر وأبي أيوب الأنصاري، وحسَّنه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٦٩٠)، و«تخريج المشكاة» (٤٩٨٣).

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود في «سننه»، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٣/ ٩٢٩) (٤١١٠).

(٣) رواه أحمد، والبخاري (١٤٤٥) ومسلم، والنسائي.

بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإرشاد السبيل، وتُغيثُوا الملهُوفَ، وتُهدُوا الضَّالَّ»(١).

١٤٣- كَفُّ الأذى عن الناس:

• قال رسول الله ﷺ: «إياكم والجلوسَ على الطُّرُقاتِ، فإنْ أبيتُم إلَّا المجالس، فأعطُوا الطريق حقَّها؛ غضَّ البصر، وكَفَّ الأذى، ورَدَّ السلام، والأمرَ بالمعروف، والنهي عن المنكر»(٢).

١٤٤- الذبُّ عن عِرْض المسلم:

* قال تعالى: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾﴾ [النور].

• عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ ذَبَّ عن عِرضِ أخيهِ بالغيبة، كان حقًّا على الله أن يعتقه من النَّارِ»(٣).

• عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من ردَّ عن عِرض أخيه، كان له حجابًا من النارِ»(٤).

• وعنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَنْ ذَبَّ عن عِرضِ أخيه، ردَّ الله عنه

---

(١) صحيح: رواه أبو داود في «سننه»، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٣/ ٩١٤) (٤٠٣٢).

(٢) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم، وأبو داود عن أبي سعيد.

(٣) صحيح: رواه أحمد، والطبراني في «الكبير»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٢٤٠).

(٤) صحيح: رواه البيهقي في «السنن»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٢٦٣).

عذاب النار يوم القيامةِ»[١].

□ ويذب عنه بذكر محاسنه، وستر مثاليه، والتبرير لهفواته، واختلاق المعاذير له، والدفاع عنه مما يذكر فيه، ويعاب عليه، وينتقص لأجله[٢].

١٤٥- قولُ الحقِّ وإنْ كان مُرًّا:

• عن طارق بن شهاب رضي الله عنه أن رجلًا سأل النبي ﷺ وقد وضع رجله في الغَرز: أي الجهاد أفضل؟ قال: «**كلمةُ حقٍّ عند سُلطانٍ جائرٍ**»[٣].

• عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أوصني. قال: «**أُوصيك بتقوى الله؛ فإنها زينٌ لأمرك كله**» قلت: يا رسول الله، زدني. قال: «**عليك بتلاوة القرآن وذِكر الله عز وجل؛ فإنه ذكرٌ لك في السماءِ، ونورٌ لك في الأرض**»، قلتُ: يا رسول الله، زدني. قال: «**وإياك وكثرةَ الضحكِ، فإنه يميتُ القلبَ ويُذهِبُ بنورِ الوجه**»، قلتُ: زدني. قال: «**قل الحق وإن كان مرًّا**». قلتُ: زدني. قال: «**لا تخفْ في الله لومةَ لائم**»[٤].

• وعنه رضي الله عنه قال: أوصاني خليلي ﷺ بخصالٍ من الخير: «أوصاني ألا أخافَ في الله لومةَ لائمٍ، وأوصاني أن أقولَ الحقَّ وإن كان مُرًّا»[٥].

• عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: لما ضممت إليَّ سلاح رسول الله

---

(١) صحيح: رواه ابن أبي الدنيا، وأبو الشيخ في «كتاب التوبيخ»، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣/ ٨٢) (٢٨٤٨).

(٢) «بذل المعروف» (٢٦٧).

(٣) سبق تخريجه.. انظر «صحيح سنن النسائي» (٣٩٢٥).

(٤) صحيح: رواه البزار في «مسنده»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣٢٩٥).

(٥) صحيح: رواه أحمد، والطبراني، وابن حبّان، والحاكم، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣/ ٩٢) (٢٨٦٨).

ﷺ وجدت في قائم سيف رسول الله ﷺ رقعة فيها: «**صِل من قطعك، وأحسن إلى من أساءَ إليك، وقلِ الحقَّ ولو على نفسك**»(١).

١٤٦- عدم الانتصار للنَّفْس:

• عن سعيد بن المسيب -رحمه الله تعالى- وقد ورد موصولًا من حديث أبي هريرة ﷺ قال: بينما رسول الله ﷺ جالس ومعه أصحابه، وقع رجل بأبي بكر، فآذاه، فقام رسول الله ﷺ حين انتصر أبو بكر، فقال أبو بكر: أوجدتَ عليَّ يا رسول الله؟ قال رسول الله ﷺ: «**نزلَ ملكٌ من السماء يكذِّبُهُ بما قال لك، فلما انتصرت وقع الشيطان، فلم أكُن لأجلس، إذ وقع الشيطان**»(٢).

ومرَّ عمر بن العزيز برجل نائم، فعثر به، فرفع رأسه، وقال: «أمجنون أنت؟ فقال عمر: لا.

فهَمَّ به الحرس، فقال عمر: إنما سألني: أمجنون أنت؟ فقلت: لا»(٣).

١٤٧- عدم معاملة الناس بالمثل في السُّوء:

* قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا

---

(١) صحيح: رواه ابن حبان في «صحيحه» وابن النجار، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٣٢٠)، و«صحيح الجامع» (٣٧٦٨)، و«الصحيحة» (١٩١١).

(٢) حسن: رواه أبو داود في «سننه»، وحسّنه الألباني في «الصحيحة» (٢٣٧٦)، و«صحيح سنن أبي داوج» (٣/ ٩٢٥) (٤٠٩٤)، وطصحيح الجامع» (٦٧٥٨).

(٣) «الحدائق» لابن الجوزي (٣/ ١٢٥).

﴿إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ٣٥﴾ [فصلت].

• عن أبي الأحوص عن أبيه، قال: قلت: يا رسول الله، الرجل أَمُرُّ بِهِ، فلا يقريني، ولا يضيفني، فيمر بن أفأجزيه؟ قال: «لا، أَقْرِهِ».

قال: ورآني رثَّ الثياب، فقال: «هل لكَ مِن مالٍ؟» قال: قلت: من كل المال قد أعطاني الله؛ من الإبل، والغنم، قال: «فَليُرَ عليكَ»[(١)].

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَدِّ الأمانَةَ إلى مَنْ ائتمنكَ، ولا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ»[(٢)].

• عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «صِلْ مَنْ قطعَكَ، وأَعْطِ مَنْ حرمَكَ، واعْفُ عَمَّنْ ظلمَكَ»[(٣)].

• عن أبي المنتفق رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اعبدِ الله، لا تشرك به شيئًا، وأقم الصلاةَ المكتوبةَ، وأدِّ الزكاةَ المفروضةَ، وحُجَّ واعتمر، وصم رمضان، وانظر ما تُحبُّ للناس أن يأتوهُ إليكَ فافعلهُ بهم، وما تكرهُ أن

---

(١) صحيح: رواه الترمذي في «سننه»، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٢/ ١٩٤) (١٦٣٢).

(٢) صحيح: رواه البخاري في «التاريخ»، وأبو داود، والترمذي، والحاكم عن أبي هريرة، ورواه الدارقطني والضياء عن أنس، والطبراني في «الكبير» عن أبي أمامة، وأبو داود عن رجل من الصحابة، والدارقطني عن أبي بن كعب، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٤٢٤)، و«صحيح الجامع» (٢٤٠)، و«صحيح سنن أبي داود» (٢/ ٦٧٥) (١٩[illegible]).

(٣) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير»، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٨٩١).

يأتوهُ إليكَ فَذَرْهُمْ منهُ»(١).

□ قال أبو عبد الله الجدلي: سألت عائشة ﷺ عن خُلق رسول الله ﷺ فقالت: «لم يكن فاحشًا ولا متفحشًا، ولا صخَّابًا في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح»(٢).

١٤٨- التغاضي عن الزلات، والتغافل عن الهفوات:

• عن معاوية ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنَّكَ إن اتبعت عوَرَاتِ الناسِ أفسَدتَهم، أو كدتَ أن تُفسِدَهم»**(٣).

• وعنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«أَعْرِضُوا عن النَّاسِ، ألم تر أنكَ إنِ ابتغيتَ الريبةَ في الناس أفسدْتَهُمْ، أو كدتَ تفسدُهُمْ»**(٤).

١٤٩- الشفاعة الحسنة:

* قال تعالى: ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ ﴾ [النساء: ٨٥].

• عن معاوية ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«اشفعوا تُؤْجَرُوا، فإني**

---

(١) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٤٧٤)، و«صحيح الجامع» (١٠٣٩).

(٢) صحيح: رواه الترمذي في «سننه» وصححه في الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٢/١٩٦) (١٦٤٠).

(٣) صحيح: رواه أبو داود في «سننه»، وابن حبان، وأبو نعيم في «الحلية»، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»، و«صحيح سنن أبي داود» (٤٠٨٨)، و«صحيح الجامع» (٢٢٩٥).

(٤) حسن: رواه الطبراني في «الكبير»، وحسّنه المناوي في «فيض القدير»، والألباني في «صحيح الجامع» (١٠٤٩).

لأريدُ الأمر فأوخِّرُهُ كَيمَا تشفعوا فتُؤْجَرُوا»[١].

• عن أبي موسى الأشعري ﵁ قال: كان رسول الله ﷺ إذا جاءه السائل، أو طُلبت إليه حاجةٌ، قال: «**اشفعوا تُؤجروا، ويقضي الله على لسان رسوله ما شاءَ**»[٢].

□ فيه استحبابُ الشفاعة لأصحاب الحوائج، سواءٌ كانت الشفاعة إلى سلطانٍ ووالٍ ونحوهما، أم إلى واحدٍ من الناس، وسواءٌ كانت الشفاعةُ إلى السلطان في كفِّ ظلم، أو إسقاطِ تعزير، أو في تخليص عطاءٍ لمحتاج، أو نحو ذلك، وأما الشفاعةُ في الحدود، فحرام، وكذا الشفاعةُ في تتميم باطل، أو إبطال حقٍّ، ونحو ذلك، فهي حرام[٣].

□ وضابطها: ما أذن فيه الشرعُ دون ما لم يأذن فيه[٤]. وتشفعُ ما لم يصل الأمر إلى السلطان.

١٥٠- إقالة أهل الهيئات والمروءات:

• عن عائشة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**أقيلُوا ذوي الهيئاتِ عثراتهم، إلَّا الحدود**»[٥].

---

(١) صحيح: رواه ابن عساكر عن معاوية، ورواه أبو داود في «سننه»، والنسائي واللفظ له، والخرائطي، وصححه الألباني في «صحيح سنن النسائي» (٢٣٩٧)، وانظر «الصحيحة» (١٤٦٤)، و«صحيح الجامع» (١٠٠٦).

(٢) رواه البخاري (١٤٣٢)، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي.

(٣) «شرح مسلم» للنووي (١٦/ ١٧٩).

(٤) «فتح الباري» لابن حجر (١٠/ ٤٦٦).

(٥) صحيح: رواه أحمد، والخباري في «الأدب المفرد»، وأبو داود في «سننه»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٦٣٨)، و«صحيح سنن أبي داود» (٣٦٧٩)، =

والمراد هنا: أهلُ المروءة والخصال الحميدة التي تأبى عليهم الطباع، وتجمحُ بهم الإنسانية والألفة أن يرضَوا لأنفسهم بنسبةِ الفساد والشر إليها[١].

• عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**تجافُوا عقوبةَ ذوي المروءة**»[٢].

□ «ذلٌ بعد عز، وفقرٌ بعد غنى، ومسكنةٌ بعد رفعة، ورهبةٌ بعد هيبة، ونفوسٌ منكسرة حقُّها أن ترحم وتكرم، وتقال حين العثرة، وتعز بعد الكبوة، ويُعتنى بها حال الهفوة، إلَّا في الحدود، فذلك حق لله تعالى، وحق الله أولى بالأداء والوفاء، والله لا معقب لحكمه ولا راد لأمره، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون»[٣].

١٥١- إكرام نساء الصالحين وأقاربهم:

* قال تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ [الكهف: ٨٢].

• عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: رأى النبي ﷺ النساء والصبيان مقبلين من عرس، فقام النبي ﷺ ممثلًا، فقال: «**اللهم أنتم من أحب الناس إليَّ** -قالها ثلاث مرار-»[٤].

و«صحيح الجامع» (١١٨٥).

(١) «فيض القدير» للمناوي (٢/ ٩٤).

(٢) صحيح: رواه أبو بكر ابن المرزبان في «كتاب المروءة»، والطبراني في «مكارم الأخلاق»، والطحاوي، وابن الأعرابي، والسهمي، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٦٣٨)، و«صحيح الجامع» (٢٩١٤).

(٣) «بذل المعروف» (ص٢٤٦).

(٤) صحيح: رواه ابن حبان في «موارد الظمآن»، وصححه الألباني في «صحيح موارد

• وعنه رضي الله عنه قال: جاء أبي بكر رضي الله عنه بأبي قحافة إلى رسول الله ﷺ يوم فتح مكة، فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: «لو أَقْرَرْتَ الشيخَ في بيته لأتيناه»؛ تكرمةً لأبي بكر. قال: فأسلم ورأسُهُ ولحيته كالثَّغَامة بياضًا، فقال رسول الله ﷺ: «غيِّروهُما، وجنِّبُوهُ السَّوَادَ»[1].

١٥٢ - الإحسان إلى الكُفَّار غير المحاربين:

* قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ [الممتحنة: ٨].

• عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: قدمتْ عليَّ أمي، وهي مشركة في عهد رسول الله ﷺ قلت: إن أمي قدمت، وهي راغبة، أفأصل أمي؟ قال: «نَعَمْ، صِلِي أُمَّكِ»[2].

بحث هام ومفيد في برِّ الكُفّار غير المحاربين والإحسان إليهم وعدم موالاتهم:

أعلم أخي -رحمنا الله وإياك- أن البِرَّ والإحسان والقسطَ مع الكفار غيرِ المحاربين شيء، وموالاتهم شيءٌ آخر، فالموالاة -وهي المحبة القلبية مع ظهور آثارها على الجوارح- شيء، ولا يحلُّ لمسلم أن يوالي أحدًا من الكافرين -سواءً كان محاربًا أو غير محارب-.

* قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ

---

(١) صحيح: رواه في «موارد الظمآن» إلى «زوائد ابن حبان»، وصححه الألباني في «صحيح موارد الظمآن» (٢/ ٥٣) (١٢٣٢).

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» (٣/ ١٩٧) (٢٦٢٠).

بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [المائدة: ٥١].

* قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [المائدة: ٥٧].

* قال تعالى: ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٨].

* قال تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وهذا بحثٌ طيب للشيخ العلامة الشنقيطي صاحب «أضواء البيان» نقدمه لأهميته:

□ قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَـٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ وَظَـٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الممتحنة: ٨ - ٩].

اعتبر بعض المفسرين الآية الأولى رخصةً من الآية الأولى في أول السورة، ولكن في هاتين الآيتين صنفانِ من الأعداء وقسمان من المعاملة.

الصنف الأول: عدوٌّ لم يُقاتلوا المسلمين في دينهم، ولم يُخرجوهم من ديارهم. فهؤلاء يقول تعالى في حقهم: ﴿ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ﴾

[الممتحنة].

والصنف الثاني: قاتَلوا المسلمين، وأخرجوهم من ديارهم، وظاهروا على إخراجهم، وهؤلاء يقول الله تعالى فيهم: إنما ينهاكم الله أن تَولَّوهم إذًا فهما قسمانِ مختلفان وحُكمانِ متغايران، وإن كان القسمانِ لم يخرجا عن عموم عدوِّي وعدوكم المتقدم في أول السورة، وقد اعتَبر بعضُ المفسرين الآيةَ الأولى رخصةً بعد النهي المتقدم، ثم أنها نُسخت بآية السيف أو غيرها على ما سيأتي.

* واعتبر الآية الثانيةَ تأكيدًا للنهي الأول، وناقش بعضُ المفسرين دعوى النسخ في الأولى، واختلفوا فيمن نزلت ومن المقصود منها، والواقعُ أن الآيتين تقسيمٌ لعموم العدو المتقدم في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ [الممتحنة: ١]. مع بيان كلِّ قسم وحكمه، كما تدلُّ له قرائن في الآية الأولى، وقرائن في هاتين الآتين على ما سيأتي إن شاء الله تعالى.

أما التقسيم فقسمان: قسمٌ مسالمٌ لم يُقاتل المسلمين ولم يخرجْهم من ديارهم، فلم يَنْهَ الله المسلمين عن برِّهم والإقساط إليهم، وقسمٌ غير مسالم يقاتل المسلمين ويخرجهم من ديارهم، ويُظاهر على إخراجهم، فنهى الله المسلمين عن موالاتهم، وفرَّق بين الإذن بالبر والقسط، وبين النهي عن الموالاة والمودَّة، ويشده لهذا التقسيم ما في الآية الأولى من قرائن، وهي عمومُ الوصف بالكفر، وخصوصُ الوصف بإخراج الرسول وإياكم.

ومعلومٌ أن إخراج الرسول ﷺ والمسلمين من ديارهم، كان نتيجة لقتالهم وإيذائهم، فهذا القسمُ هو المعني بالنهي عن موالاته لموقفه

المعادي؛ لأن المعاداة تنافي الموالاة.

* ولذا عقَّب عليه بقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٩ ﴾ [الممتحنة]، فأيُّ ظلم بعد موالاةِ الفرد لأعداء أُمَّته وأعداء الله ورسوله.

أما القسم العام: وهم الذين كفروا بما جاءهم من الحق -لكنهم لم يعادوا المسلمين في دينهم لا بقتال ولا بإخراج ولا بمعاونة غيرهم عليهم، ولا ظاهروا على إخراجهم-، فهؤلاء من جانب ليسوا محلًا للموالاة لكفرهم، وليس منهم ما يمنع برَّهم والإقساطَ إليهم.

وعلى هذا، فإن الآية الثانية ليس فيها جديدُ بحثٍ بعد البحث المتقدم في أول السورة، وبقى البحث في الآية الأولى، ومن جانبين:

الأول: بيان من المعنى بها.

والثاني: بيان حكمها، وهل هي محكمةٌ أم نُسخت؟.

وقد اختلفت أقوال المفسرين في الأمرين؛ ولأهمية هذا المبحث وحاجةِ الأمة إليه في كل وقت، وأشدَّ ما تكون في هذا العصر لقوة تشابك مصالح العالم وعمق تداخلها، وترابط بعضِه ببعض في جميع المجالات، وعدم انفكاك دولةٍ عن أخرى مما يزيد من وجوب الاهتمام بهذا الموضوع.

✍ وإني مستعينٌ اللهَ في إيراد ما قيل فيها، ثم مقدِّمٌ ما يمكن أخذُه من مجموع أقوال المفسرين، وكلام الشيخ رحمة الله عليه.

□ **القول الأول**: إنها منسوخة، قال القرطبي عن أبي زيد: إنها كانت في أول الإسلام زمن الموادعة وترك الأمر بالقتال، ثم نُسخت قيل بآية: ﴿ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ [التوبة: ٥]، قاله قتادة.

وقيل: كانت في أهل الصلح، فلما زال، زال حكمُها، وانتهى العمل

بها بعد فتح مكة.

وقيل: هي في أصحاب العهد حتى ينتهي عهدهم أو يُنبذ إليهم، أي: أنها كانت مؤقتةً بوقت ومرتبطةً بقوم.

وقيل: إنها كانت في العاجزين عن القتال -من النساء والصبيان- من المشركين.

وقيل: إنها في ضَعَفَةِ المؤمنين عن الهجرة حينما كانت الهجرةُ واجبة، فلم يستطيعوا، وعلى كل هذه الأقوال تكون قد نُسخت، بفوات وقتها وذهاب من عنى بها.

□ **والقول الثاني: إنها محكمة**، قاله أيضًا القرطبي، ونقله عن أكثر أهل التأويل، ونقل من أدلتهم أنها نزلت في أم أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما، جاءت إليها ويه لم تسلم بعد وكان بعد الهجرة، وجاءت لابنها بهدايا فأبت أن تقبلها منها وأن تستقبلها حتى تستأذن رسول الله ﷺ، فأذن لها وأمرها بصلتها وعزاه للبخاري ومسلم.

وقال غيره: ذكره البخاري في «تاريخه»، وذكر عن الماوردي أن قدومها كان في وقت الهدنة، ومعلومٌ أن وقت الهُدنة من القسم الأول الذي قيل: إنه منسوخ -أي: بانتهائها-، وعليه فالآيةُ دائرة عند المفسرين بين الإحكام والنسخ.

وإذا رجعنا إلى سبب نزول السورة وتقيُّدنا بصورة السبب، نجد أولها نزل بعد انتهاء العهدِ بنقض المشركين إياه، وعند تهيُّئِ المسلمين لفتح مكة، ومجيء أم أسماء، وإن كان بعد الهدنة فهل كان النساء داخلاتٍ في العهد أم لا؟ لعدم التصريح بذكرهن.

وعليه فلا دلالةَ في قصة أم أسماء على عدم النسخ، ولا على إثباته.

وإذا رجعْنا إلى عموم اللفظ، نجدُ الآيةَ صريحةً شاملةً لكل من لم يُناصِبِ المسلمين العَداء، ولم يظهر سُوءًا إليهم، وهي في الكفار أقربُ منها في المسلمين؛ لأن الإحسانَ إلى ضَعَفة المسلمين معلومٌ بالضرورة الشرعية، وعليه فإن دعوى النسخِ تحتاج إلى دليلٍ قويٍّ يقاومُ صراحةَ هذا النص الشامل، وتوفُّرِ شروط النسخ المعلومةِ في أصول التفسير.

ويؤيد عدمَ النسخ ما نقله القرطبي عن أكثر أهل التأويل أنها مُحكمة، وكذلك كلامُ الشيخ -رحمة الله تعالى عليه- عند قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ [آل عمران: ٢٨]، بأن ذلك رخصةٌ في حالة الخوف والضعف -مع اشتراط سلامة الداخل في القلب-، فإن مفهومَه أنها محكمةٌ وباقٍ العملُ بها عند اللزوم، ومفهومُه أن المؤمنين إذا كانوا في حالة قوةٍ وعدمِ خوفٍ، وفي مأمنٍ منهم، وليس منهم قتال، وهم في غايةٍ من المسالمة، فلا مانع من برِّهم بالعدل والإقساط معهم، وهذا مما يَرفعُ من شأن الإسلام والمسلمين، بل وفيه دعوةٌ إلى الإسلام بحُسن المعاملة وتأليف القلوب بالإحسان إلى مَن أحسن إليهم، وعدمِ معاداةِ من لم يُعادهم.

ومما يدلُّ لذلك من القرائن التي نوَّهنا عنها سابقًا: ما جاء في التذييل لهذه الآية بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨﴾ [الممتحنة] فهذا ترشيحٌ لما قدَّمنا، كما قابل هذا بالتذييل على الآية الأخرى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٩﴾ [الممتحنة]، ففيه مقابلةٌ بين العدل والظلم، فالعدل في الإحسان، والقسطُ لمن يسالمك، والظلمُ ممن يوالي من يعادي قومه.

ومما يَنفي النسخَ: عدمُ التعارض بين هذا المعنى وبين آيةِ السيف؛ لأن شرطَ النسخ التعارضُ، وعدمُ إمكان الجمع، ومعرفةُ التاريخ، والجمعُ هنا ممكن، والتعارضُ منفي؛ وذلك لأن الأمرَ بالقتال لا يمنعُ الإحسانَ قبله، كما أن المسلمين ما كانوا ليفاجؤوا قومًا بقتالٍ حتى يدعوهم إلى الإسلام، وهذا من الإحسان قطعًا؛ ولأنهم قبِلوا من أهل الكتاب الجزية، وعامَلوا أهل الذمة بكل إحسانٍ وعدالة.

□ وقصة الظَّعينة في «صحيح البخاري» صاحبةِ المزادتين لم يقاتلوها أو يأسروها أو يستبيحوا ماءها، بل استاقوها بمائها لرسول الله ﷺ، فأخذ من مزادَتيها قليلًا، ودعا فيه وردَّه، ثم استقَوا وقال لها: «**اعلمي أن اللهَ هو الذي سقانا، ولم نَنقُصْ من مزادتيكِ شيئًا**»، وأكرموها وأحسنوا إليها، وجمعوا لها طعامًا، وأرسلوها في سبيلها، فكانت تذكرُ ذلك، وتدعو قومها للإسلام.

وقصةُ ثُمامة لما جيء به أسيرًا، ورُبط في سارية المسجد، وبعد أن أصبح عاجزًا عن القتال، لم يمنعهم من الإحسان إليه، فكان يُراح عليه كل يوم بحليبِ سَبْعِ نِياقٍ، حتى فكَّ أسرَه فأسلم طواعية.

وهكذا نص قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ الآية [الإنسان].

ومعلومٌ أنه لم يكن ثَمَّ أسيرٌ بيد المسلمين إلَّا من الكفار.

وفي سنة تسع -وهي سنة الوفود-، كان يقدُم إلى المدينة المسلمون وغير المسلمين، فيتلقَّون الجميع بالبر والإحسان -كوفد نجران وغيرهم-.

وها هوذا وفدُ تميم جاء يفاوضُ في أُسارى له، فيأذن لهم ﷺ،

ويستمعُ مفاخرتهم، ويأمرُ من يردُّ عليهم من المسلمين، وفي النهاية يُسلمون، ويُجيزهم الرسول ﷺ بالجوائز.

وهذا أقوى دليل على عدم النسخ؛ لأن وفدًا يأتي متحديًا مفاخرًا - لكنه لم يقاتل ولم يُظاهِرْ على إخراجهم من ديارهم، وجاء في أمرٍ جارٍ في عُرف العرب-، فجاراهم فيه ﷺ بعد أن أعلن لهم أنه ما بالمفاخرة بُعث، ولكن ترفقًا بهم، وإحسانًا إليهم، وتأليفًا لقلوبهم، وقد كان فأسلموا، وهذا ما تُعطيه جميع الأقوال التي قدمناها.

وقد بحث إمامُ المفسرين الطبري هذه المسألةَ من نواحي النقل، وأخيرًا ختم بحثه بقوله ما نصُّه: وأَوْلى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: عَنَى بذلك قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ [الممتحنة: ٨] من جميع أصناف الملل والأديان، أن تبرُّوهم وتصلوهم وتُقسطوا إليهم إن الله ﷺ عم بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾ [الممتحنة: ٨] جميعَ من كان ذلك صفتُه، فلم يُخصص به بعضًا دون بعض، ولا معنًى لقول من قال: «ذلك منسوخ»؛ لأن برَّ المؤمنين من أهل الحرب ممن بينه وبينه قرابةُ نسبٍ، أو ممن لا قرابةَ بينه ولا نسب: غيرُ محرم ولا منهيٍّ عنه، إذا لم يكن في ذلك دلالةٌ له -أو لأهل الحرب- على عورةٍ لأهل الإسلام، أو تقويةٍ لهم بكُراع أو سلاح.

وقد بيَّنَّا صحةَ ما قلنا في ذلك الخبر الذي ذكرناه عن الزبير في قصة أسماء وأمها.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨﴾، يقول: إن الله يحبُّ المنصفين الذي يُنصفون الناس، ويعطونهم الحق والعدل من أنفسهم، فيَبرُّون مَن

برَّهم، ويُحسنون إلى من أحسن إليهم. انتهى منه.

□ وفي تفسير آياتِ الأحكام للشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ مبحثٌ هام نسوقُه أيضًا بنصِّه لأهميته:

* قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾ الآية. قال: «يقال -والله أعلم-: إن بعض المسلمين تأثر من صِلة المشركين، أحسب ذلك ما نزل فرض جهادهم وقطع الولاية بينهم وبينهم، ونزل ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ الآية [المجادلة: ٢٢]، فلما خافوا أن تكون المودة الصلة بالمال أنزل ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩)﴾ [الممتحنة].

وقال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: وكانت الصِّلةُ بالمال والبر والإقساط ولين الكلام والمراسلة -بحكم الله- غيرَ ما نُهوا عنه من الولاية لمن نُهوا عن ولايته مع المظاهرة على المسلمين؛ وذلك لأنه أباح برَّ من لم يُظاهر عليهم من المشركين، والإقساطَ إليهم، ولم يُحَرِّمْ ذلك إلى مَن لم يظاهر عليهم، بل ذكر الذين ظاهروا عليهم، فنهاهم عن ولايتهم، إذ كان الولايةُ غيرَ البر والإقساط، وكان النبي ﷺ فادى بعضَ أُسارى بدر، وقد كان أبو عزة الجُمحي ممن منَّ عليه، وقد كان معروفًا بعداوته والتأليب عليه بنفسه ولسانه، ومنَّ بعد «بدر» على ثُمامة بن أُثال، وكان معروفًا بعداوته، وأمر بقتله، ثم منَّ عليه بعد أسره وأسلم ثمامة، وحَبس المِيرةَ عن أهل مكة، فسألوا رسولَ الله ﷺ أن يأذن له أن يُميرهم، فأذن له فمارهم.

* وقال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الإنسان]، والأسرى يكونون ممن حاد الله ورسوله» اهـ منه.

□ وهذا الذي صوَّبه ابن جرير وصححه الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ الذي تقتضيه رُوحُ التشريع الإسلامي، أما وجهةُ النظر التي وعدنا بتقديمها فهي: أن المسلمين اليوم مشتركةٌ مصالحهم بعضُهم ببعض، ومرتبطةٌ بمجموع دول العالَم من مشركين وأهل كتاب، ولا يمكنُ لأمةٍ اليوم أن تعيشَ منعزلةً عن المجموعة الدولية لتداخل المصالح وتشابكها، ولا سيَّما في المجال الاقتصادي -عَصَب الحياة اليوم- من إنتاج أو تصنيع أو تسويق، فعلى هذا تكونُ الآية مساعِدة على جواز التعامل مع أولئك المسالمين ومبادلتِهم مصلحةً بمصلحة -على أساس ما قاله ابن جرير وبيَّنه الشافعي، وذكره الشيخ رحمة الله تعالى عليه- في حقيقة موقف المسلمين اليوم من الحضارة الغربية في عدةِ مناسبات من محاضراته ومن «الأضواء» نفسه، وبشرط ما قاله الشيخ -رحمة الله تعالى عليه- من سلامةِ الداخل - أي: عدم الميل بالقلب-، ولو قيل بشرط آخر -وهو مع عدم وجودِ تلك المصلحة عند المسلمين أنفسهم-، أي: أن العالَمَ الإسلامي يتعاونُ أولًا مع بعضه، فإذا أعوَزَه -أو بعضَ دُوله- حاجةٌ عند غير المسلمين -ممن لم يقاتلوهم ولم يظاهروا عدوًا على قتالهم-، فلا مانع من التعاون مع تلك الدولة في ذلك.

ومما يؤيد كلَّ ما تقدم عمليًّا: معاملةُ النبي ﷺ وخلفائه من بعده لليهود في خيبر.

فمما لا شك فيه أنهم داخلون أولًا في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا

تَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ [الممتحنة: ١].

ومنصوصٌ على عدم موالتهم في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [المائدة].

ومع ذلك لـمَّا أخرجهم ﷺ من المدينة وحاصرهم بعدها في خيبر، وفتحها الله عليه وأصبحوا في قبضة يده، فلم يكونوا بعد ذلك في موقفِ المقاتِلين، ولا مظاهِرين على إخراج المسلمين من ديارهم، عاملهم الرسول ﷺ بالقسط، فعاملهم على أرض خيبر ونخيلها، وأبقاهم فيها على جزءٍ من الثمرة؛ كأُجراءَ يعملون لحسابه وحسابِ المسلمين، فلم يتخذْهم عبيدًا يُسخِّرُهم فيها،وبقيت معاملتُهم بالقسط، كما جاء في قصة ابن رواحة رضي الله عنه لما ذهب يَخرِصُ عليهم، وعرضوا عليه ما عرضوا من الرشوة ليخفِّف عنهم، فقال لهم كلمته المشهورة: «والله لأنتم أبغضُ الخلق إليَّ، وجئتكم من عند أحب الخلق إليَّ، ولن يحملَني بُغضي لكم، ولا حبِّي له أن أحيفَ عليكم، فإما أن تأخذوا بنصف ما قدَّرتُ، وإما أن تكفُّوا أيديكم، ولكم نصف ما قدرت، فقالوا له: بهذا قامت السماوات والأرض»، أي: بالعدالة والقسط.

وقد بقُوا على ذلك نهايةَ زمنه ﷺ وخلافةَ الصديق رضي الله عنه وصدرًا من خلافة عمر رضي الله عنه حتى أجلاهم عنها.

ومثل ذلك المؤلفةُ قلوبهم أعطاهم ﷺ بعد الفتح وأعطاهم الصديق حتى منعهم عمر رضي الله عنهما.

وقد أطلنا الكلام في هذه المسألة؛ لأهميتها ومسيسِ الحاجة إليها

اليوم.

وفي الختام إن أشدَّ ما يَظهر وضوحًا في هذا المقام -ولم يدَّع أحدٌ فيه نسخًا-: قوله تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ﴾ [لقمان: ١٥].

فهذه حسنُ معاملةٍ وبرٍّ وإحسان لمن جاهد المسلم على أن يشرك بالله ولم يقاتل المسلمين، فكان حق الأبوة مقدَّمًا -ولو مع الكفر والمجاهدة على الشرك-.

وكذلك أيضًا في نهاية هذه السورة نفسها قوله تعالى: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ﴾ [الممتحنة: ١٠].

ثم قال تعالى: ﴿وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟ ۚ﴾ [الممتحنة: ١٠]، أي: آتوا المشركين أزواجَ المؤمنات المهاجرات ما أنفقوا على أزواجهم بعد هجرتهن. فبعد أن أسلمت الزوجةُ وهاجرت وانحلَّت العصمةُ بينها وبين زوجها الكافر، وبعُدت عنه بالهجرة وفاتت عليه ولم يقدِرْ عليها، يأمرُ الله المسلمين أن يُؤتوا أزواجهنَّ وهم مشركون ما أنفقوا من صَداقٍ عند الزواج ونحوه مع بقاء الأزواج على الكفر وعجزهم عن استرجاع الزوجات، وعدمِ جواز موالاتهم قطعًا لكفرهم، وهذا من المعاملة بالقسط والعلم عند الله تعالى»[1].

١٥٣- العفو عن المسلمين، والعفو عَنْ مَن تعدَّى على المسلمين:

* قال تعالى: ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾﴾ [الحجر].

---

(١) «أضواء البيان» للشنقيطي (٨/ ١٤٦ ـ ١٥٨).

* وقال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الشورى].

* وقال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠].

* وقال تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾ [النساء].

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما نقصت صدقةٌ من مالٍ، وما زاد الله عبدًا بعفوٍ إلَّا عِزًّا، وما تواضع أحدٌ لله إلَّا رفعهُ الله»(١).

• عن جرير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من لا يَرحم لا يُرحم، ومن لا يغفرِ لا يُغفر له، ومن لا يَتب لا يُتب عليه»(٢).

• عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من رجلٍ يُجرحُ في جسدهِ جِراحةً، فيتصدَّقُ بها، إلَّا كفَّر الله عنه مثلَ ما تصدَّق به»(٣).

• عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ عن النبي ﷺ: «مَن أُصيبَ بشيءٍ في جسده، فتركَهُ لله عز وجل، كان كفَّارةً له»(٤).

---

(١) رواه أحمد، ومسلم (٤/ ١٥٨٨) (٢٥٨٨)، والترمذي.

(٢) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير» وصححه الألباني في «الصحيحة» (٤٨٣)، و«صحيح الجامع» (٦٦٠٠).

(٣) صحيح: رواه أحمد في «المسند» والضياء، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٢٧٣)، و«صحيح الجامع» (٥٧١٢).

(٤) صحيح: رواه أحمد، وصححه الألباني ي «صحيح الترغيب والترهيب» (٢/ ٦٤٠)، (٢٤٦١).

• عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنَّ النبي ﷺ قال: «ارحموا تُرحموا، واغفِرُوا يُغفَرْ لكُم»[١].

• عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله تعالى عفُوٌّ يُحبُّ العفوَ»[٢].

□ أُتي عبد الملك بن مروان بأُسارى ابن الأشعث، فقال لرجاء بن حَيوة: «ما ترى؟ قال: إن الله تعالى قد أعطاك ما تحبُّ من الظفر، فأعط الله ما يحبُّ من العفو، فعفا عنهم»[٣].

□ عن أم الدرداء رضي الله عنها أن رجلًا أتاها فقال: «إنَّ رجلًا نال منكِ عند عبد الملك، فقال: أن نُؤبن -ونذكر بعيب- بما ليس فينا، فطالما زُكِّينا بما ليس فينا»[٤].

□ عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلًا استأذن على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأذن له، فقال له: يا ابن الخطاب، والله، ما تُعطينا الجزل، ولا تحكمُ بيننا بالعدل. فغضب عمر رضي الله عنه حتى همَّ أن يُوقع به، فقال الحرُّ بن قيس: يا أمير المؤمنين، إن الله عز وجل قال لنبيِّه ﷺ: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾ [الأعراف]؛ وإنَّ هذا من الجاهلين.

---

(١) صحيح: رواه أحمد، والبخاري في «الأدب المفرد»، والبيهقي في «شعب الإيمان»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٤٨٢)، و«صحيح الجامع» (٨٩٧).

(٢) حسن: رواه الحاكم في «المستدرك» عن ابن مسعود، وابن عدي عن عبد الله بن جعفر، وأحمد، والبيهقي في «سننه» عن ابن مسعود، وحسَّنه الألباني في «الصحيحة» (١٦٣٨)، و«صحيح الجامع» (١٧٧٩).

(٣) «إحياء علوم الدين» للغزالي (٣/ ١٩٦).

(٤) «صحيح الأدب المفرد» (ص١٦٣) رقم (٣٢٣).

فوالله، ما جاوزها عمر رضي الله عنه حين تلاها عليه، وكان وقَّافًا عند كتاب الله تعالى [(١)].

□ عن عبد الله بن عمر بن العاص أن عطاء بن يسار سأله أنِ يُخْبِرَه عن صفه رسول الله ﷺ في التوراة، قال: «أجَلْ، والله إنه لموصوفٌ في التوراة ببعض صفته في القرآن: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشِّرًا ونذيرًا، وحِرْزًا للأمِّيين، أنت عبدي ورسولي سَمَّيْتُك المتوكِّل، ليس بفظٍّ ولا غليظ ولْا سخَّاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكِنْ يعفو ويغفِر»، وفي رواية للبخاري: «ولكن يعفو ويصفح» [(٢)].

* قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران].

* وقال تعالى في وصف المتقين: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾

[آل عمران].

□ وقالت عائشة رضي الله عنها في وصف النبي ﷺ: «وما انتقم رسولُ الله ﷺ لنفسه، إلَّا أن تُنْتَهكَ حُرْمَةَ الله عز وجل»، وفي رواية: «وما نِيل منه شيءٌ قط فينتقمَ من صاحِبه، إلَّا أنْ يُنْتهكَ شيء من محارم الله، فينتقِم لله عز وجل» [(٣)].

---

(١) «مختصر متهاج القاصدين» لابن قدامة (ص١٨٧).

(٢) رواه البخاري في «كتاب البيوع» رقم (٢١٢٥)، و«كتاب التفسير» رقم (٤٨٣٨)، وحِرْزًا أي حِصنًا.

(٣) البخاري في «كتاب المناقب» (٣٥٦٠)، ومسلم في «كتاب الفضائل» رقم =

□ قال النووي: «معنى نيل منه: أُصِيب بأذى من قول أَوْ فِعل».

* وقال تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝١٩٩﴾ [الأعراف]. فلا تُكافئهم بخفَّتهم وسخفهم.

□ وصح عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾، قال: «أُمِرَ نبي الله ﷺ أن يأخذ العفوَ من أخلاق الناس»(١).

□ قال الشنقيطي: «بيَّن في هذه الآية الكريمة ما ينبغي أن يعامَل به الجهلة من شياطين الإنس والجن، فبيَّن أن شيطان الإنس يُعامَل باللين، وأخذ العفو، والإعراض عن جهله وإساءته. وأن شيطانَ الجن لا مَنجي منه إلَّا بالاستعاذة بالله منه»(٢).

□ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كنتُ أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه بُرْدٌ نجرانيٌّ غليظ الحاشية، فأدركه أعرابيٌّ، فجَبَذَهُ بردائه جَبْذَةً شديدة، فنظرتُ إلى صفحة عُنُق النبي ﷺ، وقد أَثَّرَتْ فيها حاشيةُ الرِّدَاء من شِدَّةِ جَبْذَتِهِ، ثم قال: يا محمدُ: مُرْ لي من مالِ الله الذي عندَك، فالتفت إليه فضَحِكَ، ثم أمرَ له بعطاء»(٣).

□ وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه غزا مع رسول الله ﷺ قِبَلَ نَجْدٍ، «فلما قَفَلَ رسول الله ﷺ قفَل معهُ، فأدركتهم القائلة في وادٍ كثيرِ

(٢٣٢٧)، (٢٣٢٨).

(١) أخرجه البخاري في «التفسير» رقم (٤٦٤٣)، وفي «الأدب المفرد» (٢٤٤)، والترمذي في «كتاب الأدب» (٤٧٨٧).

(٢) «أضواء البيان» (١/ ٤٣٥).

(٣) البخاري (٦٠٨٨)، ومسلم (١٠٥٧).

العِضاه[١]، فنزل رسول الله ﷺ، وتفرَّق الناسُ يستظِلُّون بالشجر، فنزل رسول الله ﷺ تحت شجرةٍ وعَلَّق بها سيفَهُ، ونمْنا نومةً، فإذا رسول الله يدعونا، وإذا عنده أعرابيٌّ، فقال: إن هذا اخترط عليّ سيفي وأنا نائم، فاستيقظتُ وهو في يده صَلْتًا [٢] فقال: من يمنعُك منِّي؟ فقلت: الله (ثلاثًا)، ولم يُعاقبه وجلس»، وفي رواية: «فها هو ذا جالسٌ»، ثم لم يعاقِبْهُ رسول الله ﷺ»[٣].

• ووقع في رواية ابن إسحاق بعد قوله: «**قال: الله**»: «فدفع جبريلُ في صدره، فوقع السيف من يده، فأخذه النبي ﷺ وقال: «**مَن يمنعُك أنت مني؟**» قال: لا أحَد. قال: «**قمْ فاذهب لشأنك**»، فلما وَلَّى قال: أنت خيرٌ مني».

□ قال ابن حجر: «فمنَّ عليه، لشدَّة رغبة النبي ﷺ في استئلاف الكّفار ليدخلوا في الإسلام، ولم يؤخَذ بما صنع، بل عفا عنه، وقد ذَكر الواقدي في نحو هذه القصة أنه أسلم وأنه رجع إلى قومه، فاهتدى به خَلْقٌ كثير»[٤].

□ وعن سعيد بن مسروق قال: «أصاب الربيعَ بنَ خثيم حجرٌ في رأسه فشجَّه، فجعل يمسح الدم عن رأسه وهو يقول: اللهم اغفر له، فإنه

---

(١) كلُّ شجر يَعْظُمُ له شوك.

(٢) أي: مُجَرَّدًا مِن غمده.

(٣) البخاري في «كتاب الجهاد والسير» رقم (٢٩١٠)، وكتاب المغازي (٤١٣٥)، ومسلم في «كتاب صلاة المسافرين» رقم (٨٤٣).

(٤) «فتح الباري» (٩/ ٥٤٤).

لم يتعمَّدْني»(١).

□ وقال مالك بن دينار: «أتينا مَنزِلَ الحَكم بن أيوب الثقفي -ابن عم الحجاج بن يوسف- ليلًا وهو على البصرة أمير، وجاء الحسنُ وهو خائف -وذلك لأن أهل البصرة كانوا قد خلعوا بيْعة عبد الملك، وأنكروا تولية الحجاج عليهم، وبايعوا عبد الرحمن بن الأشعث- فدخلنا معه عليه، فما كُنَّا مع الحسن إلَّا بمنزلة الفَرَايج (٢)، فذكر الحسن للأمير قصة يوسف عليه السلام وما صنع به إخوته، فقالوا: باعوا أخاهم، وذكر ما لقيَ مِن كيْد النساء، ومِن الحَبْس، ثم قال: أيها الأمير، ماذا صَنَع اللهُ به؟ أدَاله منهم ورفع ذِكْرَه، وأعْلَى كَلِمته، وجعله على خزائن الأرض، فماذا صنع يوسف حين أكمل الله له أمْرَه وجمع له أهلَهُ وحضروا بين يديه؟ قال: ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [يوسف].

يُعَرِّض الحسنُ للحَكَم بالعَفْوِ عن أصحابه -من القُرَّاء إذْ كان فيهم من مالأمع ابن الأشعث-، قال الحَكَمُ: فأنا أقول: لا تثريبَ عليكم اليوم، ولوْ لَمْ أَجِدْ إلَّا ثوبي هذا لواريتكم تَحْتَهُ (٣)»(٤).

□ وقال صالح بن الإمام أحمد: «دخلتُ على أبي يومًا فقلتُ: بلغني أنَّ رجلًا جاء إلى فضل الأنماطي، فقال: اجعلني في حِلٍّ إذا لم أقم بنُصرتك،

(١) «الجامع لشعب الإيمان» (١٤/ ٢٤٨).
(٢) صغار الدجاج.
(٣) أي: لسترتكم به.
(٤) «إتحاف السادة المتقين» (٩/ ٤٦٦)، و«نضرة النعيم» (٧/ ٢٩٠٩).

فقال فضل: لا جعلتُ أحدًا في حِلٍّ، فتبسَّم أبي وسكت، فلما كان بعد أيام قال لي: مَررت بهذه الآية: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠] فنظرت في تفسيرها فأذا هو ما حدَّثني به هشام بن القاسم، حدثني المبارك، حدثني من سمع الحسن يقول: إذا جَثَتِ الأممُ بين يديْ ربِّ العالمين يوم القيامة ونُودُوا: لِيَقُم مَنْ أجرُه على الله، فما يقوم إلَّا من عفا في الدنيا، قال أبي: فجعلتُ الميّت [(١)] في حِلٍّ من ضربه إياتي، ثم جعل يقول: وما على رجلٍ أن لا يُعذِّب الله تعالى بسببه أحَدًا»[(٢)].

□ قال البيهقي: «وأما مُكافأة المسيء بإساءته بما يجوز في الشرع؛ فعليها جِبِلَّة أكثر الخلق، والذي استحبَّه أولو الأحلام والنُّهَى من مكارم الأخلاق: التجاوز والعفو»[(٣)].

• قال إبراهيم: «كانوا يكرهون أن يُستذلوا، فإذا قدَروا عَفَوا» [(٤)].

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، كَمْ نعفُو عن الخادم؟ فصمتَ، فلما كان في الثالثة قال: «**اعفوا عنه في كل يوم سَبْعين مرَّةً**»[(٥)].

١٥٤- التَّصَدُّقُ بالعِرْضِ على مَن سَبَّه:

• عن عُلبة بن زيد رضي الله عنه أنه قام من الليل يصلي، فتهجد ما شاء الله، ثم

(١) أي: الخليفة المعتصم.
(٢) «الآداب الشرعية» لابن ملح (١/ ١٢٠).
(٣) «الجامع لشعب الإيمان» (١٦/ ١١٦).
(٤) «شرح السنة» (٦/ ٥٣٤).
(٥) صحيح: أخرجه أبو داود في «كتاب الأدب»، باب ف يحق المملوك، رقم (٥١٦٤)، وصححه الألباني.

بكى، وقال: اللهم، إنَّك أمرت بالجهاد، ورغَّبْتَ فيه، ثم لم تجعلْ عندي ما أتقوَّى به، ولم تجعلْ في يَدِ رسولك ﷺ ما يحملني عليه، وإني أتصدَّقُ على كل مسلم بكل مظلمة أصابني فيها؛ في مال، أو جسد، أو عِرْضٍ.

وأصبح الرجل مع الناس، فقال رسول الله ﷺ: «أين المتصدق هذه الليلة؟»، فلم يقم أحد، ثم قال: «أين المتصدِّقُ؟ فليقم»، فقام إليه فأخبره. فقال رسول الله ﷺ: «أبشر، فوالذي نفسي بيده، لَقَدْ كُتِبَتْ في الزَّكَاةِ المتقبَّلَةِ»(١).

□ عن قتادة رضي الله عنه قال: «أيعجزُ أحدُكم أن يكون مثل أبي ضيغم -أو ضمضم- كان إذا أصبح قال: اللهم، إني قد تصدَّقْتُ بعرضي على عبادك»(٢).

□ وفي هذا الجود من سلامة الصدر، وراحة القلب، والتخلص من معاداة الخلق ما فيه(٣).

□ قال أبو الدرداء رضي الله عنه: «إن ناقدتَ النَّاسَ ناقدوك، وإن تركتهم لم يتركوك، وإن هربتَ منهم أدركوك. قال: يا أبا الدرداء فما تأمرني؟ قال: هَبْ عِرْضَكَ ليوم فقرك»(٤).

(١) صحيح: رواه ابن منده، وذكره ابن حجر في «الإصابة» (٢/ ٤٩٣)، وابن القيم في «زاد المعاد» (٣/ ١)، وصححه الألباني في تحقيق «فقه السيرة» للغزالي (ص٤٠٥).

(٢) صحيح مقطوع: انظر «صحيح سنن أبي داود» (٣/ ٩٢٤) (٤٠٨٧).

(٣) «مدارج السالكين» لابن القيم الجوزية (٢/ ٣٠٧).

(٤) «حلية الأولياء» (١/ ٢١٨).

١٥٥- كَظْم الغَيْظ:

* قال تعالى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران].

• عن معاذ بن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «من كظمَ غيظًا -وهو يستطيعُ أن ينفِذَه-، دعاه الله يوم القيامةِ على رؤوس الخلائق، حتى يُخيره في أيِّ الحور شاء».

وفي رواية: «من كتم غيظًا، وهو قادرٌ على أن يُنْفذَهُ، دعاه الله على رؤوس الخلائق، حتى يُخَيِّره من الحور العين، يزوجه منها ما شاء»(١).

• عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من جُرعَةٍ أعظَمُ أجرًا عندَ الله مِن جُرعةِ غيظٍ كظمها عبدٌ ابتغاء وجه الله»(٢).

• عن أنس رضي الله عنه قال: إن النبي ﷺ مرَّ بقوم يرفعون حجرًا، فقال: «ما يصنع هؤلاء؟».

فقالوا: يرفعون حجرًا يريدون الشِّدة، فقال النبي ﷺ: «ألا أدُلُّكم على مَن هو أشدُّ منه؟ رجلٌ ظلمه رجلٌ، فكظم غيظه، فغلبَه، وغلبَ شيطانَه، وغلبَ شيطانَ صاحبه»(٣).

---

(١) حسن: رواه أحمد، وأبو داود والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وأحمد، والطبراني في «الصغير» وأبو نعيم في «الحلية»، وحسَّنه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٥١٨)، و«صحيح الترغيب والترهيب» وبنفس لفظ الرواية الأخير: «من كظم».

(٢) صحيح: رواه الترمذي في «سننه»، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٢/ ١٩٧) (١٦٤٥).

(٣) صحيح: رواه ابن ماجه في «سننه»، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (٢/ ٤٠٧) (٣٣٧٧).

□ روي عن الحسين بن علي كان له عبدٌ يقوم بخدمته، ويقرِّبُ إليه طهره، فقرَّب إليه طهره ذات يومٍ كوزًا، فلما فرغ الحسين من طهوره رفع العبدُ الكوز من بين يديه، فأصاب فمُ الكوز رباعيةَ الحسين، فكسرها، فنظر إليه الحسين، فقال: ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ قال: قد كظمتُ غيظي، فقال: ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ قال: قد عفوتُ عنك، قال: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ قال: اذهب فأنت حرٌّ لوجه الله تعالى قال: وما جائزة عتقي؟ قال: السيف والدرقة، فإني لا أعلمُ في البيتِ غيرهما(١).

١٥٦- كَفُّ الغَضَب:

* قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى].

• عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رجلًا قال للنبيِّ ﷺ: أوصني. قال: «**لا تَغْضَبْ**» فردَّد مرارًا، قال: «**لا تَغْضَبْ**»(٢).

• عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ كفَّ غضبَهُ كفَّ الله عنهُ عذابَهُ، ومن خزن لسانهُ ستر الله عورتهُ، ومن اعتذر إلى الله عذرَهُ**»(٣).

• عن أبي الدرداء رضي الله عنه: قال رجل لرسول الله ﷺ: دلني على عملٍ يُدخلني الجنَّة؟ قال ﷺ: «**لا تغضبْ، ولك الجنة**»(٤).

---

(١) «دليل الفالحين شرح رياض الصالحين» لابن علان الصديقي (١/ ١٩٧).

(٢) رواه أحمد، والبخاري (٦١١٦)، والترمذي عن أبي هريرة، ورواه أحمد، والحاكم في «المستدرك» عن جارية بن قُدامة.

(٣) صحيح: أخرجه أبو يعلىٰ في «مسنده»، والدولابي في الكُنَىٰ، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٣٦٠).

(٤) صحيح: رواه ابن أبي الدنيا، والطبراني في «الكبير»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٣٧٤)، و«صحيح الترغيب والترهيب».

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليس الشَّديدُ بالصرعة، إنما الشديد الذي يملِكُ نفسَهُ عندَ الغضبِ**»(١).

وفي رواية: «**ليس الشديدُ مَن غلبَ الناسَ، وإنما الشديدُ من غلبَ نفسَه**»(٢).

□ وجاء غلامٌ لأبي ذر رضي الله عنه وقد كسر رجْل شاةٍ له، فقال له: «من كسرَ رِجْل هذه؟ قال: أنا فعلته عمدًا لأغيظك، فضربني فتأثم، فقال أبو ذر: لأغيظَنَّ من حرَّضك على غيظي، فأعتقه».

١٥٧- معاملة الناس بحلم وسماحة أخلاق:

• عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الإيمانُ الصبرُ والسماحة**»(٣).

□ تنازع الحسين بن علي والوليد بن عتبة بن أبي سفيان في أرض، والوليد يومئذٍ أميرٌ على المدينة، فبينا الحسينُ يُنازعه إذْ تناول عمامة الوليد عن رأسه، فجرَّبها فقال مروان بن الحكم وكان حاضرًا: إنا لله، ما رأيت كاليوم جُرْأةَ رجل على أميره، قال الوليد: ليس ذاك بك، ولكنك حسدتني على حلمي عنه، فقال الحسين رضي الله عنه: «الأرضُ لك، اشهدوا أنها له»(٤).

---

(١) رواه أحمد، والبخاري (٦١١٤)، ومسلم.

(٢) صحيح: رواه ابن حبان في «صحيحه»، وصحّحه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣/ ٤٦) (٢٧٥٠).

(٣) صحيح: رواه أبو يعلى، والطبراني في «مكارم الأخلاق»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٥٥٤)، و«تحقيق المشكاة» (٤٦)، و«صحيح الجامع» (٢٧٩٥).

(٤) «تاريخ دمشق» (٦٦/ ١٥٣).

◻ وأسند الصولي عن أبي عبيدة قال: «كان المهدي -الخليفة العباسي محمد بن المنصور- يُصلي بنا الصلوات الخمس في المسجد الجامع بالبصرة لما قدمها، فأُقيمت الصلاة يومًا، فقال أعرابي: لستُ على طُهْرٍ، وقد رغبت في الصلاة خلْفك، فأْمُرْ هؤلاء بانتظاري، فقال: انتظروه ودخل المحراب، فوقف إلى أن قيل: قد جاء الرجل، فكبَّر، فعجب الناس من سماحة أخلاقه»[(١)].

◻ وقال الأحنف: «لقد اختلفنا إلى قيس بن عاصم في الحِلْم كما نختلف إلى الفقهاء في الفقه»[(٢)].

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى يُحِب سَمْحَ البَيْعَ، سَمْحَ الشِّراء، سَمْحَ القضاءِ»[(٣)].

١٥٨- معاشرة الناس بالحسنى وشراؤهم بالمعروف، ولقاؤهم بوجه طليق:

◻ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «ما سُئِلَ رسولُ الله ﷺ شيئًا قَطُّ فقال: لَا»[(٤)].

◻ قال الكِرماني: «معناه ما طُلِبَ منه شيءٌ من أمر الدنيا فمَنَعَهُ»[(٥)].

◻ عن أنس رضي الله عنه قال: «ما سُئِلَ رسول الله ﷺ عن الإسلام شيئًا إلَّا

---

(١) «تاريخ الخلفاء» (ص٣٢٠).

(٢) «عيون الأخبار» (١/ ٣٣١).

(٣) صحيح: رواه الترمذي، والحاكم في «المستدرك»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٨٩٩).

(٤) رواه البخاري في «صحيحه» (٧/ ١٠٨) (٦٠٣٤).

(٥) «فتح الباري» لابن حجر (١٠/ ٤٧٢).

أعطاهُ، قال: فجاءه رجل فأعطاه غنمًا بين جبلين، فرجع إلى قومه، فقال: يا قومي أسلموا، فإن محمدًا يعطي عطاء لا يخشى الفاقة»[١].

□ عن ابن شهاب، قال أعطى رسول الله ﷺ صفوانَ بنَ أُميةَ يومَ حنين مئةً من النَّعم، ثمَّ مئةً، ثمَّ مئةً، قال صفوان: والله، لقد أعطاني رسول الله ﷺ ما أعطاني، وإنَّه لأبغضُ الناس إليَّ، فما برح يُعطيني حتَّى أنه لأحبُّ النَّاسِ إليَّ»[٢].

□ ويقول أنس رضي الله عنه: «كان النبيُّ ﷺ رحيمًا، وكانَ لا يأتيه أحدٌ إلَّا وعده، وأنْجَزَ له إنْ كان عندَه، وأقيمت الصلاةُ، وجاءَه أعرابيٌّ فأخذ بثوبه فقال: إنما بقيَ من حاجتي يسيرةٌ، وأخاف أنساها، فقامَ معه حتى فرغ من حاجته، ثم أقبلَ فصلى»[٣].

□ وقال المهلَّب: «عجبتُ لمن يشتري المماليك بماله، ولا يشتري الأحرارَ بمعروفه!».

□ وقال: «ليس للأحرار ثمن إلَّا الإكرام، فأكرم حرًا تملكه»[٤].

□ وقال الشاعر الأديب: محمد بن الحُسين البُستي رحمه الله:

أحْسِنْ إلى الناس تَسْتَعبِدْ قلوبَهُم فطالما استَعْبَدَ الإنسانَ إحسانُ

□ قال شارحه الشيخ أبو غدة : «تَستعبد قلوبهم: تستميلُها وتملكها بالإحسان إليهم، فكثيرًا ما ملك الإحسانُ قلبَ الإنسان، وقديمًا قالوا:

---

(١) رواه مسلم (٢٣١٢).
(٢) رواه مسلم (٢٣١٣).
(٣) حسن: أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٢٧٨)، وحسَّنه الألباني.
(٤) «الآداب الشرعية» (١/ ٣٩٩).

جُبِلَتْ القلوبُ على حُبٍّ من أحسَنَ إليها، وبُغض من أساء إليها، وليس هذا القول بحديث نبوي(١).

□ وعن النضْر بن عبد الله الحُلواني قال: «حدثَنا الأصمعي، قال: حضر جدِّي عليَّ بن أصمعَ الوفاةُ، فجمع بنيه، فقال: يا بنيَّ! عاشروا الناس معاشرةً إن غِبْتُم حنُّوا إليكم وإن مُتُّم بكوا عليكم»(٢).

□ وقال الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ: «اصحَبْ الناسَ بما شئتَ أن تصْحَبَهُم، فإنهم سيصحبونك بمثله»(٣).

□ و«بشاشةُ الوجه خليقةٌ حسنة، حضَّ عليها الإسلام، وجعلها من الأعمال الصالحات التي تُكْسِبُ صاحبها المثوبة والأجر: لأن الوجه الطليقَ الصافي مرآةُ القلب النظيف الصافي، وهذا الصفاء في المظهر والمَخْبر: من خلائق الإسلام الجلية في المسلمين الصادقين»(٤).

• قال رسول الله ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه: **«لا تَحْقِرَنَّ من المعروف شيئًا، ولو أن تلقى أخاك بوجْهٍ طَلْق»**(٥).

• وقال ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه: **«تبسُّمُك في وجه أخيك صَدَقة»**(٦).

---

(١) «قصيدة عنوان الحِكَم» (ص٣٦).

(٢) «المجالسة وجواهر العلم» (٢/ ١٦٨).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٥٨٤).

(٤) «أدب السلف في التعامل مع الناس» لرضا بن عبد الحميد فتح الله (ص٥٩)- دار الخلفاء الراشدين.

(٥) رواه أحمد، ومسلم (٢٦٢٦)، والترمذي عن أبي ذر.

(٦) صحيح: أخرجه الترمذي (١٩٥٦)، والبخاري في «الأدب المفرد»، وابن حبان عن أبي ذر، وصحَّحه الألباني في «الصحيحة» (٥٧٢)، و«صحيح الجامع» =

وكان الرسول ﷺ يَبُشُّ دومًا في وجوه أصحابه، فلما يكاد يقع بصره على أحد منهم إلَّا تبسم له.

□ فعن جرير بن عبد الله البَجَليِّ رضي الله عنه قال: «ما حَجَبني رسول الله ﷺ منذُ أسلمت -أي: ما منعني من الدخول إليه إذا كان في بيته واستأذنت عليه-، ولا رآني إلَّا تبسم»(١).

□ قال الشاعر الأديب محمد بن الحُسين البُستي رحمه الله:

كُــن رَيِّــق البِــشْر إن الحُــرَّ هِمَّتُــه   صَــحيفةٌ وعليهــا البــشْرُ عنــوانُ

□ قال أبو غدة: «رَيِّقَ البشر: جميل البِشر دائمه، والبشر طلاقه الوجه وبشاشَتُه، والصحيفة يعني بها: الوجه، والمعنى: أن هَمَّ الحرِّ أن يكون طَلْقَ الوجه باسمَ المُحيَّا ليُحبَّه الناس ويألفوه وينتفعوا به وينتفع بهم»(٢).

□ وعن هشام بن عروة عن أبيه قال: «مكتوب في الحكمة: ليكُنْ وَجْهُك بَسْطًا وكلمتك طيبةً، تكُنْ أحبَّ إلى الناس من الذي يُعطيهم العطاء»(٣).

□ وقال حماد بن زيد رحمه الله: «ما رأيت رجلًا قط أشد تبسمًا في وجوه الرجال من أيوب السختياني»(٤).

(٢٩٠٨).

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) «قصيدة عنوان الحكم» (ص٣٧).

(٣) «الآداب الشرعية» (٢/ ٣١٨).

(٤) «صفة الصفوة» (٢/ ١٤٩).

١٥٩- اللين مع الناس، والسهولة في معاملتهم ولين الكلام معهم:

* قال تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الحجر].

• عن جابر رضي الله عنه، وابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أخبركم بمنْ تحرمُ عليه النَّارُ غدًا؟ على كلِّ هينٍّ، قريبٍ، سهلٍ**»(١).

• عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**المؤمنونَ هيِّنون ليِّنون، مثل الجمل الألِف الذي إن قِيد نقاد، وإن سِيق انساق، وإن أنختَه على صخرةٍ استناخ**»(٢).

□ عن أنس رضي الله عنه قال: «ما رأيتُ رجلًا التقم أذن رسول الله ﷺ فينحي رأسه، حتى يكون الرجل هو الذي ينحي رأسه، وما رأيت رجلًا أخذ بيده فترك يده، حتى يكون الرَّجُلُ هُوَ الذي يَدَعُ يَدَهُ»(٣).

* وقال تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

• عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن في الجنة غُرفًا تُرى ظُهُورها من بُطُونها، وبُطونها من ظُهورها**»، فقام أعرابيٌّ فقال: لمن هي يا رسول الله؟!

---

(١) صحيح: رواه أبو يعلىٰ، عن جابر، والترمذي، والطبراني في «الكبير» عن ابن مسعود، ورواه ابن حبان، وأحمد، والطبراني في «الأوسط»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٩٣٨)، و«صحيح الجامع» (٢٦٠٩).

(٢) حسن: رواه ابن المبارك عن مكحول مرسلاً، ورواه البيهقي في «شعب الإيمان» عن ابن عمر،وصححه الألباني في «الصحيحة» (٩٣٦)، و«صحيح الجامع» (٦٦٦٩).

(٣) صحيح: رواه أبو داود في «سننه»، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٢/ ٩١٠) (٤٠٠٩).

فقال ﷺ: «لمن أطاب الكلامَ، وأطعم الطَّعَامَ، وأدامَ الصِّيَامَ، وصلَّى وباللَّيْلِ والنَّاسُ نيَامٌ»(١).

وبلفظ آخر: «إن في الجنة غرفًا يُرى ظاهرُها من باطنها، وباطنُها من ظاهرها، أعدَّها الله لمن أطعم الطعام، وألان الكلام، وتابع الصيام، وصلى بالليل والناس نيام»(٢).

• عن هانيء بن يزيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ موجَبات المغفرة بذلُ السَّلام، وحسنُ الكلام»(٣).

□ قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «من لانَت كلِمتهُ، وجبت محبَّتُهُ»(٤).

□ «وهل أعذبُ من كلام رفيق من قلبٍ شفيق؟! تُصيخ له الأسماء طربًا، وتُنيخ عنده الآذان طلبًا، تنشرح له الصدور، وتفرحُ به القلوب، وتتمتع بسماعه العقول»(٥).

□ وأسمع رجلٌ أبا الدرداء رضي الله عنه كلامًا، فقال له: «يا هذا لا تُغْرِقَنَّ في سَبِّنا، وَدَعْ للصُّلْح موضِعًا، فإنا لا نُكافيء من عصى الله فينا بأكثر من أن نُطيع الله عز وجل فيه».

---

(١) حسن: رواه الترمذي عن علي، حسنّه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (١٦١٦).

(٢) حسن: رواه أحمد، وابن حبان، والبيهقي في «شعب الإيمان»، وحسنّه الألباني في «صحيح الترغيب» رقم (٩٣٨)، و«صحيح الجامع» (٢١٢٣).

(٣) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير»، والخرائطي والقضاعي، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٠٣٥)، و«صحيح الجامع» (٢٢٣٢).

(٤) «الفقيه والمتفقه» للخطيب البغدادي (٢/ ٢٣١).

(٥) «بذل المعروف» (ص٢٨٩).

١٦٠- مداراة الناس:

• عن عائشة رضي الله عنها قالت: إنَّ رجلًا استأذنَ على النبي ﷺ فلمَّا رآهُ، قال: «**بئس أخُو العشيرةِ، وبِئسَ ابن العشيرةِ**»، فلمَّا جلسَ تطلَّقَ النبي ﷺ في وجهِهِ وانبسطَ إليهِ فلمَّا انطلقَ الرَّجُلُ، قالت له عائشة: يا رسول الله، حين رأيت الرَّجلَ قلتَ لهُ كذا وكذا، ثمَّ تطلَّقتَ في وجههِ وانبسطت إليهِ، فقال رسول الله ﷺ: «**يا عائشة، متى عهدتني فاحشًا، إنَّ شرَّ النَّاسِ عند الله منزلةً يوم القيامة من تركهُ النَّاسُ اتقاءَ شَرِّهِ**»(١).

□ والفرق بين المداراة والمداهنة أنَّ المداراة بذل الدنيا لصلاح الدنيا أو الدين أو هما معًا، وهي مباحة، وربما استحبت، والمداهنة ترك الدين لصلاح دنيا»(٢).

فالفرقُ بين المداراة والمداهنة: الغرضُ الباعث على الإغضاء، فإن أغضيتَ لسلامة دينك ولما ترى فيه إصلاح أخيك بالإغضاء فأنت مدارٍ، وإن أغضيتَ لحظ نفسك واجتلاب شهواتك وسلامة جاهك فإنت مداهن»(٣).

«والمداراة: هي ملاطفةُ مَن يُخافُ شرُّه، فإذا بُلِيَ الإنسان بذي خلق سيءٍ أو بُلِيَ بفاجر، أو عدوٍ، فينبغي أن يجامله ويتَّقيَه؛ ليدفع بذلك شرَّهُ وأذاه، فإن الفاجر يرضى بالخلق الحسن في الظاهر ويميل إليه فيكون سببًا لاستمالة قلبه.

---

(١) رواه أحمد والبخاري (٦٠٠٨)، ومسلم، وأبوداود (٤٧٩١) والترمذي، ولفظه: «اتقاء فُحْشِه».

(٢) «فتح الباري» (١٠/ ٤٦٩).

(٣) «مختصر منهاج القاصدين» (ص١١١).

ومداراةُ الخلق مجلبةٌ للود والألفة، وهي من الحكمة وليست مداهنةً، ولا نفاقًا، بل هي حكمة واستصلاح.

□ قال محمدُ بن الحَنَفيَّةِ رَحِمَهُ اللَّهُ ليسَ بحَكيم من لا يُعاشِرُ بالمعروف، منْ لا يَجِدُ من مُعاشَرَتِهِ بُدًّا، حتى يجعلَ الله له فرجًا، أو قال: مَخْرَجًا. و أنشد المتنبي:

ومن نكدِ الدنيا على الحُرِّ أن يرى عدوًا له ما مِنْ صَداقتِهِ بُدُّ

□ وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «خالِط الناس وزايلهم، ودينك لا تَكْلمَنْهُ».

□ قال الخطابي: «يريد خالطْهم ببدنك وزايلهم بقلبك، وليس هذا من باب النفاق، ولكن من باب المدارة».

□ قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: «كانوا يقولون: المداراةُ نصف العقل، وأنا أقول: هي العقلُ كله»[(١)].

□ قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «المداراةُ صِفَةُ مَدْحٍ، والمداهَنَةُ صفةُ ذمٍّ، والفرق بيْنهُما: أن المُدَاري يتلطفُ بصاحبه، حتى يستخرجَ منه الحقَّ، أو يَرُدَّهُ عن الباطل.

والمُداهِنُ يتلطفُ به ليقرَّهُ على باطلِهِ ويَتْرُكَهُ على هواهُ، فالمُداراةُ لأهل الإيمان، والمُداهنةُ لأهلِ النفاقِ»[(٢)].

* وقال الله تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فصلت]، أي: قريب.

---

(١) «الآداب الشرعية» (٤/ ١٢١) زايلْتَه: فارقْتَهُ.

(٢) «الروح» لابن القيم (ص٢٠٨).

* وقال تعالى: ﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ [الرعد: ٢٢].

□ قال ابن عباس رضي الله عنهما: «أي الفحشُ والأذى بالسلام والمداراة، أي: يدفعون بالسلام عليهم والملاينة معهم في الكلام بالخلق الجميل ما جُبلوا عليه من فُحشهم وأذاهم»(١).

• وعن ابن أبي مُلَيْكة: «أن النبي ﷺ أُهْدِيت له أقبية من ديباجٍ مُزَرَّدَةٌ بالذهبِ، فقسمَها في أناسٍ من أصْحابِه، وعزلَ منها واحدًا لِمَخْرَمة ابن نوفل، فجاء ومعهُ ابنُهُ المِسْوَرُ بنُ مخرَمَةَ، فقام على الباب، فقال: ادْعُهُ لي، فسمع النبيُّ ﷺ صوتَهُ فأخذ قباءً فتلقَّاهُ به، واسْتَقْبَله بأزْرَارِهِ، فقال: «**يا أبا المِسْور خبأتُ هذا لك، يا أبا المسورِ خبأتُ هذا لك**»، وكان في خُلُقِهِ شيءٌ(٢).

أي: كان سيء الخلق وفي لسانه بذاءة.

□ قال ابن حجر رحمه الله: «دعاه أبا المسور وكأنه على سبيل التأنيس له بذكر ولده الذي جاء بصحبته، وإلَّا فكنيتُه في الأصل أبو صفوان وهو أكبر أولاده».

□ قال ابن بطَّال: «يُستفاد منه استئلاف أهل اللَّسَن(٣)، ومن في معناهم بالعطية والكلام الطيب».

□ وقال ابن بطَّال: «المداراةُ من أخلاق المؤمنين، وهي خفض الجناح للناس، ولين الكلمة، وترك الإغلاظ لهم في القول (وذلك من أقوى

---

(١) «إتحاف السادة المتقين» (٧/ ٢٣٨).

(٢) رواه البخاري رقم (٣١٢٧)، و(٥٨٠٠)، و(٦١٣٢).

(٣) أي: أهل السَّلاطة وكثرة الكلام والبذاء.

أسباب الألفة)، وظنَّ بعضهم أن المداراة هي المداهنة فغلط؛ لأن المداراة مندوبٌ إليها والمداهنَةَ محرمةٌ، والفرقُ: أن المداهنة من الدِّهَانِ وهو الذي يظْهر على الشيء، ويستُرُ باطِنَهُ، وفسرها العلماء بأنها مُعاشرةُ الفاسقِ وإظهارُ الرِّضا بما هو فيه من غير إنكارٍ عليه.

والمداراةُ: هي الرفقُ بالجاهل في التعليم، وبالفاسق في النهي عن فِعْلِهِ وتركِ الإغلاظِ عليه حيثُ لا يظهرُ ما هو فيه.

والإنكارُ عليه بلُطفِ القول والفعل، ولا سيَّما إذا احْتِيجَ إلى تألُّفِهِ ونحو ذلك»[1].

□ وقيل للإمام العلامة ابن عقيل كما في الفنون: «أسمع وصية الله عَزَّ وَجَلَّ يقول: ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبين عداوةٌ كأنه وليٌّ حمي، وأسمع الناس يعُدُّون من يظهر خلاف ما يبطن منافقًا، فكيف لي بطاعة الله تعالى والتخلص من النفاق؟

فقال: النفاقُ هو إظهار الجميل وإبطانُ القبيح وإضمارُ الشر مع إظهار الخير؛ لإيقاع الشر، والذي تضمنتهُ الآية إظهار الحَسَن في مقابلة القبيح: لاستدعاء الحسن.

قال في الآداب: فخرج من هذه الجملة أن النفاق إبطانُ الشر وإظهارُ الحسن لإيقاع الشر المضمر، ومن أظهر الجميل والحسن في مقابلة القبيح، ليزول الشر فليس بمنافق لكنه يستصلح، ألا تسمع إلى قوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فصلت].

فهذا اكتسابُ استمالة، ودفع عداوة، وإطفاءٌ لنيران الحقائد، واستنماءُ

(١) «فتح الباري» (١٣/ ٦٤٧).

الود، وإصلاحُ العقائد، فهذا طلب المودات واكتساب الرجال.

والتوددُ إلى الناس مطلوب شرعًا مستحسن طبعًا.

* قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

◻ قال أبو سليمان الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ما دُمْتَ حيًّا فدارِ الناسَ كُلَّهُمُ ... فإنما أنت في دارِ المُداراة

من يدْرِ داريْ ومَنْ لم يدْرِ سوفَ يُرى ... عمّا قليل نديمًا للنَّدامَاتِ

◻ وقال محمد بن أبي سعيد بن شرف القيرواني رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

إن تُلقِكَ الغربةُ في معشر ... قد جُبِلَ الطبعُ على بغضهم

فدارهم ما دمتَ في دارهم ... وأرضهم ما دمت في أرضهم[١]

◻ قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ويذكر عن أبي الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «إنا لنكْشِرُ في وجوه أقوام وإنَّ قلوبنا لتلعنهم»[٢].

◻ وقال أحدهم:

لقد أسْمَعُ القولَ الذي كاد كُلَّما ... تذكِّرنيه النَّفْسُ قلبي يُصدَّعُ

فابْدي لمن أبداه مني بشاشةً ... كأنيَ مسرورٌ لما منه أسْمَعُ

وما ذاك من عجْب به غير أنني ... أرى أنَّ تَرْكَ الشرِّ للشرِّ أقطعُ[٣]

◻ وقال أكثم بن صيفي: «من شَدَّدَ نَفَّرَ، ومن تراخى تَأَلَّف، والسرور

---

(١) «غذاء الألباب شرح منظومة الآداب» (١/ ٦١).

(٢) «فتح الباري» (١٣/ ٦٤٧) وقال في «النهاية»: الكَشْر: ظهور الأسنان للضاحك، وكاشره: إذا ضحك في وجهه وباسطه.

(٣) «لباب الآداب» (ص٣٢٢).

في التغافل».

□ وقيل للعتَّابي: «إنك تلقى الناسَ كلهم بالبشر، قال: دفعُ ضغينة بأيسر مؤنة، واكتسابُ إخوانٍ بأيسر مبذول».

□ وقال بعض الحكماء: «منْ عَرف الناس داراهم، ومن جهِلَهُم ماراهم»[١].

□ وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن الخَوَر إظهار العداوة للعدو، ومن أحسن التدبير التلطفُ بالأعداء إلى أن يمكن كسرُ شوكتهم، ولو لم يمكن ذاك كان اللطفُ سببًا في كفِّ أكفِّهم عن الأذى وفيهم من يستحي لحسن فعلك: فيتغير قلبه لك.

وقد كان جماعةٌ من السلف إذا بلغهم أن رجلًا قد شتمهم، أهدوا إليه وأعطَوه، فهم بالعاجل يكفُون شرَّه، ويحتالون في تقليب قلبه، ويقع بذلك لهم مهلةٌ لتدبير الحيَل عليه إن أرادوا»[٢].

□ وقال الماوَرْدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا كان للإنسان عَدْوٌ وقد اسْتَحْكَمَتْ شَحْناؤُهُ، واسْتَوعَرَتْ سَرَّاؤُهُ، واسْتَخْشَنَتْ ضَرَّاؤُهُ، فهو يتربَّصُ بدوائرِ السُّوء انتهاز فُرْصةٍ ويتجرَّعُ بمهانةِ العَجْزِ مرارةَ غُصَّةٍ، فإذا ظَفِرَ بنائبةٍ ساعدها، وإذا شاهد نِعْمَةً عاندها، فالبُعْدُ عن هذا حذرًا أسلمُ، والكفُّ عنه مُتاركَةً أغْنَمْ؛ لأنه لا يُسْلَمُ من عواقب شرِّه، ولا يُفْلتُ من غوائِلِ مَكْرِهِ إلَّا بالبُعْدِ عنه، أو مُدَارَاتِهِ. وقد قال لقمانُ لابنهِ: يا بُنِيَّ: كَذَبَ من قال إن الشر بالشَّرِّ يُطفأُ، فإن كان صادقًا فليُوقِدْ نارين ولينْظُر هلْ تُطْفِئُ

---

(١) «الآداب الشرعية» (٤/ ١٢٣)، (١/ ٤٥٧).

(٢) «صيد الخاطر» (ص٣٤٨).

إحْداهُما الأخرى، وإنما يطفِئُ الخيرُ الشرَّ كما يطفِئُ الماءُ النار»[(١)].

□ وقال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ:

لَمَّا عَفَوْتُ ولم أحْقِدْ على أحَدٍ ... أرَحْتُ نَفْسِيَ من همِّ العدَاوتِ
إنِّي أُحَيِّي عَدُوِّي عِنْدَ رُؤيَتِهِ ... لأدْفَعَ الشَّرَّ عَنِّي بالتَّحِيَّاتِ
وأظْهِرُ البِشْرَ للإنسانِ أُبغِضُهُ ... كأنَّما قد حَشَا قَلْبِي مَحَبَّاتِ
الناسُ داءٌ وداءُ الناس قُرْبُهُمُ ... وفي اعتزالِهِمُ قَطْعُ المودَّاتِ[(٢)]

□ وقال العامري: «المداراةُ: اللين والتعطف، ومعناه أن من ابتُلى بمخالطةِ الناس معاملةً ومعاشرةً، فالآن جانبه وتلطف ولم ينفرهم: كتب له صدقة».

□ قال ابن حبان: «المداراةُ التي تكون صدقةً للمداري، تخلقه بأخلاقه المستحسنة مع نحو عشيرته ما لم يَشِنها بمعصية، والمداراةُ محثوثٌ عليها مأمور بها، ومن ثَمَّ قيل: اتَّسعت دار من يُداري وضاقت أسباب مَن يماري»[(٣)(٤)].

١٦١- مراعاة مشاعرِ الناس وعواطفهم:

• عن أبي سليمان بن الحويرث رضي الله عنه قال: أتينا النبي ﷺ ونحن شببةٌ متقاربون، فأقمنا عنده عشرين ليلةً، فظن أنا اشتقنا أهلنا، وسألَنَا عمن تركنا في أهلنا، فأخبرناه، وكان رقيقًا رحيمًا، فقال: «**ارجِعوا إلى أهليكم**

(١) «أدب الدنيا والدين» (ص٢٢٣).
(٢) «أدب الدنيا والدين» (ص٢٢٣).
(٣) «فيض القدير» للمناوي (٥/ ٥١٩).
(٤) «أدب السلف في التعامل مع الناس» (ص١٤٨- ١٥٤).

ومُرُوهم، وصلُّوا كما رأيتموني أصلي، وإذا حضرتِ الصلاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لكم أحدُكُمْ، ثم ليؤمكم أكبرُكُم»(١).

• عن سعيد بن العاص رضي الله عنه أن عائشة زوج النبي ﷺ وعثمان رضي الله عنه حدثاه: أن أبا بكر رضي الله عنه استأذن على رسول الله ﷺ وهو مضطجعٌ على فراشه لابسٌ مِرطَ عائشة رضي الله عنها، فأذن له وهو على تلك الحال، فقضى إليه حاجته، ثم انصرف، قال عثمان: ثم استأذنتُ عليه، فجلس، وقال لعائشة: «اجمعي عليكِ ثيابَكِ» فقضيتُ إليه حاجتي، ثم انصرفت فقالت عائشة: يا رسول الله، ما لي لم أرك فزعتَ لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما كما فزعت لعثمان؟ قال رسول الله ﷺ: «إن عثمان رجلٌ حيي، وإني خشيتُ إن أذنت له على تلك الحال، أن لا يبلغ إليَّ حاجته»(٢).

• عن مطرف بن عبدالله العامري أنه قال لبعض إخوانه: يا أبا فلان، إن كان لك حاجة، فلا تكلمني فيها، واكتبه في رقعه، فإني أكره أن أرى في وجهك ذلَّ السؤالِ.

٢٦١ – مشاركة الناس في السَّرَّاءِ والضَّرَّاء ومواساتهم:

• عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنا في غزوة بدر كلُّ ثلاثةٍ منا على بعير، كان علي رضي الله عنه وأبو لُبابة رضي الله عنه زميلَيْ رسول الله ﷺ فإذا كان عقبة النبي ﷺ قالا: اركب يا رسول الله، حتى نمشي عنك، فيقول: «ما أنتما

(١) رواه أحمد والبخاري في «صحيحه» (٧/ ١٠١) (٦٠٠٨)، ومسلم، والنسائي.

(٢) رواه أحمد، ومسلم (٤/ ١٤٨٧) (٢٤٠٢)، والبخاري في «الأدب المفرد»، والطحاوي، وأبو يعلى.

بأقوى على المَشي مني، وما أنا بأغنى عن الأجرِ منكما»(١).

• عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال النبيُّ ﷺ: «إنَّ الأشعريينَ إذا أرمَلوا في الغزو أو قلَّ طعامُ عيالهم بالمدينةِ جمعوا ما كان عندهم في ثوبٍ واحدٍ، ثُمَّ اقتسموهُ بينهم في إناءٍ واحدٍ بالسويَّةِ، فهم مني وأنا منهم»(٢).

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالت الأنصارُ للنبي ﷺ اقسم بيننا وبين إخواننا النَّخيلَ. قال: «لا». فقال الأنصارُ: تَكفُونَا المؤونةَ ونشرككم الثَّمرة، قالوا: سمعنا وأطعنا(٣).

• عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه حدَّثَ عن رسول الله ﷺ أنه أراد أن يغزو، فقال: «يا معشَر المهاجرين والأنصار، إنَّ من إخوانكم قومًا ليس لهم مال ولا عشيرة، فليَضُمَّ أحدُكُمْ إليه الرجلينِ أو الثلاثةَ»(٤).

١٦٣- الرِّفْقُ بالناس في الأمْرِ كُلِّه:

* قال تعالى: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [فصلت: ٣٤].

• عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله يحبُّ الرِّفْقَ في

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ١٩٤).

(٢) صحيح: رواه ابن حبان في «صيحه»، والحاكم في «المستدرك»، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٥/ ٣٢٦) (٢٢٥٧).

(٣) رواه البخاري (٣/ ١٥٣) (٢٤٨٥)، ومسلم (٣/ ٢٣٩) (٢٧١٩).

(٤) صحيح: رواه أبو داود في «سننه»، والحاكم في «المستدرك»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣٠٩)، و«صحيح الجامع» (٧٩٧٩)، و«صحيح سنن أبي داود» (٢/ ٤٨١) (٢٢٠٩).

الأمرِ كُلِّهِ»(١).

• عن عبدالله بن مغفل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله رفيقٌ يحبُّ الرفقَ ويُعطي على العنف، وما لا يُعطي على ما سواه»(٢).

• وعند مسلم: «يا عائشة: إن الله رفيقٌ يحب......».

• وعن معدان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله رفيقٌ يحب الرِّفق، ويرضاهُ، ويعينُ عليه ما لا يُعينُ على العُنف، فإذا ركبتم هذه الدوابَّ العُجْمَ فنزِّلوها منازِلها، فإنْ أجْدبت الأرضُ فانجوا عليها؛ فإن الأرض تُطوَى بالليل ما لا تُطوى بالنهار..»(٣).

• عن جرير بن عبد الله البَجَلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ يُحرمِ الرِّفْقَ، يُحْرَمِ الخَيْرَ»(٤).

• عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إنَّ الرفقَ لا يكونُ في شيءٍ إلَّا زانَهُ، ولا يُنزعُ من شيءٍ إلَّا شانَهُ»(٥).

• عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أُعْطِيَ حظَّهُ من

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه» (٧/ ١٠٥) (٦٠٢٤).

(٢) رواه مسلم (٢٥٩٣) ورواه البخاري في «الأدب المفرد»، وأبو داود عن عبد الله ابن مغفل، وابن ماجه وابن حبان عن أبي هريرة، وأحمد، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن علي، والطبراني في «الكبير» عن أبي أمامة، والبزار عن أنس، وكذا رواه الدارمي، والخرائطي، وابن حبان وأبو نعيم، والضياء، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٧٧١).

(٣) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٦٨٢)، و«صحيح الجامع» (١٧٧٠).

(٤) رواه أحمد، ومسلم (٢٥٩٢)، وأبو داود، وابن ماجه.

(٥) رواه مسلم (٤/ ١٥٩٠) (١٥٩٤).

الرِّفقِ فقد أعطي حظَّهُ من الخيرِ، ومن حُرِمَ حظَّهُ من الرفقِ فقد حُرِمَ من الخير»(١).

ومن ذلك الرِّفق في الأمر والنهي وتعليم الجاهل:

• فعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: إن فتًى شابًّا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزِّنَى، فأقبل القومُ عليه، فزجرُوه، وقالوا: مَهْ مَهْ، فقال: «**ادْنُهْ**» فدنا منه قريبًا، قال: فَجَلَسَ، قال: «**أَتُحِبُّه لأمِّك؟**» قال: لا والله، جَعلني الله فِداءَك، قال: «**ولا الناس يُحبُّونه لأمَّهاتِهم**»، قال: «**أفَتُحِبُّه لابنتك؟**» قال: لا والله، جَعَلني الله فداءك، قال: «**ولا الناس يحبّونه لأخواتهم**»، قال: «**أفتحبُّه لعمتك؟**»، قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: «**ولا الناس يحبُّونه لعمَّاتِهم**»، قال: «**أفتحبُّه لخالتك؟**» قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: «**ولا الناس يحبُّونه لخالاتهم**» قال: فوضع يَدَه عليه، وقال: «**اللهم اغفر ذَنْبه، وطَهِّر قلبه، وحصِّن فرْجَه**»، **قال: فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء**»(٢).

• وعن معاوية بن الحكم السُّلَمِي رضي الله عنه الذي تكلم في الصلاة، وقال لرجل من القوم عطس في الصلاة: يرْحمك الله، فَرَماه القومُ بأبصارهم، وجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذِهِم ليُصمِّتُوهُ -وذلك قبل أن يشرع التسبيح لمن نابه شيء في صلاته- قال: فلما صلى رسول الله ﷺ، فَبأبي هُو وأمِّي! ما رأيتُ مُعَلمًا قبلهُ ولا بعدَهُ أحسنَ تعليمًا منه، فوالله! ما كهرني -

---

(١) صحيح: رواه الترمذي، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٢/ ١٩٤) (١٦٣٣).

(٢) إسناده صحيح: رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٥٧) برقم (٢٢٢١١).

أي: ما انتهرني- ولا ضربني ولا شتمني قال: «**إن هذه الصلاةَ لا يَصلح فيها شيءٌ من كلام الناس، إنما هو التسبيحُ والتكبير وقراءة القرآن**»(١).

□ قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فيه بيان ما كان عليه رسول الله ﷺ من عظيم الخُلق الذي شهد الله تعالى له به، ورفقه بالجاهل، ورأفته بأمته، وشفقته عليهم، وفيه التخلق بخلقه ﷺ في الرفق بالجاهل، وحُسن تعليمه واللطف به، وتقريب الصواب إلى فهمه»(٢).

• وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال لها: «**يا عائشة، إن هذا ريحانتي، دَلِّهم على الرِّفق**»، وفي رواية: «**إذا أراد الله بأهل بيتٍ خيرًا أدخل عليهم الرِّفق**»(٣).

• وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يصلي بنا، فيجيء الحسن وهو ساجد -صبي صغير- حتى يصير على ظهره أو رقبته، فيرفَعَه رفعًا رفيقًا، فلما صلى صلاته؛ قالوا: يا رسول الله، إنك لتصنع بهذا الصبي شيئًا لا تصنعه بأحد، فقال: «**إن هذا ريحانتي، وإن ابني هذا سيد، وعسى الله أن يصلح به بين فئتيْن من المسلمين**».

• وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ في مَسيرٍ لهُ فحَدَا

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» - كتاب المساجد (٥٣٧).

(٢) «شرح مسلم» للنووي (٥/ ١٨).

(٣) صحيح: رواه أحمد في «المسند» (٦/ ١٠٤)، والمنذري (٢/ ٢٦٢) وقال: رواه أحمد والبزار من حديث جابر ورواتهما رواه الصحيح، والهيثمي في «المجمع» (٨/ ١٩)، وقال: رواه أحمد رجال الثانية رجال الصحيح، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٥٢٣).

الحادي، فقال رسول الله ﷺ: «**أَرْفِق يا أَنْجَشهُ وَيْحَكَ بالقوارير**»(١).

• وعن عائشة رضي الله عنها أن يهود أَتَوْا النبي ﷺ، فقالوا: السَّامُ عليكم. قالت عائشة رضي الله عنها: عليكم ولَعنكُمُ اللهُ وغَضِبَ الله عليكم. قال: «**مَهْلًا يا عائشة عليك بالرِّفق وإياكِ والعُنْفَ والفُحْشَ**»، قالت: أَوَ لَمْ تستمع ما قالوا: قال: «**أَوَ لَمْ تَسمعي ما قلتُ رَدَدْتُ عليهم فيُستجابُ لي فيهم ولا يُستجَابُ لهم فيَّ**»(٢).

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن أعرابيًّا بالَ في المسجد فثارَ إليه الناسَ لِيَقعُوا به فقال لهم رسول الله ﷺ: «**دَعُوهُ وأَهْرِيقُوا علَى بَوْلِه ذَنُوبًا من ماءٍ أَوْ سَجْلًا مِن ماء فإنما بُعِثْتُم مُيَسِّرين ولم تُبعَثُوا مُعَسِّرين**»(٣).

□ وعن عائشة أنها قالت: «ما خُيِّرَ رسولُ الله ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْن إلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُما ما لم يكن إِثْمًا، فإن كان إِثْمًا كان أَبْعَدَ الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلَّا أن تُنتهكَ حُرمَةُ الله فينتقمَ لله منها»(٤).

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رَجُلًا أتى النبي ﷺ يتقاضاه فأغْلَظَ، فَهَمَّ به أصحابُهُ، فقال رسول الله ﷺ: «**دَعُوهُ، فإن لصاحب الحق مقالًا**»، ثم قال: «**أعْطُوه سِنًّا مِثْلَ سِنِّه**». قالوا: يا رسول الله إلَّا أَمْثَلَ من سِنِّه. فقال: «**اعْطُوهُ فإنَّ من خيركُم أحسنكمُ قضاء**»(٥).

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه» (٦٢٠٩).

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» (٦٠٣٠).

(٣) رواه البخاري في «صحيحه» (٦١٢٨).

(٤) رواه البخاري (٣٥٦٠)، ومسلم (٢٣٢٧).

(٥) رواه البخاري (٢٣٠٦) واللفظ له، ومسلم (١٦١٠).

• وعن أنس ﷺ قال: كان رسولُ الله من أحسن الناسِ خُلُقًا، فأرسلني يومًا لحاجَة فقلتُ والله لا أذهبُ وفي نفسي أنْ أذهبَ لِمَا أمرني به نبي ﷺ فخرجتُ حتى أَمُرَّ على صِبيان وهم يلعبون في السُّوق، فإذا رسولُ الله ﷺ قَدْ قبضَ بِقفايَ مِن ورائي، قال: فنظرتُ إليه وهو يضحكُ فقال: «يا أُنيس أَذَهبتَ حيثُ أَمَرْتُك؟» قال: قلتُ: نعمَ أنا أذهبُ يا رسولَ الله»(١).

• وعن أبي هريرة ﷺ قال: «قَدِمَ الطُّفَيْل بن عَمْرو الدَّوْسي وأصحابُهُ على النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله إنْ دَوْسًا عَصَت وأبَتْ فادعُ الله عليها، فقيل: هلكتْ دوسٌ. قال: «اللهم اهْدِ دَوْسًا وأْتِ بهم»(٢).

• وعن أبي هريرة ﷺ قال: بعثَ النبي ﷺ خَيْلًا قِبَل نَجْد، فجاءت بِرَجُلٍ من بني حنيفة يُقالُ له ثمامةً بن أُثَال، فربطوه بساريةٍ من سَوَارِي المسجد، فخرج إليه النبي ﷺ فقال: «ما عندك يا ثُمامَة؟» فقال: عندي خير يا محمدُ إن تقتُلْني تَقْتُل ذا دَم، وإنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ على شاكِرٍ، وإن كنتَ تريدُ المال فسَلْ منه ما شِئتَ. فتُرِكَ حتى كان الغَدُ، ثم قال له: ما عِنْدَكَ يا ثُمامةْ؟» قال: ما قلتُ لكَ: إنْ تُنعِم تُنْعِم على شاكِرٍ، فتركه حتى كان بَعْدَ الغدِ، فقال: ما عندكَ يا ثُمامَةُ؟ قال: ما قلتُ لكَ. فقال: «أطلِقُوا ثُمامَة»: فانطلقَ إلى نخْل قريب من المسجد فاغتسلَ ثم دخل المسجد فقال: أشهدُ من لا إله إلَّا الله، وأشهدُ أن محمدًا رسول الله. يا محمد، والله ما كان على وجه الأرض وَجْهٌ أَبْغَضَ إليَّ مِن وجهك، فقد أصبح وجهُكَ أحبَّ

---

(١) رواه مسلم (٢٣١٠).

(٢) رواه البخاري (٣٤٧٧)، ومسلم (١٧٩٢) واللفظ له.

الوجوه إليّ. والله ما كان مِن دينٍ أبغضُ إليَّ مِن دينكَ، فأصبح دينك أحبَّ الدِّينِ إليّ والله ما كانَ من بَلَدٍ أَبْغضُ إليَّ من بلدك، فأصبح بلدُك أَحبَّ البلادِ إليّ. وإن خيلَك أَخَذتني وأنا أُريدُ العمرةَ. فماذا ترى؟ فبشَّرَه رسول الله ﷺ وأمَرضه أن يعتمرَ. فلما قَدِم مكة. قال له قائِلٌ: صَبَوْت. قال: لا. ولكنْ أسلمتُ مع محمد رسول الله ﷺ. ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حَبَّةُ حِنْطة حتى يأذن فيها النبي ﷺ(١).

□ عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: «خرجت مع عمر بن الخطاب ﵁ إلى السُّوق، فَلَحِقَت عمر امرأة شابة فقالت: يا أمير المؤمنين هَلَكَ زوجي وترك صِبية صغارًا والله ما يُنضِجُون كُرَاعًا(٢) ولا لهم زرع ولا ضرع وخشيت أن تأكلهم الضبع، وأنا بنت خفاف بن إيماءَ الغِفَاري وقد شهد أبي الحديبيةَ مع النبي ﷺ. فوقف معها عمر ولم يمض. ثم قال: مرحبًا بنسب قريب(٣)، ثم انصرف إلى بعير ظهير(٤) كان مربوطًا في الدار فحمل عليه غِرَارَتَيْن(٥) مَلأهما طعامًا وحمل بينهما نفقة وثيابًا، ثم ناولها بخِطامِه، ثم قال: اقتاديه، فلن يفني حتى يأتيكم الله بخير. فقال رجل: يا أمير المؤمنين أكثرتَ لها، فقال عمر: ثَكِلَتْك أمُّك، والله إني لا أرى أبا هذه

---

(١) رواه البخاري (٤٣٧٢)، ومسلم (١٧٦٤).

(٢) كراعًا: هو ما دون الكعب من الشاة ومعناه أنهم لا يكفون أنفسهم معالجة ما يأكلونه.

(٣) يحتمل أن يريد قرب نسب غفار من قريش، أو أراد أنها نُسبت إلى شخص واحد معروف.

(٤) أي: قوي الظهر.

(٥) الغرارتان: واحدهما غِرَارة وهي الجَوَالِقَ.

وأخاها قد حاصرا حِصنًا زمانًا فافتتحاهُ، ثم أصبحنا نَسْتَفِئ سِهْمَاننا فيه»(١).

▫ قال حماد بن سلمة رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن صِلةَ بن أشيم مرَّ عليه رجل قد أسبل إزاره، فهمَّ أصحابه أن يأخذوه بشدَّة، فقال: دعوني أنا أكفيكم فقال: يا ابن أخي! إنَّ لي نعم وكرامة، فرفع إزاره، فقال لأصحابه: لو أخذتموه بشدة لقال: ولا كرامة وشتمكم»(٢).

▫ وبلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنَّ جماعةً من رعيَّته اشتكَوْا من عُمَّاله فأمرهم أنْ يُوَافُوه، فلمَّا أتوْه قام فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أيها الناس أيتها الرعيَّة إنَّ لنا عليكم حقًّا: النصيحة بالغيب والمعاونة على الخير، أيتها الرُّعاة إنَّ للرعِيَّة عليكم حقًّا، فاعلموا أنه لا شيءَ أحبُّ إلى الله ولا أعزُّ من حِلْم إمامٍ ورِفقِه، وليس جهلٌ أبغضَ إلى الله ولا أغمَّ من جَهْلِ إمامٍ وخَرَقِه، واعلموا أنه من يأخذ بالعافية فيمن بينَ ظَهْرَيْهِ يُرزَقُ العافيةَ ممن هو دونه»(٣).

• وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «سمعتُ رسول الله يقولُ في بَيْتي هذا: **«اللهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِن أمرِ أُمَّتي شيئًا فشَقَّ عليهم فاشقُقْ عليه، ومَنْ وَلِيَ من أمْرِ أمَّتي شيئًا فرَفَق بهم فارْفُق به»**(٤).

• وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: **«يَسِّروا ولا تُعِسِّروا**

(١) رواه البخاري (٤١٦٠).

(٢) «تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين» (ص٣٧).

(٣) «إحياء علوم الدين» (٣/ ١٨٨، ١٨٩).

(٤) رواه مسلم (١٨٢٨)، وأحمد.

وسَكِّنوا ولا تُنَفِّرُوا»[(١)].

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إيَّاكُم أن تتخذوا ظُهورَ دوابِّكم مَنابرَ، فإن الله إنما سخَّرها لكم لتبلِّغَكُم إلى بلدٍ لم تكونوا بالغيه إلَّا بشِقِّ الأنفسِ، وجعلَ لكم الأرض، فعليها فاقضوا حاجتكُم»[(٢)].

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إيَّاكُم والوِصالَ». قالوا: إنك تُواصِلُ يا رسول الله، قال: «إنكم لستم في ذلك مثلي، إني أبيتُ عند ربي يُطْعِمُني ويسقيني فاكْلَفُوا من العملِ ما تُطيقون»[(٣)].

□ قال أبو الدرداء رضي الله عنه: «إنَّ مِن فقه الرَّجُل رِفْقَهُ في معيشتِهِ»[(٤)].

□ قال عمر بن العاص لابنه عبد الله رضي الله عنهما: «ما الرِّفْقُ؟» قال: «تكونُ ذا أناةٍ فتُلاينَ الوُلاةَ». قال: فما الخَرَق؟ قال: مُعاداةُ إمامِكَ ومناوأةُ من يقدرُ على ضررك»[(٥)].

□ وعن هشام بن عُروة عن أبيه قال: «مكتوبٌ في الحِكمة: «الرِّفقُ رَأْسُ الحِكمة»[(٦)].

□ وعن قيس بن أبي حازم قال: «كان يُقال: مَن يُعْطَ الرِّفق في الدنيا نفعَه في الآخرة»[(٧)].

---

(١) رواه البخاري (٦١٢٥)، ومسلم (١٧٣٤).
(٢) حسن: رواه أبو داود (٢٥٦٧)، وقال محقق جامع الأصول (٤/ ٥٢٨): إسناده حسن.
(٣) رواه البخاري (١٩٦٦)، ومسلم (١١٠٣) واللفظ له.
(٤) أخرجه هنَّاد في «الزهد»، ووكيع في «الزهد» (٣/ ٧٨٢) ورجاله ثقات.
(٥) «إحياء علوم الدين» (٣/ ١٨٨).
(٦) أخرجه هنَّاد بن السَّري في «الزهد» ورجاله ثقات.
(٧) أخرجه وكيع في «الزهد» (٣/ ٧٧٧) ورجاله ثقات وإسناده صحيح.

□ وقال ابن أبي خالد: «الرِّفقُ يُمْنٌ، والخَرَقُ شؤم»(١).

□ وقال وهب بن مُنَبِّه: «الرِّفقُ ثَنِيُّ الحِلْمِ»(٢).

□ وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: «لا تُكلِّفوا الناس ما لم يُكَلَّفُوا، ولا تُحاسبوا الناس دون ربهم؛ ابن آدم، عليك نفسك، فإنه مَن تَتَبَّع ما يرى في الناس يطل حزنه، ولا يشف غيظه»(٣).

رفق سلمان رضي الله عنه:

□ عن أبي قلابة: «أن رجُلًا دخل على سلمان وهو يعجن؛ فقال: ما هذا؟ فقال: بعثنا الخادم في عمل -أو قال: في صَنْعَة- فكرِهْنا أن نجمعَ عليه عملَيْن -أو قال: صنعتيْن-؛ ثم قال: فلانٌ يُقرئك السلام؛ قال: متى قدمتَ؟ قال: منذ كذا وكذا؛ قال: فقال: أما إنك لو لم تُؤدِّها، كانت أمانة لم تُؤدِّها»(٤).

رفق أبي هريرة رضي الله عنه:

□ عن أبي المتوكِّل أن أبا هريرة كانت له زنْجِيَّةٌ قد غمَّتْهُم بعملها، فرفع عليها السوْط يومًا، فقال: «لولا القصاص، لأغشيك به؛ ولكني سأبيعك ممن يُوَفِّيني ثمنك، اذهبي، فأنتِ لله»(٥).

□ ورأى رجل أبا ذر رضي الله عنه، وهو يتبوَّأُ مكانًا؛ فقال له: ما تريدُ يا أبا

(١) «الزهد» لوكيع (٣/ ٧٨٠).
(٢) «إحياء علوم الدين» (٣/ ١٨٩).
(٣) «الحلية» (١/ ٢١١).
(٤) المصدر السابق (١/ ٢٠١).
(٥) «الحلية» (١/ ٣٨٤).

ذر؟ فقال: أطلبُ موضعًا أنامُ فيه، نفسي هذه مطيَّتي، إن لم أرفق بها، لم تبلغني»[(١)].

رفْق عبد الملك بن أبْجَر:

□ عن حسين الجُعْفي قال: «كنتُ عند عبد الملك بن أبجر وقد أبق غلامٌ له، وكان له بابان، فلم يعلم، حتى جاء الغلامُ؛ فقال له عبد الملك: فلان ويحك أين أبقت؟ لم تُقبل لك صلاة، من أيِّ باب خرجتَ؟ أأحدٌ خيرٌ لك منّا؟ ما أحسبك تجدُ أحدٌ خيرًا لك منا، مِن أيِّ بابٍ خرجتَ حين ذهبت؟ قال: من هذا الباب؛ قال: أدخل منه وأستغفرُ الله لك؛ يا فلانة أطعميهن فإني أحسبُهُ جائعًا»[(٢)].

رفق طاووس رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

□ عن مَعْمَر: «أن طاووسًا أقام على رفيق له مريض حتى فاته الحج[(٣)] لله در طاووس، طاووس العلماء.. والله لقد بلغ الغاية في الرفق برفيقه.. ولا يصنع هذا إلَّا طاووس وأمثاله من كبار سادات سلفنا الصالح».

١٦٤- ملاطفة الأطفال:

□ عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: «صلَّيتُ مع رسول الله ﷺ صلاة الأولى، ثم خرج إلى أهله، وخرجتُ معه، فاستقبله وِلْدَانٌ، فجعل يمسح خدي أحدهم واحدًا واحدًا. قال: وأما أنا فمسح خدي. قال: فوجدت

(١) المصدر السابق (١/ ١٦٥).
(٢) «الحلية» (٥/ ٨٥).
(٣) «الحلية» (٤/ ١٠).

ليده بردًا أو ريحًا كأنما أخرجها من جونة عطار»[١].

□ عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ إذا قدم من سفر تُلقِّي بصبيان أهل بيته. قال: وإنه قدم من سفر فسَبق بي إليه، فحملني بين يديه ثم جيء بأحد ابني فاطمة فأردفه خلفه، قال: فأدخلنا المدينة ثلاثة على دابة»[٢].

• عن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ أحسنَ الناس خلقًا، وكان لي أخ يقال له: أبو عمير -قال: أحسبه فُطيم-، وكان إذا جاء قال: «**يا أبا عُمير ما فعل النُّغير؟**»[٣].

□ عن يوسف بن عبد الله بن سلام رضي الله عنهما قال: «سمَّاني رسول الله ﷺ وأقعدني في حجره، ومسح على رأسي»[٤].

□ عن يعلى بن مرَّة رضي الله عنه أنَّه قال: «خرجنا مع النبي ﷺ ودُعِينا إلى طعام، فإذا حسين رضي الله عنهما يلعب في الطريق، فأسرع النبي ﷺ أمام القوم ثم بسط يده، فجعل الغلام يفر هاهُنا، وهاهنا ويضاحك النبي ﷺ حتى أخذه، فجعل إحدى يديه في ذقنه والأخرى في رأسه، ثم اعتنقه»[٥].

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنَّا نصلِّي مع رسول الله ﷺ العشاء، فإذا

---

(١) رواه مسلم في «صحيحه» (٤/ ١٤٤٨) (٢٣٢٩).

(٢) رواه مسلم (٤/ ١٥٠١) (٢٤٢٣).

(٣) رواه أحمد، والبخاري (٧/ ١٣٣) (٦١٢٩)، والترمذي، والنسائي وابن ماجه.

(٤) صحيح: أخرجه أحمد، والترمذي في «الشمائل المحمدية»، وصححه الألباني في «صحيح الشمائل المحمديّة» (ص١٧٨) رقم (٢٩٢).

(٥) صحيح: رواه البخاري في «الأدب المفرد» (ص١٤٦) رقم (٢٧٩).

سجدَ وثب الحسنُ والحسين على ظهره، وإذا رفع رأسَه أخذهما بيده من خلفه أخذًا رفيقًا، فوضعهما وضعًا رفيقًا،فإذا عادَ، عادا، فلمَّا صلى وضعهما على فخذيه واحدًا ههنا، وواحدًا ههنا، قال أبو هريرة ﷺ: فجئته، فقلتُ: يا رسول الله، ألا أذهب بهما إلى أمِّهما؟! قال: «لا». فبرقت برقة، فقال: «الحقا بأمِّكما». فما زالا يمشيان في ضوئها؟ حتى دخلا إلى أمِّهما[1].

١٦٥- إحسان الظن بالمسلمين:

* قال تعالى: ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [النور].

□ عن جابر بن سمرة ﷺ، قال: قال عمر بن الخطاب ﷺ لسعد ﷺ لقد شكوك في كل شيءٍ حتى الصلاة! قال: أما أنا فأمُدُّ في الأولَيين، وأحذفُ في الأُخْريين، ولا آلو ما اقتديتُ به من صلاة رسول الله ﷺ قال: صدقتَ، ذاك الظنُّ بك -أو ظني بك-»[2].

• عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**إياكم والظنَّ، فإن الظن أكذب الحديثِ، ولا تحسَّسُوا، ولا تجسَّسُوا، ولا تحاسدُوا، ولا تدابَرُوا، ولا تباغَضُوا، وكونوا عباد الله إخوانًا**»[3].

---

(١) صحيح: أخرجه الحاكم، وأحمد في «مسنده»، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٣٣٢٥).

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» (١/ ٢٣١) (٧٧٠).

(٣) رواه مالك، وأحمد، والبخاري (٦٠٦٦)، ومسلم، وأبو داود، والترمذي.

□ عن أبي العالية رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «كنا نُؤمَر أن نختم على الخادم، ونكيل ونعدَّها، كراهية أن يتعوّدا خُلق سوء، أو يظن أحدُنا ظن سوء»[(١)].

□ وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: «إني لأعدُّ العُراقَ على خادمي، مخافة الظنّ، أي: أن أسيء به الظنّ»[(٢)].

□ قال القاضي عياض: «من أراد أن يسلَمَ من الغيبة فليسد على نفسه باب الظنون، فمن سلم من الظنِّ سَلِم الغيبة»[(٣)].

□ وكان بكر بن عبد الله المزني إذا رأى شيخًا قال: «هذا خير مني عَبَدَ الله قبلي، وإذا رأى شابًّا قال: هذا خير مني ارتكبت من الذنوب أكثر مما ارتكب. وكان يقول: عليكم بأمر إن أصبتم أجرتم، وإن أخطأتم لم تأثموا، وإياكم وكل أمرٍ إن أصبتم لم تُؤجروا، وإن أخطأتم أثمتم، قيل: ما هو؟ قال: سوء الظن بالناس، فإنكم لو اصبتم لم تؤجروا وإن أخطأتم أثمتم»[(٤)].

□ وقال الحارث المحاسبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «كل أحد حقيقٌ -حين ينظر في أمور الناس- أن يتهم نظره بعين الرِّيبة، وقلبه بعين المقت، فإنهما يُزيِّنان الجُور، ويحملان على الباطل، ويُقبِّحان الحَسَن، ويُحسِّنان القبيح»[(٥)].

□ وقال أيضًا: «حقٌّ على العاقل أن يتَّخِذ مِرْآتيْن: فينظرَ من إحداهما

(١) صحيح: رواه البخاري في «الأدب المفرد» (١٦٧)، وصححه الألباني.
(٢) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (١٦٨)، وصححه الألباني. والعراق: العظم الذي أُكِل لحمه.
(٣) «العوائق» لمحمد أحمد الراشد (ص٤٢).
(٤) «حلية الأولياء» (٢/ ٢٥٧)، و«سير أعلام النبلاء» (٤/ ٥٣٥).
(٥) «الأدب الكبير» لابن المقفع (ص٣٦).

في مساوئ نفسه، فيتصاغر بها، ويُصلِح ما استطاع منها، وينظر من الأخرى في محاسن الناس، فيُحَليهم بها، ويأخذ ما استطاع منها».

* قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء].

١٦٦- حمل كلام المسلم على أحسن المحامل:

□ قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لا يحِلُّ لامرئ مسلم يسمع من أخيه كلمةً أن يظنَّ بها سوءًا، وهو يجدُ لَهَا من الخير مصدرًا»(١).

□ وقد ورد في الأثر: «إذا بلغك شيءٌ عن أخيك فاحمله على أحسنه، حتى لا تجد له محملًا»(٢).

□ وقال أبو قلابة: «إذا بلغك عن أخيك شيءٌ تكرهُهُ، فالتمس له العذر جهدك، فإن لم تجد له عذرًا، فقل في نفسك: لعل لأخي عذرًا لا أعلمه»(٣).

□ وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «أعقلُ الناس أعذَرُهم لهم»(٤).

١٦٧- تبرئة المسلم مِمَّا نُسِب إليه ظُلْمًا:

• عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر.. فلما تصافَّ القومُ، كان سيف عامر بن الأكوع رضي الله عنه قصيرًا، فتناول به ساق يهوديٍّ ليضربه، ويرجعُ ذُبابُ سيفه، فأصابَ عينَ رُكبة عامر؛

(١) «كتاب الجامع» لأبي محمد القيرواني (ص١٨٠).
(٢) «الآداب الشرعية» لابن مفلح (١/ ٣٠٢).
(٣) «كتاب الحدائق» لابن الجوزي (٣/ ١١٦).
(٤) «مداراة الناس» لابن أبي الدنيا رقم (٤١) (ص٤٩).

فمات منه، قال: فلما قفلُوا، قال سلمةُ: رآني رسول الله ﷺ وهو آخذٌ بيدي، قال: «ما لك؟» قلتُ له: فداك أبي وأمي، زعموا أن عامرًا حبطَ عملُه، قال النبيُّ ﷺ: «كذبَ من قالهُ، إنَّ لهُ لأجرينِ - وجمع بين أصبعيه - إنه لجاهدٌ مُجاهِدٌ، قلَّ عربيٌّ مَشَى بِهَا مِثْلَهُ»(١).

● عن جابر رضي الله عنه أنَّ عبدًا لحاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه جاء رسول الله ﷺ يشكو حاطبًا. فقال: يا رسول الله، ليدخُلَنَّ حاطبٌ النَّارَ. فقال رسول الله ﷺ: «كذبتَ، لا يدخلُهَا؛ فإنَّهُ شَهِدَ بَدْرًا، والحديبيةَ»(٢).

١٦٨- تبشير المؤمن بما يسرُّه:

* قال تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾﴾ [الزمر].

□ عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه: «أنَّ رسول الله ﷺ بشَّرَ خديجةَ ببيتٍ في الجنة من قَصَب، لا صخَب فيهِ ولا نَصَب»(٣).

● عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: «لأكونَنَّ بوَّاب رسول الله ﷺ اليوم، فجاء أبو بكر رضي الله عنه فدفعَ البابَ، فقلتُ من هذا؟ فقال: أبو بكر. فقلتُ: على رسلِكَ، ثم ذهبتُ، فقلتُ: يا رسول الله، هذا أبو بكر يستأذن، فقال: «ائذَن له، وبشِّرْهُ بالجنَّةِ»(٤).

١٦٩- تَحَمُّلُ المَشَاقِّ مِن أجل النَّاس:

□ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ إذا صلَّى الغداةَ،

(١) رواه البخاري في «صحيحه» (٥/ ٨٧) (٤١٩٦).
(٢) رواه مسلم (٤/ ١٥٤٣) (٢٤٩٥).
(٣) رواه البخاري (٣٨١٩).
(٤) رواه البخاري (٣٦٧٤).

جاء خدمُ المدينة بآنيتهم فيها الماءُ؛ فما يُؤتى بإناءٍ إلَّا غَمَسَ يدهُ فيها، فربما جاءوهُ في الغداةِ الباردة، فيغمِسُ يدهُ فيها»(١).

□ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كأني أنظرُ إلى النبيِّ ﷺ يَحكي نبيًّا من الأنبياء ضربَهُ قومُه فأدموه، وهو يمسح الدَّمَ عن وجهه، ويقول: «**اللهمَّ، اغفر لقومي؛ فإنهم لا يعلمون**»(٢).

١٧٠- تخليصُ الناسِ مما يُمكن أن يَضُرَّهم:

• عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**اقتُلُوا الحيَّاتِ، وذا الطُّفيتين، والأبترَ فإنهما يلتمسان البصرَ، ويسقطانِ الحبل**»(٣).

• عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاءت فأرة فأخذت تجرُّ الفتيلةَ، الحيَّاتِ، وذا الطُّفيتين، والأبترَ فإنهما يلتمسان البصرَ، ويسقطانِ الحبل»(٤).

• عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاءت فأرة فأخذت تجرُّ الفتيلةَ، جاءت بها فألقيتها بين يدي رسول الله ﷺ على الخُمرة التي كان قاعدًا عليها، فأحرقت منها مثل موضع الدرهم، فقال: «**إذا نُمتُم فأطفئوا سُرُجَكُم؛ فإنَّ الشيطان يدلُّ مثل هذه على هذا فتحرقكم**»(٥).

□ عن عامر بن سعد عن أبيه رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ أمرَ بقتلِ الوزغِ،

---

(١) رواه مسلم (٤/ ١٤٤٦) (٢٣٢٤).
(٢) رواه البخاري (٣٤٧٧).
(٣) رواه البخاري (٣٢٩٧).
(٤) صحيح: رواه أبو داود، وابن حبان، والحاكم في «المستدرك»، والبيهقي في «شعب الإيمان»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٤٢٦)، و«صحيح الجامع» (٨١٦)، و«صحيح سنن أبي داود» (٤٣٦٩).
(٥) رواه مسلم في «صحيحه» (٤/ ١٤٠٢) (٢٢٣٨).

وسمَّاهُ فويسقًا»[١].

١٧١- تجهيز الحاج أو إخلافه في أهله:

• عن زيد بن خالد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من جهَّز غازيًا، أو جهَّز حاجًّا، أو خلَفه في أهله، أو فَطَّر صائمًا، كان له مثل أجورِهِمْ، من غير أن يَنْقُصَ من أجورهم شيءٌ»[٢].

□ «كان عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ اللهُ إذا كان وقت الحج، اجتمع إليه إخوانه من أهل مرو، فيقولون: نصحبك، فيقول: هاتوا نفقاتِكُمْ، فيجعلها في صندوق، ويقفل عليها، ثم يشتري لهم، ويخرجهم من مرو إلى بغداد، فلا يزال ينفق عليهم، ويطعمهم أطيب الطعام، وأطيب الحلوى، ثم يخرجهم إلى بغداد بأحسن زي، وأكمل مروءة، حتى يصلوا إلى مدينة رسول الله ﷺ فيقول لكل واحدٍ: ما أمرك عيالُك تشتري من المدينة من طُرَفِها؟ فيقول: كذا وكذا، ثم يخرجهم إلى مكة، فإذا قضوا حجَّهُمْ، قال لكل واحد منهم: ما أمركم عيالك أن تشتري لهم من متاع مكة؟ فيقول: كذا وكذا، فيشتري لهم، ثم يخرجهم من مكة، فلا يزالُ ينفق عليهم إلى أن يصيروا إلى مرو، فيجصص بيوتهم وأبوابهم، فإذا كان بعد ثلاثة أيام، عمل لهم وليمةً، وكساهم، فإذا أكلوا، وسروا، دعا بالصندوق فَفَتَحَهُ، وَدَفَعَ إِلَى كُلِّ رجلٍ مِنْهُمْ صُرَّتَهُ عَلَيْها اسمه»[٣].

---

(١) صحيح: رواه ابن خزيمة في «صحيحه»، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٠٧٨).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٣٨٦).

(٣) أخرجه ابن إسحاق في «السيرة»، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» انظر «السلسلة الصحيحة» (٢٨٣٥).

كان أمير المؤمنين هارون الرشيد إذا حج يحمل معه ثلاثمئة من العلماء والفقهاء بالنفقة السابغة.

١٧٢- التمكين من النفس عند الخطإ للقِصاص:

• عن حبان بن واسع بن حبان عن أشياخ من قومه: أن رسول الله ﷺ عدَّل صفوفَ أصحابه يومَ بدرٍ، وفي يده قدحٌ يعدل به القوم، فمرَّ بسواد بن غَزِيَّة، وهو مُستنتلٌ من الصنفِّ، فطعن في بطنه بالقدح، وقال ﷺ: «**استوِ يا سواد**»، فقال: يا رسول الله، أوجعتَنِي، وقد بعثك الله بالحقِّ والعدل، فأقدني. قال: فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه، وقال ﷺ: «**استَقِد**». قال: فاعتنقه، فقبَّل بطنه، فقال ﷺ: «**ما حملَكَ على هذا يا سواد؟**» قال: يا رسول الله، حضر ما ترى فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمسَّ جلدي جلدك، فدعا له رسول الله ﷺ بخيرٍ[١].

• عن أسيد بن حضير رضي الله عنه قال: بينما هو يحدِّث القوم، وكان فيه مزاحٌ، بينا يضحكهم فطعنه النبي ﷺ في خاصرته بعود، فقال: أصبرني[٢]، فقال: «**اصطبر**». قال: إن عليك قميصًا، وليس عليَّ قميص؛ فرفع النبي ﷺ عن قميصه، فاحتضنه، وجعل يقبل كشحه، قال: إنما أردتُ هذا يا رسول الله[٣].

(١) أي: مَكّني من أن آخذ لنفسي، وأستوفى حقي بالقصاص منك، وذلك بأن أطعنك في خاصرتك.

(٢) صحيح: رواه أبو داود في «سننه»، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٣/ ٩٨١) (٤٣٥٢).

(٣) رواه البخاري (٧/ ١٠٤) (٦٠٢١).

١٧٣- سَتْرُ المسلم:

• عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «المسلمُ أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يسلمه، ومن كان في حاجةِ أخيه كان الله في حاجته، ومن فَرَّجَ عن مسلم كربةً، فرَّجَ الله عنه كربةً من كربات يوم القيامة، ومَنْ ستر مسلمًا سترَهُ الله يوم القيامَةِ»(١).

□ عن رجاء بن حيوة، قال: «سمعت مسلمةَ بن مُخَلَّدٍ رضي الله عنه يقول: بينا أنا على مِصرَ فأتى البوابُ، فقال: إن أعرابيًّا على الباب يستأذنُ، فقلتُ: من أنت؟ قال: أنا جابر بن عبد الله، قال: فأشرفتُ عليه، فقلتُ: أنزلُ إليك أو تصعدُ؟ قال: لا تنزلُ، ولا أصعدُ، حديثٌ بلغني أنك ترويه عن رسول الله ﷺ في ستر المؤمن، جئتُ أسمعه».

• قلتُ: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «من ستر على مؤمنٍ عورةً، فكأنما أحيا موؤدةً». فضرب بعيره راجعًا(٢).

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يسترُ عبدٌ عبدًا في الدنيا، إلَّا سترَهُ الله يوم القيامة»(٣).

• عن مكحول: أنَّ عقبة بن عامر أتى مسلمة بن مُخلد، فكان بينَهُ وبين

---

(١) صحيح: رواه الطبراني في «الأوسط»، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٣٣٧).

(٢) رواه مسلم (٢٥٩٠)، والحاكم في «المستدرك».

(٣) صحيح: رواه أحمد عن رجل، ورواه أحمد، والحميدي عن أبي أيوب وعقبة، ورواه أحمد عن مسلمة بن مخلد، ورواه أحمد، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وابن الجارود عن أبي هريرة، وأحمد، والبخاري، ومسلم، والترمذي عن ابن عمر، وأحمد عن عائشة.

البوَّابِ شيءٌ، فسمع صوتَهُ فأذنَ له، فقال له: إنِّي لم آتِكَ زائرًا؛ جئتك لحاجةٍ، أتذكُر يوم قال رسول الله ﷺ: «من علم من أخيه سيئةً فسترها، سترَ الله عليه يوم القيامة؟»، قال: نعم. قال: لهذا جئتُ (١).

• عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «من ستر عورة أخيه المسلمِ، سَتَرَ اللهُ عورتَهُ يومَ القيامَةِ، ومن كشفَ عورةَ أخيهِ المسلمِ، كشفَ اللهُ عورتَهُ حتى يفضحَهُ بها في بيتِهِ»(٢).

□ عن أبي الشعثاء رحمه الله قال: «كان شرحبيل بن السمط على جيش، قال: فقال: إنكم نزلتم أرضًا فيها نساء وشراب، فمن أصاب منكم حدًّا، فليأتنا حتى نطهره، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكتب إليه: لا أُمَّ لك! تأمر قومًا ستر الله عليهم أن يهتكوا ستر الله عليهم»(٣).

□ قال بكر بن عبد الله: «ما عليك أن تُنزل الناسَ منزلةَ أهل البيت؟ فتنزِلَ من كان أكبرَ منكَ منزلةَ أبيك، وتُنزل من كان منهم قرينكَ منزلةَ أخيك، وتنزل من كان أصغر منكَ منزلة ولدك؟ فأيُّ هؤلاء تحبُّ أن يهتك ستره؟!»(٤).

١٧٤- تطييبُ الخواطرِ وجبرُها عند انكسارها:

* قال تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ

---

(١) صحيح: رواه الطبراني، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢/ ٥٨٨) (٢٣٣٦).

(٢) صحيح: رواه ابن ماجه في «سننه»، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (٢٠٦٣).

(٣) «الزهد» لوكيع (٣/ ٧٧٤) (٤٥٥).

(٤) «مدارة الناس» لابن أبي الدنيا (ص٥٤) رقم (٥٣).

فَٱرۡزُقُوهُم مِّنۡهُ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٨﴾ [النساء].

* قال تعالى: ﴿وَلِلۡمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾﴾ [البقرة].

• عن الصعب بن جثامة الليثي رضي الله عنه أنه أهدى لرسول الله ﷺ حمارًا وحشيًّا، وهو بالأبواء أو بوادن، فرده عليه، فلما رأى ما في وجهه، قال: «**إنا لم نرده عليك، إلَّا أنا حُرُمٌ**»(١).

• عن البراء رضي الله عنه قال: خرج النبي ﷺ فتبعتهم ابنة حمزة تنادي: يا عمِّ، يا عمِّ، فتناولها عليٌّ، فأخذ بيدها، وقال لفاطمة رضي الله عنها: دونك ابنةَ عمِّك، احمليها، فاختصم فيها عليٌّ، وزيدٌ، وجعفر، فقال عليٌّ: أنا أحق بها، وهي ابنة عمي. وقال جعفر: ابنة عمي، وخالتها تحتي. وقال زيد: ابنة أخي.

فقضى بها النبي ﷺ لخالتها، وقال: «**الخالة بمنزلة الأم**»، وقال لعلي: «**أنت مني وأنا منك**»، وقال لجعفر: «**أشبهت خَلْقي وخُلُقي**»، وقال لزيد: «**أنت أخونا ومولانا**»(٢).

• عن بشر بن عقربة رضي الله عنه قال: استُشهد أبي مع النبي ﷺ في بعض غزواته، فمر بي النبي ﷺ وأنا أبكي، فقال لي: «**أما تَرْضَى أن أكونَ أنا أبوكَ، وعائشةُ أمَّكَ؟!**»(٣).

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه» (١٨٢٥).

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» (٢٦٩٩) ومسلم (١٧٨٣) وأحمد (٣٤٢).

(٣) صحيح: رواه البخاري في «التاريخ»، وابن عساكر، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٣٢٤٩).

١٧٥- الجودُ باللباس لمن يحتاجه أو يطلبه:

• عن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أفضلُ الأعمالِ إدخالُ السرورِ على المؤمن؛ كسوتَ عورتَه، وأشبعتَ جوعتَه، أو قضيتَ له حاجةً**»(١).

• عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: إن امرأة جاءت رسول الله ﷺ ببردة. قالت: يا رسول الله، إني نسجت هذه بيدي لاكسوكها. فأخذها رسول الله ﷺ محتاجًا إليها، فخرج علينا فيها، وإنها لإزاره، فجاء فلان بن فلان، فقال: يا رسول الله، ما أحسن هذه البردة! اكسنيها. قال رسول الله ﷺ: «**نعم**».

فلما دخل طواها، وأرسل بها إليها. فقال له القوم: والله، ما أحسنت كسيها النبي ﷺ محتاجًا إليها، ثم سألته إياها؟ وقد علمت أنه لا يرد سائلًا. فقال: إني والله، ما سألته إيَّاها لألبسها، ولكني سألته إيَّاها لتكون كفني.

قال سهل رضي الله عنه: فكانت كفنه(٢).

• عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: دخل رجل المسجد (في هيئة بذيئة) فأمر النبي ﷺ الناس أن يطرحوا ثيابًا، فطرحوا، فأمر له منها بثوبين ثم، حثَّ على الصدقة، فجاء فطرح أحد الثوبين فصاح به، وقال: «**خذ ثوبك**»(٣).

---

(١) صحيح: أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان»، والسهمي في «تاريخ جرجان»، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٣/ ٣١٠) (١٣٢٠).

(٢) صحيح: رواه الطبراني، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٠٩٠).

(٣) رواه البخاري (٥٨١٠).

كتاب المجالس والسلام

١٧٦- مصافحة المسلم عند لقائه:

• عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مُسلِمَيْنِ يلتقيانِ فيتصافَحَانِ إلَّا غُفِرَ لهما قبلَ أنْ يتفرَّقَا»[١].

• عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المؤمنَ إذا لَقِيَ المؤمنَ فسلَّمَ عليه، وأخذ بيده فصافَحَهُ تناثرتْ خطاياهما كما يتناثرُ ورقُ الشَّجَرِ»[٢].

□ عن ثابت البناني، قال: «كان أنس رضي الله عنه إذا أصبح دهن يده بدُهنٍ طيِّبٍ لمصافحة إخوانه»[٣].

□ «أكفٌّ متلامسةٌ، وقلوبٌ متصلةٌ، ومشاعرُ متدفقة، وأحاسيس متلاحقة، تزرعُ الحب، وتولي الصفاء، وتغدق الشوق، وتلهب الإيمان في قلوب الإخوان؛ لتثمر تعاونًا في الخير، ومشاركَةً في البِرِّ»[٤].

١٧٧- المعانقة عند القدوم من السَّفر، والتهنئة:

□ عن الشعبي رحمه الله قال: «كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا قَدِمُوا

---

(١) حسن: رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه، والضياء عن البراء، وحسَّنه الألباني في «الصحيحة» (٥٢٥)، و«صحيح الجامع» (٥٧٧٧)، و«صحيح سنن أبي داود» (٤٣٤٣).

(٢) صحيح: أخرجه الطبراني في «الأوسط»، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٥٢٦).

(٣) «صحيح الأدب المفرد» (ص٣٨٨) رقم (٤١٠).

(٤) «بذل المعروف» (ص٢٢٦).

من سَفَرٍ تعانقوا»[١].

□ عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال، وهو يخبر عن قصة توبة الله عليه في تخلفه عن غزوة تبوك: «وانطلقتُ إلى رسول الله فيتلقَّاني الناسُ فوجًا فوجًا يُهنِّوني بالتوبة، يقولون: لتهنِك توبةُ الله عليك! قال كعب: حتى دخلتُ المسجدَ فإذا رسول الله ﷺ جالسٌ حولهُ الناسُ، فقام إليَّ طلحةُ ابن عُبيدِ الله رضي الله عنه يهرولُ حتى صافحني وهنَّاني، والله، ما قام إليَّ رجلٌ من المهاجرين غيرُهُ، ولا أنساها لطلحة»[٢].

١٧٨- إنزال الناس منازلهم:

وإعطاء كل ذي حق حقَّهُ مما يستحقُّه من التقدير والاحترام، والإجلال والإنعام.

• عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ من إجلالِ الله إكرامَ ذي الشيبة المسلم، وحاملِ القرآنِ غيرِ الغالي فيه، والجافي عنه، وإكرامَ ذي السُّلطان المقسِطِ»[٣].

• عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أتاكم كريمٌ فَأَكْرِمُوهُ»[٤].

---

(١) «الإخوان» لابن أبي الدنيا (ص١٨٦) رقم (١٢٦).

(٢) رواه البخاري (٤٤١٨).

(٣) حسن: رواه أبو داود في «سننه»، ورواه أبو عبيد، والهيثم بن كُليب عن طلحة بن عبيد الله بن كريز مرسلا. وحسّنه الألباني في «صحيح الترغيب» (٩٣)، و«صحيح الجامع» (٢١٩٩)، و«صحيح سنن أبي داود» (٤٠٥٣).

(٤) حسن: رواه ابن ماجه في «سننه»، وحسَّنه الألباني في «الصحيحة» (١٢٠٥)، و«صحيح سنن ابن ماجه» (٢٩٩١).

□ لأن الله تعالى عوَّده منه ذلك ابتلاء منه له، فمن استعمل معه غير فقد استهان به وجفاه، وأفسد عليه دينه، فإن ذلك يورث في قلبه الغل، والحقد، والبغضاء، والعداوة، وذلك يجرُّ إلى سفك الدماء، وفي إكرامه اتقاء شره، وإبقاء دينه(١).

١٧٩- بذل السلام وردّه:

• عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أولى الناس بالله من بدأهم بالسلام**»(٢).

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا لقي أحدُهم أخاه فليسلم عليه، فإن حالتْ بينهما شجرةٌ، أو جدارٌ، أو حَجَرٌ، ثم لقيه، فليسلِمْ عليه**»(٣).

• عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: إن رجلًا سأل رسول الله ﷺ: أيُّ الإسلام خير؟ قال: «**تطعمُ الطَّعامَ، وتقرأ السلام على مَنْ عرفْتَ، ومَنْ لم تعرفْ**»(٤).

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده، لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابُّوا، أولا أدلُّكُمْ على شيءٍ**

---

(١) «فيض القدير» للمناوي (١/ ٣٣١).

(٢) صحيح: رواه أبو داود في «سننه»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٠١١)، و«صحيح سنن أبي داود» (٤٣٢٨).

(٣) صحيح: رواه أبو داود، وابن ماجه والبيهقي في «شعب الإيمان» وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٤٣٣١)، و«الصحيحة» (١٨٦)، و«صحيح الجامع» (٧٨٩).

(٤) رواه البخاري (٦٢٣٦).

إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكُمْ»(١).

• وعن رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا انتهى أحدُكُمْ إلى المجلس فليُسَلِّمْ، فإذا أراد أن يقوم فليُسَلِّمْ، فليستْ الأولى بأحقَّ من الآخرةِ»(٢).

• وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: إن رجلًا جاء إلى النبي ﷺ فقال: السلام عليكم، فقال النبي ﷺ: «عشرٌ»، وجاء آخر، فقال: السلام عليكم، ورحمة الله، فقال النبي ﷺ: «عشرونَ»، ثم جاء آخر، فقال: السلام عليكم، ورحمة الله، وبركاته، فقال النبي ﷺ: «ثلاثون»(٣).

□ قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «إني لأخرجُ ومالي حاجةٌ إلَّا أن أُسلِّم على الناس، ويُسلِّمون عليَّ، قال أبو عمر الندبي: خرجت مع ابن عمرو رضي الله عنهما فما لقيَ صغيرًا، ولا كبيرًا، إلَّا سلَّمَ عليه»(٤).

١٨٠- تقديم الأكابر في الكلام والاحترام:

• عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أمرني جبريلُ أن أقدِّمَ الأكابرَ»(٥).

---

(١) رواه أحمد، ومسلم (٥٤)، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه.

(٢) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن حبان، والحاكم في «المستدرك»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٨٣)، و«صحيح الجامع» (٤٠٠)، و«صحيح سنن أبي داود» (٤٣٤٠).

(٣) صحيح: رواه الترمذي في «سننه»، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٢/ ٣٤٤) (٢١٦٣).

(٤) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٢٢١)..

(٥) صحيح: أخرجه أبو بكر الشافعي في «الفوائد»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٤/ ٧٤) (١٥٥٥).

• وجاء عبد الرحمن بن سهل رضي الله عنه وحويصة ابنا مسعود إلى النبي ﷺ فتكلموا في أمر صاحبهم، فبدأ عبد الرحمن، وكان أصغر القوم، فقال رسول الله ﷺ: «الكبِّر الكبر»(١).

وفي رواية: «كَبر كَبِّر»(٢).

□ قال الألباني: «أي ليلي الكلام، أو ليبدأ الكلام الأكبر كما يدل عليه سبب الحديث، وأمَّا في الإسقاء، فليبدأ الساقي بيمينه ولو كان الأصغر، وليس بالأفضل كما هو شائع، لعموم قوله ﷺ: **«الأيمن فالأيمن»**(٣).

١٨١- التنازل عن المكان للداخل:

□ عن أمِّ المؤمنينَ عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «ما رأيت أحدًا كان أشبه سمتًا وهديًا ودلا - وقال الحسن: حديثًا وكلامًا- برسول الله ﷺ من فاطمة رضي الله عنها كانت إذا دخلت عليه، قام إليها، فأخذها بيدها، وقبلها، وأجلسها في مجلسه، وكان إذا دخل عليها قامت إليه، فأخذت بيده، فقبلته، وأجلسته في مجلسها»(٤).

١٨٢- التَّوسعة للداخل إلى المجلس:

* قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ

---

(١) رواه البخاري (٧/ ١٣٨) (٦١٤٢).

(٢) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم، وأبو داود عن سهل بن أبي خيثمة، وأحمد في «مسنده» عن رافع بن خديج.

(٣) «صحيح الجامع» (٢/ ٨٢٥- ٨٢٦).

(٤) صحيح: رواه أبو داود في «سننه»، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٤٣٤٧).

فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ [المجادلة: ١١].

• عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يقيم الرَّجلُ الرَّجلَ مِنْ مقعدِه، ثم يجلس فيه، ولكن تفسَّحُوا وتوسَّعُوا»(١).

• عن أبي شيبة الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخلَ أحدُكُمْ إلى القوم، فأوسع فليجلس، فإنَّما هي كرامةٌ من الله أكرمَهُ بها أخوه المسلمُ، فإن لم يوسع له، فلينظرْ أوسعَها مكانًا فليجلس فيه»(٢).

١٨٣- الترحيب بالقادم عند اللقاء:

• عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن وفد عبس القيس لما أتوا النبي ﷺ قال: «مَنِ الْقَوْمُ، أو مَنِ الْوَفْدُ؟» قالوا: ربيعة. قال: «مرحبًا بالقوم أو بالوفد غير خزايًا ولا ندامي»(٣).

• عن أم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها قالت: ذهبت إلى رسول الله ﷺ عام الفتح فوجدته يغتسل، وفاطمة ابنته تستره، قالت: فسلمت عليه، فقال: «من هذه؟ فقلت: أنا أم هانئ بنت أبي طالب. فقال: «مرحبًا بأم هانئ..»(٤).

---

(١) رواه أحمد، ومسلم (٤/ ١٣٧٦) (٢١٧٧).

(٢) حسن: رواه الحارث، وابن عساكر، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٣٢١)، و«صحيح الجامع» (٥١٧).

(٣) رواه البخاري (١/ ٢٣) (٤٢).

(٤) رواه البخاري (١/ ١١٨) (٣٥٧).

كتاب الأدب

١٨٤- إجلالُ الكبير:

• عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ من إجلال الله إكرامَ ذي الشيبةِ المسلم، وحاملِ القرآن غيرِ الغالي فيه، ولا الجافي عنه، وإكرامَ ذي السلطان المقْسِطِ»(١).

• عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء شيخ يريد النبي ﷺ فأبطأ القوم عنه أن يُوسِعُوا له، فقال النبي ﷺ: «ليسَ منَّا من لم يَرحم صغيرَنَا، ولم يوقِّر كبيرَنَا»(٢).

• عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «الْبَرَكَةُ مَعَ أكابِرِكُمْ»(٣).

• عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أراني أتسوَّك بسواكٍ، فجاءني رَجلانِ أحدُهما أكبرُ من الآخر، فناوَلتُ السِّواكَ الأصغرَ منهما، فقيلَ لي: كبِّر، فدَفعتهُ إلى الأكبَرِ مِنْهُمَا»(٤).

---

(١) مرَّ تخريجه.

(٢) صحيح: رواه الترمذي عن أنس، والبخاري في «الأدب» عن ابن عمرو، وأحمد والترمذي، والطبراني في «الكبير» عن ابن عباس، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٥٤٤٥)، و«صحيح سنن الترمذي» (١٥٦٥).

(٣) صحيح: رواه ابن حبان في «صحيحه» وأبو نعيم في «الحلية»، والحاكم في «المستدرك»، والبيهقي في «شعب الإيمان»، وأبو بكر الشافعي، وابن مخلد العطار، وابن عدي، والخطيب والضياء، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٧٧٨).

(٤) رواه البخاري (١/ ٨٣) (٢٤٦).

• عن عائشة رضي الله عنها كان رسول الله ﷺ يستن، وعنده رجلان أحدهما أكبر من الآخر، فأوحي إليه في فضل السواك: أن كَبِّر: «**أعط السواك أكبرهما**»(١).

• عن سعيد بن يزيد الأنصاري رضي الله عنه قال: إن رجلًا قال: يا رسول الله، أوصني، قال رسول الله ﷺ: «**أوصيك أن تستحي من الله عز وجل كما تستحي رجلًا من صالحي قومِكَ**»(٢).

• وعن ابن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليس مِنَّا مَن لَمْ يَرْحمْ صغيرنا، ويعرف شرف كبيرنا**»(٣).

١٨٥- إجلال أهل السنة وتعظيمهم ومصاحبتهم، ومجالسة الأخيار وتَرْك صحبة الأشرار:

• فقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**مَثَلُ الجليسِ الصَّالح، كَمَثلِ المِسْك، إن لم يُصْبك منه شيءٌ أصابَكَ من ريحِهِ، ومثلُ جليسِ السُّوءِ، كَمَثَلِ صاحِبِ الكير، إنْ لمْ يُصبْكَ من سوادِهِ، أصابك مِنْ دخانِهِ**»(٤).

---

(١) صحيح: رواه أبو داود في «سننه»، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (١/ ١٢) (٤٠).

(٢) صحيح: رواه السن بن سفيان، والطبراني في «الكبير»، والبيهقي في «شعب الإيمان»، وأحمد في «الزهد»، والخرائطي في «مكارم الأخلاق»، والضياء، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٧٤١)، و«صحيح الجامع» (٢٥٤١).

(٣) صحيح: رواه أحمد، والترمذي، والحاكم عن ابن عمرو، وكذا رواه البخاري في «الأدب المفرد»، وأبو داود والحميدي، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٩٨)، و«صحيح الجامع» (٥٤٤٤).

(٤) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٨٢٩) وصححه الألباني.

• وقال ﷺ: «لا تُصاحِبْ إلَّا مؤمِنًا، ولا يأكُلْ طعامَكَ إلَّا تَقيٌّ»(١).

□ وقال شعيب بن حرب رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا تجلس إلَّا مع رجلين: رجل جلست إليه يعلِّمك خيرًا فتقبل منه، أو رجل تعلَّمه خيرًا فيقبل منك، والثالث اهْرب منه»(٢).

□ وعن يحيى بن جعدة قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لولا ثلاث لأحببت أن أكون قد لحقت بالله، لولا أن أسير في سبيل الله، أو أضع جبيني لله ساجدًا، أو مجالسة قوم يلتقطون طيب الكلام كما يلتقط طيب التمر»(٣).

□ وعن داود بن أبي هند قال: «جالست الفقهاء، فوجدت ديني عندهم، وجالست أصحابَ المواعظ فوجدتُ الرِّقَّةَ في قلبي، وجالست كبار الناس، فوجدت المروءة فيهم وجالست شرار الناس، فوجدت أحدهم يطلق امرأته على شيء لا يساوي شعيرة»(٤).

• عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مثل الجليس الصالح، والجليس السوء، كمثل صاحب المسك، وكير الحدَّاد، لا يعدمك من صاحب المسك، إما أن تشتريه، أو تجِدَ ريحَه، وكيرُ الحَدَّادِ، يحرق بيتَك، أو ثوبَك، أَوْ تجِدُ منه ريحًا خبيثة**»(٥).

---

(١) حسن: رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن حبان، والحاكم عن أبي سعيد، وحسَّنه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٣٤١).
(٢) «صفة الصفوة» (٣/ ٤)، و«العزلة والانفراد» (ص٨٢).
(٣) «الزهد» لوكيع (ص٣١٥).
(٤) «المجالسة وجواهر العلم» (٢/ ٣٠٣).
(٥) رواه البخاري.

• وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَثَلُ الجليس الصالح، كَمَثَلِ العطّار، إِنْ لَمْ يُعطك من عطره، أصابكَ من ريحه»**(١).

□ وعن الحسن بن علي الخلال رحمه الله قال: قال بعض الحكماء: «مجالسة أهل الدِّيانة تجلو عن القلوب صدأ الذُّنوب، ومجالسة ذوي المروءة تدلُّ على مكارم الأخلاق، ومجالسة العلماء تنتج ذكاء القلوب»(٢).

□ وقال الأصمعي عن أبيه: «كان يقال: الصَّاحب رُقعَةٌ في قميص الرجل، فلْينظر بما يَرْقَعُهُ»(٣).

□ وكان علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رحمه الله لجالس أسلم مولى عمر، فقال له رجل من قريش: تدع قريشًا وتجالس عبد بني عديّ؟ فقال عليّ: إنما يجلس الرجل حيث ينتفع»(٤).

□ قال الماوردي رحمه الله: «إن من جالس الأخيار: أحبَّ أن يقتدي بهم في أفعالهم، ويتأسَى بهم في أعمالهم، ولا يرضى لنفسه أن يقصر عنهم، ولا أن يكون في الخير دونهم، فتبعثه المنافسة على مساواتهم، وربما دعته الحَميَّة إلى الزيادة عليهم، والمكاثرة لهم، فيصيرون سببًا لسعادته، وباعثًا على استزادته، والعرب تقول: لولا الوِئام، لهلك الأنام، أي لولا أن الناس يرى بعضهم بعضًا فيُقتدى بهم في الخير لهلكوا»(٥).

---

(١) صحيح: رواه أبو داود، والحاكم، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٨٢٨).
(٢) «المجالسة وجواهر العلم» (٧/ ١٦٠).
(٣) المصدر السابق (٣/ ٨٥).
(٤) «الطبقات الكبرى» (٥/ ١١١).
(٥) «أدب الدنيا والدين» (ص٨٧– ٨٨).

ولذلك قال بعض البلغاء: «من خير الاختيار: صحبة الأخيار، ومن شر الاختيار، مودة الأشرار، وهذا صحيح؛ لأن للمصاحبة تأثيرًا في اكتساب الأخلاق، فتصلح أخلاق المرء بمصاحبة أهل الصلاح، وتفسد بمصاحبة أهل الفساد».

□ وأنشد بعض أهل الأدب، لأبي بكر الخوارزميّ:

لا تصحب الكسلان في حالاته ... كم صالح بفساد آخر يَفسُدُ
عَدْوى البليدِ إلى الجليس سريعةٌ ... والجمر يُوضَعُ في الرماد فيَخْمُدُ

□ وأوصى حكيم ولده، فقال: «عليك بصحبة من إذا صاحبته زانك، وإن احتجت إليه مانك، وإن استعنت به أعانك، وإن خدمك صانك».

□ وقال ذو النون: «عليك بصحبة من تسلم منه في ظاهر الغيب، كسلامتك منه في المشاهدة»(١).

✍ **أخي:** لا تصحب الأشرار، فقد قال النبي ﷺ: **«الرجل على دين خَليله، فلينظر إحدُكُمْ منْ يُخالِلُ»**(٢).

□ وعن زيد بن أسلم مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال عمر: «اعتزل ما يؤذيك، وعليك بالخليل الصالح، وقلّ ما تجده، وشاور في أمرك الذين يخافون الله عز وجل»(٣).

□ وقال محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رحمه الله:

---

(١) «تاريخ دمشق» (١٨/ ٨٧)، و(١٩/ ٣٠٧).
(٢) حسن: رواه أبو داود (٤٨٣٣)، والترمذي، عن أبي هريرة وحسَّنه الألباني في «الصحيحة» (٩٢٧)، و«صحيح الجامع» (٣٥٤٥).
(٣) «الجامع» لشعب الإيمان (١٦/ ٤٧١).

«أوصاني أبي فقال: لا تصحبن خمسة ولا ترافقهم في الطريق: لا تصحبن فاسقًا، فإنه بايعك بأكلةٍ فما دونها، قلت: يا أَبَهْ وما دونها؟ قال: يطمع فيها ثم لا ينالها، ولا تصحبنّ البخيل؛ فإنه يقطع بك في ماله أحوج ما كنت إليه، ولا تصحبن كذابًا فإنه بمنزلة السراب، يبعد منك القريب ويقرب منك البعيد، ولا تصحبن أحمقَ فإنه يريد أن ينفعك فيضرك، ولا تصحبن قاطع رحم فإني وجدته ملعونًا في كتاب الله تعالى في ثلاثة مواضع»(١).

□ وقال ابن عبد القوي رَحِمَهُ اللَّهُ في منظومة الآداب:

ولا تَصْحَبِ الحمْقى فَذُوا الجهـل إن يَـرُمْ صلاحًا لأمر يا أخـا العَـزْمِ يُفْـسِدِ

□ والأحمق هو قليل العقل، والحمق: «ارتكاب الخطأ على بصيرة يظنه صوابًا، وقيل: وضع الشيء في غير موضعه مع العلم بقبحه، وقيل: استحسان ما تستقبحه العقلاء.

□ وأشار بقوله: يُفسِد إلى ما رواه الدينوري في المجالسه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «لا تواخ الفاجر، فإنه يزين لك فعله ويحب لو أنك مثله»(٢).

* فيجب على الإنسان أن لا يصحبَ إلَّا مَنْ له دينٌ وتقوى، وينبغي للإنسان أن يجتنب معاشرة الأشرار، ويترك مصاحبة الفجَّار، ويهجُرَ من ساءَتْ خُلَّتُهُ وقبُحَتْ بين الناس سيرتُهُ، قال الله تعالى: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزخرف].

* وقال تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ

(١) «حلية الأولياء» (٣/ ١٨٤)، و«سير السلف الصالحين» (٣/ ٩١٤).
(٢) «غذاء الألباب» (٢/ ٣٧٦).

أَمْثَالُكُم﴾ [الأنعام: ٣٨].

فأثبت الله تعالى المماثلة بيننا وبين البهائم، وذلك إنما هو في الأخلاق خاصةً فليس أحدٌ من الخلقِ إلَّا وفيه خُلُقٌ مِنْ أخلاق البهائم، ولهذا تجدُ أخلاق الخلائق مختلفةً فإذا رأيت الرجلَ جاهلًا في خلائقهِ، غليظًا في طبائعِه، قويًا في بدنه لا تُؤْمَنُ ضغائِنُهُ، فألحقْهُ بعالم النمورة، والعرب تقول: أجلُّ من نمِر، وإذا رأيت الرجل هجامًا على أعراض الناس فقد ماثلَ عالَم الكلاب.

فإن دأب -عادة- الكلب أن يجفُوَ مَنْ لا يجفُوه، ويؤذيَ مَنْ لا يؤذيه، فعاملْهُ بما كنتَ تعاملُ به الكلبَ إذا نَبَحَ ألسْتَ تذهبُ وتتركُهُ؟ وإذا رأيت إنسانًا قد جُبِلَ على الخلافِ إن قلت: نعم، قال: لا، وإنْ قلت: لا، قال: نعم، فألحقْهُ بعالم الحمير فإنَّ دَأْبَ الحمارِ إن أدنيْتَهُ بَعُدَ، وإن أبعدتَهُ قَرُبَ، فلا تنتفعُ به ولا يُمكنُك مفارقتُهُ، وإن رأيت إنسانًا يهجمُ على الأموال والأرواح فألحقْهُ بعالم الأسودِ، وخُذْ حِذرَك منه كما تأخذ حِذرَك من الأسدِ، وإذا بُليْتَ بإنسانٍ خبيثٍ كثير الرَّوغانِ فألحِقْهُ بعالم الثعالب، وإذا رأيت من يمشي بين الناس بالنميمة، ويفرِّقُ بين الأحبَةِ فألحقْهُ بعالم الظِّرْبَانِ، وهي دابة صغيرة تقول العرب -عند تفرُّقِ الجماعة: مشى بينهم ظربانٌ فتفرقوا، وإذا رأيْتَ إنسانًا لا يسمعُ الحكمة والعلمَ، وينفرُ من مجالسةِ العلماء، ويألف أخبار أهل الدنيا فألحقْهُ بعالَمِ الخنافس، فإنَّهُ يعجبُها أكلُ العُذُرات -القاذورات- وملامسةُ النجاساتِ، وتنفر منْ ريح المسكِ والوردِ، وإذا شمَّتِ الرائحة الطيبة ماتت لوقتها، وإذا رأيتَ الرجل يصنعُ بنفسِه كما تصنعُ المرأة لبَعْلها يبيضُ ثيابَهُ ويعدلُ عمامَتَهُ، وينظرُ في عِطْفَيْهِ فألحقْهُ بعالم الطَّواويس، وإذا بُليتَ بإنسان حقودٍ لا ينسى الهفواتِ

ويُجازي بعد المُدَّةِ الطويلة على السَّقطات، فألحقه بعالم الجهال، والعربُ تقول: أحقدُ مِنْ جمل، فتجنب قُرْبَ الرجلِ الحقود.

وعلى هذا النمط فلْيتحرزِ العاقلُ من صحبة الأشرار، وأهل الغدر ومَنْ لا وفاءً لهم؛ فإنه إذا فعل ذلك سَلِمَ من مكائِدِ الخلق وأراحَ قلبَهُ وبدنَهُ، والله أعلم»(١).

□ وقال محمد بن سلام الجمحي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال بعض الحكماء: ثلاثة أشياء تميت القلب: مجالسة الأنذال، ومجالسة الأغنياء، ومجالسة النساء(٢)» اهـ(٣).

□ قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا رأيت رجلًا من أهل السنَّةِ فكأنما رأيت رجلًا من أصحاب رسول الله ﷺ، وإذا رأيت رجلًا من أهل البدع فكأنما رأيت رجلًا من المنافقين»(٤).

□ وقال أيوب السختياني رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنه ليبلغني موت الرجل من أهل السنَّةِ مات فكأنما أفقد بعض أعضائي»(٥).

□ وعن سفيان رَحِمَهُ اللَّهُ قال ليوسف بن أسباط: «يا يوسف إذا بلغك عن رجل بالمشرق أنه صاحب سنة فابعث إليه بالسلام، وإذا بلغك عن الآخر بالمغرب أنه صاحب سنة فابعث إليه بالسلام؛ فقد قل أهل السنَّةِ

---

(١) «المستطرف» (١/ ٢١٤).
(٢) «المجالسة وجواهر العلم» (٣/ ٥٠٠).
(٣) «أدب السلف في التعامل مع الناس» (١٦٤ – ١٦٧).
(٤) «طبقات الحنابلة» (٢/ ٤٢).
(٥) «حلية الأولياء» (٣١٠).

والجماعة»[١].

□ قال معتمر بن سليمان: «دخلت على أبي وأنا منكسر، فقال لي مالك؟ قلت: مات صديق لي فقال: مات على السنَّةِ؟ قلت: نعم، قال: تحزن عليه؟!»[٢].

□ وقال سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ: «استوصوا بأهل السنَّةِ خيرًا؛ فإنهم غرباء»[٣].

□ قال السِّلَفِيُّ -شيخ الإسلام- أبو طاهر أحمدُ بنُ محمدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ:

فلا تَصْحَبْ سِوَى السُّنِّيِّ دِيْنًا ... لِتَحْمَدَ ما نَصَحْتُكَ في المآلِ
وجانِبْ كلَّ مبْتَدَعٍ تَرَاهُ ... فما إن عِنْدَهُمْ غيرُ المُحَالِ
ودع آراء أهْلِ الزَّيْغِ رأسًا ... ولا تَغْرُرْكَ حَذْلَقَه الرُّذالِ
فليسَ يدومُ للبِدْعيّ رأيٌ ... ومِنْ أينَ المَقَرُّ لذي ارْتِحَالِ[٤]

١٨٦- تقديرُ مَن لهم سابقةٌ في الخير:

• عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلًا على عهد النبي ﷺ كان اسمه عبد الله، وكان يلقب حمارًا، وكان يُضْحِكُ النبي ﷺ وكان النبي ﷺ قد جلده في الشراب، فأُتِيَ به يومًا فأمر به فجُلِدَ، فقال رجل من القوم: اللهم، العنه، ما أكثر ما يؤتى به! فقال النبي ﷺ: «**لا تلعنوه؛ فوالله، ما**

---

(١) «تلبيس إبليس» (ص١١، ص١٢).
(٢) المرجع نفسه.
(٣) «تلبيس إبليس» (ص١١، ١٢).
(٤) «سير أعلام النبلاء» (٢١/ ٣٤).

علمتُ إلَّا أنَّهُ يحبُّ اللهَ ورسولَهُ»(١).

• عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: بعثني النبي ﷺ والزبير رضي الله عنه فقال: «ائتوا روضةَ كذا، وتجدون بها امرأةً أعطاها حاطبٌ كتابًا» فأتينا الروضة، فقلنا: الكتاب. قالت: لم يعطني، فقلنا: لتخرجن، أو لأُجرِّدَنَّكِ، فأخرجت من حجزتها، فأرسل إلي حاطب، فقال: لا تَعْجَلْ، والله، ما كفرت، ولا ازددت للإسلام إلَّا حبًّا، ولم يكن أحد من أصحابك إلَّا وله بمكة من يدفع الله به عن أهله وماله، ولم يكن لي أحد، فأحببت أن أتخذ عندهم يدًا، فصدَّقَهُ النبي ﷺ قال عمر: دعني أضرب عنقه؛ فإنه قد نافق، فقال ﷺ: «ما يدريك لعلَّ الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتُم؛ فقدْ غَفَرْتُ لكُمْ»(٢).

□ قال عروة بن الزبير: «سببتُ ابنَ فريعٍ؛ -يعني: حسان بن ثابت رضي الله عنه- عند عائشة رضي الله عنها فقالت: يا ابن أخي، أقسمت عليك لما كففت عنه؛ فإنه كان يدافع عن رسول الله ﷺ»(٣).

١٨٧- تقديم مَن يخشى عليه الفتنة بتأخيره:

• عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ أعطى رهطًا وسعدٌ جالس، فترك رسول الله ﷺ رجلًا هو أعجبهم إليَّ، فقلت: يا رسول الله، ما لك عن فلان؟ فوالله، إني لأراه مؤمنًا. فقال: «أو مسلمًا». فسكتُّ قليلًا، ثم غلبني ما أعلم منه، فعدت لمقالتي؛ فقلت: ما لك عن فلان؟

(١) رواه البخاري في «صحيحه» (٧/ ٣٢٧) (٦٧٨٠).

(٢) رواه البخاري في «صححه» (٣/ ٣٦٦) (٣٠٧٥).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٥١٤).

فوالله، إني لأراه مؤمنًا، فقال: «أو مسلمًا»، ثم غلبني ما أعلم منه؛ فعدت لمقالتي، وعاد رسول الله ﷺ، ثم قال: «يا سعد، إني لأعطي الرجلَ وغيرُهُ أحبُّ إليَّ منه؛ خشية أن يكبَّه الله في النَّارِ»(١).

١٨٨- توقير العلماء والصالحين، ومجالستهم، والأدب معهم، والذبُّ عنهم:

• عن عباد بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس مِنَّا مَنْ لمْ يُجِلَّ كبيرنا، ويَرحمْ صغيرنا ويَعرف لعالِمنا حقَّه»(٢).

أخي: خذ من هدي العلماء وسَمْتِهم ودَلِّهم:

□ قيل لابن المبارك رَحِمَهُ اللهُ: «أين تريد؟ قال: إلى البصرة، فقيل له: من بقي؟ فقال: ابنُ عون آخذ من أخلاقه، آخذ من آدابه».

□ وقال عبد الرحمن بنُ مهدي: «كنا نأتي الرجلَ ما نريدُ علمه ليس إلَّا أنْ نتعلَّمَ من هَدْيه وسمْته ودلّه، وكان عليُّ بن المدينيِّ وغير واحد يحضرون عند يحيى بن سعيد القطان ما يريدون أن يسمعوا شيئًا إلَّا أن ينظروا إلى هَدْيه وسمته».

□ قال الشاعر:

إذا أعجبتــك طِبــاعُ امــرئٍ ... فَكُنْـهُ يَكُـنْ منـك مـا يُعْجِبُـكْ
فلـيس عـلى الجـوُدِ والمكرمـات ... حجـابٌ إذا جئتَـهُ يَحْجُبُـكْ(٣)

---

(١) رواه البخاري (١/ ٩٩) (٢٧)، ومسلم، وأبو داود.
(٢) حسن: رواه أحمد في «مسنده»، والحاكم في «المستدرك»، وحسَّنه الألباني في «صحيح الترغيب» (٩٦)، و«صحيح الجامع» (٥٤٤٣).
(٣) «الآداب الشرعية» (٢/ ٢٥٥).

□ وساق ابن عساكر بسنده إلى بشر بن الوَليد -قاضي المِصِّيصة، فقال: «قيل لإبراهيم بن أدْهَم: ألا تحدث فقد كان أصحابك يحدثون؟، قال: كان همي هديُ العلماء وآدابهم»[(١)].

□ وبسنده عن محمد بن يحيى قال: «قال لي عبد الرزاق: كان أحمد بن حنبل إذا صلَّى يُذكِّرني بشمائل السلف»[(٢)].

□ وبسنده عن محمد بن عُبَيد الطنّافسي كان يقول لأصحاب الحديث: «ألا تكونون مثل عيسى بن يونس؟ كان إذا أقبل إلى الأعمَش ومعه الشباب والشيوخ ينظرون إلى هدْيه وسمته»[(٣)].

أخي عالي الهمّة: اصحب العلماء وجالسهم ففي صحبتهم تطيب الحياة:

□ قال ذو النون المصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بصحبة الصالحين تطيب الحياةِ، والخير مجموع في القرين الصالح إن نسيت ذكّرك، وإن ذكَرْتَ أعانك»[(٤)].

□ وقال ميمون بن مهران رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بنفسي العلماء، وجدتُ صلاح قلبي في مجالستهم هم بغيتي في أرض غريبة، وهم ضالتي التي إذا لم أجدها»[(٥)].

□ وقال صالح المري: سمع الحسن البصري يقول: «الدنيا كلها ظلمة إلَّا مجالس العلماء»[(٦)].

---

(١) «تاريخ دمشق» (٦/ ٢٦٤).
(٢) «تاريخ دمشق» (٥/ ٢٩٦).
(٣) «تاريخ دمشق» (٥١/ ٢٦).
(٤) «صفة الصفوة» (٤/ ٢٦١).
(٥) «تاريخ دمشق» (٦٤/ ٢٧٠).
(٦) «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٥٣).

أخي: صاحب العلماء وجالسهم لتصيب الخير والهُدَى والرشاد:

□ قال ابن عبد القوي رَحِمَهُ اللَّهُ في منظومة الآداب:

وخَـالِطْ إذا خَالَطْـتَ كـلَّ مُوَفَّـق　　مـن العلَـمَا أهْـل التَّقـي والتَّعَبُّـد

يُفيدُكَ مِنْ علم وينْهَاكَ عنْ هـوى　　فصاحِبْهُ تُهدى مِـنْ هُـداه وتَرشـد

□ يقول: «إذا خالطت أحدًا من أبناء زمانك، وعاشرت شخصًا من إخوانك وأخدانك فخالط مُوفَّق من الله -سبحانه- لطرق الخيرات مهتد لسبل السعادات مسدد في الحركات والسكنات، لما فيه من سعادتك ونجاتك، وأن يكون ذلك الموفق من العلماء المتصفين بالعلوم الشرعية أهل التقى والخضوع والذل والخشوع، فمن كانت هذه صفته فصاحبه ولازمه؛ فإن يفيدك من علمه وينهاك عن متابعة الهوى وتُهْدى مِنْ هُداه وينتفعُ بتقواه»(١).

□ وقال زكريا بن زياد النحوي: «كان أشياخنا يقولون: جالس العلماء فإنك إن أصبت حمدوك، وإن أخطأت علموك، وإن جهلت لم يعنفوك، ولا تجالس الجهال؛ فإنك إن أصبت لم يحمدوك، وإن أخطأت لم يعلموك وإن جهلت عنفوك، وإن شهدوا لك لم ينفعوك»(٢).

□ وأخرج البيهقي في «شعب الإيمان»: «عن بسطان بن مسلم قال: سمعت معاوية بن مرة، (قال بسطام: فلا أدري) أنه قال: يا بني جالس الصالحين من عباد الله؛ فإنك ستصيب بمجالستهم خيرًا ولعله أن يكون

---

(١) «غذاء الألباب» (٢/ ٣٧٠- ٣٧٤).

(٢) «أخبار القضاة» (٣/ ١١٣).

في آخر ذلك أن تنزل الرحمة عليهم وأنت فيهم فتصيبك معهم»(١).

▫ ومن أجل هذا قال الشاعر:

بعشرتِكَ الكرامَ تُعَدُّ مِنهم ... فلا تُرَيَنْ لغيرِهِمُ أَلُوفَا

▫ وذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في «زاد المعاد»، قول الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: «أربعةٌ تزيدُ في العقل: ترك الفضول من الكلام، والسواكُ، ومجالسةُ الصالحين، ومجالسةُ العلماء»(٢).

عالي الهمّة: صاحب العلماء فهم يُذكّرون بالله، ويرقّقون القلوب:

▫ فعن أنس رضي الله عنه قال: قال أبو بكر رضي الله عنه، بعدَ وفاةِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، لِعُمَرَ: انطلق بنا إلى أمِّ أيْمَنَ نزورُها، كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورُها، فلما انتهَيْنَا إليها بَكَتْ، فقالا لها: ما يُبْكيكِ؟ ما عند الله خيرٌ لرسُولِهِ، فقالتْ: ما أبْكِي أن لا أكونَ أعْلمُ أن ما عندَ الله خيرٌ لرسوله صلى الله عليه وسلم ولكن أبكِي أنَّ الوَحْيَ قد انْقطَعَ من السماءِ فهيَّجَتْهُما على البُكاء، فجعلا يبْكِيَان معَها»(٣).

✍ وهذه بعض النماذج من أولئك الذين كانت رُؤْيتهُم تذكِّرُ بالله تعالى، وينتفعُ الناس بهدْيهم وسمْتِهم ومشاهدتهم.

▫ منهم: عمرو بن ميمون تابعي جليل، قال تلميذه أبو إسحاق السّبيعي: «كان إذا رُؤي ذُكِرَ الله تعالى».

▫ ومنهم: محمد بن سيرين البصير تابعي جليل، قال تلميذاه: هشامُ

---

(١) «شعب الإيمان» (٦/ ٥٠٢) رقم (٩٠٦٢).

(٢) «حاشية أبي غدّة على رسالة المسترشدين» (ص١٢١).

(٣) رواه مسلم في «صحيحه» كتاب «فضائل الصحابة» رقم (٢٤٥٤).

ابن حسان الأزْدِي، وأيوبُ بن كَيْسَان السِّخْتياني: «كان إذا مَرَّ في السُّوق، فما يراه أحدٌ إلَّا ذكر الله تعالى».

□ ومنهم: محمد بن واسع البصري، قال جعفر بن سليمان: «كنت إذا وجدتُ في قلبي قسوة، غدوتُ فنظرتُ إلى وجه محمد بن واسع البصري كأنه ثَكْلَى»[(١)].

□ ومنهم: عبد الله بن شَوْذب الخراساني، قال تلميذُه: كثيرُ بن الوليد: «كنت إذا نظرتُ إلى عبد الله بن شَوْذَب ذكرتُ الملائكة».

□ ومنهم: محمد بن المنكدر البصري، قال الإمام مالك: «وكنتُ كلما أجدُ في قلبي قسوةً آتي محمدَ بن المنكدر، وكان يجتمع عنده الصالحون ليقتبسوا من هَدْيه وصلاحه، فأنظرُ إليه نظرة، فأتَّعظُ بنفسي أيامًا».

□ ومنهم: الفضيل بن عياض، قال خالد بن رباح: «قال لي عبد الله ابن المبارك: إذا نظرتُ إلى الفضيل جَدَّدَ لي الحُزنَ ومَقَتُّ نفسي، ثم بكى».

□ وقال الصحابي الجليل أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: «لمجلسٌ كنت أُجالِسُه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أوثق في نفسي من عَمِل سَنَة»[(٢)].

□ وقد ساق البيهقي في «الجامع لشعب الإيمان» عن أبي بكر الهجيمي البصري، قال: «سمعت سهل بن عبد الله وقد سأله رجل فقال: يا أبا محمد إلى من تأمرني أجلس؟ قال: إلى من تكلمك جوارحه لا من يكلمك لسانه».

□ وقال الأستاذ أبو علي الحسن بن محمد الدقاق رحمه الله: «من لم يعظك

---

(١) الثَّكْلَى والثاكِلة: التي فقدت ابنها أو عزيزًا.
(٢) «تحقيق الشيخ أبي غُدَّة على رسالة المسترشدين» (ص١٠٢-١٠٧).

لحظه لم يعظك لفظه»[١].

□ وساق الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ في «سير أعلام النبلاء»، قال ابن عيينة رَحِمَهُ اللَّهُ: «حجَّ صفوان بن سُليم فذهبتُ بمنى فسألت عنه، فقيل: إذا دخلت مسجد الخيف فأتِ المنارة، فانظر أمامها قليلًا شيخًا، إذا رأيته علمت أنه يخشى الله تعالى فهو صفوان بن سُليم فما سألت عنه أحدًا حتى جئت كما قالوا، فإذا أنا بشيخ كُلَّما رأيتُه علمتُ أنه يخشى الله، فجلست إليه، فقلتُ: أنت صفوان بن سُليم، قال: نعم»[٢].

□ وقد جلَّى ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ حقيقة الانتفاع بسمت العلماء والصالحين وأثره في ترقيق القلوب، فقال: «رأيت الاشتغال بالفقه وسماع الحديث لا يكاد يكفي في صلاح القلب، إلَّا أن يُمزج بالرقائق والنظر في سير السلف الصالحين.

لأنهم تناولوا مقصود النقل، وخرجوا عن صور الأفعال المأمور بها، إلى ذوق معانيها المراد بها، وما أخبرتك بهذا إلَّا بعد معالجة وذوق لأني وجدت جمهور المحدثين وطلاب الحديث هِمة أحدهم في الحديث العالي وتكثير الأجزاء.

وجمهور الفقهاء في علوم الجدل وما يغالب به الخصم، وكيف يرقُّ القلب مع هذه الأشياء؟ وقد كان جماعة من السلف يقصدون العبد الصالح للنظر إلى سمته وهديه –لا لاقتباس علمه–.

وذلك أن ثمرة علمه هديه وسمته، فافهم هذا وامزج طلب الفقه

---

(١) «الجامع لشعب الإيمان» (١٦/ ٧٠٥) (٩٠٤٥).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٥/ ٣٦٦).

والحديث بمطالعة سير السلف والزهاد في الدنيا ليكون سببًا لرقة قلبك»[١].

ومن هنا فقد ساق ابن عساكر رَحِمَهُ اللَّهُ بسنده عن عبد الله بن بُسر المازني صاحب النبي ﷺ قال: «المتَّقون سادة، والعلماء قادة، ومجالسهم عبادة[٢]»[٣].

وعالي الهمة لا يقع في أعراض العلماء وإنما يَذُبُّ عنهم:

□ قال ابن عساكر: «واعلم يا أخي وفقنا الله وإياك لمرضاته، وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته، أن لحوم العلماء -رحمة الله عليهم- مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة؟ لأن الوقيعة فيهم بما هم منه براء أمره عظيم، والتناول لأعراضهم بالزور والافتراء مرتع وخيم، والاختلاف على ما اختاره الله منهم لنعش العلم خلق ذميم، والاقتداء بما مدح الله به قول المتبعين من الاستغفار لمن سبقهم وصف كريم، إذ قال مثنيًا عليهم في كتابه وهو بمكارم الأخلاق وضدها عليم: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر]، والارتكاب لنهي النبي ﷺ عن الاغتياب وسب الأموات جسيم: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور].

---

(١) «صيد الخاطر» لابن الجوزي (ص١٦٥).

(٢) «تاريخ دمشق» (٢٩/ ١٠٨).

(٣) «أدب السلف في التعامل مع الناس» (ص١٨٧ - ١٩٢).

ثم قال: وكل من أطلق لسانه في العلماء بالثلب بلاه الله عَزَّوَجَلَّ قبل موته بموت القلب.

□ وساق بسنده عن مخلد بن الحسين قال: «حدثنا بعض أصحابنا، قال: ذكرت يومًا عند الحسن بن ذكوان رجلًا بشيءٍ، فقال: مه لا تذكر العلماء بشيءٍ فيميت الله قلبك»(١).

□ وليُعلَمَ أنه خشى على من تلذذ بغيبة العلماء، والقدح فيهم أن يُبتلى بسوء الخاتمة عياذًا بالله منها، فهذا القاضي الفقيه الشافعي محمد بن عبدالله الزبيدي -ولد سنة عشر وسبعمئة- شرح التنبيه في أربعة وعشرين مجلدًا، ودرَّس وأفتى، وكثرت طلابه ببلاد اليمن، واشتهر ذكره، وبعُدَ صيته، قال الجمال المصري: «إنه شاهده عند وفاته وقد اندلع لسانه، أي: خرج من الفم واسترخى واسودّ، فكانوا يرون أن ذلك بسبب كثرة وقيعته في الشيخ محي الدين النووي -رحمهم الله جميعًا»(٢).

١٨٩- تقريب العبّاد الصالحين أولياء الله وإكرامهم والأدب معهم:

* قال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الأنعام].

□ قال الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

فيه قولان: الأول: ﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ لنفسك بهذا الطرد.

الثاني: أن تكون من الظالمين لهم؛ لأنهم لما استوجبوا مزيد التقريب

(١) «تبيين كذب المفتري» لابن عساكر (ص٢٩، ٤٠).

(٢) «الإعلام بحرمة أهل العلم والإسلام» للشيخ محمد إسماعيل المقدم (ص٣٢٢).

والترحيب كان طردهم ظلمًا لهم»[١].

□ وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ فهؤلاء ليسوا مستحقين للطرد والإعراض، بل هم مستحقون لموالاتك إياهم ومحبتهم، وإدنائهم، وتقريبهم؛ لأنهم الصفوة من الخلق وإن كانوا فقراء، والأعزاء -في الحقيقة- ولو كانوا عند الناس أذلاء»[٢].

وقال عند قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ [هود: ٢٩]، ما ينبغي لي ولا يليق ذلك، بل أتلقاهم بالرحب والإكرام، والإعزاز والإعظام»[٣].

وقال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾، أي: إن فعلت ذلك كنت من الظالمين، وحاشاه ﷺ من وقوع ذلك منه، وإنما هو من باب التعريض لئلا يفعل ذلك غيره ﷺ من أهل الإسلام»[٤].

وإن طرد الصالحين -أولياء الله- أمر مستغرب عند العقلاء والمصنفين، وقد استغرب النبي ﷺ ذلك واستبعد ما قاله ورقة بن نوفل رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما قال له: «ليتني أكون حيًّا إذ يخرجك قومك»، فقال له النبي ﷺ: «أو مخرجي هم؟».

□ قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واستبعد النبي ﷺ أن يخرجوه؛ لأنه لم

---

(١) «التفسير الكبير» للرازي (ص٦/ ٢٤٩).

(٢) «تفسير السعدي» (ص٢١٩).

(٣) المصدر السابق (ص٣٣٦).

(٤) «فتح القدير» للشوكاني (٢/ ١٦٨).

يكن فيه سبب يقتضي الإخراج لما اشتمل من مكارم الأخلاق التي تقدم من خديجة رضي الله عنها وصفها»(١).

أي: عندما قالت له خديجة رضي الله عنها: «أبشر، فوالله لا يُخْزيك الله أبدًا، والله! إنك لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وتَصْدُقُ الحديثَ، وتَحْمِلُ الكَلَّ -كالإنفاق على الضعيف واليتيم والعيال- وتَكْسِبُ المَعْدُومَ-؛ أي: تكسب المال العظيم الذي يعجز عنه غيرك، ثم تجود به في وجوه الخير وأبواب المكارم - وتقري الضيف-؛ أي: تضيفه وتكرمُهُ -وتُعينُ على نَوائبِ الحقِ- على حوادثه في الخير»(٢).

□ وقال القسطلاني رحمه الله: «والهمزة للاستفهام الإنكاري؛ لأنه صلى الله عليه وسلم استبعد إخراجه عن الوطن لا سيما حَرَمْ الله وبلد أبيه إسماعيل، من غير سبب يقتضي ذلك؛ فإنه صلى الله عليه وسلم كان جامعًا لأنواع المحاسن المقتضية لإكرامه وإنزاله منهم محل الروح من الجسد»(٣).

وقد درج على هذا الأمر الإلهي من تقريب الصالحين وإكرامهم السلف الصالحون -رحمهم الله- الذي وافقوا الله تعالى في أمره ونهيه.

□ فقد كتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله إلى عماله: «لا تستعينوا على شيء من أعمالي إلَّا بأهل القرآن.

فكتبوا إليه: استعملنا أهل القرآن فوجدناهم خونة.

فكتب إليهم: لا تستعملوا إلَّا أهل القرآن، فإن لم يكن عندهم خير

---

(١) «فتح الباري» (١/ ٣٥).

(٢) «النووي على مسلم» (٢/ ١٧٤ - ١٧٦).

(٣) «إرشاد الساري» للقسطلاني (٢/ ٣١٦).

فغيرهم أولى أن لا يكون فهيم خير»[١].

□ وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ترجمة الملك الصالح: «نور الدين محمود زنكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وكان حنفي المذهب، يحب العلماء، والفقراء، ويكرمهم، ويحترمهم، ويحسن إليهم وكان مهيبًا وقورًا، شديد الهيبة في قلوب الأمراء، ومع هذا إذا دخل أحد من الفقهاء أو الفقراء قام له، ومشى خطوات وأجلسه معه على سجادته في وقار وسكون، وإذا أعطى أحدًا منهم شيئًا فرأى مستنكرًا يقول: هؤلاء جند الله وبدعائهم ننصر على الأعداء»[٢].

□ ونقل ابن خلدون رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن طاهر بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه كتب كتابًا لابنه عبد الله بن طاهر لما ولاه المأمون الرقة ومصر وما بينهما.

وعهد إليه فيه ووصاه بجميع ما يحتاج إليه في دولته وسلطانه من الآداب الدينية والخلقية والسياسة الشرعية والملوكية، وحثه على مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم بما لا يستغني عنه ملك ولا سوقة.

ومما جاء فيه: وآثر الفقه وأهله، والدين وحملته، وكتاب الله عَزَّ وَجَلَّ والعاملون به».

وفيه أيضًا: «وأَحْبِبْ أهل الصلاح والصدق، وأَعِزّ الأشراف بالحق، أعن الضعفاء، وصل الرحم، وابتغ بذلك وجه الله وإعزاز أمره، التمس فيه ثوابه والدار الآخرة»[٣].

---

(١) «الآداب الشرعية» لابن مفلح (٢/ ٣١٦).
(٢) «البداية والنهاية» (٩/ ٢٤٤).
(٣) «مقدمة ابن خلدون» (١/ ٣٣٢).

١٩٠- ترك مجالسة أهل البدع والأهواء ولا يجادلونهم تقرُّبًا إلى الله:

□ قال أبو قِلابة رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا تجالسوا أهل الأهواء، أو قال: أصحاب الخصومات، فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم، ويُلبسوا عليكم بعض ما تعرفون»(١).

□ وقال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: «من جلس إلى صاحب بدعة فاحذروه»(٢).

□ وقال سلام بن أبي مطيع: «قال رجل من أهل الأهواء لأيوب أكلمك بكلمة؟ قال: لا، ولا نصف كلمة»(٣).

□ وعن عبد الله بن مسلم -وهو رجلٌ من أهل مَرْو- قال: «كنت أجالس ابن سيرين، فتركت مجالسته، وجالست قومًا من الإباضية، فرأيت فيما يرى النائم كأني مع قوم يحملون جنازة النبي ﷺ فأتيت ابن سيرين، فذكرت له ذلك، فقال: ما لك جالست أقوامًا يريدون أن يدفنوا ما جاء به محمد ﷺ»(٤).

□ وقال سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ: «من أصغى بسمعه إلى صاحب بِدْعة، فلا يحكها لجلسائه لا يُلقها في قلوبهم.

قلت -أي: الذهبي-: أكثر أئمة السَّلف على هذا التحذير، يرون أن القلوب ضعيفة، والشُّبه خَطَّافة»(٥).

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٢٨٥).
(٢) «تلبيس إبليس» (ص١٦).
(٣) المصدر السابق (ص١٥).
(٤) «المجالسة وجواهر العلم» (٢/ ٣٨٨).
(٥) «سير أعلام النبلاء» (٧/ ٢٦١).

□ وقال ابن بُنْدارُ: «صحبة أهل البدَع تورثُ الإعراض عن الحق»[١].

□ وعن شعيب بن الحَبْحاب قال: «قلتُ لابن سيرين: ما ترى في السَّماع من أهل الأهواء؟ قال: لا نسمع منهم ولا كرامة»[٢].

□ وقال أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ: «حدثنا عبد الرزاق قال: حدثنا معمر، قال: كان طاوس جالسًا، وعنده ابنه فجاء رجل من المعتزلة فتكلم في شيء فأدخل طاوس أصبعيه في أذنيه، وقال: يا بني أدخل أصبعك في أذنيك؛ حتى لا تسمع من قوله شيئًا؛ فإن هذا القلب ضعيف، ثم قال: أي بُنيَّ اسْدُد، فما زال يقول: اسْدُدْ حتى قام الآخَرُ، وفي نسخةٍ: حتى قام المعتزليُّ».

□ وعن صالح المري، قال: «دخل رجل على ابن سيرين: وأنا شاهد ففتح بابًا من أبواب القدر فتكلم فيه، فقال ابن سيرين: إما أن تقوم وإما أن نقوم».

□ وفي رواية عن ابن عون –قال: «ووضعَ ابنُ سيرين أصْبَعيْ يديه في أذنيه وقال: إما أن تخرُجَ عني، وإما أن أخرُج عنك! قال: فخرج الرجل، فقال ابن سيرين: إنَّ قلبي ليس بيدي، وإني خِفتُ أن ينفُثَ في قلبي شيئًا فلا أقدِرَ أن أُخرِجَه منه، فكان أحبَّ إليَّ أن لا أسمع كلامه»[٣].

□ وساق أبو نُعيم رَحِمَهُ اللَّهُ في «الحلية»، عن يونس بن عبد الأعلى قال: قال الليث بن سعد رَحِمَهُ اللَّهُ: «لو رأيت صاحب هوى يمشي على

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٦/ ١٠٩).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٦١١).

(٣) «تلبيس إبليس» (ص١٤ – ١٥)، و«رسالة المسترشدين» (ص١٨٣ – ١٨٤).

الماء ما قبلته»(١).

□ فلما بلغ الشافعي ذلك قال: «قصَّر الليث رَحِمَهُ اللَّهُ بل إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء ويطير في الهواء فلا تعتبروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة»(٢).

□ وكان أبو يزيد البسْطاميّ -الزاهد العارف- رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: «لو نظرتم إلى رجل أعْطي من الكرامات حتى يرتفع في الهواء، فلا تغترّوا به، حتَّى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنَّهْي وحِفظ الحدود وأداء الشريعة».

□ قال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ بل قد اغترّ أهل زماننا وخالفوا أبا يزيد، وأكبر من أبي يزيد، وتهافتوا على كل مجنون بوّال على عَقِبيْه، له شيطان ينطق على لسانه بالمغيَّبات، نسأل الله السلامة»(٣).

□ قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان مالك بن أنس، إذا جاءه بعض أهل الأهواء، قال: أما أنا فعلى بينة من ديني، وأما أنت فشاك، اذهب إلى شاك مثلك فخاصمه»(٤).

□ وقال وهب رَحِمَهُ اللَّهُ: «كنا مع مالك رَحِمَهُ اللَّهُ فقال رجل: يا أبا عبد الله ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه] كيف استواؤه؟ فأطرق مالك، وأخذَته الرُّحضاء، ثم رفع رأسه، فقال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ

(١) «حلية الأولياء» (٩/ ١٢٤).

(٢) «شرح الطحاوية» (٢/ ٧٦٩).

(٣) «تاريخ الإسلام» للذهبي أحداث سنة (٢٦٢- ٢٨٠).

(٤) «حلية الأولياء» (٩/ ١١٩).

﴿ ٥ ﴾ كما وصف نفسه، ولا يُقال له كيف، وكيف عنه مرفوعٌ، وأنت رجلُ سوء صاحبُ بدعَة أخرجوه».

□ ومن طريق جعفر بن عبد الله قال: «كنا عند مالك، فجاءه رجل، فقال: يا أبا عبد الله ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]، كيف استوى؟ فما وجد مالك من شيء ما وَجَد من مسألته، فنظر إلى الأرض وجعل ينكُتُ بعود في يده، حتى علاه الرُّحَضاء (العرق) ثم رفع رأسه ورَمى بالعود، وقال: الكيف منه غير معقول، والاستواء منه غير مجهول والإيمانُ به واجبٌ والسؤال عنه بدْعةٌ، وأظنك صاحِبَ بدعة، وأمَرَ به فأُخْرج»[(١)].

□ ونقل الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ في ترجمة الليث بن سعد شيخ الإسلام وعالم الديار المصرية رَحِمَهُ اللَّهُ قوله: «بلغت الثمانين وما نازعتُ صاحَب هوىً قطُّ».

□ قال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «كانت الأهواءُ والبدعُ خاملة في زمن الليث، ومالك، والأوزاعي، والسنن ظاهرة عزيزة، فأما في زمن أحمد بن حنبل، وإسحاق، وأبي عبيد فظهرت البدعة، وامْتُحِنَ أئمة الأثر، ورفع أهل الأهواء رؤوسهم بدخول الدولة معهم، فاحتاجَ العلماءُ إلى مجادلتهم بالكتاب والسنَّة! ثم كثر ذلك، واحتجَّ عليهم العلماءُ أيضًا بالمعقول، فطال الجدالُ واشتد النزاعُ، وتولّدت الشُّبهُ، نسأل الله العافية[(٢)]»اهـ[(٣)].

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٨/ ١٠٠).

(٢) «السير» (٨/ ١٤٤).

(٣) «أداب السلف» (ص٢٢٠- ٢٢٤).

١٩١- إفحامُ أهل البدع والزَّيْغ والضلال:

□ قال السبكي رَحِمَهُ اللَّهُ في ترجمة عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد بن الخليل بن عبد الله، الذي تلقبه المعتزلة قاضي القضاة: ومن طريف ما يحكى عنه، أن الأستاذ أبا إسحاق نزل به ضيفًا فقال: سبحان مَنْ لا يريد المكروه من الفُجَّار، فقال الأستاذ: سبحان مَنْ لا يقع في ملكه إلَّا ما يختار».

□ قال السبكي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهو جواب حاضر، وهو شبيه بما ذكر أن بعض الروافض قال لشخص من أهل السنة يستفهمه استفهام إنكار: مَنْ أفضل من أربعة رسول الله ﷺ خامسهم؟ يشير إلى فاطمة والحسن والحسين وعلي رضي الله عنهم حيث لفَّ عليهم النبي ﷺ الكساء، فقال له السني: اثنان الله ثالثهما، يشير إلى رسول الله ﷺ وأبي بكر الصديق رضي الله عنه وقصة الغار، وقوله ﷺ: «**ما ظنك باثنين الله ثالثهما**»[(١)].

□ ونقل الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ عن بقية بن الوليد: «أخبرنا عبد الملك بن أبي النعمان الجزري، عن ميمون بن مهران قال: خاصمه رجلٌ في الإرجاء، فبينما هما على ذلك إذ سمعا امرأة تغني، فقال ميمون: أين إيمان هذه من إيمان مريم بنت عمران، فانصرف الرجل ولم يردَّ عليه»[(٢)].

□ وذكر ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ القاضي أبا بكر الباقلاني -رأس المتكلمين-، وقال: «ذكر الخطيب وغيره عنه أن عضد الدولة بعثه في رسالة إلى ملك الروم.. ثم ذكر أن بعض الأساقفة سأله بحضرة ملكهم، فقال: ما فعلت

---

(١) «طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي.

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٥/ ٧٣).

زوجة نبيكم؟ وما كان من أمرها بما رميت به من الإفك؟ فقال الباقلاني: مجيبًا على البديهة: هما امرأتان ذكرتا بسوءٍ: مريم وعائشة، فبرأهما الله ﷻ وكانت عائشة ذات زوجٍ، ولم تأت بولد، وأتت مريم بولد ولم يكن لها زوج.

يعني: أن عائشة ﵂ أولى بالبراءة من مريم –وكلاهما بريئة مما قيل فيها، فإن تطرق في الذهن الفاسد احتمال ريبة إلى هذه، فهو إلى تلك أسرع.

وهما بحمد الله منزهتان مبرَّأتان من السماء بوحي الله ﷻ»(١).

وكم كانت لشيخ الإسلام ابن تيمية مواقف أفحم فيها أهل البدع كانت أطيب من شذا الورد.

١٩٢- مخالطة الناس والصبر على أذاهم:

«المسلم الحق العامل يخالط الناس ويصبر على أذاهم؛ لأنه صاحب قضية، ورائد رسالة، ولسان دعوة، ولا بد لمن تصدّى لهذه المهمات الجسام من أن يوطّن نفسه على التضحيات في سبيل تلك القضية، والصبر على تكاليف الرسالة، وتحمل تبعات الدعوة، ومنها الصبر على آراء الناس الفجّة، وسوء تصرفاتهم، وخطل ظنونهم وتصوراتهم، وجفاء طبعهم وبطء استجابتهم للحق، وتثاقلهم إلى الأرض، والدوران حول المصلحة والذات، إلى غير ذلك مما يبدر من البشر من تفاهات يضيق بها الدعاة ذرعًا، فإذا هم يميلون في لحظات السأم والضيق والإعياء إلى الانزواء واعتزال الناس، ومن هنا جاء الهدى النبوي العالي يشدّ من عزمات

(١) «البداية والنهاية» (١١/ ٤٢٧).

المؤمنين، ويربط على قلوبهم، ويثبت منهم الأقدام، فيلعن أن الصابرين في درب الدعوة الشائك الطويل خير من الذين لا يصبرون، فعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**المؤمن الذي يُخالطُ الناس، ويَصْبرُ على أذاهم، خيرٌ من الذي لا يُخالِط الناس، ولا يَصْبِرُ على أذاهم**»(١).

□ قال الجنيد: «مكابدة العزلة أيسر من مدارارة الخلطة، وإنما كان ذلك لأن مكابدة العزلة انشغال بالنفس خاصة وردٌّ لها عما تشتهيه، بخلاف مرارة الخلطة بالناس مع اختلاف أخلاقهم وشهواتهم وأغراضهم وما يبدوا منهم من الأذى، وما يحتاج إليه من الحلم والصفح»(٢).

□ ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم والأنبياء من قبله آية في الصبر على رعونات الناس وتخرّصاتهم؛ -أي: كذبهم وافتراءهم- وتفاهاتهم، ما أحوج الدعاةَ إلى الوقوف عندها كلما نفد صبرهم، وضاقت صدورهم وبرَّح بهم الأذى والعدوان، ومن نماذج ذلك الصبر الكبير ما رواه الشيخان من أن النبي صلى الله عليه وسلم قسم قِسمةً كبعض ما كان يقسم، فقال رجل من الأنصار: والله إنها لقِسْمَةٌ ما أريد بها وجهُ الله عز وجل وبلغَتْ تلك القالةُ الظالمةُ مسامع الرسول الكريم فشَقَّ ذلك عليه، وتغيَّر وجهه وغضب، ثم قال: «**قد أُوذِيَ مُوسى بأكثرَ مِن ذلك فَصَبرَ**».

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٨٨)، والترمذي (٢٥٠٧)، وابن ماجه، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٣٩٣)، و«صحيح الجامع» (٦٦٥١).

(٢) «فضل الله الصمد» (١/ ٤٠٦).

بهذه الكلمات القليلة سكت عن الرسول الكريم الغضب، وانقشع الغيظ، وهدأت النفسُ الكريمة السَّمْحَةُ الصَّفوحُ.

إنه خلق الأنبياء والدعاة الصادقين في كل زمان ومكان، وهو الصبر على أذى الناس وتخرّصاتهم وأقاويلهم، وبدونه لا تستمر دعوة، ولا يثبت دعاة.

ولله در علمائنا الذين استنبطوا بشفافيتهم أن من كمال العناية الربانية أن يجري الله تعالى الأذى على أصفيائه للترقي في المقامات وحصول التجرد الكامل لرب الأرض والسماوات.

□ قال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ عند حديث: «ما أوذيَ أحدٌ ما أوذيتُ في الله»[(١)]: «ما أوذي أحدٌ ما أوذيت في الله، أي في مرضاته أو من جهته وبسببه حيث دعوت الناس إلى إفراده بالعبادة ونهيت عن إثباتهم الشريك، وذلك من أعظم اللطف به وكمال العناية الربّانية به ليتضاعف له الترقيِّ في نهايات المقامات».

□ قال ابن عطاء الله: «إنما جرى الأذى على أصفيائه لئلا يكون لأحد منهم ركونًا إلى الخلق، غيرة منه عليهم، وليزعجهم عن كل شيء حتى لا يشغلهم عنه شيء[(٢)]» اهـ[(٣)].

---

(١) حسن: رواه ابن عدي، وابن عساكر عن جابر، ورواه أبو نعيم عن أنس، والديلمي عن بريدة، وحسّنه الألباني في «الصحيحة» (٢٢٢٢)، و«صحيح الجامع» (٥٥٦٧).
(٢) «فيض القدير» للمناوي (١٠/ ٥٣٢٣).
(٣) «أدب السلف» (١٣٠ - ١٣٢).

١٩٣- المزاح المُباح مع الناس، والإيمان في القلب كالجبال الرواسي:

المُزاح المباح غير المفرط والمداوم عليه الذي لا يؤدي إلى سقوط المهابة وقسوة القلب لا شيء فيه، خاصة وإن صادف مصلحة شرعية مثل تطييب نفس ومؤانسته فهو مستحب»[(١)].

□ سئل ابن عمر رضي الله عنهما: «هل كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يضحكون؟ قال: «نعم والإيمان في قلوبهم أعظم من الجبال»[(٢)].

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالوا: يا رسول الله! إنَّكَ تداعُبُنَا؟- أي: تمازحنا- قال: «**إنِّي لا أقولُ إلَّا حقًّا**»[(٣)].

□ وعن بكر بن عبد الله قال: «كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يتبادَحـون -أي: يترامون- بالبِّطِيخ، فإذا كانت الحقائقُ كانوا همُ الرِّجال»[(٤)].

• وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رَجُلًا اسْتَحْمَلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «إنِّي حامِلُكَ على وَلَد الناقةِ»، فقال: يا رسول الله! ما أصْنَعُ بِوَلَدِ الناقة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**وهل تَلدُ الإبلَ إلَّا النُّوقُ؟!**»[(٥)].

• وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا ذا الأذنيْن**»[(٦)].

---

(١) انظر «عون المعبود» (١٣/ ٢٣٤).

(٢) «حلية الأولياء» (١/ ٣٨٥).

(٣) صحيح: رواه الترمذي، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (١٦٢١).

(٤) صحيح: أخرجه البخاري في «الأدب المفرد»، وصححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد».

(٥) صحيح: أخرجه أبو داود، والترمذي (١٩٩١)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٤١٨٠).

(٦) صحيح: رواه أبو داود في «سننه»، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» =

□ وعن ثابت بن عبيد قال: «ما رأيت أحدًا أجلَّ إذا جلس مع القوم، ولا أفكه في بيته، من زيد بن ثابت رضي الله عنه»[(١)].

وأفكه: من الفاكهة أي المازحة والانبساط.

١٩٤- بُغض عمل العصاة والشَّفقة عليهم:

مرّ أبو الدرداء رضي الله عنه على رجل قد أصاب ذنبًا فكانوا يسبونه، فقال: «أرأيتم لو وجدتموه في قليب ألم تكونوا مستخرجيه؟ قالوا: نعم، قال: فلا تسبوا أخاكم واحمدوا الله الذي عافاكم، قالوا: أفلا تبغضه؟ قال: إنما أبغض عمله فإذا تركه فهو أخي»[(٢)].

□ وذكر ابن حجر الهيثمي رَحِمَهُ اللَّهُ في ذلك: قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾ [الشعراء]، ولم يقل: إني بريء منكم، وإلى هذا أشار أبو الدرداء لما قيل له: ألا تبغض أخاك وقد تغير؟ فقال: إنما أبغض عمله، وإلا فهو أخي».

• وفي «صحيح البخاري»: «**لا تكونوا عونًا للشيطان على أخيكم**».

ومن إعانته ترك التلطف بأخ عاص، فإن التلطف به يعيده إلى صلاحه بسرعة وعدم تمكن الشيطان منه.. وإن كانت هفوته في حقك فلا خلاف أن عفوك واحتمالك أولى بل كل ما أمكن له حمل صحيح تعيّن إعذاره فيه»[(٣)].

(١٤٨٣).

(١) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٢٨٦)، وصححه الألباني.

(٢) «حلية الأولياء» (١/ ٢٨٧)، و«إتحاف السادة المتقين» (٧/ ١٢٧).

(٣) «أسنى المطالب» (ص٢٤٧).

فحينما يبغض المسلمُ المبطلين، وأهل الشر، ومرتكبي الكبائر من الإثم ومعادي الحق والخير والفضيلة، فإنما يبغضهم لهذه الصفات التي فيها، وليس يبغضهم لذواتهم، فهم بالنظر إلى ذواتهم خلق من خلق الله، وعبادٌ من عباد الله، يحب لهم الخير، ويرجو لهم الخير، ويسعى في إصلاحهم، ويشفق عليهم للمصير الوخيم الذي يدفعون أنفسهم إليه، لكنهم لَمَّا حملوا الأمراض الوبائية التي حملوها، وتعذر علاجهم؛ لأنهم رفضوا بإرادتهم كل وسائل العلاج، كان لا بد من معاملتهم بالبغض والكراهية لذلك، ومتى صح أي واحد منهم من مرضه الوبائي الخطير، عاد إلى منزلته الأصلية، وهي منزلة الأخوة، واتجه قلب المؤمن له بالمحبة»(١).

□ وقال ابن عباس رضي الله عنهما في معنى قوله تعالى: ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

يدعو صالحهم لطالحهم (الطالح: الفاسد) وطالحهم لصالحهم، فإذا نظر الطالح إلى الصالح من أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال: اللهم بارك له فيما قسمت له من الخير وثبته عليه، وانفعنا به.

وإذا نظر الصالح إلى الطالح قال: اللهم اهده وتب عليه واغفر له عثرته»(٢).

١٩٥- الاستغفار للمؤمنين:

* قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠].

(١) «الأخلاق الإسلامية وأسسها» (٢/ ٢٥٢).
(٢) «إتحاف السادة المتقين» (٧/ ١٧٣).

* وقال تعالى عن رسوله نوح عليه السلام: ﴿ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [نوح].

* وقال تعالى مُخْبِرًا عن نبيه وخليله إبراهيم عليه السلام: ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ ﴾ [إبراهيم].

• وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من استغفر للمؤمنين والمؤمنات، كتب الله له بكلِّ مؤمن ومؤمن حسنة»**[1].

✍ فيا عالي الهمة اغتنم ملايين الحسنات تزف إليك، وتكون في صحيفة حسناتك بجملة واحدة تنطق بها: «اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات».

١٩٦- الدعاء للأخ المسلم بظهر الغيب:

• عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«دعوةُ المرْءِ المُسلم لأخيهِ، بظهر الغيب مستجابة، عندَ رأسِهِ ملكٌ مُوكلٌ؛ كلما دعا لأخيه بخيرٍ، قال الملكُ المُوكلُ به: آمينَ، ولَكَ بمثلٍ»**[2].

• وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«دُعاء الأخ لأخيه بظهرِ الغيبِ لَا يُرَدُّ»**[3].

---

(١) حسن: رواه الطبراني في «الكبير»، وقال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٢١٠): إسناده جيد، وحَسَّنه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٠٢٦).

(٢) رواه أحمد، ومسلم (٤/ ١٦٦٤) (٢٧٣٣)، وابن ماجه، وقد ورد بلفظ: «دعاء المرء المسلم مستجابٌ لأخيه بظهر الغيب..».

(٣) صحيح: رواه البزار، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٣٣٩)، =

□ عن أمِّ الدرداء رضي الله عنها قالت: «كان لأبي الدرداء رضي الله عنه ستون وثلاث مئة خليل في الله، يدعو لهم في الصلاة، فقلتُ له في ذلك، فقال: إنه ليس رجلٌ يدعو لأخيه في الغيب إلَّا وكَّلَ الله به ملكين، يقولان: ولك بمثل. أفلا أرغبُ أن تدعُوَ لي الملائكة؟!»(١).

١٩٧- الدعاء للمستضعفين من المسلمين:

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينا النبيُّ ﷺ يُصلِّي العشاءَ إذ قال: «سمعَ الله لمن حمده»، ثم قال قبل أن يسجد: «**اللهم نجِّ عيَّاش بن أبي ربيعة، اللهم نج سلمة بن هشام، اللهم نج الوليد بن الوليد، اللهُمَّ نج المستضعفين من المؤمنين، اللهم اشدُد وطأتَكَ على مُضَرَ، اللهم اجعلها سنين كسني يُوسُفَ**»(٢).

• وعن رضي الله عنه أن النبي ﷺ قنتَ بعد الركعة في صلاةٍ شهرًا. إذا قال: «سمع الله لمن حمده»، يقول في قنوته: «**اللهم أنج الوليد بن الوليد، اللهم نج سلمة بن هشام اللهم نج عياش بن أبي ربيعة، اللهم نج المستضعفين من المؤمنين، اللهم اشدد وطأتك على مضر، اللهم اجعلنا سنين كسني يوسف**»(٣).

✍ فاللهم نجِّ أهل العراق.. نج أهل السنة المستضعفين من الأمريكان الصليبيين، ومن الرافضة الكاذبين، اللهم نجّ المستضعفين

و«صحيح الجامع» (٣٣٧٩).

(١) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٣٥١).

(٢) رواه البخاري (٥/ ٢٢١) (٤٥٩٨).

(٣) رواه مسلم (١/ ٣٩١) (٦٧٥).

المسلمين أهل فلسطين من بطش اليهود الفاجرين.. اللهم نجِّ المستضعفين من أهل كشمير وأفغانستان والفلبين.

١٩٨- الدعاء لمن أراد سفرًا:

• عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ إذا ودَّع رجلًا أخذ بيده فلا يدعها، حتى يكون الرجل هو يَدَعُ يَدَ النبي ﷺ ويقول: «**أستودِع اله دِينَك وأمانَتَكَ وآخِرَ عملِكَ**».

وفي رواية: «**وأمانتك وخواتيم عملك**»(١).

• عن أنس رضي الله عنه قال: جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إني أريد سفرًا، فزودني، قال ﷺ: «**زوَّدَكَ اللهُ التَّقْوَى**». قال: زدني، قال ﷺ: «**وغفر ذنْبَكَ**». قال: زدني بأبي أنت وأمي، قال ﷺ: «**ويسَّرَ لك الخير حيثُ ما كُنْتَ**»(٢).

١٩٩- الإحسان إلى أهله والرفق بهنَّ وتعليمهن أمور دينهن:

• قال رسول الله ﷺ: «**خياركم خيركم لأهله**»(٣).

• وقال ﷺ: «**خياركم خياركم لنسائهم**»(٤).

---

(١) صحيح: رواه أبو داود، والترمذي، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٣/ ١٥٥) (٢٧٣٨)، و«صحيح سنن أبي داود».

(٢) حسن: رواه الترمذي، والحاكم في «المستدرك»، وحسَّنه الترمذي كما في «صحيح سنن الترمذي» (٣/ ١٥٦) (٢٧٣٩).

(٣) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير» عن أبي كبشة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٢٦٦).

(٤) صحيح: رواه ابن ماجه عن ابن عمرو ورواه أحمد، والترمذي وابن حبان عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٨٥)، و«صحيح الجامع» (٣٢٦٥).

- وقال ﷺ: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي»(١).
- وقال ﷺ: «خيرُكم خيرُكم للنساء»(٢).
- وقال ﷺ: «استوصوا بالنساء خيرًا..»(٣).

٢٠٠- الإحسان إلى الأبناء وتأديبهم وتعليمهم أمور دينهم:

* قال تعالى حاكيًا عن لقمان في وصيته لولده: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان].

* وقال تعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ [لقمان].

- وقال رسول الله ﷺ: «علِّموا أولادكم الصلاة إذا بلغوا سَبْعًا، واضربوهم عليها إذا بلغوا عشرًا، وفرِّقوا بينهم في المضاجع»(٤).

---

(١) صحيح: رواه الترمذي عن عائشة، وابن ماجه عن ابن عباس، والطبراني في «الكبير» عن معاوية، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٨٥)، و«صحيح الجامع» (٣٢١٤).

(٢) صحيح: رواه الحاكم في «المستدرك» عن ابن عباس، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٨٥)، و«صحيح الجامع» (٣٣١٦).

(٣) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة.

(٤) صحيح: رواه البزار عن أبي هريرة، وكذا رواه أبو داود، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٥٠٨)، و«صحيح الجامع» (٤٠٢٦).

• وقال ﷺ: «علقوا السوط حيثُ يراهُ أهل البيت، فإنه أدب لهم»(١).

• وقال رسول الله ﷺ: «اعدلوا بين أولادكم في النِّحَل(٢)، كما تُحِبُّونَ أن يعدلوا بينكم في البِّر واللُّطف»(٣).

ومن أفضل المعروف الإحسان على الأبناء بتعليم جاهلهم، وإطعامهم وأن يكفيهم حاجاتهم.

• وقد قال ﷺ: «ما عَلَّمته إذْ كان جاهلًا، ولا أطعَمْتَه إذْ كان سابغًا(٤)»(٥).

• وقال ﷺ: «كفى بالمرء إثمًا أن يُضَيِّع من يَقُوت»(٦).

• وقال رسول الله ﷺ: «علقوا السوط حيث يراه أهل البيت»(٧).

---

(١) حسن: رواه عبد الرزاق في «المصنف»، والطبراني في «الكبير»، والخطيب وابن عساكر عن ابن عباس، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (١٤٤٧)، و«صحيح الجامع» (٤٠٢٢).

(٢) النِّحَل: العطايا.

(٣) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير» عن النعمان بن بشير، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١٠٤٦).

(٤) ساغِبًا: جائعًا.

(٥) صحيح: رواه أحمد وزاد «أبو جائعًا» ورواه أبو داود، والنسائي، وابن ماجه، والحاكم في «المستدرك»، وابن سعد والبيهقي في «سننِهِ» وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٢٢٩)، و«صحيح الجامع» (٥٦٤١).

(٦) حسن: رواه أحمد، وأبو داود، والحاكم في «المستدرك» والبيهقي في «سننه» عن ابن عمرو، وحسَّنه الألباني في «الإرواء» (٨٩٤)، و«صحيح الجامع» (٤٤٨١).

(٧) صحيح: رواه أبو نعيم في «الحلية» عن ابن عمر، وكذا رواه البخاري في «الأدب المفرد»، والطبراني في «الكبير»، وابن عدي وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٤٤٦)، و«صحيح الجامع» (٤٠٢١).

٢٠١- الإحسان إلى البنات وبِرُّهُنَّ والصبر على رعايتهنَّ:

• قال رسول الله ﷺ: «من عال [١] جاريتيْن حتى يدركا [٢]، دخلتُ أنا وهو الجنة كهاتين» [٣].

• وقال ﷺ: «من ابتُلِيَ من هذه البنات بشيءٍ، فأحسن إليهنَّ، كُنَّ له سِترًا من النار» [٤].

• وقال ﷺ: «من ابتُلِيَ بشيءٍ من البنات فصبر عليهن، كُنَّ له حجابًا من النار» [٥].

٢٠٢- صِلَة الأرحام:

• قال رسول الله ﷺ: «أحب الأعمال إلى الله إيمان بالله، ثم صلة الرحم، ثم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وأبغض الأعمال إلى الله الإشراك بالله، ثم قطيعة الرحم» [٦].

• وقال ﷺ: «أَطِبِ الكلام، وأَفشِ السلام، وصِلِ الأرحام، وصَلِّ بالليل والناس نيام، ثم ادخل الجنة بسلام» [٧].

---

(١) أي: قام برعايتهن. والجارية: البنت الصغيرة.
(٢) أي: يبلُغا.
(٣) رواه مسلم والترمذي والحاكم عن أنس وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٣٩١).
(٤) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم، والنسائي عن عائشة.
(٥) صحيح: رواه الترمذي عن عائشة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٩٣١)، ومعنى صبر عليهن: أن احتمل رعايتهن وتأديبهن من غير جزع.
(٦) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي عن ابن مسعود.
(٧) صحيح: رواه ابن حبان في «صحيحه»، وأبو نعيم في «الحلية» عن أبي هريرة، =

• وقال ﷺ: «الرحم شُجْنة [(١)] من الرحمن، قال الله: مَن وصلَكِ وصلتُهُ، ومَن قطعك قطعتُهُ»[(٢)].

• وقال ﷺ: «إن الله تعالى خلق الخَلْق، حتى إذا فَرَغ من خَلْقه قامت الرَّحِم، فقال: مَهْ [(٣)]، قالت: هذا مقام العائذ [(٤)] بك من القطيعة، قال: نعم، أما ترضَيْن أن أَصِلَ مَن وصلَك، وأقطعَ مَن قطعك؟ قالتْ: بلَى يا رب! قال: فذلك لك»[(٥)].

• وقال ﷺ: «الرحم معلقة بالعرش تقول: مَن وصلني وَصَلَه الله، ومَن قطعني قطعه الله»[(٦)].

• وقال ﷺ: «بُلُّوا [(٧)] أرحامكم ولوْ بالسلام»[(٨)].

• وقال ﷺ: «تعلَّموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم، فإن صلة

وصححه الألباني في «الإرواء» (٧٧٧)، و«الصحيحة» (٥٦٩)، و«صحيح الجامع» (١٠١٩).

(١) أي: متشابكة متماسكة.

(٢) رواه البخاري عن أبي هريرة وعن عائشة.

(٣) استفهام معناه: ما تقولين؟.

(٤) أي: مقام المعتصم المستجير بك.

(٥) رواه البخاري، ومسلم، والنسائي عن أبي هريرة.

(٦) رواه مسلم عن عائشة.

(٧) المراد: صِلُوها بما يجب أن تُوصَل به.

(٨) حسن: رواه البزار عن ابن عباس، والطبراني في «الكبير» عن أبي الطفيل والبيهقي في «شعب الإيمان» عن أنس وسويد بن عمرو، وقيل: ابن عامر الأنصاري، ورواه وكيع في «الزهد»، وابن حبّان في «الثقات»، وابن عساكر عن سُوَيد، والقطيعي عن ابن عباس، وحسَّنه الألباني في «الصحيحة» (١٧٧٧)، و«صحيح الجامع» (٢٨٣٨).

الرحم محبة في الأهل، مثراة[١] في المال، منسأة في الأثر[٢]»[٣].

• وقال ﷺ: «صلة الرحم تزيد في العمر، وصدقة السِّرِّ تُطفئُ غضب الرب»[٤].

• وقال رسول الله ﷺ: «صلة القرابة مَثراة في المال، مَحَبَّةٌ في الأهل، مَنسأة في الأجل»[٥].

• وقال الله تعالى: «أنا خلقتُ الرَّحِم، وشَقَقْتُ[٦] لها اسمًا من اسمي، فمن وصلَها وصلْتُه، ومَن قطعها وقطعْتُه، ومن بَتَّها[٧] بَتَتُّه»[٨].

• وقال ﷺ: «مَن سَرَّه أن يُعْظِمَ اللهُ رزقَه، وأن يَمُدَّ في أجله، فليصلْ

---

(١) مكثرة وزيادة.

(٢) أي: مُؤخرة في العمر، وسبب لزيادته.

(٣) صحيح: رواه أحمد، والترمذي، والحاكم عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٧٦)، و«صحيح الجامع» (٢٩٦٥).

(٤) صحيح: رواه القضاعي عن ابن مسعود، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٩٠٨)، و«صحيح الجامع» (٣٧٦٦).

(٥) صحيح: رواه الطبراني في «الأوسط» عن عمرو بن سهل، ورواه أحمد، والترمذي، والحاكم عن أبي هريرة، ورواه الطبراني في «الكبير» عن العلاء بن خارجة، والخطيب عن علي، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٧٦)، و«صحيح الجامع» (٣٧٦٨).

(٦) الاشتقاق: صياغة كلمة من أخرى كالفرع من أصله، وهو أيضًا التقاء الكلمة مع مصادرها في المعنى، والمراد: أخذت لها اسمًا من اسمي.

(٧) قطعها، قطعته.

(٨) صحيح: رواه أحمد، والبخاري في «الأدب المفرد»، وأبو داود، والترمذي، والحاكم عن عبد الرحمن بن عوف، والحاكم عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٥٢٠)، و«صحيح الجامع» (٤٣١٤).

رحمه»[١].

• وقال ﷺ: «ما من ذنب أجدرُ [٢] أن يُعجل الله تعالى لصاحبه العقوبةَ في الدنيا، مع ما يدخره له في الآخرة من قطيعة الرحم، والخيانة والكذب، وإن أعجل الطاعة ثوابًا لَصِلةُ الرحم حتى إنَّ أهل البيت ليكونوا فجرةً، فتنموا أموالهم،ويكثر عددهم إذا توصلوا»[٣].

• وقال ﷺ: «ليس الواصل بالمكافيء [٤]، ولكن الواصل الذي إذا انقطعت رَحِمُهُ وصلها»[٥].

• وقال رسول الله ﷺ: «ليس شيءٍ أُطيع الله تعالى فيه أعجلَ ثوابًا من صِلة الرَّحِم، وليس شيءٌ أعجلُ عقابًا من البغي وقطيعةِ الرَّحِم، واليمين الفاجرة تدَعُ [٦] الدِّيَارَ بلاقع [٧]»[٨].

---

(١) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود، والنسائي عن أنس، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٧٦)، و«صحيح الجامع» (٦٢٩١).

(٢) أيْ: أوْلَى وأَحَقُّ.

(٣) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير» عن أبي بكرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٧٠٤)، و«السلسلة الصحيحة» رقم (٩١٥)، (٩٧٨).

(٤) المعنى: ليس واصل رحمه حقيقة -من لا يصلهم إلَّا أن يَصِلوه، بل من يصلهم وإنْ قطعوه.

(٥) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي عن أبي هريرة.

(٦) أي: تترك.

(٧) خرابًا لذهاب الرزق وحلول الفقر.

(٨) صحيح: رواه البيهقي في «سننه» عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٩٧٨)، و«صحيح الجامع» (٥٣٩١).

• وقال رسول الله ﷺ: «مَن أحبَّ أن يُبسَطَ له في رزقه، وأن يُنسأ[١] له في أثره[٢]، فليصل رحمه»[٣].

• وقال رسول الله ﷺ: «صِلَةُ الرَّحِمِ، وحُسْنُ الْخُلُق، وحُسْنُ الجوارِ، يُعمِّرْ الدِّيار، ويَزِدْنَ في الأعمار»[٤].

٢٠٣- الإحسان إلى طلبة العلم:

□ اقتداءً بالنبي الكريم ﷺ، فقد كان أبو سعيد الخدري رضي الله عنه إذا رأى طلبة العلم قال: «مرحبًا بوصية رسول الله ﷺ، كان رسول الله ﷺ يوصينا بكُمْ»، يعني: طلبة الحديث[٥].

□ قال المناوي رحمه الله: «أي رحبت بلادكم واتسعت وأتيتم أهلًا لا غربًا، فاستأنسوا ولا تستوحشوا، قد درج السلف على قبول وصيته، فكان أبو حنيفة يكثر مجالسة طلبته ويخصهم بمزيد الإكرام وصرف العناية في التعظيم»[٦].

□ واقتداءً بالسلف الصالح -رحمهم الله-، فقد خرج ابن مسعود رضي الله عنه على أصحابه وهم يتذاكرون، ويتدارسون: علقمةَ، والأسود، ومسروق،

---

(١) يُؤَخَّر ويُؤَجَّل.
(٢) عقبه. والمراد: يزيد في عمره، ويبقى ذكره.
(٣) رواه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي عن أنس، وأحمد والبخاري عن أبي هريرة.
(٤) صحيح: رواه أحمد، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن عائشة، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٥١٩)، و«صحيح الجامع» (٣٧٦٧).
(٥) سبق تخريجه وانظر: «صحيحه» رقم (٢٨٠).
(٦) «فيض القدير» (٧/ ٣٥٦١).

وأصحابهم، فوقف عليهم، قال: بأبي وأمي العلماء، بروح الله ائتلفتم، وكتاب الله تلوتم، ومسجد الله عمّرتم، ورحمة الله انتظرتم، ثم أحبكم الله، وأحبَّ من أحبكم»(١).

□ وروى محمد بن خالد عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير، قال: «كتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله أن أجروا على طلبة العلم الرزق، وفرغوهم للطلب»(٢).

□ وعن يحيى بن صالح الوُحاظي، قال: «ما رأيتُ رجلًا أكبر نفْسًا من إسماعيل بن عيَّاش، كنا إذا أتينا إلى مزرعته لا يرضى لنا إلَّا بالخروف والخبيص، قال: وسمعته يقول: ورثت عن أبي أربعة آلاف دينار، فأنفقتها في طلب العلم»(٣).

□ وعن أبي عثمان الوراق قال: «اجتمع أصحاب الحديث عند وكيع، قال: وعليه ثوب أبيض فانقلبت المَحْبَرَةُ على ثوبه، فسكت مَلِيًّا، ثم قال: ما أحسن السواد في البياض»(٤).

٢٠٤- حَمْلُ هَمِّ الأُمَّة، وتقديم مصالح المسلمين وحفظ أموالهم:

□ ساق الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ عن عطاء بن أبي رباح، قال: «حدثتني فاطمةُ امرأة عمر بن عبد العزيز أنها دخلت عليه، إذا هو في مُصَلاه يدُهُ على خدِّه، سائلة دموعه، فقلتُ: يا أمير المؤمنين! ألشيءٍ حدث؟ قال: يا

(١) «تاريخ دمشق» (٤٣/ ٢٨٣).

(٢) «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ١٨٦).

(٣) «تاريخ دمشق» (٣/ ١٧٠).

(٤) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» للخطيب (١/ ٣٥٠).

فاطمةُ! إني تقلَّدت أمرَ أمَّة محمد ﷺ فتفكَّرتُ في الفقير والجائع، والمريض الضائع، والعاري المجهود، والمظلوم المقهور، والغريب المأسور، والكبير، وذي العيال في أقطار الأرض فعلمتُ أن ربِّي سيسألني عنهم، وأن خَصْمَهُمْ دونَهم -محمدٌ ﷺ- فخشيتُ ألا تثبتَ لي حُجَّة عند خصومته فَرَحِمْت نفسي فبكيْتُ»(١).

□ وقال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: قال القاضي بهاءُ الدين بنُ شدَّادٍ: «قال لي السلطانُ -صلاح الدين- في بعض محاوراتِه في عقدِ الصُّلح: أخاف أنْ أصالحَ، وما أدري أيش يكونُ منِّي، فيقوى هذا العدوُّ، وقد بقيَتْ لهم بلادٌ، فيخرجون لاستعادة ما في أيدي المسلمين، وترى كلّ واحد من هؤلاء -يعني: إخوانه وأولادَهَم- قد قعَد في رأس تَلِّهِ- يعني: قلعته- ويقول: لا أنزلُ، ويهلك المسلمون»(٢).

□ وساق الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ عن يحيى بن أبي غنيَّة، عن حفص بن عُمَر بن أبي الزُّبير، قال: «كتب عُمرُ بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن حزم: أن أدِقَّ قلمك، وقارِبْ أسْطُرِكَ، فإني أكرهُ أن أُخْرِجَ من أموال المسلمين ما لا ينتفعون به»(٣).

□ وقال يحيى بن حمزة: «حدَّثنا عمر بن مهاجر أن عُمَرَ بن عبد العزيز كان تُسْرَجُ عليه الشمعةُ ما كان في حوائج المسلمين، فإذا فرغ، أطفأها وأسرج عليه سِرَاجه»(٤).

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٥/ ١٣١).

(٢) المصدر السابق (٢١/ ٢٨٩).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٥/ ١٣٢).

(٤) المصدر السابق (٥/ ١٣٦).

□ وقال الليث رَحِمَهُ اللَّهُ: «بدأ عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ بأهل بيته، فأخذ ما بأيديهم، وسمّى أموالهم مظالِمَ، فَفزعت بنو أميّة إلى عمَّته فاطمة بنت مروان فأرسلت إليه: إني قد عناني أمْر، فأتته ليلًا، فأنزلها عن دابتها، فلما أخذت مجلسها، قال: يا عمّة! أنت أولى بالكلام، قالت: تكلَّم يا أمير المؤمنين، قال: إنَّ الله بعث محمدًا ﷺ -رحمةً، ولم يبعثه عذابًا واختار له ما عنده، فترك لهم نهرًا شُربُهُم سواءٌ، ثم قام أبو بكر فترك النهر على حاله، ثم عمر، فعملَ عملَ صاحبه، ثم لم يزل النهرُ يشتقُّ منه يزيدُ ومروان وعبدُ الملك، والوليدُ، وسليمان، حتى أفضى الأمر إليَّ، وقد يبسَ النهر الأعظم، ولن يروي أهله حتى يعودَ إلى ما كان عليه، فقالت: حسبُك، فلستُ بذاكرةٍ لك شيئًا، ورجعت فأبلغتهم كلامَه»(١).

ما أَرَقَّ مشاعرهم وما أكرم أخلاق علاة الهمم من سادات سلفنا!!:

□ «ذكر الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أن الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ آخى محمد بن عبد الحكم ابن أيمن بن ليث المصري، وكان يقربه، ويقبل عليه، ويقول: ما يقيمني بمصر غيره، فاعتل محمد فعاده الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ فقال:

مَرِضَ الحبيب فعُدته فمرضت من حزني عليه

□ فقال محمد في جوابه:

فأتى الحبيب يعودني فبرئت من نظري إليه(٢)

□ وساق ابن عساكر رَحِمَهُ اللَّهُ بسنده عن إبراهيم بن بُرانه -وكان جليسًا للشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ- قال: «دخلت مع الشافعي حمّامًا فخرجت قبله، وكان

(١) «سير أعلام النبلاء» (٥/ ١٢٩).
(٢) «إتحاف السادة المتقين» (٧/ ١٤٣).

الشافعي طوالًا جسيمًا نبيلًا، وكان إبراهيم طوالًا جسيمًا، فلبس إبراهيم ثياب الشافعي، ولبس الشافعي ثياب إبراهيم، والشافعي لا يعلم أنها ثياب إبراهيم، وإبراهيم لا يعلم أنها ثياب الشافعي، وانصرف الشافعي إلى منزله فنظر فإذا هي لإبراهيم، فأمر بها فطويت وبخرت وجعلت في منديل، ونظر إبراهيم فطواها وبخرها وجعلها في منديل، ثم راحا جميعًا، فجعل الشافعي ينظر إلى إبراهيم ويبتسم إليه، وجعل إبراهيم ينظر إلى الشافعي ويبتسم إليه، فلما صلَّيت العصر، قال إبراهيم: أصلحك الله، هذه ثيابك.

فقال الشافعي: وهذه ثيابك، والله لا يعود إليّ منها شيء، ولا يلبسها غيرك فأخذهما إبراهيم جميعًا»[١].

□ وكان بين سعيد بن العاص رضي الله عنه وقوم من أهل المدينة منازعة فلما ولاه معاوية رضي الله عنه المدينة ترك المنازعة، وقال: «لا أنتصر لنفسي وأنا والٍ عليهم: قال ابن عقيل في «الفنون»: هذه والله مكارم الأخلاق»[٢].

□ وقال السَّكنُ الحَرشيّ: «اشتريت من أبي المنهال سيار بن سلامة شاةً بستين درهمًا، فقلت: تكونُ عندك حتى آتيك بالثَّمن، قال: ألستُ مُسلمًا! قلت: بلى، قال فخُذها. فأخذتُها ثم انطلقتُ فأتيتُه بالسِّتين، فأخرج منها خمسة دراهم وقال: اعلِفْها بهذه»[٣]..» اهـ[٤].

---

(١) «تاريخ دمشق» (٥٤/ ٣١٥).
(٢) «الآداب الشرعية» (٢/ ٣١٨).
(٣) «البيان والتبين» للجاحظ (٢/ ٨٤٣).
(٤) «أدب السالف» (ص٥٥- ٥٦).

ونختم بهذا الحديث الجميل:

• عن الضحَّاك بن قيس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أتي الرجلُ القومَ فقالوا له: مرْحَبًا، فمرحبًا به يوم يلقى ربه، وإذا أتى الرجل القوم فقالوا له: قَحْطًا، فقَحْطًا له يوم القيامة**»(١).

▫ قال المناوي: «والمرادُ إذا عمل عملًا يَسْتَحِقُّ به أن يُقال له ذلك فهو عَلَمَ لسعادته، فإن الله إذا أحبَّ عبدًا ألقى محبَّته في قلوب العباد، وهو إشارة وبشارة بنظره إليه تعالى».

قوله: «**فقحطًا له يوم القيامة**»: أصله الدعاء عليه بالجدب فاستعير لانقطاع الخير وجَذْبه من العمل الصالح، والمراد أنه إذا كان ممن يقول فيه العدول عند قدومه عليهم هذه القول فإنه يُقال له مثله يوم القيامة، أوْ هُوَ كناية عن كونه يلقى شدَّةً وأهوالًا وكَرْبًا في الموقف، وفي الخبر هم شهداء الله في الأرض فهو كناية عن كونه مغضوبًا عليه، وذكر اللقاء في الأول وإضافته للربوبية دون الثاني إشارة إلى أن ربه. يتلقَّاه بالإكرام ويُرَبِّيه بصنوف البر والإنعام، وأما الثاني فيُعرض عنه»(٢).

---

(١) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير»، والحاكم في «المستدرك» وصححه وأقره الذهبي، والمناوي والسيوطي وصححه الألباني في «الصحيحة» (١١٨٩)، و«صحيح الجامع» (٢٦٦). وقحطًا: أي صادفتَ قحطًا، أي: شدة حبس غيث.

(٢) «فيض القدير» للمناوي (١/ ٢٣٩).

علو الهمة في الإصلاح

علو الهمة في الإصلاح

أنتَ أنت في الخير والفضل يا من تُصلح بين الناس!!:

الإصلاح بين الناس له فضل عظيم كبير عند الله وعند الناس، وإن كان إبليس ليقول لشيطان الجن إذا فرّق بين المرء وزوجه أنت أنت! فما ظنك بمن يصلح بين الناس، ويمنع إراقة الدماء والهجر والقطيعة، أفلا يُقال له: أنت أنت؟!.

• عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن إبليسَ يضعُ عرشهُ على الماءِ، ثمَّ يبعثُ سراياهُ، فأدناهم منه منزلةً أعظمهم فتنةً، يجيء أحدهم فيقولُ: فعلتُ كذا وكذا، فيقول: ما صنعتَ شيئًا، ويجيء أحدهم فيقولُ: فعلتُ كذا وكذا، فيقولُ: ما صنعتَ شيئًا، ويجيء أحدهم فيقولُ: ما تركتُهُ حتى فرَّقتُ بينَه وبين أهلِه، فيُدنيه منه، ويقول: نِعْمَ أنتَ!»(١).

من أنواع الإصلاح:

□ ورد في الإصلاح في كتاب الله في مواضع متعددة بمعانٍ متعدِّدة منها:

* قوله تعالى على لسان نبيِّ الله شُعيب عليه السلام: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾ [هود]. وهُوَ هنا بمعنى الإحسان.

---

(١) رواه أحمد، ومسلم.

□ ويأتي الإصلاح بمعنى الطاعة، وهو ضد الإفساد وهو المعصية.

* ومنها: قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) ﴾ [البقرة].

* ومنها: قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦) ﴾ [الأعراف].

* وقال تعالى: ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٨٥) ﴾ [الأعراف].

* وقال تعالى عن لسان نبيه صالح عليه السلام: ﴿ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (١٥١) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (١٥٢) ﴾ [الشعراء].

* وقال تعالى: ﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (٤٨) ﴾ [النمل].

□ ومنها الإصلاح في النبوة والإرادة:

* قال تعالى: ﴿ ۞ وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ (١٤٢) ﴾ [الأعراف].

* وقال تعالى: ﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ (٨٧) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ

أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾ [هود].

* وقال تعالى: ﴿ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾ ﴾ [البقرة].

□ ومنها إصلاح ذاتِ البَيْن:

ومعنى ذاتُ البيْن: صاحبةُ البَيْنُ، والبَيْنُ في كلامِ العربِ يأتي على وَجْهيْن مُتضادَّين: فيأتي بمعْنَى الفِرَاقِ والفُرْقَةِ، ويأتي بمعنى الوَصْلِ.

وإصلاحُ ذَاتِ البيْنِ على المعنى الأول يكون بمعنى إصلاح صَاحِبَةِ الفُرْقةِ بين المسلمين، وإصلاحُهَا يكونُ بإِزالَةِ أسبابِ الخصامِ، أو بالتَّسامُح والعفو، أو بالتَّراضي على وجهٍ من الوجُوهِ، وبهذا الإصلاحِ يذهب البَيْنُ وتَنْحَلُّ عقدةُ الفرْقةِ. أما إصلاحُ ذاتِ البيْنِ على المعنى الثاني، فيكونُ بمعنى إصلاح صاحبةِ الوصلِ والتَّحَابُبِ والتَّآلُفِ بين المسلمين، وإصلاحُهَا يكونُ برأْبِ ما تصدَّعَ منها، وإزالَةِ الفسادِ الذي دَبَّ إليها بسببِ الخصامِ والتَّنَازُعِ على أمرٍ من أُمورِ الدُّنْيَا [١].

* وقد أمر الله بإصلاح ذات البيْن فقال تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ ۚ إِنَّ

(١) انظر: «الأضداد» للأصمعي والسجستاني وابن السكيت (٥٢)، (٣٥١- ٣٥٢) (٢٢٥)، و«الأضداد» للأنباري (٧٥).

ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾﴾ [البقرة].

* وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾﴾ [البقرة].

* وقال تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾﴾ [البقرة].

* وقال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾﴾ [النساء].

* وقال تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء].

* وقال تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ فِى يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ

وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾﴾ [النساء].

* وقال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾ [الأنفال].

* وقال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحجرات].

والصلاح أقسام وأنواع:

- فهناك صلح المسلم مع الكافر وله ضوابط وشروط شرعية، ليس هذا موضع ذكرها.
- والصلح بين المسلم وأخيه المسلم.
- والصلح بين الفئة الباغية، والعادلة.
- والصلح بين الزوجين.
- والصلح بين المتخاصمين، أو المتغاضبين.
- والصلح في الجراح، كالعفو على مالٍ.

□ والصلح لقطع الخصومة إذا وقعت المخاصمة إما في الأملاك، أو في المشتركات كالشوارع. كل تلك الصور، وغيرها يجدر أن تسود في حياة المسلمين، لكي تحل المودة موضع المشاحنة، والسلام مكان الحرب، والصلح محل الخصام، والتودد محل التباغض واللين محل الشدة.

فالإسلام يدعو إلى الصلح في شتى مجالات الحياة؛ لأنه دين الأمن والأمان والسلم والسلام[(١)].

□ والإصلاح رسالة أنبياء الله وأعظم بها من رسالة.. فقد كان الإصلاح بين العباد من صُلْب دعوتهم.

* قال نبي الله شعيب عليه السلام: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ﴾ [هود: ٨٨].

□ قال أبو عبد الله القرطبي: «ما أريد إلَّا فعل الصلاح، أي أن تصلحوا دنياكم بالعدل، وآخرتكم بالعبادة».

وقال: ﴿مَا ٱسْتَطَعْتُ﴾ ؛ لأن الاستطاعة من شروط الفعل دون الإرادة، «وما» مصدرية، أي: إن أريد إلَّا الإصلاح جهدي واستطاعتي.

﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ﴾ ، أي: رشدي، والتوفيق: الرشد، أي: ﴿إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ اعتمدت.

﴿وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ ، أي: أرجع فيما ينزل بي من جميع النوائب. وقيل: إليه أرجع في الآخرة»[(٢)].

---

(١) «الإصلاح بين الناس» لمجدي فتحي السيد (ص٢٨) دار الصحابة –طنطا.
(٢) «تفسير القرطبي» (٩/ ٦٠).

أحاديث عطرة وردت في الإصلاح:

• عن زيد بن مِلْحَةَ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ الدِّينَ لَيَأْرِزُ(١) إلى الحِجَازِ كما تَأْرِزُ الحَيَّةُ إلى جُحْرِهَا، ولَيَعْقلنَّ الدِّينُ من الحجَازِ مَعْقِلَ الأَرْوِيَّةِ(٢) من رَأْسَ الحبلِ. إنَّ الدِّين بَدَأَ غريبًا ويَرْجعُ غريبًا، فطُوبَى للغُرَباءِ الذينَ يُصلِحُونَ ما أفسدَ الناسُ مِنْ بَعْدي من سُنَّتِي»(٣).

• وعن عمرو بن شعيبٍ عن أبيه عن جدِّهِ رضي الله عنهما أَنَّ رسول الله ﷺ كَتَبَ كِتابًا بين المهاجرينَ والأنصارِ على أن يَعْقِلُوا معَاقِلَهُمْ، وأَنْ يُفْدُوا عَانِيَهُمْ(٤) بالمعروفِ، والإصلاحِ بين المسلمينَ»(٥).

• عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رسول الله ﷺ قال: «تُفْتَحُ أبوابُ الجنَّة يومَ الاثنينِ، ويومَ الخميسِ فَيُغْفَرُ لكُلِّ عبدٍ لا يُشْرِكُ بالله شيئًا إلَّا رجلًا كانت بينَهُ وبين أخيهِ شَحْنَاءُ(٦) فيقالُ: أَنظِروا هذَينِ(٧) حتَّى يصطَلِحَا. أنظروا هذين حتى يصطَلِحَا. أنظرُوا هذين حتَّى يَصطَلِحَا»(٨).

---

(١) يأرز إلى الحجاز: أي: يجتمع وينضم كما تأرز الحيَّة إلى جحرها.
(٢) الأروية: هي أنثى الوعول، برؤوس الجبال وجمعها أروى.
(٣) رواه الترمذي (٢٦٣٠) وقال: هذا حديث حسن صحيح.
(٤) عانيهم: العاني الذليل الأسير.
(٥) صحيح: رواه أحمد (١/ ٢٧١) واللفظ له، (٢/ ٢٠٤)، والهيثمي في «المجمع» (٤/ ٢٠٦) وأشار إلى رواية أحمد وقال: فيه الحجاج بن أرطأة وهو مدلِّس ولكنه ثقة. وقال الشيخ أحمد شاكر في «تحقيق المسند» (١١/ ١٢٥) (ح٦٩٠٤): إسناده صحيح. وأشار إلى رواية ابن عباس أيضًا عند أحمد (ح٢٤٤٣).
(٦) شحناء: عداوة وبغضاء.
(٧) انظروا: أي: أخروهما.
(٨) «مسلم» (٢٥٦٥).

• عن سلمة بن الأكوَعِ ﵁ قال: قدِمْنَا الحديبيةَ مع رسول الله ﷺ ونحْنُ أربعَ عشرةَ مئةً، وعليها خمسُونَ شاةً لا تُرْوِيهَا. قال: فَقَعَدَ رسول الله ﷺ على جَبَا الركِيَّةِ[(١)]. فإمَّا دعا، وإمَّا بَسَقَ[(٢)] فيها. قال: فجَاشَتْ[(٣)]. فسقيْنَا واسْتَقَينا. قال ثم إنَّ رسول الله ﷺ دَعانَا للبيْعَةِ في أَصْلِ الشجرة قال: فبَايعْتُه أوَّلَ الناس ثُمَّ بايعَ وبايعَ حتَّى إذا كان في وسطٍ من الناسِ. قال: «**بايعْ. يا سَلَمَةُ**». قال: قلتُ قدْ بايَعْتُكَ يا رسول الله في أَوَّلِ الناسِ. قال: «**وأيضًا**» قال: ورآنِي رسولُ الله ﷺ عَزِلًا[(٤)] (يعني: ليس معه سلاحٌ). قال: فأَعطاني رسولُ الله ﷺ حَجْفَةً أو دَرَقَةً[(٥)] ثُمَّ بايعَ حتَّى إذا كان في آخِرِ الناس قال: «**ألا تُبايعُني يا سلمةُ؟**». قال: قلتُ: قد بايَعْتُكَ يا رسول الله في أَوَّلِ الناسِ، وفي أَوْسَطِ الناسِ. قال: «**وأيضًا**» قال: فَبَايعْتُهُ الثالثة. ثم قال لي: «**يا سلمةُ أين حجْفَتُكَ أو درقتُكَ التي أعْطيْتُكَ؟**». قال: قلتُ: يا رسول الله لَقِيَنِي عمِّي عامرٌ عزِلًا. فأعطيْتُه إيَّاها. قال فضحِكَ رسولُ الله ﷺ وقال: «**إنَّكَ كالذي قال الأوَّلُ**[(٦)]:

---

(١) جبا الركية: الجبا ما حول البئر. والركي البئر. والمشهور في اللغة ركي، بغير هاء. ووقع هنا الركية بالهاء.. وهي لغة حكاها الأصمعي وغيره.

(٢) وإما بسق: هكذا هو في النسخ: بسق. وهو صحيحة. يقال: برق وبصق وبسق. ثلاث لغات بمعنى. والسين قليلة الاستعمال.

(٣) فجاشت: أي ارتفعت وفاضت. يقال: جـ... الشيء بجيش جيشانًا، إذا ارتفع.

(٤) عَزْلاً: ضبطوه بوجهين: أحدهما فتح العين مع كسر الزاي. والشي ضمهما وقد فسره في الكتاب بالذي لا سلاح معه. ويقال أيضًا: أعزل، وهو الأشهر استعمالاً.

(٥) حجفة أو درقة: هما شبيهتان بالترس.

(٦) إنك كالذي قال الأول: الذي صفة لمحذوف. أي: إنك كالقول الذي قاله الأول.

=

اللهُمَّ أَبْغِني[١] حَبِيبًا هو أحبُّ إليَّ مِنْ نَفْسِي». ثمَّ إنَّ المشركِينَ رَاسلُونَا[٢] الصُّلحَ. حتَّى مشَى بعضُنَا في بعضٍ[٣]، واصطَلَحْنَا. قال: وكنتُ تَبِيعًا لطَلْحَةَ بن عُبيدِ الله[٤] أسقِي فَرَسَهُ، وأَحُسُّهُ[٥]، وأَخْدُمُه وآكلُ من طعامِه. وتَرَكْتُ أهلِي ومالِي مُهاجرًا إلى الله ورسولهِ ﷺ. قال فلمَّا اصْطَلَحْنَا نحنُ وأهلُ مكَّةَ، واختلطَ بعضنا ببعضٍ أَتيْتُ شجرةً فَكَسحْتُ شَوكَها[٦] فَاضْطَجَعْتُ في أَصْلها. قال: فأتاني أربْعةٌ من المشركِينَ من أهلِ مكَّةَ فجعلُوا يقعُونَ في رسولِ الله ﷺ فأبغضتُهُم فتحوَّلْتُ إلى شجرةٍ أُخرى. وعلَّقُوا سلاحَهُمْ، واضطجعُوا. فبينما هم كذلك إذْ نَادَى مُنَادٍ من أسفل الوادي: يا للمهاجرين؛ قُتِلَ ابنُ زُنَيْم. قال: فاخترطتُ سيفي[٧] ثم شَدَدتُ[٨] على أولئك الأربعةِ، وهم رُقودٌ فأخذتُ سلاحَهُمْ فجعلْتُهُ

فالأول: بالرفع فاعل. والمراد به هنا: المتقدم بالزمان. يعني: أن شأنك هذا مع عمك يشبه فحوى القول الذي قاله الرجل المتقدم بزمانه.

(١) أبغني، أي: أعطني.

(٢) راسلونا: هكذا هو في أكثر النسخ: راسلونا، من المرسلة. أي: أرسلنا إليهم وأرسلوا إلينا في أمر الصلح.

(٣) مشى بعضنا في بعض: في هنا بمعنى إلى. أي: مشي بعضنا إلى بعض. وربما كانت بمعنى مع. فيكون المعنى مشى بعضنا مع بعض.

(٤) كنت تبيعًا لطلحة، أي: خادمًا أتبع.

(٥) وأحسه، أي: أحك ظهره بالمحسة لأزيل عنه الغبار ونحوه.

(٦) فكسحت شوكها، أي: كنست ما تحتها من الشوك.

(٧) فاخترطت سيفي، أي: سللته.

(٨) شددت: حملت وكررت.

ضِغْثًا[١] في يدي. قال: ثم قلتُ: والذي كرَّمَ وجْهَ محمَّدٍ لا يرفعُ أحدٌ منكم رأسُه إلاَّ ضربْتُ الذي فيه عَيْنَاهُ[٢]. قال: ثمَّ جئتُ بهم أسوقُهُمْ إلى رسولِ الله ﷺ. قال: وجاءَ عمِّي عامرٌ برجُلٍ من العبلاتِ[٣] يقالُ له مِكْرَزٌ يقودُهُ إلى رسول الله ﷺ على فرسٍ مُجَفَّفٍ[٤]. في سبعين من المشركين. فنظر إليهم رسولُ الله ﷺ فقال: «**دعوهم يكُنْ لهم بَدْءُ الفُجُورِ وَثِنَاهُ**»[٥]. فعفا عنهم رسولُ الله ﷺ. وأنزلَ اللهُ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ٢٤]..الحديث»[٦].

• عن أنسٍ ؓ قال: قيل للنبيِّ ﷺ: لو أتيْتَ عبد الله بن أُبيٍّ. فانطلَق إليه النبيُّ ﷺ وركبَ حمارًا فانطلق المسلمون يمشُونَ معهُ – وهي أرضٌ سَبِخَةٌ – فلمَّا أتاهُ النبيُّ قال: إليك عنِّي. والله لقد آذاني نَتْنُ حمارِكَ. فقال

(١) ضغثًا: الضغث الحزمة . يريد أنه أخذ سلاحهم وجمع بعضه إلى بعض حتى جعله في يده حزمة. قال في المصباح: الأصل في الضغث أن يكون له قضبان يجمعها أصل واحد، ثم كثر حتى استعمل فيما يجمع.

(٢) الذي فيه عيناه: يريد رأسه.

(٣) العبلات: قال الجوهري في «الصحاح»: العبلات من قريش، وهم أمية الصغرى. والنسبة إليهم عَبَلِيٌّ. ترده إلى الواحد.

(٤) مجفف: أي: عليه تجفاف. وهو ثوب كالجل يلبسه الفرس ليقيه السلاح، وجمعه: تجافيف.

(٥) يكن لهم بدء الفجور وثناه: البدء هو الابتداء. وإما ثِنَاهُ فمعناه عودة ثانية. قال في «النهاية»: أي أوله وآخره والثني الأمر يعاد مرتين.

(٦) رواه مسلم (١٨٠٧).

رجلٌ من الأنصارِ منهم: والله لحمارُ رسولِ الله ﷺ أطيَبُ ريحًا مِنْكَ فغضب لعبد الله رجُلٌ من قومِهِ فَشَتَمَا(١) فغَضِبَ لكُلِّ واحدٍ منهما أصحابُه، فكان بينهُما ضَرْبٌ بالجَريدِ والأيدِي والنِّعَالِ. فبلغنا أنها أُنْزلتْ: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ﴾ [الحجرات: ٩](٢).

• عن أمِّ كلثومٍ بنت عقبة بن أبي مُعيطٍ – وكانت من المهاجراتِ الأُوَلِ اللاتي بايعنَ النبيَّ ﷺ أخبرتْهُ أنها سمعتْ رسول الله ﷺ وهو يقولُ: «ليسَ الكذَّابُ الذي يُصْلِحُ بين النَّاسِ، ويقولُ خيرًا وينْمِي(٣) خيرًا(٤)».

• وعن أبي هريرة ﵁ عن رسول الله ﷺ: فذكر أحاديث منها: وقال رسول الله ﷺ: «اشترَى رجلٌ من رجُلٍ عقارًا له. فوجدَ الرَّجلُ الذي اشترَى العقارَ في عقارِهِ جَرَّةً فيها ذهبٌ. فقال لهُ الذي اشترَى العقَارَ: خُذْ ذهبكَ منِّي. إنما اشتريْتُ منكَ الأرضَ، ولم أبْتَعْ مِنْكَ الذَّهبَ. فقال الذي

---

(١) فشتما: هكذا في «الفتح»، وعبارة البخاري (طبعة البغا): فشتمه.

(٢) البخاري «الفتح» (٢٦٩١)، واللفظ له. ومسلم (١٧٩٩) وليس عند مسلم قوله: «فشتما».

(٣) ينمي: بدون تشديد بمعنى نقل ما فيه خير وإصلاح وبالتشديد الإفساد.

(٤) رواه البخاري (٢٦٩٢)، ومسلم (٢٦٠٥) واللفظ له. وأبو داود (٤٩٢٠)، والترمذي (٢٠٠٤)، وأحمد (٦/ ٤٠٣، ٤٠٤). والطيالسي (١٦٥٦)، وابن حبان (٧/ ٤٩٤).

شَرَى [١] الأرضَ: إنَّمَا بعتُكَ الأرضَ وما فيها. قال: فتحاكَمَا إلى رجلٍ فقال الذي تحاكَمَا إليه: ألَكُمَا ولدٌ؟ فقال أحدُهما: لي غُلامٌ. وقال الآخرُ: لي جاريةٌ. قال: أنكِحُوا الغُلامَ الجاريةَ. وأنفِقُوا على أنفُسِكُمَا مِنْهُ وتصدَّقَا»[٢].

• عن سهلِ بن سعيدٍ رضي الله عنه أن ناسًا من بني عمرو بن عوفٍ كان بينهم شيءٌ فخرجَ إليهم النبيُّ ﷺ في أُناسٍ من أصحابه يُصْلِحُ بينهم، فحضرت الصلاةُ، ولم يأتِ النبيُّ ﷺ. فأذَّنَ بلالٌ بالصلاةِ، ولم يأت النبيُّ ﷺ. فجاءَ إلى أبي بكرٍ فقال: إن النبي ﷺ حُبِسَ، وقد حَضَرتِ الصَّلاةُ، فهل لك أن تَؤُمَّ النَّاسَ؟ فقال: نَعَمْ، إن شِئْتَ. فأقَامَ الصَّلاةَ فتقدَّمَ أبو بكرٍ، ثُمَّ جاءَ النبيُّ ﷺ يَمْشِي في الصُّفُوفِ حتَّى قَام في الصَّفِّ الأوَّلِ، فأخذَ النَّاسُ في التَّصْفِيحِ[٣] حتَّى أكْثَروا – وكان أبو بكرٍ لا يكادُ يَلْتَفِتُ في الصَّلاةِ – فالتفت، فإذا هَوَ بالنبيِّ ﷺ وراءَهُ، فَأَشَارَ إليه بيدِهِ، فأمرَهُ أن يُصلِّيَ كما هو، فرفعَ أبو بكرٍ يده فحمدَ الله ثُمَّ رجعَ القهْقَرِي وراءَهُ حتَّى دخل في الصَّفِّ فتقدَّمَ النبيُّ ﷺ فصلَّى بالنَّاسِ. فلمَّا فرغَ أقبلَ على الناس فقال: «**يا أيها النَّاسُ، إذا نَابَكُمْ شيءٌ في الصَّفِّ، في صلاتِكُمْ أخذتُم بالتَّصْفِيحِ، إنَّما التَّصفِيحُ للنِّساءِ، من نابَهُ شيءٌ في صلاته فلْيَقُلْ سبحانَ الله، فإنَّهُ لا يسمعُهُ أحدٌ إلاَّ التفتَ. يا أبا بكرٍ، ما منعك حِينَ أشرْتُ إليك لم تُصلِّ**

---

(١) شرى: باع.

(٢) رواه مسلم (١٧٢١).

(٣) التصفيح: قال النووي: التصفيح أن تضرب المرأة كفَّها الأيمن ظهر كفِّها الأيسر، وقد يحدثُ من الرجال كما هنا.

بالنَّاسِ؟» . فقال: ما كان ينبغي لابن أبي قحافَة أن يُصَلِّي بين يدي النبيِّ ﷺ»(١).

• عن كعبِ بن مالكٍ أنه تقاضي ابنَ أبي حَدْرَدٍ ديْنًا كان له عليه في عهد رسولِ الله ﷺ في المسجدِ فارتَفَعتْ أصواتُهُا حتَّى سمعها رسولُ الله ﷺ وهو في بيتِهِ فخرجَ رسولُ الله ﷺ إليهما حتَّى كشفَ سِجْفَ حجرتِه فنَادى كعب بن مالكٍ، فقال: «يا كَعبُ». فقال: لبيْكَ يا رسول الله، فأشارَ بيده أنْ ضعِ الشطْرَ. فقال كعبٌ: قد فعلتُ يا رسول الله، فقال رسولُ الله ﷺ: «قُمْ فَاقْضِهْ»(٢).

• عن عائشة ﵂ قالت: سمع رسولُ الله ﷺ صوتَ خُصُومٍ بالباب عاليةٍ أصواتُهم، وإذا أحدُهُما يستوضِعُ الآخرَ ويسترفقُهُ في شيءٍ وهو يقولُ: والله لا أفعلُ فخرج عليهما رسولُ الله ﷺ فقال: «أينَ المُتَألِّي على الله لا يفعلُ المعرُوفَ؟» فقال: أنا يا رسولَ الله، فَلهُ أيُّ ذلك أحبَّ(٣).

• عن جابر بن عبد الله ﵄ قال: تُوفِّيَ أبي وعليه دينٌ فعرضتُ على غُرمائِهِ أن يأخُذُوا التَّمْرَ بما عليه فأبْوا، ولم يروْا أنَّ فيه وفاءً فأتيْتُ النبيَّ ﷺ فذكرتُ ذلك له فقال: «إذا جددتَهُ فوضَعْتَهُ في المربدِ آذنتَ رسول الله ﷺ. فجاء ومعهُ أبو بكرٍ وعمرُ فجلس عليه دعا بالبركَة ثمَّ قال: «ادْعُ

---

(١) رواه البخاري (٢٦٩٠) واللفظ له، ومسلم (٤٢١).
(٢) رواه البخاري (٢٧١٠).
(٣) رواه البخاري (٢٧٠٥) ومسلم (١٥٥٧)، والبيهقي في «سننه» (٥/ ٣٠٥) (ومعنى أي ذلك أحب): أي من الوضع أو الرِّفق.

غُرَمَاءَكَ فَأَوْفِهِم»(١). فما تركتُ أحدًا له على أبي دينٌ إلَّا قضيتُه، وفضل ثلاثة عشر وسْقًا: سبعةٌ عجوةٌ وستَّةٌ لَوْنٌ (٢)، أو سِتَّةٌ عجْوةٌ وسبعةٌ لونٌ.فوَافَيْتُ مع رسول الله ﷺ المغربَ فذكرتُ ذلك له فضحك فقال: «ائْتِ أبا بكرٍ وعمر فأخبرهُمُا»، فقالا: لقد علمْنَا ـ إذا صَنَعَ رسولُ الله ﷺ ما صنعَ ـ أن سيكون ذلك»(٣).

• وعن سهلِ بن سعدٍ رضي الله عنه أنَّ أهل قُبَاءَ اقتتلوا حتَّي تراموْا بالحجارةِ فأخبرَ رسولُ الله ﷺ بذلك، فقال: «**اذْهَبُوا بنا نُصلحْ بيْنَهُمْ**»(٤).

• عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام، والصدقة، والصلاة؟**». قلنا: بلى يا رسول الله. قال ﷺ: «**إصلاح ذات البين، وفساد ذات البين، هي الحالقة**»(٥).

و«إصلاح ذات البين». أي: ما بينكم من الأحوال يسودها الألفة والوئام، والمودة والمحبة.

---

(١) فأوْفهم: أي أعطهم وأوسع عليهم.

(٢) اللون: ما عدا العجوة وقيل: هو الدقل وهو الرَّدِيء.

(٣) رواه البخاري (٢٧٠٩).

(٤) رواه البخاري (٢٦٩٣).

(٥) صحيح: أخرجه أحمد، وأبو داود (٤٩١٩)، والترمذي (٢٦٢٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٩١)، وابن حبّان (١٩٨٢)، والبغوي (٣٥٣٨) في شرح السُّنَّة، وفيه عنعنة الأعمش، وهو مدلِّس، وله شاهد من حديث الزبير، أخرجه الترمذي (٢٦٢٨) وسنده ضعيف، ومن حديث أبي هريرة أخرجه الترمذي (٢٦٢٦) وسنده حسن في الشواهد. وصححه الألباني في «تحقيق المشكاة» (٥٠٣٨)، و«غاية المرام» (٤١٤)، و«صحيح الجامع» (٢٥٩٥).

والمراد بذات البين المخاصمة، والمهاجرة بين اثنين، بحيث يحصل بينهما بينٌ، أي فرقة والبين من الأضداد الوصل والفرق.

«**وفساد ذات البين الحالقة**»، أي: هي الخصلة التي من شأنها أن تحلق الدين وتستأصله كما يستأصل الموسى الشعر.

«**أفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة**»، المراد بهذه المذكورات النوافل دون الفرائض.

□ قال القاري: «والله أعلم بالمراد إذ قد يتصور أن يكون الإصلاح في فساد يتفرع عليه سفك الدماء، ونهب الأموال، وهتك الحرم أفضل من فرائض هذه العبادات القاصرة مع إمكان قضائها على فرض تركها فهي من حقوق الله التي هي أهون عنده سبحانه من حقوق العباد.

فإذا كان كذلك فيصح أن يقال هذا الجنس من العمل أفضل من هذا الجنس لكون بعض أفراده أفضل كالبشر خير من الملك، والرجل خير من المرأة»[(١)].

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**ما عَمِلَ ابنُ آدمَ شيئًا أَفْضَلَ من الصلاة، وصلاح ذات البيْن، وخُلُقٍ حسن**»[(٢)].

• وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**أفضل الصدقة صلاحُ ذات البين**»[(٣)].

---

(١) «الإصلاح بين الناس» (ص١٨).

(٢) صحيح: رواه البخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ١/ ٦٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١١٠٩١)، والخرائطي في «مكارم الأخلاق» (٥٤)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٤٤٨)، و«صحيح الجامع» (٥٦٤٥).

(٣) حديث حسن: أخرجه البخاري في «تاريخه» (٣/ ٢٩٥)، والبيهقي في «الشعب» =

الصُّلْحُ بين الغرماء:

«الغرماء جمع غريم، وهمُ أصحابُ الدَّيْن، والغريم: الذي له الدَّيْن، والذي عليه الدْين جميعًا.

وعندما نتأمل السيرة النبوية، نجد أن رسول الله ﷺ قد حرص على الإصلاح بين الغرماء، فهو نوعٌ من الإصلاح بين الناس.

فيحدثنا جابر بن عبد الله رضي الله عنه فيقول: توفي أبي وعليه دينٌ، وليس عندي إلَّا ما يخرج نخله، فعرضتُ على الغرماء أن يأخذوا التمر بما عليه فأبوا، ولم يروا أن فيه وفاء، ولا يبلغ ما يُخرجُ سنين ما عليه.

فأتيتُ النبي ﷺ فذكرتُ ذلك له، وقلت: انطلق معي لكي لا يفحش عليَّ الغرماء، فقال: «إذا جددته فوضعته في المِرْبَدِ آذنت رسول الله ﷺ». فجاء ومعه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، فمشى حول بيدر من بيدر التمر فجلس عليه، ودعا بالبركة، ثم آخر، ثم قال: «ادع غُرماءك فأوفهم الذي لهم».

فما تركتُ أحدًا له على أبي دينٌ إلَّا قضيته، وفضل ثلاثة عشر وسقًا، وسبعٌ عجوة وستةٌ لونٌ، فوافيتُ مع رسول الله ﷺ المغرب فذكرت ذلك له، فضحك، وقال: «**ائت أبا بكر وعمر فأخبرهما**»[1].

فقالا: لقد علمنا إذ صنع رسول الله ﷺ ما صنع أن سيكون ذلك».

(١١٠٩٢)، والطبراني في «الكبير»، كما في «المجمع» (٨/ ٨٠).

(١) أخرجه البخاري (٢٧٠٩)، (٣٥٨٠) والنسائي (٦/ ٢٤٦)، وأحمد (٣/ ٣٩٨)، وابن حبان (٢١٥٢)، والبيهقي في «سننه الكبرى» (٥/ ٣٥٧).

عُلُوّ همة سبط رسول الله ﷺ وريحانته من الدنيا الحسين بن علي رضي الله عنهما في الصلح بين فئتيْن عظيمتيْن من المسلمين وهو أعظم صلح في الإسلام:

من دلائل النبوة، وعلامات صدق الرسالة، تنبأ النبي ﷺ بأعظم صلحٍ تم في الإسلام، وكان ذلك في عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه.

فقد حدثت المحنة بين المسلمين بعد وفاة النبي الأمين ﷺ وتصاعدت الفتنة بعد مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وبايع أهل العراق الحسن بن علي رضي الله عنه بالخلافة بعد مقتل أبيه سنة ٤٠هـ، وألحوا عليه المسير إلى ديار الشام لمحاربة معاوية رضي الله عنه وأتباعه.

وبالفعل سار جيش الحسن بن علي رضي الله عنهما إلى الشام، فلما علم معاوية رضي الله عنه بمسيرة أرسل جيشه، والتقى الجيشان في موضع يقال: «مسكن». بناحية الأنبار، ولم يبق إلَّا الالتحام، فنظر الحسن بن علي رضي الله عنهما، وهاله وأفزعه أن يقتتل المسلمون في تلك الأعداد الكبيرة، فشرح الله صدره للصلح، وقد كان.

فقد كتب الحسن إلى معاوية يشترط شروطًا للصلح، ورضي بها معاوية، وخلع الحسن نفسه من الخلافة، وسلم الأمر لمعاوية في بيت المقدس، سنة ٤١هـ، وسُمِّي هذا العام «عام الجماعة» لاجتماع كلمة المسلمين، وكان ذلك أعظم صُلِح في الإسلام، فبه حُقِنت دماء الأمة الإسلامية»[١].

□ عن أبي موسى قال: سمعت الحسن البصري يقول: «استقبل والله

---

(١) «الإصلاح بين الناس» (ص٣٢).

الحسنُ بن علي معاوية بكتائبَ أمثالِ الجبالِ، فقال عمرو ابن العاص رضي الله عنه: إني لأرى كتائب لا تُوَلِّي حتى تقتُل أقرانها».

فقال له معاوية رضي الله عنه -وكان والله خير الرجلين- أيْ عمرو، إنْ قَتَلَ هؤلاءِ هؤلاءِ، وهؤلاءِ هؤلاءِ مَنْ لي بَأمور الناس، مَنْ لي بنسائهم، من لي بَضَيْعَتِهم؟!.

فبعث إليه رجلين من قريشٍ، عبد الرحمن بن سمرة، وعبد الله بن عامر، فقال: اذهبا إلى هذا الرجل فاعرضا عليه وقولا له، واطلبا إليه.

فأتياه، فدخلا عليه فتكلما، وقالا له، وطلبًا إليه، فقال لهما الحسن ابن علي رضي الله عنهما: إنا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال، وإن هذه الأمة قد عاثت في دمائها.

قالا: فإنه يعرض عليك كذا وكذا، ويطلب إليك، ويسألك. قال: فمن لي بهذا؟

قالا: نحن لك به، فما سألهما شيئًا إلَّا قالا: نحن لك به. فصالحه.

فقال الحسن رضي الله عنه: ولقد سمعتُ أبا بكر يقول: رأيتُ رسول الله ﷺ على المنبر -والحسن بن علي إلى جنبه- وهو يُقبلُ علي الناس مرة، وعليه أخرى، ويقول: «إن ابني هذا سيد، ولعلَّ الله أن يصلح بين فئتين عظيمتين من المسلمين» [(١)].

والسيد الذي لا يغلبه غضبه، وقيل: الذي يفوق قومه في الخير.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٠٤)، وأبو داود (٤٦٦٢)، والترمذي (٣٧٧٥)، والنسائي (٣/ ١٠٧)، وأحمد (٥/ ٣٨)، وابن أبي شيبة (١٢/ ٩٦) في «مصنفه».

وهكذا أصلح الله بين أهل العراق، وأهل الشام، وكان الحسن بن علي رضي الله عنهما سباقًا إلى هذا الصلح العظيم، فرضي الله عنه، أرضاه.

وهذا يدل على كمال سؤدد السيد الحسن بن علي رضي الله عنهما.

جواز الكذب للصلح بين الناس، وَحِلُّ المسألة للصلح بين الناس:

مع أن الكذب كبيرة من الكبائر وإثم عظيم يتنزَّه عن الوقوع فيه من خاف الله واليوم الآخر فقد أباحه الشرع من أجل الإصلاح بين الناس؛ وذلك لِعظَمِ الصُّلْحِ بين الناس.

• فعن أم كلثوم بنت عقبة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**لا أعُدُّه كاذبًا: الرجلُ يُصلِحُ بين الناس، يقولُ القولَ لا يُريد به إلَّا الإصلاحَ، والرَّجُل يقولُ في الحَرْبِ، والرَّجُل يُحدِّثُ امرأتهُ، والمرأة تُحدِّث زوجها**»(١).

❐ عن ابن أبي عزرة الدؤلي، وكان في خلافة عمر يخلعُ النساء التي يتزوجها، فطار له في الناس من ذلك أحدوثة، وكان عنده امرأة فكرهها.

فقام بعبد الله بن الأرقم حتى أدخله بيته، فقال لامرأته، وابن الأرقم يسمع: أنشدك بالله هل تبغضيني؟ فقالت امرأته: لا تناشدني. قال: بلى. فقالت: اللهم نعم.

فقال ابن أبي عزرة لعبد الله: أتسمُع، ثم انطلق حتى أتى عمر، فقال: يا أمير المؤمنين، يحدثون أني أَظلم النساء، وأخلعهن، فاسأل عبد الله بن

(١) رواه مسلم (١٦/ ١٥٧)، وأبو داود (٤٩٢١)، وأحمد (٦/ ٤٠٤)، والخرائطي (١٨١) و(١٨٢) في «المساوئ».

الأرقم عما سمع من امرأتي.

فسأل عمُر عبد الله فأخبره، فأرسل عمر إلى امرأته فجاءت، فقال لها: أنتِ التي تحدثين زوجك أنك تبغضينه؟!

قالت: يا أمير المؤمنين، إني أول مَنْ تاب، وراجع أمر الله، إنه يا أمير المؤمنين أنشدني بالله فتحرجت أن أكذب، أفأكذب يا أمير المؤمنين؟! قال: نعم فاكذبي، فإن كانت إحداكن لا تحب أحدًا فلا تحدثه بذلك، فإن أقل البيوت التي يُبنى على الحُبِّ، ولكن الناس يتعاشرون بالإسلام، والإحسان[(١)].

□ قال سفيان بن عيينة: «لو أنَّ رجُلًا اعتذر إلى رجلٍ، فحرَّف الكلام وحَسَّنه ليرضيه بذلك، ولم يكن كاذبًا يتأوَّل الحديث: «ليس بالكاذب من أصلح بين الناس». فإصلاحه ما بينه وبين صاحبه أفضل من إصلاحه ما بين الناس»[(٢)].

□ وحرّم الشارع سؤال الناس إلّا صاحب الحمالة، «وهو أن يكون بين القوم تشاحن في دم، أوْ مالٍ، فَسَعَى رجلٌ في إصلاح ذات بينهم، وضمِن مالًا في تسكين تلك العداوة الكائنة بين القوم، فإنه يحل له السؤال، ويُعْطَي من الصدقة قدر ما تبرأ ذمَّته عن الضمان، وإن كان غنيًّا»[(٣)].

• عن قبيْصة بن المخارق رضي الله عنه عن النبي ﷺ: **«إن المسألة لا تحل إلَّا**

---

(١) خبر حسن: أخرجه الخرائطي (١٨٤) في «المساويء»، والبغوي في «شرح السُّنّة» (١٣/ ١٢٠).

(٢) «الإصلاح بين الناس» (ص٣٨، ٣٩).

(٣) «شرح السنة» للبغوي (٦/ ١٢٦).

لثلاثة: رجلٌ تحمَّلَ بحمالةٍ[١] بين قومٍ، ورجلٌ أصابته جائحة[٢]، فاجتاحت ماله، فيسأل حتى يُصيب سدادًا[٣] من عيشٍ، ورجلٌ أصابته فاقة[٤] حتى يشهد له ثلاثة من ذوي الحجى[٥] من قومه أن قد أصابته حاجة، وأن قد حلت له المسألة، وما سوى ذلك من المسائل سُحْتٌ[٦]»[٧].

والشاهد من هذا حضُّ الشرع للمصلحين على المسارعة إلى الإصلاح بين الناس حتى لو تطلَّب الأمر أن يتكفوا بدية أوْ ديْن[٨].

• يُوضح ذلك أن رَجُلًا جاء إلى النبي ﷺ: فقال: يا رسول الله، إنا قومٌ نتساءل أموالنا بيننا؟ فقال ﷺ: «نعم، يسأل الرجل في الفتق يكون بينه وبين قومه، والجائحة، فإذا استغنى أو كرب استعف»[٩].

فللمصلح الذي توسط بين الناس للإصلاح له أن يسأل بيت المال أن يعينه على ما تكفله، وتحمله لما قام به من عملٍ شريف، وسعي مشكور[١٠].

---

(١) تحمل بحمالة: أي: تكفّل بكفالة والحميل: الكفيل: أي: يتكفَّل بديْن أوْ دِية عن غيره.

(٢) الجائحة: الآفة تصيب مال الإنسان.

(٣) «السِّداد: بسكر السين، ما يسدُ حاجة المعوز ويكفيه، وكل شيء سددتَ به خللا.

(٤) فاقة: فقر.

(٥) الحِجي: العقل.

(٦) السُّحت: الحرام والباطل.

(٧) أخرجه أحمد (٣/ ٤٧٧)، ومسلم (١٠٤٤)، وأبو داود (١٦٤٠)، والنسائي (٥/ ٨٩)، والطيالسي (٨٣٤)، والدارمي (١/ ٣٩٦)، وابن خزيمة (٢٣٥٩).

(٨) «شرح السنة» (٦/ ١٢٦).

(٩) صحيح: أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٢٠٠١٨)، وأحمد (٥/ ٥)، والبغوي في «شرح السُّنَّة» (١٦٢٧)، (١٦٢٨).

(١٠) «الإصلاح بين الناس» (ص٤٢).

أخي:

• عن حدود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن هَجَر أخاهُ سَنَةً، فهُوَ كَسَفْكِ دَمِه**»(١).

فما ظنك بمن قاتله، فما ظنك بمن أصلح بينهما!!!

□ قال أبو الحسن المدائني: «جرى بين الحسن بن علي، وأخيه الحسين رضي الله عنهم كلامٌ حتى تهاجرا، فلما أتى على الحسن ثلاثة أيام من هجر أخيه، فأقبل إلى الحسين، وهو جالسٌ فأحبَّ على رأسه فقبَّله.

فلما جلس الحسنُ قال له الحسن رضي الله عنهما: إن الذي منعني من ابتدائك، والقيام إليك أنك أحقَّ بالفضل مني، فكرهتُ أن أنازعك ما أنت أحقُّ به»(٢).

* قال الله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٤٠﴾ [الشورى].

□ وقال الأوزاعي: «ما خطوة أحبُّ إلى الله عز وجل من خطوة في إصلاح ذات البيْن، ومَن أصلح بين اثنيْن كتب الله له براءة من النار»(٣).

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٤/ ٣٢٠)، وأبو داود (٤٨٩٤)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٤٠٤)، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٧/ ٥٠٠)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ١٦٣)، وصحَّحه، وأقرَّه الذهبي، وصحَّحه الألباني في «الصحيحة» (٩٢٨)، و«صحيح الجامع» (٦٥٨١).

(٢) انظر: «المساوئ» للخرائطي (٥٦٤).

(٣) «تفسير القرطبي» (٥/ ٢٤٦- ٢٤٧).

□ قال ابنُ بابَويْه: «إن الله ﷻ أحبَّ الكذبَ في الإصلاحَ، وأَبْغَضَ الصِّدق في الفساد».

□ وقال ابن القيم رحمه الله: «فالصُّلْح الجائِزُ بين المسلمين هو الذي يَعْتِمدُ فيه رضا الله سبحانه ورِضَا الخَصْمَيْن، فهو أعدلُ الصُّلح وأَحَقُّهُ، وهو يعتمدُ العلمَ والعَدْلَ، فيكون المُصْلِحُ عالمًا بالوقائِع، عارِفًا بالواجب، قاصدًا للعدل، فدرجةُ هذا أفضلُ من درجة الصائم القائم»[١].

□ وعن عبد الله بن حبيبِ بن أبي ثابتٍ قال: «كنت جالسًا مع مُحمدِ ابن كعبٍ القُرظيِّ، فأَتاهُ رجلٌ فقال لهُ القومُ: أين كنت؟ فقال: أصلحْتُ بين قومٍ، فقال محمدُ بنُ كعبٍ: أصبْتَ. لك مِثلُ أَجْرِ المجاهدين، ثمَّ قرأ: ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ .. ﴾ [النساء: ١١٤]»[٢].

□ قال العلماء: «لا تخلُو الفئَتانِ من المسلمين في اقتتالِهما، إمَّا أَنْ يقْتَتِلا على سبيلِ البَغْيِ منهما جميعًا أوْ لا، فإِنْ كان الأوَّلُ؛ فالواجِبُ في ذلك أن يُمْشَي بينهما بما يُصلحُ ذات البَيْنِ، ويُثْمِرُ المُكَافَّةَ والموادَعَةَ. فإِنْ لم يتحاجَزَا ولم يصطلحَا وأقامتا على البَغْي صِيرَ إلى مُقاتلتِهما، وأمَّا إنْ كان الثَّاني وهو أَنْ تكُونَ إحداهُمَا باغيةً على الأُخرى، فالواجِبُ أَنْ تَقَاتَل فئةُ البَغْي إلى أنْ تَكُفَّ وتَتُوبَ؛ فإِنْ فعلتْ أُصْلِحَ بينها وبين المَبْغيِّ عليها بالقسطِ والعدْلِ، فإن التحم القتالُ بينهما لشُبهةٍ دخلت عليهما وكلتاهما عند أنفسهما محقَّةٌ، فالواجبُ إزالةُ الشُّبهةِ بالحجَّةِ النَّيرة والبراهين القاطعة على مراشدِ الحقِّ.

---

(١) «أعلام الموقعين» (١/ ١٠٩- ١١٠).

(٢) «إعلام الموقعين» (٢/ ٦٨٥).

فإنْ ركبتا متنَ اللِّجَاجِ ولم تعملا على شاكِلَةِ ما هُديتَا إليه ونُصِحتَا بهِ من اتِّباعِ الحقِّ بعدَ وضُوحِهِ لهُما فقد لحِقتَا بالفئَتَينِ الباغيتين»(١).

□ قال الطبري عند قوله تعالى: ﴿أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤]، «هو الإصلاحُ بين المُتباينين أو المختصمين بما أباحَ اللهُ الإصلاحَ بينهما ليرجِعا إلى ما فيه الأُلفةُ واجتماعُ الكلمةِ على ما أذنَ الله وأمرَ به»(٢).

□ قال الفُضيلُ: «إذا أتاكَ رجلٌ يشكُو إليكَ رجُلًا فقُل يا أخي اعفُ عنه فإنَّ العَفْوَ أَقْرَبُ للتَّقوى، فإن قال: لا يحتملُ قلبي العفو ولكن أنتصرُ كما أمرني اللهُ عَزَّوَجَلَّ قل: فإنْ كُنتَ تُحسِنُ تنتصِرُ مثلًا بمثلٍ وإلَّا فارجعْ إلى بابِ العفو فإنَّهُ بابٌ أوسعُ؛ فإنَّهُ من عفا وأصلح فأجْرُهُ على الله، وصاحبُ العفو ينامُ الليل على فراشِهِ، وصاحبُ الانتصارِ يُقلِّبُ الأُمُورَ»(٣).

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٦/ ٢٠٨).

(٢) «تفسير الطبري» (٤/ ٢٧٦).

(٣) «حلية الأولياء» (٥/ ١١٢).

عُلُوُّ الهِمَّة في الإنصاف

عُلُوُّ الهِمَّة في الإنصاف

وهنا في هذا الفصل بالذات تُسكَب العبرات، ورحم الله تعالى إمام دار الهجرة مالك بن أنس حيث قال: «ما في زماننا شيء أقل من الإنصاف»(١) فكيف لو أدرك زماننا هذا؟!

□ والإنصاف دليل على كمال الإيمان وصحّة الإسلام، وإنصاف العبد من نفسه دليل على التجرُّدِ من الأنانية.

والإنصاف هو العدل في المعاملة، وأنْ تُعْطِيَ لغيرك من نفسك النِّصْفَ أَيْ تُعْطِيَه من الحق كالذي تستحقُّ لنفسك. أن تُعطيَ غيرك من الحقِّ مِثلَ الذي تحبُّ أن تأخذه منه لو كنتَ مكانه، ويكونُ ذلك بالأقوال والأفعال، في الرضا والغضب، مَعَ مَنْ تُحِبُّ ومَع مَن تكره.

بَيْنَ الإِنْصَافِ وَالْعَدْلِ:

□ قال المُناويُّ: «الإنصَافُ والعَدْلُ توءمانِ نتيجتُهُما عُلُوُّ الهِمَّةِ وبراءَةُ الذِّمَّةِ باكتسابِ الفضائلِ وتجنُّبِ الرَّذَائِلِ»(٢).

أنواع الإنصاف:

للإنصاف أنواع عديدة منها:

أولاً: إنصاف الله عَزَّ وَجَلَّ:

نعم إنصافُ المرء خَالقه عَزَّ وَجَلَّ حيثُ لا يُتصَوَّرُ أن يُنصِفَ المخلوقين ثم

(١) «جامع بيان العلم» (١/ ١٣٢).

(٢) «التوقيف على مهمات التعاريف» للمناوي (ص٦٤).

لا يُنصِفُ الخالقَ عَجَلَّ.

□ قال ابن القيِّم: «طُوبى لمن أنصَفَ ربَّهُ فأقرَّ له بالجهْلِ في عِلمِهِ، والآفاتِ في عملِهِ، والعُيوبِ في نفسِهِ، والتَّفْريطِ في حقِّه، والظُّلم في مُعاملتِه، فإنْ آخذهُ بذنُوبِهِ رأى عدله، وإن لم يؤاخذهُ بها رأى فضلَهُ، وإنْ عمل حسنةً رآها من منَّته وصدقته عليه، فإنْ قبلها فمنَّةٌ وصدقةٌ ثانيةٌ، وإنْ ردَّها فلكونِ مثلها لا يصلحُ أن يُواجَه به، وإنْ عمل سيِّئةً رآها من تخَلِّيه عنهُ وخذلانه له، وإمساكِ عصمتِه عنه، وذلك من عَدْلِه فيه، فيرى في ذلك فقرهُ إلى ربِّه، وظلمهُ في نفسِهِ، فإنْ غفرها له فَبِمَحْضِ إحسانِهِ وجُودِهِ وكرمِهِ، ونُكْتَةُ المسألة وسرُّها أنَّه لا يرى ربَّهُ إلَّا مُحسنًا، ولا يرى نفسه إلَّا مُسِيئًا أو مُفرِّطًا أو مُقصِّرًا، فيرى كل ما يسرُّهُ من فضل ربِّه عليه، وإحسانه إليه، وكُلَّ ما يسوؤُهُ من ذنوبه وعدلِ الله فيه»[(١)].

□ ومن الإنصاف في حقِّ المولى عَجَلَّ الإنصافُ في مُعاملتِهِ، وفي هذا يقولُ ابنُ القيِّم أيضًا: «الإنصاف في معاملةِ الله أن يُعْطي العبوديَّة حقَّها، وأَنْ لا يُنازعَ ربَّهُ صفاتِ إلهيَّته، وأَنْ لا يشكُرَ على نعمه سواهُ، ولا يستعين بها على معاصيه، ولا يحمد غيره، ولا يعبد سواهُ»[(٢)].

ثانيًا: إنصاف النبي ﷺ:

وذلك بالقيام بحقوق النبي ﷺ من الإيمان به ومحبته، وتقديمها على محبة الخلق كلهم، وطاعته وتوقيره وتجيله، وتقديم أمره وقوله على أمر

---

(١) «الفوائد» (ص٤٩).

(٢) «الإنصاف» لساعد عمر غازي (ص٢٤)- مكتبة الصحابة- طنطا.

غيره وقوله.

ومن الظلم العظيم: أن يخل العبد بشيء من حقوق النبي ﷺ الذي هو أولى المؤمنين من أنفسهم، وأرحم بهم وأرأف بهم من كل أحد من الخلق، وهو الذي لم يصل إلى أحد خير إلَّا على يديه»[(١)].

ثالثًا: إنصافُ المرءِ لنفسه من نفسِه:

إِنَّ أُولَى درجات الإنصافِ، أن يكونَ الإنسانُ منصِفًا نفسه لأنَّ من لم يفعل ذلك لا يستطيعُ إنصافَ غيره انطلاقًا من القاعدةِ المعروفةِ [فاقدُ الشيءِ لا يعطيهِ] يقولُ ابن القيم -رحمه الله تعالى- ويدخلُ في الإنصاف: إنصافُ المرءِ نفسهُ من نفسِهِ، بألَّا يدعي لها ما ليس لها، ولا يُخبِّثها بتدنيسه لها، وتصغيره إيَّاها وتحقيرها بمعاصي الله ﷻ، بل يُنمِّيها ويُكبِّرُها ويرفعها بطاعة الله وتوحيده، وحُبِّه وخوفه ورجائِه، والتَّوكُّل عليه، والإنابة إليه، وإيثارِ مرضاته على مراضي الخلق محابِّهم.. إنَّ إنصاف المرء نفسهُ من نفسه يوجبُ عليه معرفةَ ربِّه وحقِّه عليه، ومعرفة نفسِهِ، وما خُلقَتْ له، وألَّا يُزاحِمَ بها مالكها وفاطرها يدَّعي لها الملكةَ والاستحقاق، ويُزاحِمَ مُراد سيِّده، ويدفعه بمُراده هو، أو يُقدِّمَ مرادَهُ (كالشَّهَواتِ مثلًا) ويؤثرهُ على مُرادِ مولاهُ، أو يقسمَ إرادتهُ بين مُرادِ سيِّدهِ ومُرادِهِ هو، وهذه قسمَةٌ ضيزَى مثلُ قسمةِ الذين قالوا: ﴿هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝١٣٦﴾ [الأنعام].

---

(١) «بهجة قلوب الأبرار» للشيخ عبد الرحمن السعدي (ص٤١- ٤٢).

فلينظر العبدُ ألَّا يكون من أهل هذه القسمة بين نفسه وشُركائه (من ناحية)، وبين الله ﷻ (من ناحيةٍ أُخرى). وإلَّا يفعل لُبِّسَ عليه وهو لا يشعرُ، وكيف يُنْصِفُ غيره من لم ينصفْ نفسه؟ فظلمها أقبح الظلم، وسعى في ضَررها أعظم السعي، ومنعها أعظم لذَّاتها من حيث ظنَّ أنَّه يعطيها إيَّاها فأتبعها كلَّ التَّعبِ، وأشْقاها كُلَّ الشَّقَاءِ من حيث ظنَّ أنَّه يُريحها ويسعدها، وجدَّ كُلَّ الجِدِّ في حرمانها حظَّهَا من الله ﷻ وهُو يَظُنُّ أنَّهُ يُنِيلُهَا حظُوظها، كيف يُرْجَى الإنصافُ (للغير) ممَّنْ هذا إنصافُهُ لنفسه؟ إذا كان هذا فعل العبدِ بنفسه، فماذا تراهُ بالأجانبِ يفعلُ؟[1].

رابعًا: إنْصَافُ العِبَاد:

يُقصدُ بإنصافِ العباد أن يقُومَ المسلمُ بإنصافِ الغير من نفسه أو ممَّنْ يُحبُّ، حتَّى لو كان هذا الغيرُ مخالفًا له في الرَّأْيِ، أو في الدِّين، أو في المذهبِ، أو غير ذلك مما يقْتَضِي التَّحَامُلَ، أو يكونُ مظنَّةً للجورِ، ومن إنصافِ النَّاس -كما يقول ابن القيِّم: «أن تُؤدِّي حقوقهم وألَّا تطالبهم بما ليس لك، وألَّا تحمِّلهم فوق وسعهم، وأنْ تُعامِلَهُمْ بما تحبُّ أن يُعاملُوكَ به، وأنْ تُعفيهم ممَّا تُحبُّ أن يُفوكَ منه، وأنْ تحكمَ لهم أو عليهم بما تحكمُ به لنفسكَ أو عليها[2]، والإنصافِ العبادِ صُورٌ كثيرةٌ ونماذج مُتعدِّدةٌ جاء بها القُرآنُ الكريم والسُّنَّةُ المطَهَّرةُ، ودلَّتْ عليها آثارُ سلفنا الصَّالحِ، وهذا ما سوف نتناولُهُ في الفقرةِ التالية».

---

(١) انظر: «زاد المعاد» لابن القيم (٢/ ٤٠٨- ٤١٠).

(٢) انظر: «زاد المعاد» (٢/ ٤٠٧).

القرآن يُقدِّم المثل الفذّ العالي في الإنصاف:

مع أن اليهود هم أشد الناس عداوة للذين آمنوا إلَّا أن هذه العداوة لم تمنع القرآن الكريم من إنصافهم إنْ هُمْ أحسنُوا أو أحسنَ بعضهم، ومن مظاهر هذا الإنصاف ثناؤُهُ ﷻ على بني إسرائيل ثناءً عظيمًا، يبلغ بهم ذُروةً شاهقةً من الرِّضا والتَّقدير، كما قال تعالى: ﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [الأعراف].

* وقولُه عزَّ من قائلٍ: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [السجدة].

ثُمَّ في معظم الأحيان تبلُغُ حملتُهُ عليهم حدًّا رهيبًا من التَّقريع والتَّنْديد، والذَّمِّ والتَّوْبيخِ والسَّببُ في هذا الموقف القُرآنيِّ هو الإنصافُ التَّامُّ لهم، وإعطاءُ كلِّ ذي حقٍّ حقَّهُ، وكُلِّ ذي باطلٍ ما يستحقُّه، فهو يمدحهم إن أحسنُوا وأطاعُوا، وهو يذُمُّهم إن عاندوا وشاقُّوا، وقد كان من تمام إنصافه ﷻ معهم أنَّهُ دائمًا يستثني منهم القلَّةَ الصَّالحةَ -على نُدرتها- كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ ﴾ [المائدة: ١٣].

✍ إنه الإسلام.. الإسلام وحده في تاريخ البشرية كله الذي يُصنف خصومه أحسن الإنصاف وأعلاه.. إنها القمة السامقة التي لا يُقِيمها ابتداءً إلَّا الإسلام، ولا يرقاها إلَّا المسلمون في كل التاريخ إنها الدروس الهائلة في التربية على الأُفق الأعلى لا يُقدمه إلَّا الإسلام، ولا يقدر عليه إلَّا المسلمون.

لقد بقيت دروس القرآن في إنصاف الكافرين المخالفين، وإنصاف

الرسول ﷺ وخلفائه الراشدين لأهل الذمة ودروسًا ربَّانية خالدة وعاها المسلمون وحفظوها، لتتعلمها البشرية منهم يومَ تفيء إلى رشدها وتحب أن تعرف الطريق إلى ما فيه خيرها وسعادتها.

الإنصاف في القرآن الكريم[١]:

✍ وردت آيات عطرة كثيرة تدل على الإنصاف، منها:

* قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [المائدة].

□ قال ابن كثير في «تفسيره»: «قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ﴾، أي: كونوا قوامين بالحق لله ﷻ لا لأجل الناس والسمعة. وكونوا ﴿شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ﴾، أي: بالعدل لا بالجور. وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ﴾، أي: لا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل فيهم بل استعملوا العدل في كل، صديقًا كان أو عدوًا ولهذا قال: ﴿ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ﴾، أي: عدلكم أقرب إلى التقوى من تركه»[٢] اهـ.

□ وقال ابن الجوزي في «زاد المسير»: ﴿ٱعْدِلُواْ﴾ في الولي والعدو ﴿هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ﴾، أي: إلى التقوى. أقرب إلى أن تكونوا متقين

---

(١) انظر: «الإنصاف» للشيخ ساعد غازي (ص١٠- ٢٤).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٣٠).

وقيل: هو أقرب إلى اتقاء النار»(١) اهـ.

□ وقال ابن تيمية في «المظالم المشتركة»: «العدل واجب لكل أحد على كل أحد في جميع الأحوال، والظلم لا يباح منه شيء بحال حتى أن الله تعالى قد أوجب على المؤمنين أن يعدلوا على الكفار في قوله تعالى: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾ الآية. والمؤمنون كانوا يعادون الكفار بأمر الله. فقال تعالى: لا يحملكم بغضكم الكفار على أن لا تعدلوا عليهم، بل اعدلوا عليهم؛ فإنه أقرب للتقوى»(٢)اهـ.

* قوله ﷻ: ﴿۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا ۚ وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١٣٥)﴾ [النساء].

□ قال العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي في «تيسير الكريم الرحمن»(٣): «يأمر تعالى عباده المؤمنين أن يكونوا ﴿قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾ والقوّام صيغة مبالغة: أي كونوا في كل أحوالكم قائمين بالقسط الذي هو العدل في حقوق الله وحقوق عباده، فالقسط في حقوق الله: أن لا يستعان بنعمه على معصيته بل تصرف في طاعته) والقسط في حقوق الآدميين: أن تؤدي جميع الحقوق التي عليك كما تطلب حقوقك، فتؤدي النفقات الواجبة والديون وتعامل الناس بما تحب أن يعاملوك به الأخلاق

---

(١) «زاد المسير» لابن الجوزي (٢/ ٣٠٧).
(٢) «المظالم المشتركة» لابن تيمية (ص٢٦- ٢٧).
(٣) «تيسير الكريم الرحمن» لعبد الرحمن بن ناصر السعدي (٢/ ٩٠).

والمكافأة وغير ذلك».

ومن أعظم أنواع القسط. القسط في المقالات والقائلين فلا يحكم لأحد القولين أو أحد المتنازعين لانتسابه أو ميله لأحدهما، بل يجعل وجهته العدل بينهما ومن القسط أداء الشهادة التي عندك على أي وجه كان حتى على الأحباب بل على النفس، ولهذا قال: ﴿شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾.

□ قال ابن كثير في «تفسيره»: «أي اشهد الحق ولو عاد ضررها عليك وإذا سئلت عن الأمر فقل الحق فيه ولو عادت مضرته عليك؛ فإن الله سيجعل لمن أطاعه فرجًا ومخرجًا من كل أمر يضيق عليه»(١).

□ وقال ابن جرير في «تفسيره»: «فإن قيل قائل: وكيف يقوم بالشهادة على نفسه الشاهد بالقسط؟ وهل يشهد الشاهد على نفسه؟ قيل: نعم. ولذلك أن يكون عليه حق لغيره فيقر له به، فذلك قيام منه له بشهادة على نفسه»(٢).

□ قال ابن ناصر السعدي: «والقيام بالقسط من أعظم الأمور وأدلها على دين القائم به وورعه ومقامه في الإسلام، فيتعين على من نصح نفسه وأراد نجاتها أن يهتم له غاية الاهتمام وأن يجعله نصب عينيه ومحل إرادته وأن يزيل على نفسه كل مانع وعائق يعوقه عن إراداة القسط أو العمل به وأعظم عائق لذلك إتباع الهوى»(٣).

---

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ٥٦٥).
(٢) «تفسير الطبري» (٤/ ٢٠٦).
(٣) «الظلال» (٦/ ٧٧٦).

□ والهوى صنوف شتى ذكر منها بعضها.. حب الذات هوى. وحب الأهل والأقربين هوى. والعطف على الفقير -في موطن الشهادة والحكم- هوى. وجاملة الغنى هوى ومضارته هوى. والتعصب للعشيرة والقبيلة والأمة والدولة والوطن -في موضع الشهادة والحكم- هوى. وكرامة الأعداء ولو كانوا أعداء الدين -في موطن الشهادة والحكم- هوى. وأهواء شتى الصنوف والألوان»[1].

* قوله عز من قائل: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

□ قال الحافظ ابن كثير: «وقوله: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ كقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾ [المائدة: ٨] الآية، وكذا التي تشبهها في سورة النساء: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [٥٨] يأمر الله تعالى بالعدل في الفعال والمقال على التقريب والبعيد والله تعالى يأمر بالعدل لكل أحد في كل وقت وفي كل حال» اهـ.

* قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [النمل: ٣٤].

□ قال ابن جرير في «تفسيره»: «يقول تعالى ذكره: قالت صاحبه سبأ للملأ من قومها إذ عرضوا عليها أنفسهم لقتال سليمان إن أمرتهم بذلك: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً﴾ عنوة وغلبة ﴿أَفْسَدُوهَا﴾ يقول: خربوها

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ١٩٠).

﴿وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۚ﴾ وذلك باستعبادهم الأحرار واسترقاقهم إياهم وتناهى الخبر منها عن الملوك في هذا الموضع فقال الله: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: وكما قالت صاحبة سبأ: تفعل الملوك إذا دخلوا قرية عنوة»[1] اهـ.

□ وقال القرطبي في «تفسيره»[2]: «﴿قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۚ﴾ أهانوا شرفاءها لتستقيم لهم الأمور. فصدق الله قولها: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ﴾.

□ قال ابن الأنباري: «قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۚ﴾ هذا وقف تام. فقال الله ﷻ تحقيقًا لقولها: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ﴾ »انتهى الغرض منه.

فعلى هذا يكون قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ﴾ من تصديق الله تعالى لقومه ملكة سبأ وهي كافرة. وهذا غاية العدل والإنصاف.

□ ولذا قال الشيخ الشنقيطي في «أضواء البيان»: «ألا ترى أن ملكة سبأ في حال كونها تستجد للشمس من دون الله هي وقومها لما قالت كلامًا حقًّا صدقها الله فيه، ولم يكن كفرها مانعًا من تصديقها في الحق الذي قالته وذلك في قولها فيما ذكره الله عنها: ﴿قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۚ﴾ قد قال تعالى مصدقًا لها في قولها: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ﴾»[3] اهـ.

---

(١) «تفسير الطبري» (١٩/ ٩٦- ٩٧).
(٢) «تفسير القرطبي» (٦/ ٤٩١١).
(٣) «أضواء البيان» (١/ ٤).

* وقال تعالى: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ [الأعراف: ٨٥].

«ففي هذا إرشاد إلى عدم بخس الناس حقوقهم وإنكار فضلهم والتحامل عليهم والطعن بهم والسخرية منهم. والله أعلم»(١).

* وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ [النحل: ٩٠].

◻ قال ابن كثير: «يخبر الله تعالى أنه يأمر عباده بالعدل وهو القسط والموازنة»(٢).

* قال تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ۝٦٠﴾ [الرحمن].

◻ قال محمد بن الحنفية رحمه الله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ۝٦٠﴾ قال: «هي مُسْجَلة للبر والفاجر»(٣).

◻ قال أبو عبيد: «مسجلة: مرسلة».

◻ قال فضل الله الجيلاني في «فضل الله الصمد»، فقوله: «مسجلة»: أي مطلقة إلى كل أحد برًا كان أو فاجرًا» اهـ.

ففي هذا إرشاد للإحسان إلى البر والفاجر وما ذلك إلَّا عين الإنصاف(٤).

* وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

---

(١) «الإنصاف» (ص٢٨).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٥٨٢).

(٣) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (١٣٠) بسند حسن.

(٤) «فضل الله الصمد» لفضل الله الجيلاني (١/ ٢٢٥).

• وقد قال النبي ﷺ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَسَطًا﴾ قال: «عدلًا»[(١)].

وفي التنازيل: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ [القلم: ٢٨]، أي: أعدلهم وخيرهم.

* وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾﴾ [النساء].

أحاديث نبوية كريمة في الإنصاف:

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يفرك** [(٢)] **مؤمن مؤمنةً، إن كره منها خلقًا رضي منها آخر**». أو قال: «**غيره**»[(٣)].

وفي رواية: «**لا يفركن مؤمن مؤمنه**».

□ قال العلامة ابن ناصر السعدي في فوائد هذا الحديث فائدتان عظيمتان:

إحداهما: الإرشاد إلى معاملة الزوجة والقريب والصاحب والمعامل، وكل من بينك وبينه علاقة واتصال، وأنه ينبغي أن توطن نفسك على أن لابد أن يكون فيه عيب أو نقص أو أمر تكرهه، فإذا وجدت ذلك، فقارن بين هذا، وبين ما يجب عليك أو ينبغي لك من قوة الاتصال والإبقاء على المحبة، بتذكر ما فيه من المحاسن والمقاصد الخاصة والعامة، وبهذا الإغضاء عن المساوئ وملاحظة المحاسن تدوم الصحبة والاتصال وتتم

---

(١) «الإنصاف» (ص٢٠).

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٢٩٦١) عن أبي سعيد مرفوعًا وقال: حسن صحيح، وروى البخاري هذا الحديث (٤٤٨٧) مطولًا وكذا الترمذي (٢٩٦٢)، وفي آخر حديثهما: «والوسط العدل»- انظر «فتح الباري» (٨/ ١٧٢).

(٣) الفرْك: البُغْض فرِكه يفرَكه إذا أبغضه.

الراحة وتحصل لك»[١].

ثم قال: «ومن لم يسترشد بهذا الذي ذكره النبي ﷺ، بل عكس القضية، فلحظ المساوئ، وعمي عن المحاسن، فلابد أن يقلق، ولابدَّ أن يتكدَّر ما بينه وبين من يتصل به من المحبة، ويتقطع كثير من الحقوق التي على كل منهما المحافظة عليها»[٢]اهـ.

• عن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ عند بعض نسائه فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين بصفحة فيها طعام، فضربت التي كان النبي فيها بيتها يد الخادم فسقطت الصفحة فانفلقت، فجمع النبي ﷺ فلق الصحفة ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصفحة ويقول: «**غارت أمكم**»، ثم حبس الخادم حتى أتى بصحفة من عند التي هو في بيتها فدفع الصحفة الصحيحة إلى التي كُسِرَتْ صحفتها وأمسك المكسورة في بيت التي كُسرت فيه»[٣].

ففي قوله: «فدفع الصفحة الصحيحة إلى التي كُسِرَتْ صحفتها وأمسك المكسورة في بيت التي كسرت فيه»، إقامة للعدل لأنه رد الصفحة إلى التي نفعها مختص بها لكون التي كسرت الصحفة أبطلت اختصاص الأخرى بتلك الصحفة كما لا يخفى على ذي فهم»[٤].

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان لرجل على رسول الله ﷺ حق فأغلظ

---

(١) أخرجه أحمد، ومسلم (١٤٦٩).

(٢) «الوسائل المفيدة» (ص٢٦).

(٣) رواه البخاري (٥٢٢٥)، وأحمد (٣/ ١٠٥).

(٤) «ثلاثيات مسند الإمام أحمد» (١/ ٧٠٩) للسفاريني.

له. فهم به أصحاب النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: «**إن لصاحب الحق مقالًا**»، فقال لهم: «**اشتروا له سنا**[١] **فأعطوه إياه**»، فقالوا: إنا لا نجد إلَّا سنا هو خير من سنه. قال: «**فاشتروا فأعطوه إياه فإن من خيركم -أو خيركم- أحسنكم قضاء**»[٢].

• وفي الحديث: حسن خلق النبي ﷺ وعظم حلمه وتواضعه وإنصافه، وإن من عليه دين لا ينبغي له مجافاة صاحب الحق»[٣].

✍ أليس في هذا تعليم لنا: كيف ننصف الناس من أنفسنا عند طلب الحقوق وعند قضائها. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين.

• وعن أبي سعيد الخدري ؓ قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ يتقاضاه دينًا كان له عليه فاشتد عليه حتى قال له: أحرج عليك إلَّا قضيتني فانتهره[٤] أصحابه وقالوا: ويحك أتدري من تكلم؟ قال: إني أطلب حقي. فقال النبي ﷺ: «**هلا مع صاحب الحق كنتم؟**»، ثم أرسل إلى خولة بنت قيس فقال لها: «**إن كان عندك تمر فأقرضينا حتى يأتينا تمرنا فنقضيك**»، فقالت: نعم، بأبي أنت يا رسول الله قال: فأقرضته فقضى الأعرابي وأطعمه فقال: أوفيت أوفى الله لك، فقال: «**أولئك خيار الناس أنه لا قدست أمة لا يأخذ الضعيف فيها حقه غير مُتَعْتَعٌ**»[٥].

---

(١) أي: ذا سن من الإبل معين العمر.
(٢) رواه البخاري (٢٣٩٠)، ومسلم (١٦٠١) واللفظ له.
(٣) «فتح الباري» (٥/ ٥٧).
(٤) أي: زجره.
(٥) صحيح: أخرجه ابن ماجه (٢٤٢٦)، وصحح إسناده البوصيري في «مصباح

□ قال السندي في «حاشية على سنن ابن ماجه» (٢/ ٧٩): «قوله: «**هلا مع صاحب الحق كنتم؟**»: حثهم على القيام مع صاحب الحق أي: ينبغي لكم أن تكونوا مع صاحب الحق إلى أن يصل إليه حقه».

وقوله: «**غير متعتع**»: بفتح التاء الثانية، أي: من غير أن يصيبه أذى يقلقه ويزعجه وغير منصوب لأنه حال الضعيف»اهـ.

فكان ذلك درسًا هائلًا وتوجيهًا عمليًا للإنصاف من النبي ﷺ أدعو الله ﷻ أن يرزقنا العمل به.

• وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لينصر الرجل أخاه ظالمًا أو مظلومًا. إن كان ظالمًا فلينهه. فإنه له نصر. وإن كان مظلومًا فلينصره**»[١].

• وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا، قالوا: يا رسول الله، هذا ننصره مظلومًا، فكيف ننصره ظالمًا؟ قال: تأخذ فوق يديه**»[٢].

ففي هذا الحديث إرشاد: أنه من لم يك خارجًا عن حقوق الإيمان وجب أن يعامل بموجب ذلك فيحمد على حسناته، ويوالي عليها وينهي عن سيئاته ويجانب عليها بحسب الإمكان. والواجب على كل مسلم أن يكون حبه وبغضه وموالاته ومعاداته تابعًا لأمر الله ورسوله. فيحب ما أحبه الله ورسوله، ويبغض ما أبغضه الله ورسوله، ويوالي من يوالي الله

الزجاجة» (٢/ ٢٤٩)، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (٢/ ٥٥).

(١) رواه مسلم (٢٥٨٤).

(٢) رواه البخاري (٢٤٤٤).

ورسوله، ويعادي من يعادي الله ورسوله. ومن كان فيه ما يوالي عليه من حسنات وما يعادي عليه من سيئات عوامل بموجب ذلك، كفساق أهل الملة، إذ هم مستحقون للثواب والعقاب،والموالاة والمعاداة، والحب والبغض، بحسب ما فيهم من البر والفجور فإن ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨ ﴾ [الزلزلة] وهذا مذهب أهل السنة والجماعة»[(١)].

□ وعن قتيلة -امرأة من جهينة-: «أن يهوديًا أتى النبي ﷺ فقال: إنكم تنددون[(٢)] وإنكم تشركون تقولون ما شاء الله وشئت وتقولون والكعبة فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا ورب الكعبة ويقولون ما شاء الله، ثم شئت»[(٣)].

• وجاء بلفظ آخر مطولًا: «أتى حبر من الأحبار رسول الله ﷺ فقال: يا محمد! نعم القوم أنتم لولا تشركون؟ قال: «**سبحان الله وما ذاك؟**» قال: تقولون إذا حلفتم: والكعبة، قال: فأمهل رسول الله ﷺ شيئا ثم قال: «**إنه قد قال، فمن حلف فليحلف برب الكعبة**»، قال: يا محمد! نعم القوم أنتم لولا أنكم تجعلون لله ندًا! قال: سبحان الله! وما ذاك؟ قال: تقولون ما شاء الله وشئت. قالت: فأمهل رسول الله ﷺ شيئًا ثم قال: إنه

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٣٥/ ٩٤- ٩٥).

(٢) أي: تتَّخذون أندادًا.

(٣) صحيح: أخرجه النسائي في «سننه» (٧/ ٦)، وفي «اليوم والليلة» (٩٨٦)، (٩٨٧)، والطبراني. وهذا إسناد صحيح كما قال الحافظ في «الإصابة» (٤/ ٣٨٩)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١١٦٦).

قد قال فمن قال: «**ما شاء الله فليفصل بينهما: ثم شئت**»[(١)].

يؤخذ من هذا الحديث: «قبول الحق ممن جاء به، وإن كان عدوًا مخالفًا في الدين»[(٢)]. أليس هذا من الإنصاف؟!

* عن الشريد بن سويد رضي الله عنه قال: ردفت رسول الله ﷺ يومًا فقال: «**هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيئًا؟**» قلت: نعم. قال: «**هيه**»[(٣)] فأنشدته بيتًا فقال: «**هيه**»، ثم أنشدته بيتًا فقال: «**هيه**» حتى أنشدته مئة بيت.

وزاد في رواية: «إن كاد ليسلم». وفي آخرى: «فلقد كاد ليسلم في شعره»[(٤)].

□ وأمية بن أبي الصلت الثقفي قال عنه الحافظ في «الفتح»: «كان ممن طلب الدين ونظر في الكتب ويقال إنه ممن دخل في النصرانية وأكثر في شعره من ذكر التوحيد والبعث يوم القيامة»[(٥)].

□ وقال ابن قتيبة في «المعارف» (ص٦٠): «وكان يخبر بأن نبيًّا يبعث قد أظل زمانه فلما سمع بخروج النبي ﷺ وقصته كفر حسدًا له».

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٦/ ٣٧١- ٣٧٢)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (٢٣٨)، (٢٣٩)، والحاكم (٤/ ٢٩٧)، والبيهقي (٣/ ٢١٦)، والطبراني في «الكبير».

(٢) «تيسير العزيز الحميد» (ص٦٠٠).

(٣) هيه: كلمة للاستزادة من الحديث المعهود.

(٤) أخرجه مسلم (٢٢٥٥).

(٥) «فتح الباري» (٧/ ١٥٣).

□ وقال الحافظ: «وعاش أمية حتى أدرك وقعة بدر ورثى من قتل بها من الكفار مات أمية بعد ذلك سنة تسع، وقيل: مات سنة اثنتين. ذكره سبط ابن الجوزي واعتمد في ذلك ما نقله عن ابن هشام: أن أميه قدم من الشام على أن يأخذ ماله من الطائف ويهاجر إلى المدينة، فنزل في طريقه ببدر قيل له: أتدري من في القليب؟ قال: لا؟ قيل: فيه عتبة وشيبة وهما ابنا خالك وفلان وفلان، فشق ثيابه وجدع ناقته وبكى ورجع إلى الطائف فمات بها. قلت: ولا يلزم من قوله فمات بها أن يكون في تلك السنة»[(١)].

«فأمية بن أبي الصلت مات كافرًا، ومع ذلك سمع النبي ﷺ شعره وأجاز إنشاده لما فيه من الإقرار بالوحدانية والبعث فقبل ما أتى به من الحق أليس ذلك إرشاد لأمته ﷺ أن تشهد بالعدل وتتعامل بالإنصاف مع الناس مسلمهم وكافرهم؟!»[(٢)].

□ قال عمار بن ياسر رضي الله عنه: «ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان: الإنصاف من نفسك، وبذل السلام للعالم، والإنفاق من الإقتار»[(٣)].

□ قال الحافظ في «الفتح»: «قال أبو الزناد بن سراج وغيره: إنما كان من جمع الثلاث مستكملا للإيمان لأن مداره عليها؛ لأن العبد إذا اتصف

---

(١) المصدر السابق (٧/ ١٥٤).

(٢) «الإنصاف» (ص٣١).

(٣) موقوف صحيح: وله حكم الرفع: علّقه البخاري في «صحيحه بصيغة الجزم، ووصله ابن أبي شيبة في «الإيمان» (١٣١) وغيره بسند صحيح، وقد رُوِي مرفوعًا وأعلّه أبو زرعة، وغيره بالوقف وهو الصواب. انظر: «الفتح» (١/ ٨٢-٨٣)،و«الزهد» لوكيع (٢٤١).

بالإنصاف: لم يترك لمولاه حقًّا واجبًا عليه إلَّا أداه، ولم يترك مما نهاه عنه إلَّا اجتنبه، وهذا يجمع أركان الإيمان. وبذل السلام: يتضمن مكارم الأخلاق والتواضع وعدم الاحتقار، ويحصل به التآلف والتحابب. والإنفاق من الإقتار: يتضمن غاية الكرم لأنه إذا أنفق من الاحتياج كان مع التوسع أكثر إنفاقًا، والنفقة أعم من أن تكون على العيال واجبة ومندوبة، أو على الضيف والزائر، وكونه من الإقتار يستلزم الوثوق بالله والزهد في الدنيا وقصر الأمل وغير ذلك من مهمات الآخرة»[(١)] اهـ.

• عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير»**[(٢)].

وفي رواية: **«لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يحب للناس ما يحب لنفسه من الخير»**[(٣)].

□ قال الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة»: «واعلم أن هذه الزيادة «من الخير» زيادة هامة تحدد المعنى المراد من الحديث بدقة، إذ أن كلمة «الخير» كلمة جامعة تعم الطاعات والمباحات الدنيوية والأخروية

---

(١) «فتح الباري» (١/ ٨٣).

(٢) أخرجه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥)، وأبو عوانة في «صحيحه» (١/ ٣٣)، والنسائي (٨/ ١٢٥)، والدارمي (٢/ ٣٠٧)، والترمذي (٢٥١٧)، وابن ماجه (٦٦)، والطيالسي (٢٠٠٤)، وأحمد (٣/ ١٧٦، ٢٠٦، ٢٥١، ٢٧٢، ٢٨٩)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٣٤)، وقال الترمذي: حديث صحيح، والزيادة لأبي عوانة والنسائي وأحمد في رواية لهم وإسناده صحيح كما في: «السلسلة الصحيحة» (٧٣).

(٣) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٢٣٥) بإسناد صحيح.

وتخرج المنهيات؛ لأن اسم الخير لا يتناولها كما هو واضح. فمن كمال خلق المسلم أن يحب لأخيه المسلم من الخير مثلما يحب لنفسه، وكذلك أن يبغض لأخيه ما يبغض لنفسه من الشر ولا يتم ذلك إلَّا بترك الحسد والغل والحقد والغش، وهذا وإن لم يذكره في الحديث فهو من مضمونه؛ لأن حب الشيء مستلزم لبغض نقيضه، فترك التنصيص عليه اكتفاءً كما قال الكرماني ونقله الحافظ في «فتح الباري» (١/ ٥٨) وأقره»[١].

• وعن علي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا تقاضي إليك رجلان فلا تقض للأول حتى تسمع كلام الآخر فسوف تدري كيف تقضي. قال علي: فما زلت قاضيًا بعد**».

وفي رواية: «**إذا جلس إليك الخصمان فلا تقضين حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول**»، فإنه أحرى أن يتبين لك القضاء. قال: فمازلت قاضيًا، أو ما شككت في قضاء بعد»[٢].

□ يؤخذ من هذا الحديث: أن القاضي لا يقضي لأحد الخصمين حتى يسمع كلام الآخر وما هذا إلَّا عين الإنصاف. فالحكم على شخص قبل أن يُسمع من الآخر مما لا يجوز عند أحد لإمكان أن يكون معه حجة تبطل

---

(١) «السلسلة الصحيحة» (١/ ١١٤).

(٢) حسن: حسن إن شاء الله تعالى للاختلاف في حنش بن المعتمر: أخرجه أبو داود (٣٥٨٢)، والنسائي في «خصائص علي» (٣٤)، والبيهقي (١٠/ ١٤٩)، وأحمد (١/ ١١١)، وابنه في «زوائد المسند» (١/ ١٤٩)، والحاكم (٤/ ٩٣) وغيرهم. والرواية الثانية لهم، ورواه الترمذي (١٣٣١) باللفظ الأول. انظر: «السلسلة الصحيحة» (١٣٠٠) و«الإرواء» (٢٦٠٠).

دعوى الآخر وتدحض حجته[١].

• وعن أنسٍ رضي الله عنه قال: اشتكى ابنٌ لأبي طلحةَ، فخرجَ أبو طلحةَ إلى المسجد فتُوفِّيَ الغلامُ، فهيَّأَتْ أمُّ سلمةٍ الميِّتَ، وقالت لأهلها: لا يُخْبِرَنَّ أحدٌ منكم أبا طلحةَ بوفاة ابنه، فرجَعَ[٢] إلى أَهلِهِ، ومعهُ ناسٌ من أهلِ المسجد من أصحابه، قال: ما فعل الغُلامُ؟ قالتْ: خيرٌ ما كان، فقرَّبتْ إليهم عشاءَهُمْ فتعشَّوْا، وخرج القومُ، وقامتِ المرأةُ إلى ما تَقُومُ إليه المرأةُ، فلمَّا كان آخِرُ الليل قالت: يا أبا طلحةَ، ألَمْ تَرَ إلى آلِ فُلانٍ، استعَارُوا عَارِيَّةً[٣] فَتَمتَّعُوا بها، فلمَّا طُلِبَتْ كأنَّهُم كرِهُوا ذاك، قال: ما أنصَفُوا قالت: فَإِنَّ ابنكَ كان عاريَّةً من الله تبارك وتعالى، وإنَّ الله قبضَهُ، فاسترْجَعَ[٤] وحمد الله، فلمَّا أصبحَ غدَا على رسولِ الله فلمَّا رَآهُ قال: باركَ اللهُ لكما في ليلتِكُمَا، فحملتْ بعبْدِ الله، فولدَتْهُ لَيْلًا، وكرهتْ أن تُحَنِّكَهُ حتى يُحَنِّكَهُ رسولُ الله فحملْتُهُ ومعي تَمراتُ عَجْوةٍ، فوجدْتُهُ يهنَأُ[٥] أباعِرَ لهُ أو يَسِمُهَا[٦]، قال: فقلت: يا رسول الله، إنَّ أُمَّ سُلَيْم ولدتِ الليلة فكرهتْ أنْ تُحَنِّكَهُ[٧]، حتَّى يُحَنِّكَهُ رسولُ الله فقال: أَمعكَ شيءٌ، قلت: تَمرَاتُ

(١) «الإنصاف» (ص٣٣).
(٢) أي: رجع أبو طلحة.
(٣) العاريّة: بتشديد الياء، هي: المنيحة.
(٤) الاسترجاع أن يقول المرء: «أنا لله وإنّا إليه راجعون».
(٥) يهنأ من هنأ البَعيرَ إذا طَلاهُ بالهناءِ وهو القَطِران.
(٦) يسِمُها، أي: يجعلُ لها وسْمًا وهو العلامَةُ.
(٧) تحنيك الصَّبِيِّ: أنْ يمضغ التمرَ ثم يُدلكُ بِحنَكِ الصَّبِي داخل فمه.

عجْوةٍ، فأخذ بعضهُنَّ فمضغهُنَّ، ثمّض جمع بُزاقه فأوْجَرهُ [١] إيَّاه، فجعل يتلمَّظُ [٢] فقال: حُبُّ الأنصارِ التَّمْرُ [٣]، قال: قلتُ: يا رسول الله، سَمِّهِ قال: هُو عبد الله» [٤].

• عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ أُفرِدَ يَوْمَ أُحُدٍ في سَبْعَةٍ من الأنصارِ، ورجليْنِ من قريشٍ، فلمَّا رَهقُوهُ [٥] قال: «**مَنْ يرُدُّهُمْ عنَّا وله الجنَّةُ، أو هو رفيقي في الجَنَّة؟**» فتقدَّمَ رجلٌ من الأنصار، فقاتل حتَّى قُتِلَ، ثُمَّ رَهِقُوهُ أيضًا. فقال: «**مَنْ يرُدُّهُمْ عَنَّا وله الجنَّةُ، أو هو رفيقي في الجَنَّةِ؟**» فتقدَّمَ رجُلٌ من الأنصارِ، فقاتَلَ حتَّى قُتِلَ. فلم يَزَلْ كذلك حتَّى قُتِلَ السَّبْعَةُ. فقال رسول الله ﷺ: «**ما أنصفْنَا أصحابَنَا**» [٦] [٧].

---

(١) أوجره إياه، أدخله في فيه أو في وسط حلقه.
(٢) التلمظ هو أن يدير لسانه في فيه ويحركه يتتبع أثر التمر «النهاية» (٤/ ٢٧١).
(٣) يروي بضم الحاء فيكون اسما من المحبةِ وذلك علىٰ سبيل المبالغة في حب الأنصار للتمر، وبكسر الحاء يكون بمعنىٰ المحبوب، والتمر يروىٰ منصوبًا ومرفوعًا، النصب علىٰ أنه مفعول المصدر ويكو الخبر محذوفًا، والرفع علىٰ أنه خبر المبتدأ، وقد جاء في بعض الروايات: انظروا حب الأنصار التمر. انظر: «النهاية» (١/ ٣٢٧)، و«قارن باللسان» (١/ ٢٩٠).
(٤) «المسند» (٣/ ١٠٥ - ١٠٦).
(٥) رهقوه أي غَشُوهُ وقربُوا مِنْهُ، قال القاضيِ عياض: قِيلَ لا يُستعملُ ذلك إلا في المكروه، وقيل: كل شيء دنوت منه فقد رهقته.
(٦) المعنىٰ علىٰ هذه الرواية: ما أنصفت قريش الأنصار، لكون القرشيِّين لم يخرُجَا للقتال، بل خرجت الأنصار واحدا تلو الآخر وقد روي أيضًا: ما أنصفَنَا أصحابنا والمراد بالأصحاب حينئذ الذين فروا من القتال فإنهم لم ينصفوه لفرارهم
(٧) «مسلم» (١٧٨٩).

• عن المعْرُورِ قال: لَقِيتُ أبا ذَرٍّ بالرَّبذَةِ[(١)] وعليه حُلَّةٌ، وعلى غُلامِهِ حُلَّةٌ، فسألتُهُ عن ذلك فقال: إنِّي سابَبْتُ[(٢)] رجلًا فعيَّرْتُهُ بأُمِّهِ[(٣)]، فقال لي النَّبيُّ ﷺ: «**يا أبا ذرٍّ، أعيَّرْتَهُ بأُمِّهِ؟ إنَّك امْرُؤٌ فيك جاهليَّةٌ**[(٤)] **إخوانكم خولكم، جعلهم اللهُ تَحْتَ أيديكم، فمن كان أخُوهُ تَحتَ يَدِهِ فَلْيُطعمْهُ مِمَّا يأكلُ، وليلْبِسْهُ مِمَّا يلْبَسُ، ولا تكلِّفوهُمْ ما يغلِبُهُمْ، فإنْ كلَّفْتُموهم فأَعِينُوهمْ**»[(٥)].

• وفي حديث الغامدية: «فيُقبل خالد بن الوليدِ بحجر، فرمى رأسها فتنضَّح[(٦)] الدم على وَجْه خالدٍ، فسبَّها، فسمع نبي الله ﷺ سَبَّهُ إياها، فقال: «**مهلًا يا خالد! فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مَكْسٍ لغُفِر له**»[(٧)].

• عن عائشة رضي الله عنها قالت: أَرْسَلَ أزواجُ النبيِّ ﷺ فاطمةَ بنتَ رسولِ الله ﷺ إلى رسولِ الله ﷺ فاستَأْذنتْ وهو مضْطَجعٌ معي في مرطي، فأَذن لها، فقالتْ يا رسول الله، إنَّ أزْوَاجَكَ أرسلْنَنِي إليكَ يَسْألْنَكَ العَدْلَ[(٨)] في

---

(١) الربذة -بفتح الراء والباء والذال- : موضع بالبادية بينه وبين المدينة ثلاث مراحل.

(٢) سابَبت: أي: وقع بيني وبينه سِبَابٌ، وهو من السب، وأصله القطع.

(٣) فعيرته بأمه: أي: نسبته إلى العار، وفي رواية: قلت له يا ابن السوداء.

(٤) أي: هذا التعبير من أخلاق الجاهلية فعنك خلق من أخلاقها.

(٥) البخاري «الفتح» (١/ ٣٠)، واللفظ له، ومسلم (١٦٦١).

(٦) انصبَّ.

(٧) رواه مسلم (١٦٩٥).

(٨) أي: التسوية بينهن في محبة القلب.

ابنة أبي قُحَافَةَ، وأنا ساكِتَةٌ، قالت: فقال لها رسولُ الله ﷺ: «أي بُنَيَّةُ، أَلَسْتِ تُحِبِّينَ ما أُحِبُّ؟»، فقالت: بلى، قال: «فأَحِبِّي هذه»، قالت: فقامتْ فاطمةُ حين سمعت ذلك من رسولِ الله، فرجعت إلى أزواج النَّبيِّ فأَخْبَرَتْهُنَّ بالذي قالت، وبالَّذي قال لها رسول الله ﷺ، فقُلْنَ لها: ما نُرَاكِ أغنيْتِ عنَّا من شيءٍ.. قالتْ عائشةُ ﵂: فأَرْسَلَ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ زينبَ بنت جحْشٍ زوج زوْجَ النَّبِيِّ وهي التي كانت تُسَامِيني مِنْهُنَّ في المنزلةِ عند رسولِ الله ﷺ ولم أرَ امرأةً قطُّ خيرًا في الدِّين من زينب، وأتقى لله وأصدقَ حديثًا، وأوصل للرَّحم، وأعظم صدقةً، وأشدَّ ابتذالًا لِنَفْسِهَا في العمل الذي تصدَّقُ به، وتقرَّبُ به [1] إلى الله تعالى، ما عدا سورةً من حدٍّ[2](وفي رواية من حِدَّةٍ) كانت فيها تُسرعُ منها الفيْئَةَ [3]، قالت: فاستأذنت على رسولِ الله ﷺ ورسولُ الله ﷺ مع عائشة في مِرْطِهَا، على الحالةِ التي دخلتْ فاطمةُ عليها وهو بها، فأَذنَ لها رسولُ الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إنَّ أَزْوَاجَكَ أَرْسَلْنَنِي إليك يسألنَكَ العدل في ابنة أبي قُحافة. قالت عائشة ﵂ ثم وقعتْ بي فاستطالت عليَّ، وأنا أَرْقُبُ رسول الله ﷺ، وأرْقُبُ طَرْفَهُ، هل يأذنُ لي فيها. قالت: فلم تَبْرَحْ زينبُ حتَّى عرفتُ أَنَّ رسولَ الله ﷺ لا يَكْرَهُ أَنْ أنتصِرَ، قالت: فلمَّا وقَعْتُ بها لم أنشبْهَا [4] حين أَنْحيتُ عليها [5]، قالت: فقال رسولُ الله ﷺ وتَبَسَّمَ: إنَّهَا ابْنَةُ أبي

(١) تَصَدَّق، وتقرب، الأصل فيهما تتصدق وتتقرب بتاءين حذفت الأولى تخفيفا.

(٢) المراد بِالحَدِّ أو الحِدَّةِ هنَا شدة الخلق وثورانه.

(٣) أي: تسرع إلى الرجوع منها.

(٤) لم أنشبها أي: لم أمهلها.

(٥) أنحيت عليها أي: قصدتها واعتمدتها المعارضة.

بكرٍ (١) رضي الله عنها»(٢).

• جاءَ في حديثِ الإفكِ قَوْلُ عائشةَ رضي الله عنها: وكان رسولُ الله ﷺ يَسْأَلُ زينب بنتَ جَحْشٍ عن أمرِي فقال: يا زينبُ، ماذا عَلِمْتِ أو رأيتِ؟ فقالت: يا رسول الله، أَحْمِي سَمْعِي وبصري، ما علمتُ إلَّا خيرًا، قالت عائشة رضي الله عنها، وهي (أي: زينب رضي الله عنها) التي كانت تُسَامِيني (٣) من أزواجِ النبي ﷺ فعصمَهَا اللهُ بِالورَع (٤)»(٥).

• عن المسورِ بن مخرمةَ قال: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقولُ وهو على المنْبَرِ: «**إِنَّ بني هشام بنِ المُغيرةِ استأذَنُوا في أَنْ يُنْكِحُوا ابْنَتَهُمْ عليَّ بن أبي طالب: فلا آذَنُ، ثُمَّ لا آذَنُ، ثُمَّ لا آذنُ، إلَّا أن يُريدَ ابنُ أبي طالبٍ أنْ يُطَلِّقَ ابنتي وينكِحَ ابنتَهُمْ، فإنَّما هي بضعَةٌ منِّي يُرِيبُنِي ما أَرَابَها، ويُؤْذِيني ما آذَاهَا**»(٦).

□ وقد ترْجَم الإمامُ البخاريُّ لهذا الحديث بوله: بابُ ذَبِّ الرَّجُلِ عن ابنته في الغيرةِ والإنصافِ. قال ابن حجرٍ: «أيْ في دَفْعِ الغيرةِ عنها

---

(١) مسلم (٤/ ٢٤٤٢).

(٢) ووجه الإنصاف هنا أن الغيرة واستطالة زينب علىٰ عائشة لم يمنعا عائشة من إنصاف زينب ووصفها بالتقوىٰ وصدق الحديث.. إلخ ما قالت.

(٣) تُسامِيني أي: تفاخرني وتضاهيني بجمالها ومكانتها عند النبي ﷺ، واللفظ مأخوذ من السمو وهو الارتفاع.

(٤) انظر الحديث بطوله في البخاري «الفتح» (٨/ ٤٧٥٠)، ومسلم (٢٧٧٠).

(٥) ووجه الإنصاف في هذا الحديث أن الغيرة لم تمنع زينب من قول الحق في عائشة –رضوان الله عليهم أجمعين-.

(٦) رواه البخاري (٥٢٣٠).

والإنصافِ لها»[١].

إِنْصَاف الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين لأهل الذمة:

• لقد أمرَ النَّبيُّ ﷺ بإنْصافِ أهل الذِّمَّةِ والمستأْمَنِينَ، ونهى عن ظُلْمهم في أحاديث كثيرةٍ، فهو القائِلُ ﷺ: **«مَنْ ظلم مُعاهدًا أو انتقصَهُ أو كلَّفَهُ فوق طاقتِهِ، أو أخذَ مِنْهُ شيئًا بغيرِ طيبِ نَفْسٍ فأنَا حَجِيجُهُ يومَ القيامةِ»**[٢].

• وقال ﷺ: **«مَنْ قتل مُعاهَدًا لم يَرَحْ رائحةَ الجَنَّةِ**[٣]. **وإنَّ ريحها يُوجدُ من مسيرةِ أَرْبعين عامًا»**[٤].

• وقال ﷺ: **«من قتل رجلًا من أهل الذمة لم يجد ريح الجنة، وإن ريحها ليوجدُ من مسيرة سبعين عامًا»**[٥].

✍ وحرصَ الخُلَفاء الرَّاشِدُونَ والصَّحابة ﭫ على ذلك.

□ فها هو عمر بن الخطاب ﭬ يُوصِي بأهلِ الذِّمَّةِ قائلًا: «أوصيكم بذمَّةِ الله فإنَّهَا ذِمَّةُ نبيِّكُمْ ورزقُ عيالكُمْ».

• وروَى مسلمٌ عن المستورد بن شدَّادِ القُرشيِّ أَنَّهُ حدَّث عن عمرو ابن العاص ﭬ فقال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«تَقُومُ الساعةُ**

---

(١) «فتح الباري» (٩/ ٢٣٨).

(٢) رواه أبو داود (٣٠٥٢).

(٣) يَرَح بفتح الياء والمراد أصلها يراح والمعنىٰ لم يجد ريح الجنة.

(٤) رواه البخاري (٣١٦٦).

(٥) صحيح: رواه أحمد، والنسائي عن رجل، ورواه ابن ماجه، والحاكم في «المستدرك» عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٤٤٨).

والرُّومُ أكثرُ النَّاسِ». فقال عمرٌو: أبصر ما تقولُ، قال: أقولُ ما سَمِعْتُ من رسولِ الله ﷺ، قال: «لَئِنْ قلتَ ذاك إِنَّ فيهم اخِصَالًا أربعًا: إنَّهُم أَحْلَمُ النَّاس عندَ فتْنَةٍ، وأسرعُهُم إفاقةً بعد مُصِيبةٍ، وأوْشكُهُم كَرَّةً بعد فَرَّةٍ، وخيرُهُمْ لمسكينٍ ويتيمٍ وضعيفٍ، وخامسةٌ حَسنةٌ جميلةٌ: وأَمْنَعُهُمْ من ظُلْمِ الملوكِ». فانظر إلى إنْصَافِ عمرٍو وذكرِهِ ما يعلَمُهُ من الخِصَالِ الحسنةِ للرُّومِ، مع أنَّنا لا نَشُكُّ في براءَتَه منهم وعَداوتِهِ لهم.

□ وبَعَثَ رسولُ الله ﷺ عبد الله بن رواحة إلى خيبرَ ليَخرِصَ لهُمُ الثِّمارِ، فأرادوا أَنْ يَرْشُوهُ، فقال عبد الله: «يا معشر اليهُودِ، أَنْتُمْ أَبْغَضُ الخَلْقِ إليَّ، قتلْتُمْ أنْبِيَاءَ الله ﷻ، وكذبْتُمْ على الله، وليسَ يحمِلُني بُغْضِي إِيَّاكُم على أَنْ أَحِيفَ عليْكُمْ. فقال اليهودُ: بهذا قامتِ السَّمَواتِ والأرضُ»[1].

□ قال الحافظ بنُ عبد البرِّ: «وفيه أنَّ الْمُؤْمِنَ وإنْ أَبْغَضَ في الله لا يحمِلُهُ بغضه على ظُلْمِ من أبْغَضَهُ»[2].

□ لقد امتثل عبد الله بنُ رواحةَ رضي الله عنه للمَنْهَجِ الرَّبَّانيِّ الذي يَكْفُلُ العدْلَ بينَ النَّاسِ، والذِي يُعْطِي كُلَّ ذي حقٍّ حقَّهُ من المسلمين وغيرِ المسلمينَ. ففي هذا الحقِّ يتسَاوى عندَ الله المؤمنُونَ وغيرُ المؤمنين. قال تعالى: ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا ۚ وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٣٦٧)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ١٢١): ورجاله رجال الصحيح، إلا أن أبا الزبير مدلس، وقد عنعنه، وللحديث شواهد، في «موطأ مالك» (٤٣٩)، وأبي داود (٣٤٧)، وابن ماجه (١/ ٥٥٧- ٥٥٨) تدل على أنَّ له أصلاً.

(٢) «التمهيد» لابن عبد البر (٩/ ١٤٠).

خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾ [النساء][(١)].

وَقد أَقرَّ اليهودُ صَنِيعَ عبد الله بن رواحةَ لعلمِهِمْ أَنَّ العَدْلَ قَدْ أمرَ الله عَجَلَّ به النَّاسَ جميعًا؛ لأَنَّهُ واجِبٌ لكُلِّ أحدٍ على كُلِّ أحدٍ في جميعِ الأحوال. والظُّلْمُ لا يُباحُ منهُ شيءٌ بحالٍ، ولذا قالوا لعبد الله بن رواحة: «هذا الحقُّ به تقومُ السماءُ والأرضُ»، أي: بهذا الحقِّ والعَدْلِ قامتِ السمواتُ فوقَ الرُّؤُوسِ بغيرِ عمدٍ، والأرضُ استقرَّت على الماء تحتَ الأقدامِ»[(٢)].

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتى آتٍ فجعل يحثو من الطعام، فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله. فذكر الحديث فقال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي، لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربكُ شيطان حتى تصبح. فقال النبي ﷺ: «**صدقك وهو كذوب ذاك الشيطان**»[(٣)].

والحكمة قد يتلقّاها الفاجر فلا ينتفع بها، وتؤخذ عنه فيُنتفع بها، وبأن الكذاب قد يصدق»[(٤)].

□ قال الشاعر:

لا تحقـرن الـرأي وهــو موافـق ... حكم الصواب إذا أتى من نـاقص

فالـدر وهـو أعــز شيء يقتنـى ... مـا حـط قيمتـه هـوان الغـائص

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) «عون المعبود شرح سنن أبي داود» (٣/ ٢٧٣).

(٣) رواه البخاري (٣٢٧٥)، (٥٠١٠) مختصرًا، ورواه مطوّلاً.

(٤) «فتح الباري» (٤/ ٤٨٩).

تناصف الصحابة رضي الله عنهم (إنصاف الصحابة بعضهم لبعض):

✍ نذكر لذلك مواقف أرق من نسيم الفجر، وأزكى من عطر الورد:

(أ) إنصاف عائشة رضي الله عنها لحسان بن ثابت شاعر رسول الله ﷺ مع أنه ممن تكلم فيها بالإفك:

□ فعن عروة قال: ذهبت أسب حسان عند عائشة فقالت: لا تسبه؛ فإنه كان ينافح [(١)] عن رسول الله ﷺ. وقالت عائشة رضي الله عنها: استأذن النبي في هجاء المشركين قال: كيف بنسبي؟ قال: «لأَسُلَّنَّكَ منهم كما تسل الشعرة من العجين» [(٢)].

□ وعن عروة: «أن حسان بن ثابت كان ممن كثر [(٣)] على عائشة فسببته فقالت: يا ابن أختي دعه؛ فإنه كان ينافح عن رسول الله ﷺ» [(٤)].

□ وقال عروة: «كانت عائشة تكره أن يُسَبَّ عندها حسان وتقول: إنه الذي قال:

فـإن أبي ووالـده وعـرضي   لعـرض محمـد منكم وقـاء» [(٥)]

□ وعن مسروق قال: «دخلنا على عائشة رضي الله عنها وعندها حسان ابن

---

(١) أي: يدافع ويناضل.

(٢) أخرجه البخاري (٤١٤٥).

(٣) أي: كثر القول فيها والعنت لها. «لسان العرب» (٤٢/ ٣٨٢٨).

(٤) أخرجه مسلم (٢٤٨٧) واللفظ له، والبخاري (٤١٤٥).

(٥) أخرجه البخاري (٤١٤١)، ومسلم (٢٧٧٠) (٥٧).

ثابت ينشدها شعرًا يشبب بأبيات له. وقال:

حصان(١) رزان(٢) ماتزن(٣) بريبة ... وتصبح غرثي(٤) من لحوم الغوافل(٥)

فقالت عائشة رضي الله عنها: «لكنك لست كذلك»(٦).

□ قال مسروق: «فقلت لها: لم تأذني له أن يدخل عليك، وقد قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [النور](٧) فقالت: وأي عذاب أشد من العمى. قالت له: إنه كان ينافح أو يهاجي عن رسول الله ﷺ»(٨).

وفي رواية: «وقد كان يرد عن رسول الله ﷺ»(٩).

---

(١) أي: محصنة عفيفة.

(٢) رزان: كاملة العقل.

(٣) ما تزن: أي ما تتهم. يقال: زينته وأزننته إذا ظننت به خيرًا أو شرًا.

(٤) غرثي: أي جائعة ورجل غرثان، وامرأة غرثي: معناه لاتغتاب الناس لأنها لو اغتابتهم شبعت من لحومهم. شرح هذه المعاني مستفاد من «شرح النووي» (١٦/ ٤٧٤٦).

(٥) جمع غافلة، أي: غافلات عما رمين به من الفواحش «الفتح» (٨/ ٤٨٦).

(٦) دل قولها هذا: على أن حسان بن ثابت كان ممن تكلم فيها.

(٧) وهذا مشكل لأن ظاهره أن المراد بقوله: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ﴾ هو حسان بن ثابت. وقد أخرجه البخاري (٤٧٤٩) عن عائشة: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ﴾ قالت: عبد الله بن سلول. وهو المعتمد وقد وقع في رواية عند أبي نعيم في «المستخرج» وهو ممن تولى كبره، فهذه الرواية أخف إشكالا، كما قال الحافظ في «الفتح» (٨/ ٤٨٥).

(٨) أخرجه البخاري (٤١٤٦)، ومسلم (٢٤٨٨).

(٩) أخرجه البخاري (٤٧٥٦).

(ب) إنصاف أم المؤمنين زينب لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وإنصاف عائشة لها:

وقد مرّ سابقًا.

(جـ) إنصاف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لعائشة رضي الله عنها:

□ عن عاصم بن كُلَيْبٍ عن أبيهِ قال انْتَهَيْنا إلى عليٍّ رضي الله عنه فذكَرَ عائشةَ فقال: خَلِيلَةُ رسولِ الله ﷺ، يقولُ الذَّهَبِيُّ: هذا يقولُهُ أَمِيرُ المؤمنينَ في حقِّ عائشةَ مع ما وقَعَ بينَهُمَا»[1].

ووجه الإنصاف هنا أن الخصومة بين علي وعائشة رضي الله عنهما لم تمنع أمير المؤمنين من إنصاف عائشة المتمثل في وصفها بأحب ما تُوصف به أمهات المؤمنين.

(د) إنصاف عمار بن ياسر رضي الله عنه لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها رغم ما وقع بينهما من الحرب:

□ فقد خطب عمار بن ياسر في أهل العراق قبل وقعة الجمل ليكفهم عن الخروج مع أم المؤمنين عائشة فقالت: «والله إنها لزوجة نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة، ولكن الله تبارك وتعالى ابتلاكم ليعلم إياه تطيعون أم هي»[2].

□ قال ابن هبيرة: «في هذا الحديث إن عمارًا كان صادق اللهجة، وكان لا تستخفه الخصومة إلى أن ينتقص خصمه، فإنه شهد لعائشة بالفضل

(١) «نزهة الفضلاء» لمحمد حسن عقيل موسى (١/ ١٢٩).
(٢) أخرجه البخاري (٧١٠٠)، وأخرج نحوه (٧١٠١).

التام مع ما بينهما من الحرب»[(١)].

□ وقال أيضًا الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»: «مراد عمار بذلك أن الصواب في تلك القصة [(٢)] كان مع علي وأن عائشة مع ذلك لم تخرج

(١) «فتح الباري» (١٣/ ٥٩).

(٢) ما فعلت أم المؤمنين عائشة ذلك إلا متأولة قاصدة للخير. فقد أخرج أحمد (٦/ ٥٢، ٩٧)، وابن حبان (١٨٣١) «موارد»، والحاكم (٣/ ١٢٠) وغيرهم عن قيس ابن أبي حازم أن عائشة لما أتت علىٰ الحوأب سمعت نباح الكلاب فقالت: ما أظنني إلا راجعة إن رسول الله ﷺ قال لنا: «**أيتكن تنبح عليها كلاب الحوأب**». فقال لها الزبير: ترجعين عسىٰ الله ﷻ أن يصلح بك بين الناس. وفي رواية: «فقال بعض ما كان معها: بل تقدمين فيراك المسلمون فيصلح الله ذات بينهم.

وقد صححه جمع من الحفاظ. انظر: «السلسلة الصحيحة» (٤٧٤).

ولا شك أن عائشة ﵂ ندمت علىٰ خروجها وذلك هو اللائق بفضلها وكمالها، وذلك مما يدل علىٰ أن خطأها من الخطأ المغفور بل المأجور. قال الإمام الزيلعي في «نصب الراية» (٤/ ٦٩- ٧٠): «وقد أظهرت عائشة الندم، كما أخرجه ابن عبد البر في «كتاب الاستيعاب» عن ابن أبي عتيق وهو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق قال: قالت عائشة لابن عمر: يا أبا عبد الرحمن ما منعك أن تنهاني عن مسيري؟ قال: رأيت رجلاً غلب عليك -يعني: ابن الزبير- فقالت: أما والله لو نهيتني ما خرجت. انتهىٰ».

ولهذا الأثر طريق أخرىٰ، فقال الذهبي في «سير النبلاء» (٧٨- ٧٩): «وروىٰ إسماعيل بن علية عن أبي سفيان بن العلاء المازني عن ابن أبي عتيق قال: قالت عائشة: إذا مر ابن عمر فأرنيه، فلما مر بها قيل لها: هذا ابن عمر، فقالت: يا أبا عبد الرحمن ما منعك أن تنهاني عن مسيري؟ قال: رأيت رجلاً قد غلب عليك. يعني ابن الزبير».

وقال أيضًا: «إسماعيل بن أبي خالد عن قيس قال: قالت عائشة ﵂: وكانت تحدث نفسها أن تدفن في بيتها فقالت: إني أحدثت بعد رسول الله ﷺ حدثًا، =

بذلك من الإسلام و أن تكون زوجة النبي ﷺ في الجنة فكان ذلك يعد من إنصاف عمار وشدة ورعه وتحريه قول الحق»(١).

□ وقد أخرج الطبري بسند صحيح عن أبي يزيد المديني قال: «قال عمار ابن ياسر لعائشة لما فرغوا من القوم: ما ابعد هذا المسير من العهد الذي عُهد إليكم يشير إلى قوله تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ [الأحزاب: ٣٣] فقالت: أبو اليقظان؟ قال: نعم. قالت: والله إنك ما علمت لقوال بالحق. قال: الحمد لله الذي قضى ليعلى لسانك» اهـ.

● بل لقد ردت على من وقع في عمار. فعن عطاء بن يسار قال: «جاء رجل فوقع في علي وفي عمار رضي الله عنهما عند عائشة رضي الله عنها فقالت: أما علي فلست قائلة لك فيه شيئًا، وأما عمار فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يخير بين أمرين إلَّا أختار أرشدهما**»(٢).

ادفنوني مع أزواجه، فدفنت بالبقيع رضي الله عنها. قلت: تعني بالحدث مسيرها يوم الجمل، فإنها ندمت ندامة كلية، وتابت من ذلك، علىٰ أنها ما فعلت ذلك إلا متأولة قاصدة للخير، كما اجتهد طلحة بن عبد الله والزبير بن العوام وجماعة من الكبار رضي الله عن الجميع» نقلا من «السلسلة الصحيحة» للشيخ الألباني تعليقًا علىٰ حديث الحوأب.

(١) «فتح الباري» (١٣/ ٥٨).

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ١١٣) واللفظ له، وأخرجه الترمذي (٣٧٩٩)، وابن ماجه (١/ ٦٦) «سندي»، والحاكم (٣/ ٣٨٨)، والخطيب (١١/ ٢٨٨) دون ذكر القصة، ورجاله ثقات لولا عنعنة حبيب بن أبي ثابت فقد رمىٰ بالتدليس لكن يقوي الحديث أن له شاهدًا من حديث ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**ابن سمية ما عرض عليه أمران قط إلا اختار الأرشد منهما**» وسنده منقطع، سالم ابن أبي الجعد لم يلق ابن مسعود كما قال ابن المديني. انظر: «السلسلة الصحيحة» (٨٣٥).

وقوله: «إلَّا اختار أرشدهما»: أي أصلحهما وأصوبهما وأقربهما إلى الحق.

وعمار رضي الله عنه أختار موافقة علي رضي الله عنه. ومع ذلك لم يمنع عائشة رضي الله عنها من إنصافه فشهدت له بما سمعته من النبي ﷺ في حقه فكان ذلك يعد من إنصاف عائشة وشدة ورعها وتحريها قول الحق بل والرجوع إليه. والله الموفق.

(س) إنصاف سعد بن أبي وقّاص لعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما:

□ فعن خيثمة قال: «كان سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في نفر فذكروا عليًّا فشتموه فقال سعد: مهلًا عن أصحاب رسول الله ﷺ فإنا أصبنا دنيا مع رسول الله ﷺ فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنفال] فأرجو أن تكون رحمة من عند الله سبقت لنا فقال بعضهم: فوالله إنه كان يبغضك ويسميك الأخنس[١] فضحك سعد حتى استعلاه الضحك ثم قال: أليس قد يجد المرء على أخيه في الأمر يكون بينه وبينه ثم لا يبلغ ذلك أمانته وذكر كلمة أخرى»[٢].

(١) الخنوس: الانقباض والاستخفاء، وخنس الرجل: إذا توارىٰ وغاب. وانخنس: انقبض وتأخر. فلعل هذا هو المقصود من تسمية علي لسعد رضي الله عنهما بالأخنس لما قعد عن قتال البغاة مع علي ولزومه بيته في الفتنة. أو بعبارة أخرىٰ: إنه أطلق كلمات يظهر منها الغض من سعد لكي يكف الناس عن الغلو فيه الحامل لهم علىٰ اتباعه فيما يراه أخطأ فيه فكان صنيع علي رضي الله عنه من قبيل خشية اتباعه الناس لسعد رضي الله عنه في القعود. انظر: «التنكيل» (١/ ١٢- ١٣).

(٢) أخرجه الحاكم (٢/ ٣٢٩)، وابن راهويه كما في «المطالب» (٤/ ١٥٠)، وصححه الحاكم علىٰ شرط الشيخين، وأقره الذهبي.

أليس صنيع سعد رضي الله عنه هذا من الإنصاف بل لم يكتف سعد رضي الله عنه بما قال بل دعا على من تناول علي وطلحة والزبير رضي الله عنهم أجمعين بالسب.

• وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه دعا له أن يستجيب الله دعوته. فعن قيس بن أبي حازم عن سعد أن رسول الله ﷺ قال: «**اللهم استجب لسعد إذا دعاك**»(١).

□ فعن مصعب بن سعد عن أبيه: «أنه سمع رجلًا يتناول عليًّا فدعا عليه فتخبطته بختية(٢) فقتلته»(٣).

□ وعن عامر بن سعد قال: «بينما سعد يمشي إذ مر برجل وهو يشتم عليا وطلحة والزبير فقال له سعد: إنك تشتم قومًا قد سبق لهم من الله ما سبق، فوالله لتكفن عن شتمهم أو لأدعون الله عَزَّ وَجَلَّ عليك. فقال: تخوفني كأنك نبي، فقال سعد: اللهم إن هذا يشتم أقوامًا سبق لهم منك ما سبق فاجعله اليوم نكالًا، فجاءت بختية فأخرج الناس لها فتخبطته فرأيت الناس يتبعون سعدًا ويقولون: استجاب الله لك يا أبا إسحاق»(٤).

□ قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء»: «في هذا كرامة مشتركة بين

---

(١) رواه الترمذي (٣٧٥١)، وابن حبان (٥/ ٢٢٩ «موارد»)، والحاكم (٣/ ٤٩)، وصححه ابن حبان والحاكم والذهبي والألباني.

(٢) البُخت: نوع من الإبل.

(٣) رواه ابن أبي شيبة (٦/ ٣٧٥/ ٣٢١٤٩) بإسناد صحيح.

(٤) حسن: رواه الطبراني في «الكبير» (١/ ١٤٠) وفيه محمد بن محمد بن الأسود وهو مستور كما في «التقريب» وقد ذكر له الذهبي في «السير» شاهدًا هو به «حسن» انظر: «البدائل» (ص١٤٦) لصاحبنا محمد عمرو.

الداعي والذين نيل منهم».

• هكذا كانوا. فهذا علي رضي الله عنه رغم قعود سعد رضي الله عنه عن قتال البغاة معه وحزنه من صنيعه لم يمنعه من ذكر فضيلته. أليس عليًّا رضي الله عنه قال: ما سمعت النبي ﷺ جمع أبويه لأحد إلَّا لسعد بن مالك -وهو سعد ابن أبي وقاص- فإني سمعته يقول يوم أحد: «**يا سعد أرم فداك أبي وأمي**»(١). هكذا يكون الإنصاف. والله المستعان.

(ص) شهادة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما لأمير المؤمنين علي رضي الله عنه بالفقه والعلم رغم ما حدث بينهما:

□ فعن سعيد بن المسيب رحمه الله: «أن رجلًا من أهل الشام، يقال له: ابن خيبري وجد مع امرأته رجلًا فقتله، أو قتلهما معًا. فأشكل على معاوية ابن أبي سفيان القضاء فيه. فكتب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، يسأل له علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن ذلك. فسأل أبو موسى، عن ذلك، علي بن أبي طالب. فقال له علي: إن هذا شيء ما هو بأرضي. عزمت عليك لتخبرني. فقال له أبو موسى: كتب إليَّ معاوية بن أبي سفيان أن أسألك عن ذلك. فقال علي: أنا أبو حسن: إن لم يأت بأربعة شهداء فليعط بِرُمَّتِه»(٢). فيا ليتنا نعتبر!!

(١) أخرجه البخاري (٤٠٥٩)، ومسلم (٢م٤١١). أما قول علي رضي الله عنه: «ما جمع أبويه لغير سعد» ففي هذا الحصر نظر وذلك أنه ﷺ جمعهما للزبير يوم الخندق، أخرجه البخاري (٣٧٢٠)، ومسلم (٢٤٤٦). قال الحافظ في «الفتح» (٧/ ٨٤): «ويجمع بينهما بأن عليًّا رضي الله عنه لم يطلع على ذلك، أو مراده بذلك بقيد يوم أحد، والله أعلم»اهـ.

(٢) رواه مالك في «الموطأ» (ص٤٦٠)، وسنده صحيح. فليعط برمته: أي يُسلَّم إلى =

وفيه شهادة من معاوية بفقه وعليم عليٍّ رغم ما حدث بينهما.

(ط) إنصاف عائشة رضي الله عنها لمعاوية بن خديج رضي الله عنه:

• عن عبد الرحمن بن شُماسَة قال: دخلتُ على عائشة رضي الله عنها، فقالت: ممَّنْ أنت؟ قلتُ: من أهلِ مِصْر، قالت: كيف وجدْتُم ابن حُدَيْج [(١)] في غزاتِكُمْ هذه؟ قلتُ: خير أميرٍ، ما يقفُ لرجلٍ منَّا فرسٌ ولا بعيرٌ إلَّا أبدلَهُ مكانَهُ بعيرًا، ولا غُلامٌ إلَّا أبدل مكانَهُ غُلامًا، قالت: إنَّهُ لا يمنعُنِي قتْلُهُ أخي أَنْ أُحَدِّثكم ما سمِعْتُ من رسولِ الله ﷺ، إنِّي سَمِعْتُهُ يقولُ: «**اللهمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شيئًا فرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ، ومنْ شَقَّ عليْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ**»[(٢)].

ووجْه الإنصاف هنا أن عائشة رضي الله عنها أشارت إلى أن قاتل أخيها ممَّن دعا لهم رسول الله ﷺ بأن يرفق الله بهم، ولم تمنعها كراهيتها قَتْل أخيها على يديْه من أن تُنصِفَه بذكر بشارة النبي ﷺ له.

(ع) إنصاف أسماء بنت عُمَيْس رضي الله عنها علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

□ عن ابن أبي زَائِدَةَ قال: «سمعتُ عامرًا يقولُ: تَزَوَّجَ عليٌّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه أسماء بِنْتَ عُمَيْس، فتفاخَرَ ابناها: مُحَمَّدُ بن أبي بكرٍ، ومحمَّدُ ابن جعفرٍ -الطَّيَّار-، فقال كُلٌّ منهما أنا أكرمُ مِنْكَ وأبي خَيْرٌ من أبيك. فقال لها عليٌّ -كرَّم الله وجْهَهُ- اقْضِ بينهما. قالت رضي الله عنها: ما رأيتُ شَابًّا مِنَ

أولياء المقتول يقتلونه قصاصًا.

(١) معاوية بن حديج بن نعيم الكندي كان صحابيًا، وكان عثمانيًّا من أخلص أتباع معاوية، وهو قاتل محمد بن أبي بكر شقيق عائشة.

(٢) «نزهة الفضلاء» (١/ ٢١٥).

العربِ خيرًا من جَعْفَرٍ، ولا رأيتُ كَهْلًا خَيْرًا من أبي بكرٍ. فقال عليٌّ: ما تركت لنا شيئًا، ولو قلتِ غيرَ الذي قُلْتِ لمقَتُّكِ. قالتْ: إِنَّ ثلاثةً أنت أَخَسُّهُمْ خِيَارٌ»(١).

ووجه الإنصاف هنا أنها أعطت زوجيْها الراحليْن أبي بكر الصديق وجعفر بن أبي طالب رضي الله عنهما حقَّهما أمام زوجها الثالث وهو عليٌّ -كرم الله وجهه-، ولم تمنع وفاه كل منهما أن يُعطَى حقه، وكان من إنصاف علي رضي الله عنه أن أقرَّها على ما قالت زعمًا عن أنفها لم تبق له من المديح شيئًا، كما أنه لم يغضب عندما ذكرت أنه أقلّ الثلاثة رتبة وإن كانوا جميعًا من الأخيار.

إنصاف عثمان بن عفَّان رضي الله عنه:

□ قال حُصيْنُ بنُ المنذرِ: «صَلَّى الوَلِيدُ الفَجْرَ أربعًا وهو سكْرَانُ ثُمَّ التَفَتَ، وقال: أَزِيدُكُمْ؟ فبلغَ ذلك عثمان بن عفَّانَ رضي الله عنه فطلبَهُ وحدَّهُ»(٢).

وفي هذا فيه من الإنصاف ما فيه، حيث لم تمنع قرابة عثمان للوليد من إقامة الحدِّ عليه، وقد كان الوليد أخًا لعثمان من أُمِّه.

إنصافُ أهل السنة والجماعة للمبتدعة:

إذا كُنَّا مَأمُورينَ بالإنْصَافِ مع غير المسلمين فلأنْ نكونَ مُنْصِفينَ لأهلِ البِدْعَةِ مِمَّنْ لم يخرُجُوا عن الإسلام أوْلَى.

□ يقول ابن تيمية رحمه الله: «كُلُّ من كان مُؤمنًا بما جاءَ به محمَّدٌ ﷺ فهو خيرٌ من كُلِّ مَنْ كفر به، وإن كان في المؤمنِ بذلك نوعٌ من البدعةِ سواءً

---

(١) «نزهة الفضلاء» (١/ ١٤٨).

(٢) «نزهة الفضلاء» (١/ ٢٩٢)، ومعنى حدَّه: أقام عليه الحَدَّ.

كانت بدعةَ الخوارجِ والشِّيعةِ والمرجئةِ والقدريَّةِ أو غيرهم، فَإِنَّ اليهود والنَّصارى كُفَّارٌ كُفْرًا معلومًا بالاضطرارِ من دينِ الإسلامِ، والمبتدعُ إذا كان يحسبُ أَنَّهُ مُوافقٌ لرسولِ الله ﷺ لا مُخالفٌ له لم يكُنْ كافرًا به، ولو قُدِرَ أَنَّهُ يُكَفَّرُ فليس كفره مثل كُفْرِ من كذَّبَ الرسولَ ﷺ»[١].

وقال -وهو يتحدَّثُ عن الصُّوفيَّةِ وما أحدَثُوه من السَّماعِ والرَّقْصِ وتمزيقَ الثِّيَابِ: «والذين شهدوا هذا اللَّغْو مُتأوِّلين من أهل الصِّدق والإخلاص غمرت حسناتُهم ما كان لهم من السَّيِّئات أو الخطأ في مواقع الاجتهاد، وهذا سبيلُ كُلِّ صالحي الأُمَّةِ في خطئهم وزلاتهم»[٢].

وقال فيمنْ خالفُوهُ وكفَّرُوه من أهلِ البدع: «هذا، وأنا في سعةِ صدرٍ لمن يُخالِفُني، فإنَّه وإنْ تعدَّى حدودَ الله فيَّ بتكْفِيرٍ أو تَفْسِيقٍ أو افتراءٍ أو عصبيَّةٍ جاهليَّةٍ فأنا لا أتعدَّى حدودَ الله فيهِ، بل أضبطُ ما أقولُه وأفعلُهُ وأزِنُهُ بميزانِ العدلِ، وأجْعَلُهُ مؤْتمًّا بالكتاب الذي أنزله الله وجعلَهُ هُدًى للنَّاسِ حاكمًا فيما اختلفُوا فيه». إلى أن قال: «وذلك أنَّك ما جزيْتَ من عصى الله فيك بمثل أن تُطِيعَ الله فيه»[٣].

□ وكتب رَحِمَهُ اللهُ إلى أصحابه من سجنه الظالم في مصر «فلا أحبُّ أن يُنتَصر من أحدٍ بسبب كذبه عليّ أو ظلمه وعدوانه، فإني قد أحللتُ كل مسلم، وأنا أحبُّ الخير لكل المسلمين، وأريد لكل مؤمن من الخير ما

---

(١) «مجموع فتاوىٰ ابن تيمية» (٣٥/ ٢٠١).
(٢) «الاستقامة» لابن تيمية (١/ ١٩٧- ١٩٨).
(٣) «مجموع فتاوىٰ بن تيمية» (٣/ ٢٤٥- ٢٤٦).

أحبه لنفسي، والذين كذبوا وظلموا فهم في حِلٍّ من جهتي.. أسأل الله أن يتوب عليهم»[١].

وأما ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ**:**

فحين تحدَّث عن الصوفيَّةِ وشطحاتِهِمْ قال فيها قال: «.. هذا ونحوه من الشَّطحات التي تُرْجَى مغفرتُها بكثرة الحسناتِ، ويستغرِقُهَا كمالُ الصِّدقِ، وصحَّةُ المعاملة، وقُوَّةُ الإخلاصِ، وتجريدُ التَّوْحيدِ، ولم تُضْمَنِ العصمةُ لبشرٍ بعد رسولِ الله ﷺ ولو كان كُلُّ من أخْطأَ أو غَلِطَ تُرِكَ جُمْلَةً، وأُهْدِرتْ محاسِنُهُ، لفسدتِ العلومُ والصِّناعاتُ، والحِكَمُ، وتعطَّلَتْ معالِمُها».

وإذا كانت هه الشَّطحاتُ قد أوجبتْ فِتْنَةً على طائفتين من النَّاس: إحداهما: حُجِبَتْ بها –أي: بالشَّطحاتِ– عن محاسنِ هذه الطائفة والأخرى: حُجِبَتْ بها رأوه من محاسن القوم عن رُؤيةِ عُيوبِ شطحاتهم وكلا هاتين الطائفتين مُعْتَدٍ مُفَرِّطٍ.

أمَّا أهل العدلِ والإنصاف فهم هؤلاء الذين أعطوا كُلَّ ذي حَقٍّ حقَّهُ، ولم يحكموا للصحيح بحكم السَّقيم، ولا للسقيم بحكم الصحيح، ولكن قَبِلُوا ما يُقْبَلُ ورَدُّوا ما يُرَدُّ[٢].

ولو لم يكن إلَّا إنصافه الجميل للهروي صاحب «منازل السائرين» – وهو من أئمة الصوفية– لكفاه.

---

(١) «مجموع فتاوى بن تيمية» (٢٨/ ٥٥- ٥٦).

(٢) «مدارج السالكين» (٢/ ٤٠، ٤١).

آداب أهل الإنصاف:

التَّحَلِّي بصِفَةِ الإنصافِ، وسُلوكِ دَرْبِ المنصفين يلزمُ معه التَّأدُّبُ بآدابٍ خاصَّةٍ، وقد التزمَ بها أَهْلُ السُّنَّةِ والجماعةِ، وعلى من يسيرُ على منهجهم أنْ يتأدَّبَ بتلك الآداب وأهمُّها:

١ - التَّجَرُّدُ وتحرِّي القصد عند الكلام على المخالفين:

وذلك أَنَّهُ قد تلتبسُ المقاصدُ عند الكلام عن المخالفين، فهناك قصدُ حُبِّ الظُّهور، وقصدُ التَّشفِّي والانتقام، وقصدُ الانتصار للنَّفْس أو للطَّائفةِ التي يَنتمي إليها النَّاقدُ.. وقد حذَّر ابن تيمية من يَرُدُّ على أهل البدع من التباس المقاصد فقال: «.. وهكذا الرَّدُّ على أهل البدع من الرَّافضةِ وغيرهم، وإذا غلَّظَ في ذَمِّ بدعةٍ أو معصيةٍ كان قصدهُ بيانَ ما فيها من إفسادٍ ليحذرَ العبادُ، كما في نصوص الوعيد وغيرها. وقد يهجُرُ الرَّجُلَ عقوبةً وتعزيرًا والمقصودُ بذلك ردعه وردْعُ أمثاله للرَّحْمَةِ والإحسان، لا للتَّشفِّي والانتقام».

وقد انتبه ابنُ القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ إلى هذا الأمرِ فوضع قاعدةً لمن يُريد أن يتجَرَّدَ من الهوى فقال: «وكُلُّ أهل نحلةٍ ومقالةٍ يكسون نحلتهم ومقالتهم أحسن ما يقدرون عليه من الألفاظ، ومقالة مُخالفيهم أقبح ما يقدرُون عليه من الألفاظِ، ومن رزقَهُ الله بصيرةً فهو يكشفُ بها حقيقة ما تحت الألفاظ من الحقِّ والباطل، ولا تغتر باللفظِ كما قيل في هذا المعنى:

تَقُولُ هَذا جَنَى النَّحْلِ تَمْدَحُهُ ... وَإِنْ تَشَأْ قُلْتَ: ذَا قَيْءُ الزَّنَابِيرِ
مَدْحًا وَذَمًّا وَمَا جَاوَزْتَ وَصْفَهُمَا ... وَالْحَقُّ قَدْ يَعْتَرِيهِ سُوءُ تَعْبِيرِ

٢- أهمية التبين والتثبت قبل إصدار الأحكام:

* وذلك امتثالًا لقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ٦ ﴾ [الحجرات].

* وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾ [النساء: ٩٤].

□ والتَّبيُّن والتثبُّتُ من خصائص أهلِ الإيمان، قال الحسن البصريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المؤمِنُ وقَّافٌ حتَّى يتبيَّنَ».

□ وقال الإمام محمَّدٌ بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومتى لم يتبيَّنْ لكم المسألةُ لم يَحِلّ لكم الإنكارُ على من أفتى أو عملَ حتَّى يتبيَّنَ لكم خطؤُهُ، بل الواجِبُ السُّكُوتُ والتَّوقُّفُ».

٣- حمل الكلام على أحسن الوجوه، وإحسان الظن بالمسلمين:

فالواجبُ على المسلم أن يُحْسِنَ الظَّنَّ بكلام أخيه المسلم، وأن يحملَ العبارة المحتمِلَة محملًا حسنًا. فقد حَثَّ الرَّسولُ ﷺ على إحسانِ الظَّنِّ بالمسلم حين قال وهو يَطوفُ بالكعْبَةِ: «ما أَطْيَبَكِ وأطيب ريحك، وما أعظمكِ وأعظم حُرْمَتَكِ، والذي نفس محمَّدٍ بيده لحرْمَةُ المؤمن أعظم عند الله حُرْمَةً منكِ، ماله ودَمِهِ، وأن لا يُظَنَّ به إلَّا خيرًا».

□ وقال سعيدُ بن المسيَّبِ: «كتب إليَّ بعضُ إخواني من أصحابِ رسولِ الله ﷺ: «أَنْ ضَعْ أمرَ أخيكَ على أحْسَنِهِ ما لم يأتِكَ ما يَغْلبُكَ، ولا تظُنَّنَّ بكلمَةٍ خرجتْ من امريءٍ مسلم شَرًّا وأنت تَجِدُ لها في الخير محملًا».

٤- أَلَّا يَنْشُرَ سَيِّئَاتِ الْمُخَالِفِ وَيَدْفِنَ حَسَنَاتِهِ:

فقد ذكَّرَ الرَّسولُ ﷺ عُمَرَ بحسنات حاطبٍ فقال: «وما يُدْرِيكَ يا عُمرُ

لعلَّ الله قد اطَّلعَ على أهل بدرٍ فقال: اعملوا ما شئْتُمْ فقدْ غفرتُ لكم».

فكونُ حاطبٍ من أهل بدرٍ ترفعُهُ ويذكرُ له في مُقَابلِ خطئهِ الفاحش، ولذا غُفِرَ له خطؤُهُ.

٥- النقد يكون للرأي وليس لصاحب الرأي:

فالنَّقْدُ الموضوعيُّ هو الذي يتَّجِهُ إلى الموضوع ذاته وليس إلى صاحبه. وكان الرَّسولُ ﷺ إذا حدث خطأٌ من أحدِ أصحابه أو بعضهم. لا يسمِّيهم غالبًا وإنَّما يقول: «ما بَالُ أَقْوامٍ»، «ما بَالُ رِجَالٍ».

٦- الامتناع عن المجادلة المفضية إلى النزاع:

• وقدْ حَذَّر الرَّسُولُ ﷺ من الجدلِ المفضي إلى الخصومةِ فقال: «إِنَّ أَبْغَضَ الرِّجالِ إلى الله الألَدُّ الخَصِمُ».

□ وقال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: «لا تُمَارِ أخاك؛ فإِنَّ المراءَ لا تُفْهَمُ حكمَتُهُ، ولا تُؤْمَنُ غائِلَتُهُ..».

□ وقال مالك بنُ أنسٍ: «المراءُ يُقَسِّي القلوبَ، ويُورِثُ الضَّغائِنَ».

٧- حمل كلام المخالف على ظاهره وعدم التعرض للنوايا والبواطن:

• وقد علَّمنا ذلك رسولنا الكريم ﷺ حينما قتل أسامة بن زيدٍ المشركَ بعد أن قال: لا إله إلَّا الله، فلمَّا علم ﷺ أنْكَرَ ذلك عليه، فقال أسامةُ: إنَّما

قالها متعوِّذًا. فقال ﷺ: «هَلَّا شَقَقْتَ عن قَلْبِهِ»[١].

٨- عدم الإصرار على الخطأ الرجوع إلى الحق عند ظهوره وبيانه[٢]:

ونذكر لذلك أمثلة:

(أ) صنيع الحاكم مع الحافظ عبد الغني بن سعيد الأزدي رحمهما الله:

وفي ذلك يقول الحافظ عبد الغني: «لما رددت على أبي عبد الله الحاكم «الأوهام التي في المدخل إلى الصحيح» بعث إلى يشكرني، ويدعو لي فعلمت أنه رجل عاقل»[٣].

□ وقال الحافظ ابن كثير في «البداية»: «وقد صنف الحافظ عبد الغني هذا كتابًا فيه أوهام الحاكم، فلما وقف عليه الحاكم، جعل يقرؤه على الناس، ويعترف لعبد الغني -بالفضل ويشكره- ويرجع فيه إلى ما أصاب فيه من الرد عليه رحمهما الله تعالى»[٤].

(ب) ما ذكره الحافظ ابن عبد البر في «جامع بيان العلم»[٥]:

□ عن أبي محمد قاسم بن أصبغ، قال: «لما رحلت إلى المشرق نزلت القيروان فأخذت على بكر بن حماد حديث مسدد، ثم رحلت إلى بغداد

---

(١) ينظر: كتاب «إنصاف أهل السنة والجماعة ومعاملتهم لمخالفيهم» لمحمد بن صالح بن يوسف العلي (٦٩- ١٠١) ط- دار الأندلس الخضراء- جدة.

(٢) نقلاً عن كتاب «الإنصاف» (ص٦٣- ٦٩).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (١٧/ ٢٧٠)، و«تذكرة الحفاظ» (٣/ ١٠٤٨).

(٤) «البداية والنهاية» (١٢/ ٧- ٨).

(٥) «جامع بيان العلم» (١/ ١٣٣- ١٣٤).

ولقيت الناس فلما انصرفت عدت إليه لتمام حديث مسدد فقرأت عليه فيه يومًا حديث النبي ﷺ فإنه: «قدم قوم من مضر مجتابى النمار»(١)، فقال: «مجتابى الثمار» فقلت له: إنما هو «مجتابى النمار» هكذا قرأته على كل من قرأت عليه بالأندلس وبالعراق فقال لي: بدخولك العراق تعارضنا وتفخر علينا أو نحو هذا ثم قال لي: قم بنا إلى ذلك الشيخ، «لشيخ كان بالمسجد»، فإن له بمثل هذا علمًا فقمنا إليه وسألناه عن ذلك فقال: إنما هو «مجتابى النمار»(٢).

كما قلت: وهم قوم كانوا يلبسون الثياب مشققة جيوبهم أمامهم، والنمار: جمع نمرة. فقال بكر بن حماد: وأخذ أنفه رغم أنفي للحق وانصرف».

هذا هو خُلق أهل الإنصاف أما نظرة أهل الجور والظلم والبغي والهوى لناصحيهم فهي كما تمثل بعضهم قول الشاعر:

لو كل كلب عوى ألقمته حجرًا ... لعز الصخر مثقال بدينار!!

٩- ما عليه أهل الإنصاف من أن العالم لا يتبع بزلته ولا يؤخذ بهفوته بل يذكر ما له وما عليه:

فقد تتابعت كلمة العلماء في الاعتذار عن الأئمة فيما بدر منهم، وأن ما

(١) يشير إلى ما أخرجه مسلم (١٠١٧) من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: «كنا عند رسول الله ﷺ في صدر النهار قال: فجاء قوم حفاة عراة مجتابي النمار أو العباء متقلدي السيوف، عامتهم من مضر، بل كلهم من مضر..» (الحديث).

(٢) قال النووي في «شرح مسلم» (٧/ ٧٠٢): «النِّمار -بكسر النون- جمع نمرة بفتحها وهي ثياب صوف فيها تنمير، وقوله: «مجتابي النمار»: أي خرقوها وقوروا وسطها» اهـ.

يبدو من العالم من هنات لا تكون مانعة للاستفادة من علمه وفضله.
وسوف أكتفي بإشارات تدل على المقصود [١].

□ قال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ في «السير» من ترجمة قتادة ابن دعامة السدوسي: «ثم أن الكبير من أئمة العلم إذا كثر صوابه، وعلم تحريه للحق واتسع علمه، وظهر ذكاؤه، وعرف صلاحه وورعه واتباعه يغفر له الله، ولا نضلله ونطرحه وننسى محاسنه، نعم: ولا نقتدى به في بدعته وخطئه ونرجو له التوبة من ذلك» [٢] اهـ.

□ وقال أيضًا في دفع العتاب عن الإمام محمد بن نصر المروزي -رحمه الله تعالى- «السير» [٣]: «ولو أنا كلما أخطأ إمام في اجتهاده في آحاد المسائل خطأ مغفورًا له، قمنا عليه، وبدَّعناه وهجرناه، لما سلم معنا لا ابن نصر ولا ابن منده، ولا من هو أكبر منهما، والله هو هادي الخلق إلى الحق، وهو أرحم الراحمين، فنعوذ بالله من الهوى والفظاظة» اهـ.

□ وقال في ترجمة القفال الشاشي الشافعي (ت سنة ٣٦٥هـ) رحمه الله تعالى «السير»: «قال أبو الحسن الصفَّار: سمعت أبا سهل الصعلوكي، وسئل عن تفسير أبي بكر القفال، فقال: قدَّسه من وجه ودنَّسه من وجه، أي دنَّسه من جهة نصره للاعتزال. قلت: قَدْ مَرَّ موته، والكمال عزيز، وإنما يمدح العالم بكثرة ماله من الفضائل، فلا تدفن المحاسن لورطةٍ ولعله

---

(١) يراجع كتاب «التعالم» للشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد حفظه الله مبحث «في أن العالم لا يُتْبَع بزلته ولا يُؤخذ بهفوته» وعنه أخذنا بتصرف.
(٢) «سير أعلام النبلاء» (٥/ ٢٧١).
(٣) المصدر السابق (١٤/ ٤٠).

رجع عنها. وقد يغفر له في استفراغه الوسع في طلب الحق ولا حول ولا قوة إلَّا بالله»[(١)] اهـ.

□ ونضيف أيضًا ما قاله الحافظ الذهبي في ترجمة الإمام ابن حزم رحمه الله تعاليفي «تذكرة الحفاظ»[(٢)]: «ابن حزم رجل من العلماء الكبار فيه أدوات الاجتهاد كاملة تقع له المسائل المحررة والمسائل الواهية كما يقع لغيره، وكل واحد يؤخذ من قوله ويترك إلَّا رسول الله ﷺ» اهـ.

□ وقد قيل:

من ذا الذي ترضى سجاياه كلها ... كفى المرءَ نبلًا أن تعد معايبه

أما ما نشاهده في دنيا المسلمين اليوم من تطاول بعض الجهال والمتعالمين على أهل العلم لمجرد خطئهم في عدة مسائل فهو عين الجور وعدم الإنصاف، والله المستعان على ما يفعلون.

إنصاف الشيخ محمد عمرو عبد اللطيف لمحدث الدنيا الشيخ محمد ناصر الدين الألباني:

□ يقول الشيخ ساعد عمر غازي في كتابه الطيب «الإنصاف»: «فأما الخُلق الذي يجب أن يتحلى به أمثالنا من طلاب العلم الناشئين مع مشايخهم وإن خالفوهم في مسائل فأترك أخي محمد عمرو عبد اللطيف حفظه الله تعالى ليخبرنا به وهو يرد على شماتة بعض الناقمين على الشيخ العلامة محمد ناصر الدين الألباني حفظه الله تعالى لمخالفة بعض محبيه من

---

(١) «السير» (١٦/ ٢٨٥).

(٢) «تذكرة الحفاظ» (١١٥٣ - ١١٥٤).

طلبة العلم له قال ما نصه: «هذا، وقد ثبت لَدَيَّ أن بعض الناقمين على الشيخ -متعنا الله بعمره وعلمه- قد فرح وشمت به لما وجد بعض تلاميذه -يقصدني وأخي أبا إسحاق الحويني حفظه الله- يخالفونه في بعض الأشياء، وذلك لما اطلع -فيما اطلع- على القسم الأول من هذا الكتاب -ولا سيما حديث تحريك الإصبع في الصلاة خاصة- فأقول له: كلا وألف كلا، إياك أن تخلط بين الأمور، ولا يتداخلن عليك الفارق بين الحب والإعظام، وبين الرغبة في تحري الحق والصواب. وإن للشيخ -عافاه الله- في قلوبنا لمنزلةً يكل اللسان عن وصفها، ونرجو أن تزداد كل يوم حبًا له وإجلالًا لعظيم ما أجراه الله ﷻ على يديه من نعمة العلم والفهم والتدقيق. وحسبك أيضًا أيها الشامت أن تعلم أن لولا أن الله ﷻ سخر لنا هذا الرجل وكتاباته، لظللنا حتى الساعة نعتمد على مثل رموز السيوطي -التي غشاها ما يغشى- وتصحيحات الحاكم وإطلاقات المنذري والهيثمي بنحو: «رجاله ثقات» و«رجاله رجال الصحيح»، والعراقي بتضعيف الواهي والموضوع ولظللنا نضفي على ما في «تقريب الحافظ» رَحِمَهُ اللَّهُ قدسية لا يغتفر المساس بها. أقول هذا استبشاع ما رمى به بعض مخالفي الشيخ حفظه الله الحافظ ابن حجر روَّح الله روحه بأنه مجرد ناقل فقط لأقوال الأئمة! وليس من حقه الترجيح!! بل هو إمام كبير أحاط بالسنة كما وصفه شيخنا المطيعي رَحِمَهُ اللَّهُ غير مرة، ولكن العصبية تفعل بأهلها الأفاعيل. فمن الحافظ وأمثاله من منصفي الأئمة نتعلم الإنصاف ونبذ العصبية لمذهب أو رأي تلوى من أجله أعناق النصوص، ويغمض عما يدين رأي المخالف، على مذهب ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ﴾ أو

﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤﴾ دون إتمام الآية. نعوذ بوجه ربنا الكريم من الخذلان وترك الإنصاف والانتصاف عند اشتداد الحاجة إليهما»[(١)].

✍ وأختم بالنصيحة الغالية للشيخ العلامة طاهر الجزائري (ت سنة ١٣٣٨هـ) رحمه الله تعالى، وهو على فراش الموت: «عدُّوا رجالكم، واغفروا لهم بعض زلّاتهم، وعضوا عليم بالنواجذ لتستفيد الأمّة منهم، ولا تنفِّروهم لئلا يزهدوا في خدمتكم»[(٢)]اهـ.

١٠- ما عليه أهل الإنصاف من وضع العلم في أهله، والاعتراف بالفضل لأولي الفضل والسبق والتقدم:

□ قال الإمام الشافعي للإمام أحمد بن حنبل رحمهما الله تعالى: «أنتم: أعلم بالحديث والرجال مني، فإذا كان الحديث صحيحًا، فأعلموني كوفيًّا كان أبو بصريًّا أو شاميًّا، حتى أذهب إليه، إذا كان صحيحًا»[(٣)].

□ قال القاضي ابن أبي يعلى رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «طبقات الحنابلة»: «وهذا من دين الشافعي حيث سلم هذا العلم لأهله»[(٤)].

---

(١) «تبيض الصحيفة» لمحمد عمرو عبد اللطيف- القسم الثاني (ص٤٥).

(٢) «الإنصاف» (ص٦٥- ٦٦).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «آداب الشافعي» (ص٩٤- ٩٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٩/ ١٧٠)، والخطيب في «الاحتجاج بالشافعي» (ص٧٠)، وابن عبد البر في «الانتقاء» (ص٧٥)، والبيهقي في «مناقب الشافعي» (١/ ٥٢٨)، وابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (ص٦٠١- ٦٠٢) وغيرهم من طرق عن عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه أن الشافعي قال له.. وهو صحيح عنه كما قال الألباني في مقدمة «صفة الصلاة» (ص١٨).

(٤) «طبقات الحنابلة» لأبي يعلى (١/ ٦).

✍ يا ليتنا نتخلق بهذا الخلق.

□ ورحم الله تعالى الإمام الصنعاني حيث قال في «إرشاد النقاد» (ص٢٢): «ولا تكن من كفار النعم وأشباه النعم: وإنما يعرف الفضل لأولي الفضل من هو منهم وإليه أشار من قال:

إذا أفادك إنسان بفائدة ... من العلوم فأكثر شكره أبدًا
وقل فلان جزاه الله صالحة ... أفادنيها وخل اللؤم والحسدا

وبهذا يبطل تشيع الجهال بأن من خالف الأوائل في بعض المسائل قد ادعى الترفع عليهم وقال: «إنه أعلم منهم»، وهذا خيال باطل وسوء ظن حاصل وإلَّا لزم أن التابعين قد ادعوا الفضل على السابقين من الأنصار والمهاجرين وأن الأئمة المتأخرين قد ادعوا أن لهم الفضل على المتقدمين وهيهات ما زال الفضل للمتقدم معروفًا وما برح السابق بالتفضيل موصوفًا:

ولو قبل مبكاها بكيت صبابة ... بعدي شفيت بعد التندم
ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا ... بكاها فقلت الفضل للمتقدم» اهـ

ولكن ليس من الإنصاف أن يُهضم حق المصيب لكونه حديثًا. ولله درُّ من قال:

لا تقل ذهبت أربابه ... كل من سار على الدرب وصل

فكم من تلميذ أعلم من شيخه وأفضل منه.

١١ - من الإنصاف لحظ المحاسن والغض عن المساوئ:

وخير مثال على ذلك نصيحة سفيان بن عيينة والأعمش رحمهما الله

تعالى:

□ قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قيل لسفيان بن عيينة: إن قومًا يأتونك من أقطار الأرض تغضب عليهم يوشك أن يذهبوا ويتركوك».

قال: «هم حمقى إذن مثلك، إن يتركوا ما ينفعهم لسوء خُلُقي»[(١)].

□ وقال الشافعي أيضًا: «جاء رجل إلى الأعمش ومعه آخر لا يريد الحديث فسأله هذا عن حديث فغضب عليه الأعمش فسكت الرجل».

فقال الآخر: ولو كنت مثلك ما أتيت هذا أبدًا.

□ فقال له الأعمش: «هو إذن أحمق مثلك أن يترك ما ينفعه لسوء خُلُقي»[(٢)].

إذن فالغضُّ عن المحاسن ولحظ المساوئ ولو كانت قليلة من عدم الإنصاف.

قواعد في الإنصاف:

١ - العداوة تزيل العدالة:

فإذا عُلِم بين اثنين تعاديًا لم تقبل شهادة ذا على ذا[(٣)].

٢ - إذا غلبت محاسن الرجل على مساوئه لم تُذْكَر المساوئ:

□ قال شيخ الإسلام عبد الله بن المبارك: «إذا غَلَبت محاسنُ الرجل على مساوئه لم تُذكَر المساوئ، وإذا غلبت المساوئ على المحاسن لم تُذكر

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «آداب الشافعي» (ص٢٠٦) بسند صحيح عن الشافعي.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «آداب الشافعي» (ص٣١٥- ٣١٦) بسند صحيح عنه.
(٣) «سير أعلام النبلاء» (٦/ ٧٨).

المحاسن»[١].

٣- ليس من شرط الثقة أن لا يُخطئ ولا يغْلَط ولا يسهو:

□ قال الذهبي بعد أن ردَّ على ابن أبي داود كلامه المُسْتَهجَن في «حديث الطَّيْر»: «أخطأ ابن أبي داود في عبارته وقوله، وله على خَطَئه أجرٌ واحد، وليس من شرط الثقة أن لا يُخطِئ ولا يغلط ولا يَسْهو. والرجل فمن كبار علماء الإسلام، ومِنْ أوْثق الحُفَّاظ»[٢].

٤- يُمدح العالِم بكثرة ماله من الفضائل:

□ قال أبو الحسن الصفَّار: «سمعتُ أبا سَهل الصعلوكي، وسُئِل عن تفسير أبي بكر القفَّال، فقال: قدَّسه من وجه، ودنَّسه من وجه،أيْ: دَنَّسَه من جه نصره للاعتزال.

قال الذهبي: «قلت: الكمال عزيز، وإنما يُمدَح العالم بكثرة ماله من الفضائل، فلا تُدْفَن المحاسنُ لورْطة، ولعلَّه رجع عنها، وقد يُغفَر له باستفراغه الوُسْعَ في طلب الحق ولا قوّة إلَّا بالله»[٣].

ضوابط جميلة في إعذار من تلبَّس ببدعة أوْ خطأ:

□ قال الذهبي في دفاعه وإنصافه لقتادة السّدوسي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولعلَّ الله

---

(١) «سير أعلام النبلاء» ترجمة ابن المبارك (٨/ ٣٧٨- ٤٢١)، و«نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء» (٢/ ٦٥٦).

(٢) «نزهة الفضلاء» (٢/ ٩٦٣) نقلا عن ترجمة ابن أبي داود في «السير» (١/ ٢٢١- ٢٣٧).

(٣) «نزهة الفضلاء» (٢/ ١١٧٨) نقلاً عن ترجمة القفَّال الشاشي في «سير أعلام النبلاء» (١٦/ ٢٨٣- ٢٨٥).

يعذرُ أمثاله ممَّن تلبَّس ببدعة يُريدُ بها تعظيم الباري وتنزيهه، وبذل وُسْعَه، والله حَكَمٌ عدل لطيف بعباده، ولا يُسأل عما يفعل.

ثم إن الكبير من أئمة العلم إذا كثر صوابُه، وعُلِمَ تحرِّيه للحق، واتَّسع علمُه، وظهر ذكاؤه، وعُرِفَ صلاحُه وورعه واتباعه، يُغفر له الله، ولا نضلله ونطرحه، وننسى محاسِنَه. نعم ولا نقتدي به في بدعته وخطئه ونرجو له التوبة من ذلك»[١].

□ وقال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا كان مثلُ كبراء السابقين الأوَّلين قد تكلَّم فيهم الروافض والخوارج، ومثل الفُضَيْل يُتكلَّم فيه، فمن الذي يسلمُ من ألسنة الناس، لكن إذا ثبتت إمامة الرجل وفضله، لم يَضُرَّه ما قيل فيه، وإنما الكلام، في العلماء مُفْتَقِرٌ إلى وزن بالعدل والورع»[٢].

□ قال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «رضي الله عن وكيع، وأين مثل وكيع؟! ومع هذا فكان ملازمًا لشرب نبيذ الكوفة الذي يُسْكِرِ الإكثار منه فكان متأوِّلًا في شربه، ولو تَرَكَهُ تورُّعًا، لكان أوْلى به، فإنَّ من توقِّي الشُّبهات، فقد استبرأ لدينه وعِرْضه، وقد صحَّ النهي والتحريم للنبيذ المذكور..

«وكلٌّ يُؤخذُ من قوله ويُترَك، فلا قُدْوَة في خطأ العالِم، نَعَم، ولا يوبَّخ بما فعله باجتهاد، نسأل الله له المسامحة»[٣].

□ وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكلُّ أَحَدٍ يُؤخذ من قوله ويُترك إلَّا رسول الله ﷺ، ولكن إذا أخطأ إمام في اجتهاده، لا ينبغي لنا أن ننسى محاسنَه، ونُغطِّي

---

(١) «نزهة الفضلاء» (١/ ٤٨٩).

(٢) المصدر السابق (٢/ ٦٧٠).

(٣) «نزهة الفضلاء» (٢/ ٦٩٧)، وترجمة وكيع في «السير» (٩/ ١٤٠- ١٦٨).

معارفَه بل نستغفِرُ له، وتعتذر عنه»[١].

ومِنْ الإنصافِ أن لا يُقبل كلامُ الأقرانِ في بعضهم البعض:

ولم يلتفت أهل العِلْمِ في هذا النَّحْو إلَّا ببيان وحُجَّة ولم تسقطُ عدالتهم إلَّا ببرهان ثابت وحُجّة، والكلام في هذا كثير.

□ قال الذهبي: «لَسْنا ندَّعي في أئمة الجرح والتعديل العِصْمة من الغَلَط النادر، ولا من الكلام بِنَفسٍ حَادٍّ فيمن بينهم وبينه شحْناء وإِحْنة[٢]، وقد عُلِمَ أن كثيرًا من كلام الأقران بعضهم في بعضٍ مُهْدَرٌ لا عِبْرَةَ به، ولا سيَّما إذا وثَّقَ الرَّجلَ جماعةٌ يلوح على قولهم الإنصاف»[٣].

□ قال الذهبي في ترجمة ابن أبي ذئب في «السير»: «وبكل حالٍ فكلامُ الأقران بعضُهم في بعضٍ لا يُعوَّل على كثير منه، فلا نَقَصَت جلالة مالك بقول ابن أبي ذئب فيه، ولا ضعَّف العلماء ابن أبي ذئب بمقالته هذه، بل هما عالمًا المدينة في زمانها رضي الله عنهما»[٤].

□ وقال الذهبي: «فكلام الأقران بعضهم في بعضٍ أمرٌ عجيب، وقع فيه سادة، فرحم الله الجميع»[٥].

□ وقال رَحِمَهُ اللهُ في ترجمة أبي نعيم الأصبهاني في كتابه «سير أعلام

---

(١) «نزهة الفضلاء» (٣/ ١٢٦٩) ترجمة ابن عبد البر في «السير» (١٨/ ١٥٣-١٦٣).

(٢) الحقد في الصدر.

(٣) «نزهة الفضلاء» (١/ ٥٦٣).

(٤) «السير» (٧/ ١٣٩- ١٤٩).

(٥) انظر: ترجمة البُوَيْطي في «السير» (١٢/ ٥٨- ٦١).

النبلاء»(١): «وقد عُرِفَ وَهَنُ كلامِ الأقران المتنافسين بعضهم في بعض. نسأل الله السماح»(٢).

أقوال جميلة في الإنصاف:

□ قال أبو هريرة رضي الله عنه: «يبصر أحدكم القذاة في عين أخيه وينسى الجذل -أو الجذع- في عين نفسه»(٣).

□ وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: «انتهى عجبي إلى ثلاث: المرء يفر من القدر وهو لاقيه، ويبصر في عين أخيه القذى فيعيبه، ويكون في عينه الجذع فلا يعيبه، ويكون في دابته الصعر فيقومها بجهده ويكون فيه الصعر فلا يقوم نفسه»(٤).

□ وعن الحسن قال: «يا ابن آدم تبصر القذى في عين أخيك، وتدع الجذل معترضًا في عينك»(٥).

□ قال الإمام ابن حبان رحمه الله تعالى في «روضة العقلاء»: «الواجب

---

(١) «السير» (١٧/ ٤٥٣- ٤٦٤).

(٢) «نزهة الفضلاء» (٣/ ١٢٣٠).

(٣) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٥٩٢)، وأحمد في «الزهد» (ص١٧٨)، وابن أبي الدنيا في «الصمت» (١٩٤)، وقد رُوِي مرفوعًا، والصواب وقفه علىٰ أبي هريرة.

(٤) أخرجه ابن عساكر (١٣/ ٥٣١) بإسناد حسن.

(٥) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٢١)، وأحمد في «الزهد» (ص٢٨٥)، وابن أبي شيبة (١٣/ ٥٢٣)، و(١٤/ ٣٨)، وابن أبي الدنيا (٢٠٢) بإسناد صحيح والقذاة: هي ما يقع في العين والماء والشراب من نحوِ ترابٍ وتبن ووسخ «فيض القدير» (٦/ ٤٥٦). والجذل: قال أبو عبيد: الخشبة العالية

على العاقل لزوم السلام بترك التجسس عن عيوب الناس، مع الاشتغال بإصلاح عيوب نفسه، فإن من اشتغل بعيوبه عن عيوب غيره أراح بدنه، ولم يتعب قلبه، فكلما اطلع على عيب لنفسه هان عليه ما يرى مثله من أخيهن وإن من اشتغل بعيوب الناس عن عيوب نفسه عمى قلبه وتعب بدنه، وتعذر عليه ترك عيوب نفسه، وإن من أعجز الناس من عاب الناس بما فيهم وأعجز منه من عابهم بما فيه، من عاب الناس عابوه»[1] اهـ

▫ قال محمد بن سيرين رَحِمَهُ اللَّهُ: «ظلمك لأخيك أن تذكر عنه أسوأ ما تعلم، وتكتمه خبره»[2].

▫ وقال الشعبي: «والله لو أصبتُ تِسْعًا وتسعين مرة، وأخطأت مُرّة لأعدُّوا عليَّ تلك الواحدة»[3].

وكأن البشر مجبولون على عدم الإنصاف إلَّا من رحم الله.

▫ قال يونس الصدفي: «ما رأيت أعقل من الشافعي ناظرته يومًا في مسألةٍ، ثم افترقنا، ولقيني، فأخذ بيدي، ثم قال: يا أبا موسى، ألا يستقيم أن نكون إخوانًا، وإن لم نتفق في مسألة»[4].

▫ قال الشافعي: «ما كابرني أحد على الحق ودافع إلَّا سقط من عيني ولا قبله إلَّا هبته، واعتقدت مودته»[5].

---

(١) «روضة العقلاء» لابن حبان (ص١٢٥).
(٢) «الإنصاف» (ص٧٠).
(٣) «نزهة الفضلاء» (١/ ٣٩٢).
(٤) «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ١٦).
(٥) «السير» (١٠/ ٣٣)، و«توالي التأسيس» (ص٧٣).

□ وقال أيضًا: «والله ما ناظرت أحدًا فأحببت أن يخطئ»[(١)].

□ وقال أيضًا: «ما ناظرت أحدًا إلَّا على النصيحة»[(٢)].

□ وقال خالد بن الوليد رضي الله عنه لعَدِيِّ بن زيدٍ العِبَادِيِّ -في الحوار الذي دار بينهما-: ما أنتم؟ أَعَرَبٌ فما تنقمون من العَرَب؟ أو عَجَم فما تَنْقِمون من الإنصاف والعدل؟ فقال له عدي: بل عَرَبٌ عاربةٌ وأُخرى متعرِّبة»[(٣)].

□ وقال سفيان الثوري رحمه الله: «عِنْدَ ذِكْرِ الصالحين تنزِلُ الرحمة، ومَنْ لم يَحْفَظْ مِن أخبارِهم إلَّا ما بدر من بعضهم في بعض على الحسد والهفوات والتعصُّب والشهوات دون أن يَعِيْ.. بفضائلهم حُرِم التوفيق ودخل في الغَيبة وحادَ عن الطريق»[(٤)].

□ قال ابن تيمية في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].. قال: «فنَهى أَنْ يَحْمِلَ المؤمنين بغضهم للكُفَّارِ على ألَّا يعْدِلُوا، فكيف إذا كان البُغْضَ لفاسقٍ أو مُبتدعٍ أو مُتأوِّلٍ من أهل الإيمان؟ فهو أولى أن يجب عليه ألَّا يحمِلَهُ ذلك على ألَّا يَعْدِلَ على مؤمنٍ وإنْ كان ظالمًا له»[(٥)].

✍ وأخيرًا نختم بقاعدة الإنصاف عند أهل السنة والجماعة على وجه العموم:

---

(١) «آداب الشافعي» لابن أبي حاتم (ص٩٢- ٩٣).
(٢) المصدر السابق (ص٩٢).
(٣) «تاريخ الطبري» (٣/ ٣٦١).
(٤) «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ١٦٢).
(٥) «الاستقامة» (١/ ٣٨) تحقيق. د: محمد رشاد سالم.

□ قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «شفاء العليل»: «فكل حق مع طائفة من الطوائف فهم يوافقوهم فيه، وهم براء من باطلهم، فمذهبهم جمع حق الطوائف بعضه إلى بعض، والقول به ونصره وموالاة أهله من ذلك الوجه، ونفى باطل كل طائفة من الطوائف وكره ومعاداة أهله من هذا الوجه فهم حكام بين الطوائف لا يتحيزون إلى فئة منهم على الإطلاق، ولا يردون باطلًا بباطل، ولا يحملهم شنآن قوم يعادونهم، ويكفرونهم على أن لا يعدلوا فيهم، بل يقولون فيهم الحق ويحكمون في مقالاتهم بالعدل، والله سبحانه وتعالى أمر رسوله أن يعدل بينَ الطوائف فقال: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ [الشورى: ١٥] فأمره سبحانه أن يدعو إلى دينه وكتابه وأن يستقيم في نفسه كما أمره، وأن لا يتبع هوى أحد من الفرق، وأن يؤمن بالحق جميعه، لا يؤمن ببعضه دون بعض، وأن يعدل بين أرباب المقالات والديانات»(١) اهـ.

أما منهج الفرق والطوائف المخالفة لمنهج الحق: فهو كما قال الشيخ عبد القاهر البغدادي في «الفرق بين الفرق»: «وليس فريق من فرق المخالفين إلَّا وفيهم تكفير بعضهم لبعض. وتبرى بعضهم من بعض كالخوارج، والروافض، والقدرية، حتى اجتمع سبعة منهم في مجلس واحد فافترقوا عن تكفير بعضهم بعضًا وكانوا بمنزلة اليهود والنصارى حين كفروا بعضهم بعضًا حتى قالت اليهود: ﴿لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ

(١) «شفاء العلل» (ص١١٤) لابن القيم.

﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ﴾[1] [البقرة: ١١٣] اهـ. نعوذ بالله من الخذلان.

□ قال أبو الزِّنادِ بن سِرَاجٍ وغيْرَهُ: «إِنَّ العَبْدَ إذا اتَّصفَ بالإنصاف لم يترك لمولاهُ حَقًّا إلّا أدّاهُ، ولم يترك شيئًا مما نهاهُ عنه إلّا اجْتَنَبَهُ، وهذا يجمعُ أركان الإيمان»[2].

أمثلة عطرة على الإنصاف:

إنصاف الأحنف بن قيس:

□ قال الذهبي: «كان زيادٌ معظِّمًا للأحنف، فلمّا وَلِّيَ بعده ابنه عبيدُ الله تغيَّرَ أمر الأحنف، وقُدِّمَ عليه من هو دونه، ثُمَّ وفد على معاوية في الأشراف، فقال لعبيد الله: أدخلهم عليَّ على قَدْرِ مراتبهم. فأَخَّرَ الأحنف، فلمّا راه معاوية أكرمه لمكان سيادته، وقال: إليَّ يا ابا بحرٍ، وأجلسه معه وأعرض عنهم، فأخذوا في شكر عبيد الله بن زيادٍ، وسكت الأحنف، فقال له: لِمَ لا تتكلَّمُ؟ قال: إنْ تكلَّمْتُ خالفتهم. قال: اشهدوا أَنِّي قد عزلت عبيد الله. فلمّا خرجوا كان فيهم من يَرُومُ الإمارة. ثُمَّ أتَوْا معاوية بعد ثلاثٍ، وذكر كُلُّ واحدٍ شخصًا، وتنازعوا، فقال معاوية: ما تقول يا أبا بحرٍ؟ قال: إنْ وَلَّيْتَ أحدًا من أهل بيتك لم تجد مثل عبيد الله. فقال: قد أعدتُهُ. قال: فخَلا معاويةُ بعبيد الله، وقال: كيف ضَيَّعْتَ مثل هذا الرَّجُل الذي عزلك وأعادك وهو ساكتٌ!؟.. فلمّا رجع عُبيدُ الله جعل الأحنفَ

---

(١) «الفرق بين الفرق» (ص٢١٩).

(٢) «فتح الباري» (١/ ١٠٤) لعبد القاهر البغدادي.

صاحِبَ سِرِّه»(١).

إنصاف مسلم بن يسار لأبي قلابة الجرمي:

□ قال علي بن أبي حَمَلَة: «قِدمَ علينا مسلم بن يسار دمشق، فقلنا له: يا أبا عبد الله، لَوْ علِمَ الله أَنَّ بالعِرَاق من هو أفضل منك، لجاءَ نابه، فقال: كيف لو رأيتم عبد الله بن زيد أبا قلابة الجَرْمي. قال: فما ذهبت الأيام والليالي حتى قدِم علينا أبو قلابة»(٢).

رحم الله مسلم بن يسار فما يعرف الفضل لأهل الفضل إلَّا أولو الفضل.

إنصاف إسحاق بن راهوية لأبي عُبَيْد القاسم بن سلاَّم:

□ قال إمام وقته وحافظ عصره إسحاق بن راهوية عن أبي عبيد القاسم بن سلاَّم صاحب التصانيف التي سارت بذكرها الرُّكبان: «الحقُّ يحبه الله عَزَّوَجَلَّ: أبو عُبيد القاسم بن سلاَّم أفقه مني وأعلم مني»(٣).

□ رحم الله ابن راهوية ما أنصفه، قال أبو العبّاس ثَعلب: «لو كان أبو عبيد في بني إسرائيل، لكان عَجبًا»(٤).

إنصاف الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

□ عن عبد الله بن محمد الورّاق قال: «كنتُ في مجلس أحمد بن حنبل،

---

(١) «نزهة الفضلاء» (١/ ٣٤١- ٣٤٢).

(٢) «نزهة الفضلاء» (١/ ٤٢١).

(٣) انظر ترجمته في «السير» (١٠/ ٤٩٠- ٥٠٩)، «نزهة الفضلاء» (٢/ ٧٧٥).

(٤) المصدر السابق

فقال: من أين أقبلتم؟ قلنا: من مجلس أبي كريب، فقال: اكتبوا عنه، فإنه شيخ صالح، فقلنا: إنه يطعَنُ عليك. قال: فأيُّ شيءٍ حيلتي، شيخٌ صالحٌ قد بُلِي بي»[١].

إنصافُ أبي عبيد القاسم بن سلّام لإسحاق الموصلي:

▢ ذكر الذهبي في ترجمة أبي عبيد في «سير أعلام النبلاء» أن أبا عُبيد: «انصرف يومًا من الصلاة، فمرَّ بدار إسحاق المَوْصلي، فقالوا له: يا أبا عبيد، صاحب هذه الدار يقول: إن في كتابك «غريب المصنَّف» ألف حرف خطأ. فقال: كتابٌ فيه أكثر من مئة ألف يقع فيه ألف ليس بكثير، ولعلّ إسحاق عنده رواية وعندنا رواية، فلم يعلم، فخطَّأَنا، والروايتان صواب، ولعلَّه أخطأ في حروف، وأخطأنا في حروف، فيبقى الخطأ يسيرًا»[٢].

إنصاف الحافظ ابن كثير لعالم شيعي:

▢ انظر إلى إنصاف حافظ عصره الإمام ابن كثير لابن المطهر الحلي الرافضي عندما ترجم له..

قال في «البداية» (١٤/ ١٢٥): «أبو منصور حسن بن يوسف بن مطهر الحلي العراقي الشيعي شيخ الروافض بتلك النواحي»، ثم قال: «.. ابن المطهر الذي لم تطهر خلائقه ولم يتطهر من دنس الرفض. ولكنه مع

---

(١) انظر ترجمة الإمام أحمد في «السير» (١/ ١٧٧- ٣٥٨)، و«نزهة الفضلاء» (٢/ ٨٣٥).

(٢) «السير» (١٠/ ٤٩٠- ٥٠٩)، «نزهة الفضلاء» (٢/ ٧٧٦).

ذلك لم يمنعه بغضه له لبدعته من أن يحكم على تصانيفه بالعدل فيحق ما فيها من حق ويبطل ما فيها من باطل. فقال: «وله كتاب منهاج الاستقامة في إثبات الإمامة، خبط فيه المعقول والمنقول، ولم يدر كيف يتوجه، إذ خرج عن الاستقامة. وقد انتدب في الرد عليه الشيخ الإمام العلامة شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس ابن تيمية في مجلدات أتى فيها بما يبهر العقول من الأشياء المليحة الحسنة، وهو كتاب حافل) وهو المسمى بـ«منهاج السنة». ولكن ابن كثير عندما كان لابن المظهر مصنف له فيه أشياء جيدة أثنى على منفه هذا مع ما يعلمه عنه وعن اعتقاده فقال: «ورأيت له مجلدين في أصول الفقه على طريقة المحصول والأحكام، فلا بأس بها فإنها مشتملة على نقل كثير وتوجيه جيد»(١). هكذا يكون الإنصاف فأين هذا من متعالمة اليوم!!.

الإمام الذهبي إمام الجرح والتعديل رمز عالي للمنصفين، وحجة على الذين لا يفقهون فقه الخلاف ولا يروْن إلا أنفسهم:

□ الإمام الذهبي الجبل العالي، والحافظ الغالي إمام عظيم من أئمة الجرح والتعديل وزهرة فوّاحة العبير من بستان شيخ الإسلام ابن تيمية المصنف لخصومه وهو صاحب أدب رفيع في نقد الناس، وهو حجة على الذين لا يروْن إلا أنفسهم، وينظرون في ذنوب الناس كأنهم آلهة، ولهم حظ وافر من قسوة القلب تظهر في أقولهم، حصروا الخير فيهم وفيمن والاهم وكان من شيعتهم، ونظروا إلى المخالف أنه حَاطب ليلٍ وليس

---

(١) «البداية والنهاية» (١٤/ ١٢٥).

على هدى السلف وطريقة السلف، وزعموا السلفية حكْرٌ عليم وهم والله المتعالون.

وقفة نصح وبيان حق قبل الدخول في عالم الذهبي:

نقف وقفة من بعض طلبة العلم الذين يطعنون في بعض الدعاة والعلماء وهم والله ما علموا فقه الاختلاف، وأن منه اختلاف التنوع و«أنه من مقتضيات الرحمة ومظاهرها، وأنه لا بد من استثماره لتحقيق التكامل بين المسلمين، ولابد من أجل ذلك أن نتجنب ترك الواجبات العينية الأخرى، وتحقير العلوم والأعمال الصالحة التي تقوم بها الاتجاهات الإسلامية الأخرى، والتعصب على اسم أو عمل معين، بل لابد أن يكون الولاء على المنهج الإسلامي الصافي النقي، منهج أهل السنة بشموله وتوازنه ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [المائدة]، ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة][(١)].

ومنه اختلاف التضاد..

ومنه الاختلاف السائغ غير المذموم، واختلاف غير سائغ مذموم، وأنه يشرع الإنكار في مسائل الخلاف غير السائغ.

---

(١) «فقه الخلاف بين المسلمين» للدكتور ياسر برهامي (ص٣٢)- ط دار الخلفاء الراشدين- الطبعة الأولى.

والموقف من العلماء الذين قالوا ببعض البدع أو بالأقوال الباطلة أن أهل السُّنَّة لا يختلفون في عدم ذم من اجتهد فأخطأ -كائنًا ما كان خطؤه- ممن هو معروف بالخير والصلاح ولهم في الأمة الذكر الجميل والثناء الحسن، ولا يستوي عندهم من قضى عمره في العلم النافع والعمل الصالح والدعوة إلى الحق ونصره السنة وأهلها وبذل النفوس والأوقات والأموال في سبيل الله، وتحمُّل المشاق في سبيل الله، لا يستوي هؤلاء ومن قضى عمره في الصدِّ عن سبيل الله ومحاربة السُّنَّة ونشر البدعة والانتداب لنصرة الباطل والتعصب المقوت عليه كالجهم بن صفوان والجعد بن درهم وبشر المريسي وغيلان القدري، فهؤلاء عُرِفوا بالبدعة وكونهم من رؤوسها ودُعاتها، ولم يكن لهم في العلم حظ ونصيب، بل ما حصَّلوا منه ما يؤهلهم لكونهم طُلَّابه، لذا كان وقوعهم في البدعة من جرّاء تقصيرهم، ولمَّا ناظرهم العلماء وبيَّنوا لهم الحق كان الإعراض من فِعلهم بسبب تَرَؤُّسهم بغير استحقاق، وتصدُّرهم بغير تأهيل، فكيف يستوون مع من كانت جلُّ أقوالهم مطابقة للحق؟ فنقول في حق هؤلاء العلماء: «إذا بَلَغَ الماءُ قُلَّتيْن لم يحمل الخَبَثَ، ولا يعني ذلك أن نصحح الأقوال الباطلة، أو نسكتَ عن البدع المخالفة للحق، بل كما قال الإمام ابن القيم في حقِّ شيخه الهروي: «وشيخ الإسلام حبيب إلى نفوسنا، ولكن الحق أحب إلينا منه»، فلابدَّ من النظرة المتوازنة التي ترى الحسنات والسيئات معًا، وتزن كل الأقوال بميزان الشريعة، وتزن أصحابها بما عندهم من

الخير والشَّر معًا»(١).

□ وقد سبق قول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأهل السُّنَّة متَّفقون على أن المعروفين الخير كالصحابة المعروفين وغيرهم من أهل الجمل وصِفِّين من الجانبين لا يُفَسَّقَ أحدٌ منهم فضلًا عن أن يُكفَّر»(٢).

□ وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأيضًا فإن السلف أخطأ كثير منهم في كثير من هذه المسائل واتفقوا على عدم التكفير بذلك مثل ما أنكر بعض الصحابة أن يكون الميت يسمع نداء الحي، وأنكر بعضهم أن يكون المعراج يقظة، وأنكر بعضهم رؤية محمد ربه، ولبعضهم في الخلافة والتفضيل كلام معروف، وكذلك لبعضهم في قتال بعض ولعن بعضٍ وإطلاق تكفير بعض أقوال معروفة، وكان القاضي شريح يُنكِر قراءة مَن قرأ ﴿بل عَجِبْتُ﴾ ويقول: إن الله لا يعجب، فبلغ ذلك إبراهيم النخعي فقال: إنما شُرَيْحا شاعرٌ يعجبه كلمه -أو علمه-، كان عبد الله أفقه منه وكان يقول: ﴿بل عَجِبتُ﴾ [الصافات: ١٢].

فهذا قد أنكرَ قراءة ثابتة وأنكر صفة دلَّ عليها الكتاب والسنَّة، واتفقت الأمة على أنه إمام من الأئمة.

وكذلك أنكر بعض السلف بعضَ حروف القرآن مثل إنكار بعضهم قوله: ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الرعد: ٣١]، وقال: إنما هي: ﴿أو لم يتيقن الذين آمنوا﴾، وإنكار الآخر قراءة قوله: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ

---

(١) نعم: لله در الشيخ ياسر برهامي، فليس من قَصَد الحقَّ فأخطأه كمن تعمَّد قصد الباطل.

(٢) «مجموع الفتاوىٰ» (١٢/ ٤٩٥).

﴿إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقال: إنما هي ﴿ووصى ربك﴾، وبعضهم كان حذف المعوذتين، وآخر يكتب سور القنوت وهذا خطأ معلوم بالإجماع والنقل المتواتر، ومع هذا فلما لم يكن قد تواتر النقل عندهم بذلك لم يكفِّروا وإن كان يُكفر بذلك من قامت عليه الحجة بالنقل المتواتر»(١) اهـ.

فها هو شريح ينكر صفة من صفات الله ويجمع أهل العلم على إمامته، فلا يُبدع ولا يُفسق ولا يُكفر، وإنكار كتابة المعوذتين في المصحف مشهور عن ابن مسعود ﷺ، ولا خلاف في عدالة الصحابة أجمعين، ولا يجرؤ على اتهام مثل ابن مسعود وابن عباس بشيء إلَّا ضال مجرم رغم الجزم والقطع بخطأ القول المنسوب إليهم، بل قد يصل الأمر إلى ما هو أشد من ذلك فإنه من ينكر اليوم: ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾، ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] فإنه يكفر لتواتر النقل بها في هذه الأعصار وصارت معلومة من الدين بالضرورة.

ومن هنا فإن موقفنا من العلماء أمثال النووي وابن حجر وغيرهما ممن قال بالتأويل هو موقفنا من ابن القيم في الانتصار للقول بفناء النار، وهو نفس الموقف من شيخ الإسلام ابن تيمية في القول بحوادث لا أول لها (عند من يفسرها بمخلوقات لا أول لها)، وهو نفس الموقف تجاه علماء السلف الأفاضل الذين وقعت منهم هذه الزلات: نعرف لهم فضلهم ومنزلتهم، ونترحم ونترضى عنهم للخير العظيم الذي اشتهروا به وعاشوا وماتوا عليه، ونعرف خطأ هذه الأقوال وبدعيتها دون أن يستلزم

---

(١) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (١٢/ ٤٩٢- ٤٩٣).

ذلك تبديع المعين.

فالمسألة في حقهم لم تكن ظاهرة، فضلًا أن يكون متواترة أم معلوم من الدين بالضرورة، بل ظنوا أن لأهل السنة قولين رجحوا ما ظهر لهم ولم يطلعوا على النص أو الإجماع، وهذا الموقف هو الذي ندين لله به نحو العلماء المعاصرين الأفاضل الأجلاء الذين قالوا بأقوال ذكرناها ضمن الخلاف غير السائغ مما قد يستغربه البعض ويقول كيف لا يكون سائغًا وقد قال به فلان وفلان.

وقد بيَّنَّا من قبلُ أن الضابط هو مخالفة النص أو الإجماع، فإذا أثبتنا ذلك لم يكن لأحد أن يقول: كيف وفلان يخالف، ومع ذلك نعرف حرمة هؤلاء العلماء، وفضلهم، ولا نبيح لأحد أن يتجرأ عليهم أو يقدح فيهم كما يفعل بعض من لا يفقه ولا يعرف أدب أهل العلم في الاختلاف.

فعلى سبيل المثال لا يُعَدُّ عَدُّنا مسألة الذهب المحَلق خلافًا غير سائغٍ قدحًا في الشيخ الألباني، ولا مسألة إنكار العذر بعدم البلاغ في مسائل الأصول والعقائد.. خلافًا لأهل السنة قدحًا في بعض علماء الدعوة الوهابية، وغير ذلك من الأمثلة التي حين يصدر مثلها عن غيرهم ممن ليسوا من أهل العلم والالتزام بالسنة تجد منا الإنكار والتعنيف والتبديع مراعاة لما ذكرناه من طريقة أهل السنة التي سبق بيانها»[١].

من بستان الذهبي نقطف الأزاهير، ونتعلَّم الإنصاف:

إنصاف الذهبي لعلماء الإسلام وأعلام النبلاء وأدبه مضرب المثل

---

(١) «فقه الخلاف» (ص١٣٩ - ١٤٤).

وحجّة على من لم يلتزم أدب السلف في الإنصاف، والله إن كلماته وعباراته كفيلة بعودة من يريد الله والدار الآخرة ويلتزم هديْ السلف ومنهجهم حقيقةً لا إدعاءً.

وأقف بك وقفة طويلة فذكر إنصاف الذهبي يحتاج إلى مجلد كامل، وأحيلك على أماكن ذلك من كتابه الجميل «سير أعلام النبلاء» وتلخيصه «نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء»:

في ترجمة الأسود بن يزيد النخعي»[١].

□ عن الحكم أن الأسود كان يصوم الدهر –هذا صحيح عنه- وكأنّه لم يَبْلُغُه النَّهْي عن ذلك أو تأول»[٢].

□ في ترجمة «شهر بن حوشب»[٣] نعته بأنه من كبار علماء التابعين.

وعما قيل عن شهر أنه أخذ خريط من بيت المال فيها دراهم.

□ قال الذهبي: «إسنادها منقطع، ولعلّها وقعت، وتاب منها، أو أخذها متأوِّلًا أن له في بيت مال المسلمين حقًّا، نسأل الله الصَّفح». ثم قال: قال يعقوب بن شيبة: شهر ثقة، طعن فيهم بعضهم، قال الذهبي: «الرجل غير مدفوع عن صِدق وعلم، والاحتجاج به مُتَرَجِّح»[٤].

□ وفي ترجمة أبي جعفر الباقر [٥] قال: «ولقد كان أبو جعفر إمامًا،

---

(١) «السير» (٤/ ٥٠- ٥٣).
(٢) «نزهة الفضلاء» (١/ ٣٣٠).
(٣) «السير» (٤/ ٣٧٢- ٣٧٣).
(٤) «نزهة الفضلاء» (١/ ٤٠١).
(٥) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٤٠١- ٤٠٩).

مجتهدًا تاليًا لكتابْ الله، كبير الشأن ولكن لا يبلغ في القرآن درجة ابن كثير ونحوه، ولا في الفقه درجة أبي الزناد، وربيعة، ولا في الحفظ ومعرفة السنن درجة قتادة ابن شهاب، فلا نُحابيه، ولا نحيفُ عليه. ونحبُّه في الله لما تجمَّع فيه من صفات الكمال.

□ قال ابن فضيل: «عن سالم بن أبي حفصة: سألت أبا جعفر وابنه جعفرًا عن أبي بكر وعُمَر، فقالا لي: «يا سالم، تولَّهما وابرأ من عدوِّها، فإنهما كانا إِماميْ هديً».

كان سالم فيه تشيُّع ظاهر، ومع هذا فيبُثُّ هذا القول الحقَّ، وإنما يعرف الفضل لأهل الفضل ذو الفضل، وكذلك ناقِلُها ابنُ فضيل، شيعي ثقة، فعثَّر الله شيعة زمَاننا ما أغرقَهم في الجهل والكذب، فينالون من الشَّيخيْن وزيريْ المصطفى ﷺ ويحملون هذا القول من الباقر والصادق على التقية»[١].

□ وفي ترجمة مسلم بن يسار في «السير»[٢] نقل قول ابن عون: «لمَّا وقعت الفتنة زمن ابن الأشعث، خفَّ مسلم فيها، وأبطأ الحسن فارتفع الحسن، واتَّضع مسلم».

□ قال الذهبي: «إنما يُعتبرَ ذلك في الآخرة، فقد يرتفعان معًا»[٣].

□ وقد مرّ بك إنصافه لقدوة المفسرين قتادة بعد أن قال عنه: «وكان يرى القدر»، قال بعدها مباشرة: «نسأل الله العفو. ومع هذا فما توقّف

(١) «نزهة الفضلاء» (١/ ٤٠٩- ٤١٠).
(٢) «السير» (٤/ ٥١٠- ٥١٤).
(٣) «نزهة الفضلاء» (١/ ٤٣٥).

أحد في صدقه، وعدالته، وحفظه، ولعلَّ الله يعذُرُ أمثاله ممَّن تلبَّس ببدعة يُريد بها تعظيم الباري وتنزيهه، وبذل وسعه، والله حكم عدل لطيف بعباده، ولا يسأل عما يفعل، ثم إن الكبير من أئمة العلم إذا كَثُرَ صوابه، وعُلَم تحرِّيه للحقِّ، واتَّسع علمه، وظهر ذكاؤه، عُرِف صلاحه وورعه واتباعه، يُغفر له زلله، ولا زلله ونطرحه، وننسى محاسنه. نعم ولا نقتدي به في بدعته وخطئه ونرجو له التوبة من ذلك»[1].

وهذا والله كلام أرقُّ من نسيم الفجر، وأعطر من شذا الورود وأطيب من المسك.

- وانظر إلى إنصاف الذهبي لمالك إمام دار الهجرة في ترجمة ابن أبي ذئب في «السير»[2].

- قال الذهبي: «قال أحمد بن حنبل: بلغ ابن أبي ذئب أن مالكًا لم يأخذ بحديث: «**البَيِّعان بالخِيار**»، فقال: يستتاب، فإن تاب وإلَّا ضُربت عنقُه. ثم قال أحمد: هو أورع وأقْوَل بالحق من مالك.

قلت: لو كانَ وَرِعًا كما ينبغي، لما قال هذا الكلام القبيح في حقِّ إمام عظيم. فما لك إنما لم يعمل بظاهر الحديث؛ لأنه رآه منسوخًا.

وقيل: عمل به وحَمَل قوله: «حتى يتفرَّقا» على التلفُّظ بالإيجاب والقَبول، فما لكٌ في هذا الحديث، وفي كُلِّ حديث له أجرٌ ولا بُدَّ، فإن أصاب، ازداد أجرًا آخر، وإنما يرى السيف عَلَى من أخطأ الحروريَّة[3].

---

(١) «نزهة الفضلاء» (١/ ٤٨٩)، وانظر: «سير أعلام النبلاء» (٥/ ٢٦٩- ٢٨٣).

(٢) «السير» (٧/ ١٣٩- ١٤٩).

(٣) هم الخوارج: نسبتهم: إلى حروراء بالكوفة.

وبكل حال فكلامُ الأقران بعضهم في بعض لا يُعَوَّل على كثير منه، فلا نقصت جلالة مالك بقول ابن أبي ذئب فيه، ولا ضَعَّف العلماء ابن أبي ذئب بمقالته هذه، بل هما عالِمَا المدينة في زمانهما رضي الله عنهما ولم يسندها الإمام أحمد فلعلَّها لم تَصِحّ»[(١)].

▫ وفي ترجمة سفيان الثوري في «سير أعلام النبلاء»[(٢)] قال الذهبي: «قال ضمرة: سمعت مالكًا يقول: إنما كانت العراق تَجيش علينا بالدراهم والثياب، ثم صارت تجيش علينا بسفيان الثوري، وكان سفيان يقول: مالِكٌ ليس حفظ.

قلت: هذا يقوله سفيان لقوة حافظته بكثرة حديثه ورحلته إلى الآفاق، وأما مالك، فله إتقان وفقْه، لا يُدْرَك شأوه فيه، وله حفظ تام، فرضي الله عنهما»[(٣)].

إنصاف الشافعي ومحمد بن الحسن الشيباني، والذهبي لمالك:

▫ قال الذهبي في ترجمة مالك [(٤)]: «ابن الحكم: سمعت الشافعي يقول: قال محمد: أيهما أعلمُ صاحبُنا أم صاحبكُم؟ يعني أبا حنيفة ومالكًا. قلتُ: على الإنصاف؟ قال: نعم. قلت: أنشدُكَ الله: مَن أعلمُ بالقرآن؟ قال: صاحبكم. قلت: مَنْ أعلمُ بالسُّنَّة؟ قال: صاحبكم. قلتُ: مَن أعلم بأقاويل الصحابة والمتقدِّمين؟ قال: صاحبكم. قلت: فلم يبق إلَّا القياس،

---

(١) «نزهة الفضلاء» (١/ ٥٧٤).

(٢) «السير» (٧/ ٢٢٩ - ٢٧٩).

(٣) «نزهة الفضلاء» (١/ ٥٨٧).

(٤) «السير» (٨/ ٤٨ - ١٣٥).

والقياس لا يكون إلَّا على هذه الأشياء، فمن لم يعرف الأصول، على أي شيء يقيس؟

قلت: وعلى الإنصاف، لو قال قائل: بل هُما سواء في علم الكتاب، والأول أعلم بالقياس، والثاني: أعلمُ بالسُّنَّة، وعنده علم جمٌّ من أقوال كثير من الصحابة، كما أن الأوّل أعلمُ بأقاويل عليٍّ، وابن مسعود وطائفة ممن كان بالكوفة من أصحاب رسول الله ﷺ، فرضي الله عن الإمامَيْن، فقد صِرْنا في وقت لا يَقْدِر الشخص على النُّطق بالإنصاف، نسألُ الله السلامة»[١].

إنصاف الذهبي لرابعة العدويّة:

□ ترجم لها الذهبي في «سير أعلام النبلاء»[٢] ووصفها بأنها «الزاهدة، العابدة، الخاشعة» ثم قال: قال أبو سعيد بن الأعرابي: أما رابعة، فقد حَمل الناس عنها حكمة كثيرة، وحكى عنها سفيان وشعبة وغيرهما ما يدلُّ على بُطلان ما قيل عنها، وقد تمثلته بهذا:

ولقد جعلتُك في الفؤاد مُحَدِّثي وأبحتُ جسمِي من أراد جلوسي

فنسبها بعضُهم إلى الحلول بنصف البيت، وإلى الإباحة بتمامه.

قلتُ: فهذا غُلوٌّ وجهل، ولعلَّ مَن نسبها إلى ذلك مُباحيٌّ حلولي ليحتج بها على كفره كاحتجاجهم بخير: «كنتُ سمعَه الذي يسمع به»[٣].

---

(١) «نزهة الفضلاء» (٢/ ٦٢٤).
(٢) «السير» (٨/ ٢٤١- ٢٤٣).
(٣) «نزهة الفضلاء» (٢/ ٦٣٥).

إنصاف الذهبي للفضيل بن عياض:

□ ترجم له الذهبي في كتابه القيم: «سير أعلام النبلاء»[١] ونعته بأنه «الإمام القدوة الثَّبْتُ، شيخ الإسلام أبو علي».

وفي ترجمه ابنه علي بن الفضيل، قال الذهبي عن الفُضَيْل: «وهو حجَّة كبير القدر، ولا عِبرة بما نقله أحمد بن أبي خَيْثمة، سمعتُ قُطبة ابن العلاء يقول: تركت حديث فُضَيْل بن عياض؛ لأنه روى أحاديث أزرى على عثمان بن عفان.

قلت: فلا نسمعُ قول قطبة، ليته اشتغل بحاله، فقد قال البخاري فيه نظر، وقال النسائي وغيره: ضعيف. وأيضًا فالرَّجل صاحب سُنَّة واتِّباع.

□ قال أحمد بن أبي خيثمة: «حدثنا عبد الصمد بن يزيد الصائغ، قال: ذُكِر عند الفضيْل –وأنا أسمعُ– الصحابة، فقال: اتَّبعُوا فقد كُفِيتم: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم.

قلتُ: إذا كان مثل كبراء السابقين الأوَّلين قد تكلَّم فيهم الروافض والخوارج، ومثلُ الفضيل يُتكلَّم فيه، فمن الذي يسلمُ مِن ألسنة الناس، لكن إذا ثبتت إمامة الرجل وفضله، لم يَضُرَّه ما قيل فيه، وإنما الكلام في العلماء مفتَقِر إلى وزنٍ بالعدل والورع.

□ وأما قولُ ابن مهدي: «لم يكن بالحافظ، فمعناه: لم يكن في علم الحديث كهؤلاء الحُفَّاظ البحور، كشعبة، ومالك، وسفيان، وحمّاد، وابن المبارك ونظرائهم، لكنه ثبتٌ قيِّم بما نقل، ما أُخِذ عليه في حديث فيما

---

(١) «السير» (٨/ ٤٢١- ٤٤٢).

علمت. وهل يُرادُ من العلم إلَّا ما انتهى إليه الفضيل رحمة الله عليه»[١].

أمثلة كثيرة لإنصاف الذهبي لجمع من العلماء:

نذكر منها إنصافه لإسماعيل بن علية[٢]، ومحمد بن فضيل الضَّبِّيِّ[٣].

-إنصاف الذهبي لعبد الرزاق الصنعاني[٤].

- إنصاف الذهبي للشافعي.

□ وذكر الذهبي في ترجمة الشافعي في «السير»[٥] أنه «قيل للإمام أحمد: يا أبا عبد الله، كان يحيى وأبو عُبيد لا يرضيانه -يُشير إلى التشيُّع وأنهما نسباه إلى ذلك- فقال أحمد بن حنبل: ما ندري ما يقولان، والله ما رأينا منه إلَّا خيرًا».

قلتُ: «من زعم أن الشافعي يتشيَّعُ، لا يدري ما يقول».

□ الربيع بن سليمان قال: «حججنا مع الشافعي، فما ارتقى شرفًا ولا هبط واديًا إلَّا وهو يبكي، وينشدُ:

يا راكبًا قِفْ بالمُحَصَّبِ مِن مِني ... واهتف بقاعدِ خَيفنا والنَّاهِضِ

سَحَرًا إذا فاض الحجيج إلى مِنى ... فيضًا كمُلتَطِمِ الفُراتِ الفائضِ

إن كان رفضًا حُبُّ آلِ محمَّدٍ ... فَلْيَشْهَدِ الثَّقلان أني رافضي

(١) «نزهة الفضلاء» (٢/ ٦٦٩- ٦٧٠).

(٢) المصدر السابق (٢/ ٦٩١، ٦٩٢).

(٣) المصدر السابق (٢/ ٧٠٢، ٧٠٣).

(٤) المصدر السابق (٢/ ٧٢٧، ٧٢٨).

(٥) «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٥- ٩٩).

قلت: لو كان شيعيًّا -وحاشاه من ذلك- لما قال: «الخلفاء الراشدون خمسة، بدأ بالصِّدِّيق، وختم بعمر بن عبد العزيز»(١).

وللخبر تتمّة في غاية النفاسة عند البيهقي، وهي: «ثم قال أحمد لمن حوله: اعلموا رحمكم الله تعالى أن الرجل من أهل العلم إذا منحه الله شيئًا من العلم وحُرِمَه قرناؤه وأشكالُه، حسدوه فرموه بما ليس فيه، وبئست الخصلة في أهل العلم».

- إنصاف الذهبي لزكريا بن عدي (٢).
- إنصاف الذهبي لعلي بن الجعد (٣).
- إنصاف الذهبي لأبي نصر التَّمَّار (٤).

إنصاف الذهبي ليحيى بن معين:

شدَّدَ الذهبي النَّكير على العقيلي لإيراده علي بن المديني في كتابه الضعفاء، فقال في «ميزان الاعتدال»(٥): «وقد بدت منه هفوة ثم تاب منها، وهذا أبو عبد الله البخاري -وناهيك به- قد شحن صحيحه بحديث علي بن المديني، ولو تركت حديث علي وصاحبه محمد، وشيخه عبد الرزاق وعثمان بن أبي شيبة.. لغلقنا الباب وانقطع الخطاب، ولماتت الآثار، واستولت الزنادقة، ولخرج الدجّال. أفما لك عقل يا عقيلي؟!

---

(١) «نزهة الفضلاء» (٢/ ٧٣٨- ٧٣٩).
(٢) المصدر السابق (٢/ ٧٧٠).
(٣) المصدر السابق (٢/ ٧٧٢).
(٤) المصدر السابق (٢/ ٧٨٢).
(٥) «ميزان الاعتدال» (٣/ ١٤٠، ١٤١).

أتدري فيمن تتكلم؟ وإنما اتبعناك في ذكر هذا النَّمَط لنذُبَّ عنهم، ولنُزَيِّف ما قيل فيهم.. كأنك لا تدري أن كل واحدٍ من هؤلاء أوثق منك بطبقات، بل وأوثق من ثقاتٍ كثيرين لم تُوردهم في كتابك، فهذا مما لا يرتاب فيه محدث».

□ وفي ترجمته ليحيى بن معين في «السير» ذكر الذهبي قول أبي زرعة الرازي: «كان أحمد بن حنبل لا يرى الكتابة عن أبي نصر التمَّار، ولا عن يحيى بن معين، ولا عن أحد مم امتُحِن فأجاب».

□ قال الذهبي: «هذا أمر ضيِّق، ولا حرج على من أجاب في المحنة، بل ولا على من أُكرِه على صريح الكفر عملًا بالآية».

وهذا هو الحق. وكان يحيى رَحِمَهُ اللَّهُ من أئمة السُّنَّة، فخاف من سطوة الدولة، وأجاب تقية»[١].

- إنصاف الذهبي لشعبة [٢].

إنصاف الذهبي لأحمد بن أبي دُوَاد:

وصفه الذهبي في «السير» بأنه «القاضي الكبير.. الجهمي، عدو أحمد ابن حنبل. كان داعية إلى خلق القرآن، وله كرم وسخاء وأدب وافر ومكارم.. ولم يُضَف إلى كرمه كرمه.. وقد كان ابن أبي دؤاد يوم المحنة إِلْبًا على الإمام أحمد، يقول: يا أمير المؤمنين، اقتله، فهو ضَالٌّ مُضِلّ»[٣]،

---

(١) «نزهة الفضلاء» (٢/ ٧٩٩- ٨٠٠).

(٢) المصدر السابق (٢/ ٨٠٢).

(٣) المصدر السابق (٢/ ٨٠٨، ٨٠٩).

ويكفي هذا لترى مدى إنصاف أهل السُّنَّة الذي بلغ الذروة عند الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ فهو يذكر بعض محاسن الرجل وقد كان رأس الضلالة وسبب محنة أهل السنة.

إنصاف الذهبي لابن كُلاّب:

□ ذكره الذهبي في «سير أعلام النبلاء»[١]، ونعته بأنه «رأس المتكلمين بالبصرة في زمانه.. صاحب التصانيف في الرَّدِّ على المعتزلة، وربما وافقهم.. وكان يرد على الجهمية.

□ وقال بعض من لا يعلم: «إنه ابتدع ما ابتدعه ليَدُسَّ دين النصارى في مِلَّتنا، وأنه أرضى أخته بذلك، وهذا باطل، والرجل أقرب المتكلمين إلى السُّنَّة، بل هو في مناظريهم»[٢].

✍ ثم انظر:

إنصاف الذهبي لأحمد بن أبي الحواري:

□ ذكره الذهبي في ترجمته في «السير»[٣] بأنه «الإمام الحافظ القدوة، شيخ أهل الشام الزاهد، أحد الأعلام.

□ قال الذهبي: «قال أحمد السُّلمي في «محن الصوفية» أحمدُ بن أبي الحواري شهد عليه قوم أنه يُفضِّل الأولياء على الأنبياء، وبذلوا الخطوط عليه».

قلتُ: إن صَحَّت الحكاية فهذا من كذبهم على أحمد، وهو كان أعلم

---

(١) «السير» (١١/ ١٧٤- ١٧٦).

(٢) «نزهة الفضلاء» (٢/ ٨١٠).

(٣) «السير» (١٢/ ٨٥- ٩٤).

بالله من أن يقول ذلك»[١].

- إنصاف الذهبي للزبير بن بكَّار[٢].
- إنصافه للبخاري[٣].
- إنصاف الذهبي لداود الظاهري[٤].
- إنصافه لابن أبي داود[٥].
- إنصافه لابن قتيبة[٦].
- إنصافه لمحمد بن نصر المروزي[٧].
- إنصافه لشيخ المفسِّرين محمد بن جرير الطبري[٨].

إنصافه لإمام الأئمة ابن خزيْمة[٩]:

□ ذكر في «السير»[١٠] ووصفه بأنه «الحافظ الحجة الفقية، شيخ الإسلام إمام الأئمة.. صاحب التصانيف». ثم قال بعد ذلك:

«ولابن خزيمة عظمة في النفوس، وجلالة في القلوب لعلمه ودينه واتباعه للسنة. وكتابه في «التوحيد» مجلد كبير، وقد تأوَّل في ذلك حديث

---

(١) «نزهة الفضلاء» (٢/ ٨٧٦).
(٢) المصدر السابق (٢/ ٨٩٢).
(٣) المصدر السابق (٢/ ٩٠٧).
(٤) المصدر السابق (٢/ ٩٤٦- ٩٤٨).
(٥) «نزهة الفضلاء» (٢/ ٦٩١- ٦٩٢).
(٦) المصدر السابق (٢/ ٩٧٦).
(٧) المصدر السابق (٢/ ١٠١٥).
(٨) المصدر السابق (٢/ ١٠٤٠).
(٩) المصدر السابق (٢/ ١٠٥٠)
(١٠) «السير» (١/ ٣٦٥- ٣٨٢).

الصورة. فليحْذَر من تأوّل بعض الصفات، وأما السلف، فما خاضوا في التأويل، بل آمنوا وكفُّوا، وفوَّضوا علم ذلك إلى الله ورسوله، ولو أن كُلَّ من اخطأ في اجتهاده، مع صحَّة إيمانِهِ، وتدخِّيه لاتباع الحق- أهدرناه وبدَّعناه، لقلَّ من يَسْلَمَ من الأئمة معنا، رحم الله الجميع بمَنِّه وكَرَمِه»[١].

- إنصاف الذهبي لابن حبان[٢].
- إنصاف الذهبي للقفّال الشاشي[٣].
- إنصافه لابن بطّة[٤]، وإنصافه لعبد الغني بن سعيد الأزدي[٥].
- إنصافه للأهوازي[٦]، وللخطيب البغدادي[٧]، وللحيري[٨].

إنصافه لأبي حامد الغزالي:

□ قال عنه في ترجمته في «السير»[٩] الغزالي إمامٌ كبير، وما من شرط العالم أنه لا يُخطئ».

ثم أردف ذلك بتشنيع الطرُّطوشي له وذمُّه إياه وقوله عن الغزالي: «لقد كان أن ينسلخ من الدين، فلما عمل «الإحياء» عَمَد يتكلَّمُ في علوم

---

(١) «نزهة الفضلاء» (٢/ ١٠٥٠).
(٢) المصدر السابق (٢/ ١١٥٢).
(٣) المصدر السابق (٢/ ١١٧٨).
(٤) المصدر السابق (٣/ ١١٩٧، ١١٩٨).
(٥) المصدر السابق (٣/ ١٢٢٠، ١٢٢١).
(٦) المصدر السابق (٣/ ١٢٥٥).
(٧) المصدر السابق (٣/ ١٢٩٠).
(٨) المصدر السابق (٣/ ١٣١٣).
(٩) «سير أعلام النبلاء» (١٩/ ٣٢٢- ٣٤٦).

الأحوال، ومرامز الصوفية، وكان غير أنيسٍ بها، ولا خبير بمعرفتها، فسقط على أم رأسه، وشحن كتابه بالموضوعات».

قلت: «أما «الإحياء» ففيه من الأحاديث الباطلة جملة، وفيه خير كثير لولا ما فيه من آداب ورسوم وزهد من طرائق الحكماء ومنحرفي الصوفية»[(١)].

□ وكان الذهبي قد نعت الغزالي في صدر ترجمته له بأنه الشيخ الإمام البحر، حُجَّة الإسلام، أعجوبة الزمان»[(٢)].

□ وقال في آخر ترجمته: «رحم الله أبا حامد، فأين مثله في علومه وفضائله، ولكن لا ندّعي عصمته من الغلط والخطأ، ولا تقليد في الأصول»[(٣)].

□ إنصاف الذهبي لمحمد بن طاهر القيسراني[(٤)]، ولابن أبي كُدَيَّة[(٥)] القيرواني، وللقاضي أبي بكر بن العربي[(٦)]، وابن عبد البر، وابن الجوزي[(٧)]، وابن الأثير[(٨)]، والكندي شيخ القراءات[(٩)].

---

(١) «نزهة الفضلاء» (٣/ ١٣٥٨، ١٣٥٩).
(٢) «السير» (١٩/ ٣٢٢).
(٣) «السير» (١٩/ ٣٤٦).
(٤) «نزهة الفضلاء» (٣/ ١٣٦٢).
(٥) المصدر السابق (٣/ ١٣٦٩).
(٦) المصدر السابق (٣/ ١٤١٣).
(٧) المصدر السابق (١٣/ ١٥٠٧).
(٨) المصدر نفسه» (٣/ ١٥٢٤).
(٩) المصدر نفسه (٣/ ١٥٣٢).

□ ونختم بما قال الذهبي: «الإنصاف عزيز»[(١)].

✍ ونختم بإنصاف أئمة الجرح التعديل، وتجردهم حتى أنهم نقدوا ألصق الناس بهم. وأنصفوا دين الله والعلم من ذويهم وأحبُّ الناس إليهم.

□ قال الإمام السخاوي في «فتح المغيث»[(٢)]: «فعدلوا وجرحوا، ووهنوا وصححوا، ولم يحابوا أبا ولا ابنا، ولا أخًا»، بل ولا أنفسهم. وإليك الأمثلة على ذلك:

(أ) سئل علي بن المديني عن أبيه –عبد الله بن جعفر بن نجيح– فقال: أسألوا غيري. فقالوا: سألناك. فأطرق ثم رفع رأسه. وقال: هذا هو الدين، أبي: ضعيف»[(٣)]. «المجروحين لابن حبان».

(ب) قول زيد بن أبي أنيسة: لا تأخذوا عن أخي –يعني يحيى بن أبي أنيسة– كما في «مقدمة صحيح مسلم»[(٤)].

□ قول الذهبي في ابنه أبي هريرة عبد الرحمن: «إنه حفظ القرآن ثم تشاغل عنه حتى نسيه»[(٥)].

□ وقوله في أبي علي الحسن بن علي بن إبراهيم الأهوازي بعد أن حكى فيه اتهام ابن عساكر وغيره له: «لو حابيتُ أحدًا لحابيت أبا علي

---

(١) المصدر نفسه (٣/ ١٤١٤).

(٢) «فتح المغيث» (٣/ ٣٢٢).

(٣) «المجروحين» لابن حبان (٢/ ١٥).

(٤) «مقدمة صحيح مسلم» (ص٢٧).

(٥) «فتح المغيث» للسخاوي (٣/ ٣٢٢).

لمكان علو روايتي في القراءات عنه»[١].

أخي: اتق الله يا أخي، واذكر محاسن المسلمين وما عليهم، فذا هو الإنصاف، وأذكرك بقول الله ﷻ: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص: ٢٤].

فحذار من البغي وعدم الإنصاف.

هاهنا تُسكب العبرات أن ينصف كافر مسلم، ولا ينصف المسلم أخيه.

أذكرك بأن أبا سفيان قد اعترف بالحق، ولم يكذب على النبي ﷺ لما قاله له هرقل وسأله: «هل كنتم تتَّهمُونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال أبو سفيان: فقلتُ: لا»[٢]، وكان أبو سفيان في ذلك الوقت رأس المشركين وزعيم الكافرين.

□ وقول ابن الدغنة سيد القارة -وهو على الكفر لأبي بكر رضي الله عنه: «مثلك يا أبا بكر لا يخرجُ ولا يُخرَج، إنك تُكسب المعدوم، وتصل الرَّحِم، وتحمل الكَلَّ، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فأنا لك جار، ارجع واعبد ربك ببلدك»[٣].

فما أحوجنا لمثل إنصاف ابن الدغنة!!! آه ثم آهٍ ثم آه.

(١) «ميزان الاعتدال» للذهبي (١/ ٥١٣).
(٢) «فتح الباري» (٧) (١/ ٣٥).
(٣) رواه البخاري (٢٢٩٧)، (٣٩٠٥).

علو الهِمَّة

في

النصيحة والوَصاةُ والتَّوَاصِي

«الدين النصيحة»

حديث صحيح

علو الهِمَّة في النصيحة الوَصاةُ والتَّوَاصِي

اعلم يا أخي هدانا الله وإياك أن للنصيحة والتواصي المكانة السامية من دين الله ﷻ، وهي مخ الدين ولبابه، كيف لا، وقد قال رسول الله ﷺ: «**الدين النصيحة**»(١).

□ قال أبو زكريا النووي رحمه الله تعالى: «قالوا مدارُ الدِّين على أرْبَعةِ أحاديثَ، وأنا أقول بل مداره على حديث: «**الدين النصيحة**»»(٢).

□ وقال الشافعي في قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر] لو تدبَّر الناس هذه السورة لو سعتهم»(٣).

□ والنصيحة كما قال ابن الأثير: «كلمةٌ يُعَبَّرُ بها على جملةٍ، هي إرادةُ الخيرِ للمنصوح له وقال الراغب: النُّصْحُ: تحَرِّي فِعْل أو قولٍ فيه صلاحُ صاحبِهِ»(٤).

□ وقال في «الذريعة»: «النُّصْحُ: إخلاص المحبة للغير بإظهار ما فيه

(١) صحيح: رواه البخاري في «التاريخ» عن ثوبان واللفظ له، والبزار عن ابن عمر، ورواه أحمد، ومسلم، وأبو عوانة، وأبو داود، والنسائي، وابن نصر عن تميم، وأحمد، والنسائي، والترمذي، وابن نصر، وأبو نعيم عن أبي هريرة، وأحمد، والبخاري في «التاريخ»، والضياء عن ابن عباس وصحَّح الحديث بهذا اللفظ الألباني في «الإرواء» (٢٦)، و«صحيح الجامع» (٣٤١٧).

(٢) «بصائر ذوي التمييز» للفيروزأبادي (٥/ ٦٤).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٥٨٥).

(٤) «المفردات» (ص٤٩٤).

صلاحُهُ»[(١)].

«وهي كلمةٌ جامعةٌ تتضمَّنُ قيامَ الناصح للمنصوح له بُوجُوه الخير إرادة وفِعْلا، وتشمَلُ النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم»[(٢)].

□والوصية «يُرَادِ فيها الوَصَاة»: ما يقع به الزجر عن المنهيّات والحث على المأمورات، ويكون من المولى ﷻ، ومن الرسول ﷺ ومن صالحِ المسلمين، والمُوصَى به في هذا النوع يشملُ أمورًا كثيرًا منها: الوصية بكتاب الله تعالى، وبتقواه، والصبر على الطاعة وبرِّ الوالدين وإكرام الجار ونحو ذلك.

□ والتواصي: أن يوصيَ بعضُ الناس بعْضًا بالعمل بكتاب الله وبطاعته وبالانتهاء عما نَهَى الله عنه.

النَّصِيحَةُ وَالوَصِيَّةُ (الوَصَاة) وَالتَّوَاصِي:

«بين هذه الأمور الثلاثة تقارُبٌ في المعنى، فجميعها يُراعَى فيه إرادةُ الخير للمنصوح أو المُوصِي ودعاؤُهُ إلى ما فيه صلاحُهُ، بيد أَنَّ النَّصيحةَ يُرَاعَى فيها قَيْدُ الإخلاص وضدُّها الغشُّ، أَمَّا الوصيَّةُ فيُرَاعى فيها المحبَّةُ والتَّأْكِيدُ ومزيد الاهتمام، وكلاهما يقْتَضي طرفين أحدهما مُعْطٍ والآخر متلقٍّ فالمعطي هو النَّاصِحُ أو الموصي، أَمَّا المتلقِّي فهو المنصوح أو الموصى، أَمَّا في التَّواصي فإنَّ كلا الطرفين مُعْطٍ ومُتلقٍّ في آنٍ واحدٍ؛ لأَنَّهُ يوصي

(١)«الذريعة» للراغب (ص٢٩٥).
(٢)«جامع العلوم والحكم» (ص٧٦).

غيره ويوصيه غيره في حال حياتها»[(١)].

□ ولِعظِم النصيحة ومكانيها السامية من الدين كانت النصيحة من أهم وظائف المرسلين وشغلهم الشاغل.

* قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأعراف].

* وقال تعالى: ﴿۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الأعراف].

* وقال تعالى: ﴿فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأعراف].

* وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ

---

(١) «نضرة النعيم» (٨/ ٣٤٩٥).

كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأعراف].

ونفع النُّصْح مرهون بإرادة الله:

* قال تعالى: ﴿قَالُوا يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [هود].

* وعلى درب النبيين سار الربانيُّون الناصحين فهذا مؤمن آل يس ينصح قومه: قال تعالى: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ [يس].

* ومؤمن آل فرعون ينصح قومه: قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ

وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴿٣٣﴾ ﴾ [غافر].

آيات النصح فيها علامة إخلاص:

* قال تعالى: ﴿ لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرۡضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن سَبِيلٖۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٩١﴾ ﴾ [التوبة].

* وقال تعالى: ﴿ وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِۖ فَبَصُرَتۡ بِهِۦ عَن جُنُبٖ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَرَاضِعَ مِن قَبۡلُ فَقَالَتۡ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰٓ أَهۡلِ بَيۡتٖ يَكۡفُلُونَهُۥ لَكُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [القصص].

* وقال تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَجُلٞ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ فَٱخۡرُجۡ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [القصص].

* وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٨﴾ ﴾ [التحريم].

أحاديث عطرة من مشكاة النبوة:

• عن أبي رقيّة تميم بن أوس الدَّاريِّ رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إنَّ الدين النصيحةُ» -ثلاثًا-، قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله

ولأئمة المسلمين وعامَّتهم»[(١)].

• وقال رسول الله ﷺ: «إنما الدِّينُ النُّصْحُ»[(٢)].

• وقال رسول الله ﷺ: «دَعُوا الناسَ يُصيبُ بعضهم من بعْضٍ، فإذا اسْتَنْصَح أحدكم أخاه فَلْيَنْصَحه»[(٣)].

• وقال رسول الله ﷺ: «المستشار مؤتَمَنٌ»[(٤)] أي: أمين على ما استُشير فيه.

□ وحديث: «الدين النصيحة»، قال عنه الإمام أبو داود: «أنه أحد الأحاديث التي يدور عليها الفقه».

□ وقال الحافظ أبو نعيم: «هذا الحديث له شأن عظيم».

□ وذكر محمد بن أسلم الطوسي أنه أحد أرباع الدين[(٥)].

□ قال العلامة ابن رجب في كتاب الماتع «جامع العلوم والحكم»:

---

(١) رواه مسلم (٥٥)، وأحمد، وأبو داود، والنسائي عن تميم الداري، ورواه الترمذي، والنسائي عن أبي هريرة، ورواه أحمد عن ابن عباس.

(٢) صحيح: رواه أبو الشيخ في «التوبيخ» عن ابن عمر، وصححه الألباني في «الإرواء» (٢٦)، و«صحيح الجامع» (٢٣٢٤).

(٣) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير» عن أبي السائب (هو جد عطاء بن السائب) وكذا رواه أحمد والطحاوي، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٨٥٥)، و«صحيح الجامع» (٣٣٨٥).

(٤) رواه «أصحاب السنن الأربعة» عن أبي هريرة، والترمذي عن أم سلمة، وابن ماجه عن ابن مسعود، والبخاري في «الأدب»، والطحاوي والحاكم، والبيهقي في «الشعب» عن أبي هريرة، وأحمد، والدارمي وابن حبان عن أبي مسعود الأنصاري، وصحَّحه الألباني في «الصحيحة» (١٦٤١)، و«صحيح الجامع» (٦٧٠٠).

(٥) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (ص٧٣، ٧٤).

«وقد أخبر النبي ﷺ أن الدين النصيحة، فهذا يدلُّ على أن النصيحة تشمل خصال الإسلام والإيمان والإحسان التي ذُكِرَت في حديث جبريل عليه السلام، وسمَّى ذلك كله دينًا، فإن النصح لله يقتضي القيام بأداء واجباته على أكمل وجوهها وهو مقام الإحسان»[١].

• عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا نصح العبد لسيِّدِه وأحسن عبادة الله فَلَهُ أجْرُه مرَّتين**»[٢].

• عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «إنَّ رسول الله ﷺ مكث تِسْعَ سنين لم يحُجَّ..» -حديث صفة حجَّتِه ﷺ وفيه: «**وأنتم مسئولون عنِّي، فما أنتم قائلون؟**»، قالوا: نشهد أنَّكَ قد بلَّغْت وأدَّيْتَ ونصحت»[٣].

□ عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: «بايعت النَّبيَّ ﷺ عن إِقَامِ الصلاةِ، وإيتاءِ الزكاة، والنُّصْح لكلِّ مسلمٍ»[٤].

• عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّه قال: قال رسول الله ﷺ: «**حَقُّ المسلم على المسلم سِتٌّ**». قيل: ما هُنَّ يا رسول الله؟ قال: «**إذا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عليهِ، وإذا دَعاكَ فَأَجِبْهُ، وإذا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لهُ، وإذا عَطَسَ فَحَمِدَ الله فَسَمِّتْهُ**»[٥]،

(١) المصدر السابق.

(٢) رواه البخاري (٥/ ٢٥٥٠)، ومسلم (١٦٦٤) واللفظ له.

(٣) رواه أبو داود (١٩٠٥)، وابن ماجه (٣٠٧٤). وأصله في «صحيح مسلم» (١٢١٨).

(٤) رواه البخاري «الفتح» (٣/ ١٤٠١)، ومسلم (٥٦).

(٥) فَسَمِّتْهُ: تشميت العاطس أن يقول له: يرحمك الله، ويُقال بالسين المهملة والمعجمة لغتان مشهورتان.

وإذا مَرِضَ فَعُدْهُ، وإذا ماتَ فاتَّبِعْهُ»(١).

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ الكَسْبِ كَسْبُ يَدِ العَامِلِ إذا نَصَحَ»(٢).

• عن يزيد بن حكيم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «دَعُوا النَّاسَ يَرْزُقُ الله بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ، وإذا اسْتَشَارَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيَنْصَحْهُ»(٣).

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الرُّؤْيَا ثَلاثٌ: فَرُؤْيَا حَقٌّ، وَرُؤْيا يُحَدِّثُ بِهَا الرَّجُلُ نَفْسَهُ، وَرُؤْيَا تَحْزِينٌ مِنَ الشَّيْطَانِ. فَمَنْ رَأَى مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُمْ فَلْيُصَلِّ». وكان يقول: «يُعْجِبُنِي القَيْدُ وَأَكْرَهُ الغُلَّ. القَيْدُ ثَبَاتٌ فِي الدِّينِ». وكان يقولُ: «مَنْ رَآنِي فَإِنِّي أَنَا هُوَ، فَإِنَّهُ لَيْسَ للشيطان أن يتمثَّلَ بي»(٤).

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عُرِضَ عَلَيَّ أَوَّلُ ثَلاثَةٍ يَدْخُلُونَ الجنة شَهِيدٌ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ، وَعَبْدٌ أَحْسَنَ عِبَادَةَ ربه،

---

(١) رواه أحمد، والبخاري في «الأدب»، ومسلم (٢١٦٢) واللفظ له. وقوله: إذا مات فاتبعه: أيْ اتَّبع جنازته.

(٢) صحيح: رواه أحمد (٢/ ٣٣٤) حديث (٨٤٣٣)، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح، وكذا رواه أبو نعيم، وذكره السيوطي في «الجامع الصغير»، وأشار إلى حُسْنه، وحسّنه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٢٧٨).

(٣) «الإصابة» (٦/ ٣٣٩)، وأبو داود الطيالسي (ص١٨٥)، و«جامع المسانيد» برقم (٩٨٦١).

(٤) رواه الترمذي (٢٢٨٠)، وقال: هذا حديث حسن صحيح. وانظر: «جامع الأصول» (٢/ ٥١٥-٥١٨) والتعليق عليه.

ونَصَحَ لَموالِيهِ»(١).

• عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه أنَّه يوم مات المغيرة بن شُعْبَةَ رضي الله عنهما: قام فحمد الله وأثْنَى عليه، وقال: عليكُمْ باتِّقاءِ الله وحده لا شريكَ له والوقَارِ والسَّكِينَة، حتَّى يأتيكُمْ أميرٌ، -وكان المغيرةُ أميرًا عليهم- فَإنَّما يَأتيكم الآنَ. ثُمَّ قال: استغفروا لأميركُمْ، فَإِنَّهُ كان يُحِبُّ العفو. ثُمَّ قال: أمَّا بعد، فإنِّي أتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، قلتُ: أُبَايِعُكَ على الإسلام فشرطَ عليَّ «والنَّصْحِ(٢) لِكُلِّ مُسْلِمٍ» فبايعْتُهُ على ذلك، وربِّ هذا المسجدِ إنِّي لناصِحٌ لكم، ثُمَّ استغفرَ ونزل»(٣).

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «للمُؤْمِنِ على المُؤمنِ سِتُّ خِصَالٍ: يَعُودُهُ إذا مَرِضَ، ويَشْهَدُهُ إذا مَاتَ، ويُجِيبُهُ إذا دَعَاهُ، ويُسَلِّمُ عليه إذا لَقِيَهُ، ويُشَمِّتُهُ إذا عَطَسَ، وَيَنْصَحُ لَهُ إذا غابَ أَوْ شَهِدَ»(٤).

• عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «للمَمْلُوكِ الذي

---

(١) رواه الترمذي (١٦٤٢) واللفظ له وقال: هذا حديث حسن. وأحمد (٩/ ٤٢٥) برقم (٩٥٠٤) وقال مخرجه إسناده حسن (١٨/ ١٣٧، ١٣٨)، والحديث في «المشكاة» (٢/ ١١٢٦) حديث (٣٨٣٢)، وعزاه للترمذي، ولم يحك الشيخ ناصر فيه شيئًا وقال مخرج «جامع الأصول» (١٠/ ٥٣٥) رواه أيضًا الحاكم والبيهقي والحديث كما قال الترمذي.

(٢) والنصح -بالجر- عطفًا على الإسلام ويجوز نصبه عطفًا على مقدر أي على شرط على الإسلام والنصح «الفتح» (١/ ١٦٩).

(٣) رواه البخاري «الفتح» (١/ ٥٨) واللفظ له، ومسلم (٥٦).

(٤) صحيح: رواه الترمذي (٢٧٣٧) واللفظ له وقال: هذا حديث حسن صحيح. وذكره الشيخ الألباني في «صحيح سنن النسائي» (٢/ ٤١٧٠) برقم (١٨٣٠).

يُحْسِنُ عبادة رَبِّهِ، ويُؤَدِّي إلى سيِّده الذي له عليه من الحقِّ والنَّصيحةِ والطَّاعةِ، أَجْرَانِ»(١).

• عن معقل بن يسارٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبدٍ يسترْعيه اللهُ رَعِيَّةً فلم يحُطْهَا بِنُصْحِهِ لم يجدْ رائحةَ الجنَّةِ»(٢).

• عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «نضَّرَ اللهُ امْرَأً سمعَ مقالتي فبلَّغَها، فَرُبَّ حَمِلِ فقهٍ غير فقيه، ورُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إلى من هو أَفْقَهُ مِنْهُ. ثلاثٌ لا يُغِلُّ عليهنَّ قلبُ إمرئٍ مؤمنٍ: إخْلاصُ العملِ لله، والنَّصيحةُ لولاةِ المسلمين، ولُزُومِ جماعتِهِمْ، فَإِنَّ دعْوتَهُمْ تُحِيطُ من ورائهم»(٣).

• وعن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «البَيِّعان بالخِيارِ ما لَمْ يتفرَّقا -أَوْ قال حتَّى يتَفَرَّقَا- فَإنْ صدقا وبيَّنا بُورِكَ لهما في بيعمها، وإن كتما وكذبا مُحِقَتْ بركةُ بيْعهما»(٤).

• عن أبي سعيدٍ الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بعثَ اللهُ مِن نبيٍّ ولا استخلفَ من خليفةٍ، إلَّا كانت له بطانتانِ بطانةٌ تأمُرُهُ بالمعروفِ وتحُضُّهُ عليه، وبطانةٌ تأمُرُهُ بالشرِّ وتَحُضُّه عليه، فالمعْصُومُ من

---

(١) رواه البخاري (٢٥٥١) واللفظ له، ومسلم (١٦٦٥).

(٢) رواه البخاري «الفتح» (١٣/ ٧١٥٠) واللفظ له، ومسلم (١٤٢).

(٣) صحيح: رواه أحمد (٤/ ٨٠)، والترمذي (٢٦٥٨)، وابن ماجه (٣٠٥٦) واللفظ له، وقال في «الزوائد»: إسناده فيه محمد بن إسحاق وهو مدلس، وقد عنعنه. والمتن على حاله صحيح، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٦٤٢). وقال ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (٧٣): إسناده جيد.

(٤) رواه البخاري (٢٠٧٩) واللفظ له ومسلم (١٥٣٢).

عصم اللهُ تعالى»[١].

نصح النبي ﷺ لأمته:

• عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مثَلِي وَمَثَلَ ما بعَثَني الله به كمثلِ رجُلٍ أتى قوْمَهُ فقال: يا قوم، إنِّي رَأَيْتُ الجيش بعيْنَيَّ، وإنِّي أنا النَّذِيرُ العُرْيَانُ[٢] فَالنَّجَاءَ[٣]، وأطاعهُ طائِفَةٌ من قومه فأَدْلَجُوا[٤] فانْطَلَقُوا على مُهْلَتِهم. وكذَّبتْ طائفةٌ منهم فأَصْبَحُوا مكانَهُمْ فصبَّحَهُمُ الجيْشُ فأهْلَكُهم واجْتَاحَهُمْ[٥]. فذلك مثل ما أطاعني واتَّبعَ ما جِئْتُ به، ومَثَلُ من عصاني وكَذَّبَ ما جِئْتُ به من الحقِّ»[٦].

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثَلِي كمثَلِ رَجُلٍ استوْقَدَ نَارًا، فَلَمَّا أَضَاءَتْ ما حوْلَها جعل الفَرَاشُ[٧] وهذه الدَّوَابُ التي في النَّارِ يَقَعْنَ فيها. وجعل يَحْجُزُهُنَّ ويغْلِبْنَهُ فيتقَحَّمْنَ فيها. قال فذلِكُمْ مثلي ومَثَلُكُمْ، أنا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ[٨] عن النَّار. هَلُمَّ عن النَّارِ، هَلُمَّ عن

(١) رواه البخاري «الفتح» (١٣/ ٧١٩٨)، وأحمد، والنسائي.
(٢) أنا النذير العريان: أصله أن الرجل إذا أراد إنذار قومه وإعلامهم بما يوجب المخافة نزع ثوبه وأشار به إليهم إذا كان بعيدًا منهم ليخبرهم بما دهمهم. وأكثر ما يفعل هذا طليعة القوم ورقيبهم.
(٣) النجاء: اطلبوا النجاة.
(٤) فأدلجوا: ساروا من أول الليل.
(٥) اجتاحهم: استأصلهم.
(٦) رواه البخاري (٦٤٨٢)، ومسلم (٢٢٨٣) واللفظ له.
(٧) الذي يطير كالبعوض.
(٨) بحجزك: جمع حجزة، وهي معقد الإزار والسراويل.

النَّارِ، فتغلِبُوني تقَحَّمُونَ[١] فيها»[٢].

• عن جابرٍ رضي الله عنه قال: أعْتَقَ رَجُلٌ من بني عُذْرةَ عبدًا له عن دُبرٍ[٣] فبلغَ ذلك رسول الله ﷺ، فقال: «أَلَكَ مَالٌ غَيْرُهُ؟». فقال: لا. فقال: «مَنْ يَشْتَرِيهِ مِنِّي؟» فاشْتَرَاهُ نعيْمُ بن عبد الله العَدَوِيُّ بثمانمئةِ دِرْهَم. فجاءَ بها رسولَ الله ﷺ فدفعها إليْهِ. ثُمَّ قال: «ابْدَأْ بِنَفْسِكَ فتَصَدَّقْ عليها فَإِنْ فضل شَيْءٌ فلأَهْلِكَ، فإنْ فضل عَنْ أَهْلِكَ شيءٌ فلذي قَرابتك، فَإنْ فضل عن ذي قرابتكَ شيءٌ فهكذا وهكذا» يَقُولُ فَبَيْنَ يَدَيْكَ وعن يمينكَ وعنْ شمالكَ»[٤].

• عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: إنَّ عَبْدَ الله هَلَكَ وتَرَكَ تِسعَ بَنَاتٍ - أو قال: سَبْعَ - فتزَوَّجتُ امرأةَ ثَيِّبًا. فقال لي رسول الله ﷺ: «يا جَابِرُ، تَزَوَّجْتَ؟» قال: قُلْتُ: نعم. قال: «فبِكْرٌ أم ثَيِّبٌ؟» قال: قُلْتُ: بَلْ ثَيِّبٌ يا رسول الله ! قال: «فهلَّا جَارِيَةً تُلاعِبُهَا وتُلاعِبُكَ - أو قال: تُضَاحِكُهَا وتُضَاحِكُكَ»، قال: قُلت له: إنَّ عبد الله هلك وترك تِسْعَ بناتٍ - أو سَبْعَ - وإِنِّي كَرِهْتُ أَنْ آتيهُنَّ أو أجيئَهُنَّ بمثْلِهِنَّ. فأَحْبَبْتُ أَنْ أَجِيءَ بامْرَاةٍ تقُومُ عليْهِنَّ وتُصْلِحُهُنَّ. قال: «فَبَارَكَ اللهُ لَكَ»، أَوْ قال لي خَيْرًا»[٥].

---

(١) تقحمون: تقدمون وتقعون في الأمور الشاقة من غير تثبيت.

(٢) رواه البخاري (٦٤٨٣)، ومسلم (٢٢٨٤) واللفظ له.

(٣) عن دبر: أي علّق عتقه بموته، فقال له: أنت حرٌّ يوم أموت.

(٤) رواه مسلم (٩٩٧).

(٥) رواه البخاري «الفتح» (٩/ ٥٠٨٠)، ومسلم (٧١٥)، (١٠٨٧) كتاب «الرضاع» واللفظ له.

• عن فاطمة بِنْتِ قيْسٍ رضي الله عنها أنَّ أبا عَمرو بنِ حفْصٍ طلَّقَها البَتَّةَ، وهو غَائِبٌ، فأرْسَلَ إليها وكيلُهُ بشعيرٍ فسخِطَتْهُ، فقال: واللهِ! ما لك علينا منْ شيءٍ، فجاءَتْ رسول الله ﷺ، فذكرَتْ ذلك له، فقال لَهَا: ليس لك عليهِ نفقةٌ، فَأَمرها أنْ تَعْتَدَّ في بَيْتِ أُمِّ شريكٍ، ثُمَّ قال: «**تِلْكَ امْرأةٌ يَغْشَاهَا أصحابي. اعْتَدِّي عند ابن أُمِّ مكتوم، فَإِنَّهُ رَجُلٌ أعمى تضعين ثيابك فإذا حللت فآذنيني**»(١)، قالت: فلمَّا حللْتُ ذكرتُ له أَنَّ معاوية بن أبي سفيان وأبا جهْمٍ خطباني، فقال رسول الله ﷺ: «**أَمَّا أبو جهْمٍ فلا يضعُ عَصَاهُ عن عَاتِقِه**(٢)**، وأمَّا مُعاوية فصُعْلُوكٌ لا مال له، انْكِحِي أسامةَ بن زيْدٍ**» فكرهْتُهُ، ثُمَّ قال: «**انْكِحِي أُسامةَ**»، فنكحْتُهُ، فجعل اللهُ فيه خيرًا كثيرًا واغْتبَطْتُ(٣).

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**تُنْكَحُ المرْأَةُ لأَرْبَعٍ لِمَالِهَا، ولِحَسَبِها، ولِجَمَالِهَا، ولِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ**(٤)»(٥).

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كُنْتُ عندَ النَّبيِّ ﷺ فأتاهُ رجُلٌ فأخْبَرَهُ أنَّهُ تزوَّجَ امْرأةً من الأنصارِ. فقال له رسول الله ﷺ: «**أَنَظَرتَ إليها؟**» قال: لا. قال: «**فَأَذْهَبْ فانظر إليها، فَإِنَّ في أَعْيُنِ الأَنْصَارِ شيئًا**(٦)»(٧).

---

(١) آذنيني: أي: اعْلِميني.
(٢) فلا يضع عصاع عن عاتقه: دلالة على كثرة الأسفار، أو كثرة الضرب للنساء.
(٣) رواه مسلم (١٤٨٠).
(٤) «تربت يداك»: تَرِب الرجل إذا افتقر، أي لصق بالتراب، وهذه الكلمة جارية على ألسنة العرب لا يريدون بها الدعاء على المخاطب، والمراد بها الحث والتحريض.
(٥) رواه البخاري (٥٠٩٠)، ومسلم (١٤٦٦) واللفظ له.
(٦) المراد صغر، وقيل: زرقة.
(٧) رواه مسلم (١٤٢٤).

أول النصيحة عند الراغب الأصبهاني:

□ قال الراغب في كتابه القيم «الذريعة إلى مكارم الشريعة»: «أَوَّلُ النُّصْحِ أَنْ يَنْصَحَ الإنسانُ نفسه، فمن غشَّهَا فقلَّمَا يَنْصَحُ غيره، وحقٌّ من استُنْصِحَ أن يَبْذُلَ غايةَ النُّصْحِ وإنْ كان ذلك في شيءٍ يَضُرُّهُ، ويتحرَّى فيه قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾[النساء: ١٣٥]. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [الأنعام:١٥٢]، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لا يزالُ الرَّجُلُ يَزْدادُ في صِحَّةِ رأيه ما نصحَ لمستشيرِه، فإذا غَشَّهُ سلبَهُ الله نصحه ورأيه، ولا يلْتَفَتَنَّ إلى من قال: إذا نَصَحْتَ الرَّجُلَ فلم يقْبَلْ منك فتقرَّبْ إلى الله بغشِّهِ، فذلك قولٌ ألْقَاهُ الشَّيْطَانُ على لسانه، اللهم إلَّا أنْ يريد بغشِّهِ السُّكُوتَ عنه، فقد قيل: كثرة النَّصيحةِ تُورِثُ الظِّنَّةَ ومعرفةُ النَّاصِحِ من الغَاشِّ صعبةٌ جدًّا، فالإنسانُ ـ لمكره ـ يصعب الاطِّلاعُ على سِرِّهِ إذ هو قد يُبْدِي خلاف ما يُخْفِي، وليس كالحيوانات التي يمكنُ الاطِّلاعُ على طبائعها»(١).

النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم بلسان ابن حجر:

□ قال ابن حجر: «النصيحةُ لله وصفُهُ بما هوله أهلٌ والخُضُوع له ظاهِرًا وباطِنًا، والرَّغْبَةُ في محابه بفعل طاعته، والرَّهْبَةُ من مساخطه بترك معصيته، والجهادُ في ردِّ العاصين إليه. والنَّصيحةُ لكتاب الله تعلُّمُه، وتعليمُهُ، وإقامةُ حروفِهِ في التِّلاوة، وتحريرها في الكتابة وتفهُّمُ معانيه، وحفظ حدوده، والعملُ بما فيه، وذبُّ تحريف المُبْطلين عنه، والنَّصيحةُ لرسوله تعظيمه، ونصْرُهُ حيًّا وميتًا، وإحياءُ سنَّته بتعلُّمها وتعليمها،

(١)«الذريعة» (ص٢٩٥- ٢٩٦).

والاقتداءُ به في أقواله وأفعاله، ومحبَّتُهُ ومحبَّةُ أَتْبَاعِهِ، والنَّصيحةُ لأئمة المسلمين إعانتُهم على ما حَمَّلُوا القيام به، وتنبيههم عند الغفلة، وسَدُّ خلَّتهم عند الهفْوَةِ، وجمعُ الكلمة عليهم، وردُّ القلوب النَّافرة إليهم، ومن أعظم نصيحتهم دفعهم عن الظُّلْمِ بالتي هي أحسن. ومن جُمْلَةِ أئمة المسلمين أئمة الاجتهاد، وتقعُ النَّصيحةُ لهم ببثِّ علومهم، ونشر مناقبهم، وتَحسين الظَّنِّ بهم، والنَّصيحةُ لِعَامَّةِ المسلمين الشَّفقةُ عليهم، والسَّعيُ فيما يَعودُ نفعه عليهم، وتعليمهم ما ينفعهم، وكفُّ وجوهِ الأذَى عنهم، وأَنْ يُحِبَّ لهم ما يُحِبُّ لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه»[١].

النصيحة على لسان النووي:

□ قال الإمام النووي في «شرح الدين النصيحة»: «ومعنى الحديث: عماد الدين وقوامه النصيحة كقوله: «**الحج عرفة**»، أي: عماده ومعظمه عرفة.

لقد قرن النبي ﷺ بين النصيحة والدين في هذا الحديث السابق.

□ قال الإمام النووي: قال ابن بطال رَحِمَهُ اللَّهُ: «في هذا الحديث أن النصيحة تسمى دينًا وإسلامًا، وأن الدين يقع على العمل كما يقع على القول. وقال: والنصيحة فرض يجزي فيه من قام به، ويسقط عن الباقين. قال: والنصيحة لازمة على قدر الطاقة إذا علم الناصح أنه يُقبل نُصحه، ويطاع أمره، وأمن على نفسه المكروه، فإنْ خشى على نفسه أذًى فهو في سعة. والله أعلم»[٢].

---

(١) «فتح الباري» (١/ ١٦٧).

(٢) «مسلم بشرح النووي» (٢/ ٥٠).

النصيحة لله عَزَّ وَجَلَّ:

□ قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ: «قالوا: أما النصيحة لله تعالى فمعناها متصرف إلى الإيمان به ونفي الشريك عنه وترك الإلحاد في صفاته، ووصفه بصفات الكمال والجلال كلها، وتنزيهه سبحانه وتعالى من جميع النقائص، والقيام بطاعته واجتناب معصيته، والحب فيه والبغض فيه، وموالاة من أطاعه ومعاداة من عصاه، وجهاد من كفر به، والاعتراف بنعمته وشكره عليها، والإخلاص في جميع الأمور، والدعاء إلى جميع الأوصاف المذكورة، والحث عليها، والتلطف في جميع الناس أو من أمكن منهم عليها.. قال الخطابي رَحِمَهُ اللهُ: وحقيقة هذه الإضافة راجعة إلى العبد في نصحه نفسه، فالله تعالى غني عن نصح الناصح»(١).

النصيحة لكتاب الله:

□ قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ: «وأما النصيحة لكتابه سبحانه وتعالى فالإيمان بأنه كلام الله تعالى وتنزيله، لا يشبه شيء من كلام الخلق، ولا يقدر على مثله أحد من الخلق، ثم تعظيمه وتلاوته حق تلاوة وتحسينها والخشوع عندها، وإقامة حروفه في التلاوة، والذب عنه لتأويل المحرفين وتعرض الطاعنين، والتصديق بما فيه، والوقوف مع أحكامه وتفهم علومه وأمثاله، والاعتبار بمواعظه، والتفكر في عجائبه، والعمل بمحكمه، والتسليم لمتشابهه، والبحث عن عمومه وخصوصه وناسخه ومنسوخه، ونشر علومه والدعاء إليه وإلى ما ذكرنا من نصيحته»(٢).

---

(١) «مسلم بشرح النووي» (٢/ ٥٠).
(٢) «مسلم بشرح النووي» (٢/ ٥٠- ٥١).

النصيحة لرسول الله ﷺ:

□ قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما النصيحة لرسول الله ﷺ فتصديقه على الرسالة والإيمان بجميع ما جاء به، وطاعته في أمره ونهيه، ونصرته حيًّا وميتًّا، ومعاداة من عاداه وموالاة من والاه، وإعظام حقه وتوقيره، وإحياء طريقته وسنته، وبث دعوته ونشر شريعته، ونفي التهمة عنها واستثارة علومها، والتفقه في معانيها والدعاء إليها والتلطف في تعلُّمها وتعليمها، وإعظامها وإجلالها، والتأدب عند قراءتها والإمساك عن الكلام فيها بغير علم، وإجلال أهلها لانتسابهم إليها، والتخلق بأخلاقه والتأدب بآدابه، ومحبة أهل بيته وأصحابه، ومجانبة من ابتدع في سنته، أو تعرض لأحد من أصحابه ونحو ذلك»[1].

النصيحة لأئمة المسلمين:

□ قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما النصيحة لأئمة المسلمين فمعاونتهم على الحق وطاعتهم فيه وأمرهم به وتنبيههم وتذكيرهم برفق ولطف وإعلامهم بما غفلوا عنه، ولم يبلغهم من حقوق المسلمين، وترك الخروج عليهم، وتألف قلوب الناس لطاعتهم».

□ قال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن النصيحة لهم الصلاة خلفهم والجهاد معهم، وأداء الصدقات إليهم، وترك الخروج بالسيف عليهم، إذا ظهر منهم حيف أو سوء عشرة، وأن لا يغروا بالثناء الكاذب عليهم، وأن يدعي لهم بالصلاح، وهذا كله على أن المراد بأئمة المسلمين الخلفاء وغيرهم، ممن يقوم بأمور المسلمين من أصحاب الولايات، وهذا هو

(١) «مسلم بشرح النووي» (٢/ ٥١).

المشهور، وحكاه أيضًا الخطابي، ثم قال: وقد يتأول ذلك على الأئمة الذين هم علماء الدين، وأن من نصيحتهم قبول ما رووه وتقليدهم في الأحكام وإحسان الظن بهم»[١].

• ومن النصيحة لهم إجلالهم، فقد قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ أجلَّ سلطانَ الله، أَجَلَّه الله يوم القيامة»**[٢].

• وعدَم إهانتهم: فقد قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ أهان سُلطان الله في الأرض، أهانه الله»**[٣].

□ قال كعب الأحبار: «مثل الإسلام والسلطان والناس، مثل الفسطاط والعمود والأطناب والأوتاد فالفسطاط: الإسلام، والعمود: السلطان، والأطناب والأوتاد: الناس، ولا يصلح بعضها إلَّا ببعض».

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله تعالى يرضى لكم ثلاثًا، ويكره لكم ثلاثًا، فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تُشرِكوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تَفَرَّقوا، وأن تُناصِحوا من ولَّاه الله أمْرَكم، ويكرهُ لكم قيلَ وقالَ: وكثرةَ السؤالِ، وإضاعة المالِ»**[٤].

• وطاعة ولاة الأمر واجبة، فقد قال رسول الله ﷺ: **«من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عاصني فقد عصى الله، ومَن يْطع الأميرَ فقد أطاعني،**

---

(١) «مسلم بشرح النووي» (٢/ ٥١).

(٢) حسن: رواه الطبراني عن أبي بكرة، وحسَّنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٨٢٨)، و«الصحيحة» (٢٢٩٨) وأحمد وابن أبي حاتم.

(٣) حسن: رواه الترمذي عن أبي بكرة وحسَّنه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٩٨٧)، و«الصحيحة» (٢٢٩٦).

(٤) رواه أحمد، ومسلم.

ومن يعصِ الأمير فقد عصاني»[١].

• وقال ﷺ: «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحبَّ وكَرِه إلَّا أن يُؤمَرَ بمعصية، فإن أُمِرَ بمعصية فلا سمعَ ولا طاعة»[٢].

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عليكَ السمعُ والطاعة، في عُسْرِك ويُسْرِك، ومنشطك ومكرهك، وأثرةٍ عليك»[٣].

• وقال رسول الله ﷺ: «اسمعوا وأطيعوا وإن استُعْمِل عليكم عبدٌ حبشيٌّ كأن رأسه زبيبة»[٤].

• وقال ﷺ: «اسمَعْ وأطِعْ، ولو لعبدٍ حَبَشِيٍّ مجَدَّعِ الأطراف»[٥].

نصح الإمام سِرًّا:

وهذا هدي السلف من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم، فقد جاء رجل إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فقال له: «إني أُريد نُصْحَ السلطان، فقال له: «إنْ كنتَ فاعلًا ففيما بينك وبينه».

ولا يجوز في اعتقاد أهل السنة والجماعة الخروج على الأئمة والولاة بالسيف ففي هذا مخالفة للصراط المستقيم، وإهدار لدماء المسلمين، وصَدْعٌ لصفِّهم، وتفرق لكلمتهم، وشق عصا الطاعة للجماعة وغش لهم. فإن أمروا بالمعصية فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ومن السنة الدعاء

---

(١) رواه أحمد والبخاري ومسلم.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه أحمد، ومسلم، والنسائي.

(٤) رواه أحمد، والبخاري، وابن ماجه عن أنس.

(٥) رواه أحمد، ومسلم عن أبي ذر.

لهم أن يوفقهم الله للعدل وإقامة الحق وشرع الله ﷻ ولله در الفضيل بن عياض شيخ الإسلام حين يقول: «لو كان لنا دعوة مستجابة لصرفناها إلى السلطان».

النصيحة لعامة المسلمين:

□ قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما نصيحة عامة المسلمين، وهم من عدا ولاة الأمر فإرشادهم لمصالحهم في آخرتهم ودنياهم، وكف الأذى عنهم، فيعلمهم ما يجهلونه من دينهم، ويعينهم عليه بالقول والفعل وستر عوراتهم، وسد خلاتهم، ودفع المضار عنهم، وجلب المنافع لهم، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر برفق وإخلاص والشفقة عليهم، وتوقير كبيرهم ورحمة صغيرهم، وتخولهم بالموعظة الحسنة، وترك غشهم وحسدهم، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه من الخير، ويكره لهم ما يكره لنفسه من المكروه، والذب عن أموالهم وأعراضهم وغير ذلك من أحوالهم بالقول والفعل، وحثهم على التخلق بجميع ما ذكرناه من أنواع النصيحة، وتنشيط هممهم إلى الطاعات، وقد كان في السلف رضي الله عنهم من تبلغ به النصيحة إلى الإضرار بدنياه والله أعلم»[1].

من درر كلام ابن رجب في النصيحة:

□ قال العلامة ابن رجب في كتابه القيم «جامع العلوم والحكم»: «وقد أخبر النبي ﷺ أن «**الدين النصيحة**»، فهذا يدلّ على أن النصيحة تشمل خصال الإسلام والإيمان والإحسان التي ذكرت في حديث جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وسمى ذلك كله دينًا، فإن النصح لله يقتضي القيام بأداء واجباته

(١)«مسلم بشرح النووي» (٢/ ٥١- ٥٢).

على أكمل وجوهها وهو مقام الإحسان، فلا يكمل النصح له بدون ذلك، ولا يتأتى ذلك بدون كمال المحبة الواجبة والمستحبة، ويستلزم ذلك الاجتهاد في التقرّب إليه بنوافل الطاعات على هذا الوجه وترك المحرّمات والمكروهات على هذا الوجه أيضًا.

وفي مراسيل الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ عن النبي ﷺ قال: «أرأيتم لو كان لأحدكم عبدان فكان أحدهما يطيعه إذا أمره ويؤدي إليه إذا ائتمنه وينصح له إذا غاب عنه، وكان الآخر يعصيه إذا أمره ويخونه إذا ائتمنه ويغشه إذا غاب عنه كانا سواء؟ قالوا: لا، قال: فكذا أنتم عند الله عَزَّ وَجَلَّ». خرجه ابن أبي الدنيا.

وخرَّج الإمام أحمد معناه من حديث أبي الأحوص عن أبيه عن النبي ﷺ، وقال الفضيل بن عياض: «الحبّ أفضل من الخوف، ألا ترى إذا كان لك عبدان أحدهما يحبك والآخر يخافك، فالذي يحبك منهما ينصح شاهدًا كنت أو غائبًا لحبه إياك، والذي يخافك عسى أن ينصحك إذا شهدت لما يخافك ويغشك إذا غبت ولا ينصحك.

□ قال عبد العزيز بن رفيع: «قال الحواريون لعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ما الخالص من العمل؟ قال: ما لا تحبُّ أن يحمدك الناس عليه، قالوا: فما النصح لله؟ قال: أن تبدأ بحقّ الله قبل حقّ الناس، وإن عرض لك أمران أحدهما لله تعالى والآخر للدنيا بدأت بحق الله تعالى».

□ وقال الخطابي: «النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة هي إرادة الخير للمنصوح له».

□ وقال: «وأصل النصح في اللغة الخلوص، يقال: نصحت العسل إذا

خلصته من الشمع. فمعنى النصيحة لله سبحانه: صحة الاعتقاد في وحدانيته وإخلاص النية في عبادته، والنصيحة لكتابه: الإيمان به والعمل بما فيه، والنصيحة لرسوله: التصديق بنبوّته وبذل الطاعة له فيما أَمَرَ به ونهى عنه، والنصيحة لعامة المسلمين: إرشادهم إلى مصالحهم» انتهى.

□ وقد حكى الإمام أبو عبد الله محمد بن نصر المروزي في كتابه «تعظيم قدر الصلاة» عن بعض أهل العلم أنه فسر هذا الحديث بما لا مزيد على حسنه، ونحن نحكيه ههنا بلفظه إن شاء الله تعالى.

□ قال محمد بن نصر: «قال بعض أهل العلم: جماع تفسير النصيحة هي عناية القلب للمنصوح له كائنًا من كان، وهي على وجهين: أحدهما فرض والآخر نافلة، فالنصيحة المفترضة لله: هي شدة العناية من الناصح باتباع محبة الله في أداء ما افترض ومجانبة ما حرم. وأما النصيحة التي هي نافلة: فهي إيثار محبته على محبة نفسه، وذلك أن يعرض له أمران أحدهما لنفسه والآخر لربه، فيبدأ بما كان لربه ويؤخر ما كان لنفسه، فهذه جملة تفسير النصيحة لله، الفرض منه والنافلة، وسنذكر بعضه ليفهم بالتفسير من لا يفهم بالجملة، فالفرض منها مجانبة نهيه وإقامة فرضه بجميع جوارحه ما كان مطيقًا له، فإذا عجز عن الإقامة بفرضه لآفة حلت به من مرض أو حبس أو غير ذلك عزم على أداء ما افترض عليه متى زالت عنه العلة المانعة له، قال الله ﷻ: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ ﴾ الآية، فسماهم محسنين لنصيحتهم لله بقلوبهم لما منعوا من الجهاد بأنفسهم، وقد ترفع الأعمال كلها عن العبد في بعض الحالات ولا يرفع عنهم النصح لله، فلو كان من مرض بحال لا يمكنه عمل شيء من جوارحه بلسان ولا غيره، غير أن عقله ثابت لم يسقط عنه النصح لله بقلبه وهو أن يندم على

ذنوبه، وينوي إن صح أن يقوم بما افترض الله عليه ويجتنب ما نهاه عنه وإلَّا كان غير ناصح لله بقلبه. وكذلك النصح لله ولرسوله ﷺ فيما أوجبه على الناس عن أمر ربه، ومن النصح الواجب لله أن لا يرضى بمعصية العاصي ويحبّ طاعة من أطاع الله ورسوله. وأما النصيحة التي هي نافلة لا فرض، فبذل المجهود بإيثار الله تعالى على كل محبوب بالقلب وسائر الجوارح حتى لا يكون في الناصح فضلًا عن غيره؛ لأن الناصح إذا اجتهد لم يؤثر نفسه عليه وقام بكل ما كان في القيام به سروره ومحبته، فكذلك الناصح لربه، ومن تنفل لله بدون الاجتهاد فهو ناصح على قدر عمله، غير مستحق للنصح بكماله. وأما النصيحة لكتابه: فشدة حبه وتعظيم قدره إذ هو كلام الخالق وشدة الرغبة في فهمه وشدة العناية في تدبره والوقوف عند تلاوته لطلب معاني ما أحب مولاه أن يفهمه عنه، أو يقوم به له بعد ما يفهمه، وكذلك الناصح من العباد يفهم وصية من ينصحه إن ورد عليه كتاب من غنى يفهمه ليقوم عليه بما كتب فيه إليه، فكذلك الناصح لكتاب ربه، يعني بفهمِهِ ليقوم لله بما أمره به كما يحب ربنا ورضى، ثم ينشر ما فهم في العباد ويديم دراسته بالمحبة له والتخلق بأخلاقه والتأدب بآدابه.

وأما النصيحة للرسول ﷺ في حياته: فبذل المجهود في طاعته ونصرته ومعاونته، وبذل المال إذا أراده والمسارعة إلى محبته. وأما بعد وفاته: فالعناية بطلب سنته والبحث عن أخلاقه وآدابه وتعظيم أمره ولزوم القيام به وشدّة الغضب والإعراض عمن يدين بخلاف سنته والغضب على من صنعها لأثرة دنيا وإن كان متدينًا بها وحبّ من كان منه بسبيل من قرابة أو صهر أو هجرة أو نصرة أو صحبة ساعة من ليل أو

نهار على الإسلام والتشبه به في زيه ولباسه.

وأما النصيحة للأئمة المسلمين: فحب صلاحهم ورشدهم وعدلهم، وحبّ اجتماع الأمة عليهم، وكراهة افتراق الأمة عليهم، والتدين بطاعتهم في طاعة الله عَزَّوَجَلَّ والبغض لمن رأى الخروج عليهم وحبّ إعزازهم في طاعة الله عَزَّوَجَلَّ. وأما النصيحة للمسلمين فأن يحب لهم ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه، ويشفق عليهم ويرحم صغيرهم ويوقر كبيرهم، ويحزن لحزنهم ويفرح لفرحهم، وإن ضر ذلك في دنياه كرخص أسعارهم، وإن كان في ذلك فوات ربح ما يبيع من تجارته، وكذلك يكره جميع ما يضرهم عامة، ويحب ما يصلحهم وألفتهم ودوام النعم عليهم، ونصرهم على عدوهم ودفع كل أذى ومكروه عنهم.

□ وقال أبو عمرو بن الصلاح: «النصيحة كلمة جامعة تتضمن قيام الناصح للمنصوح له بوجوه الخير إرادة وفعلًا فالنصيحة لله تعالى: توحيده ووصفه بصفات الكمال والجلال، وتنزيهه عما يضادها ويخالفها، ويتجنب معاصيه والقيام بطاعته ومحابه بوصف الإخلاص، والحب فيه والبغض فيه، وجهاد من كفر به تعالى وما ضاهى ذلك والدعاء إلى ذلك والحث عليه.

والنصيحة لكتابه: الإيمان به وتعظيمه وتنزيهه وتلاوته حق تلاوته، والوقوف مع أوامره ونواهيه، وتفهم علومه وأمثاله وتدبر آياته والدعاء إليه، وذبّ تحريف الغالين وطعن الملحدين عنه. والنصيحة لرسوله ﷺ: قريب من ذلك الإيمان به وبما جاء به وتوقيره وتبجيله، والتمسك بطاعته وإحياء سنته واستنشار علومه ونشرها ومعاداة من عاداه وموالاة من

والاه ووالاها والتخلق بأخلاقه والتأدب بآدابه ومحبة آله وأصحابه ونحو ذلك.

والنصيحة لأئمة المسلمين: معاونتهم على الحق.وطاعتهم فيه وتذكيرهم به، وتنبيههم في رفق ولطف ومجانبة الوثوب عليهم والدعاء لهم بالتوفيق وحث الأغيار على ذلك.

والنصيحة لأئمة المسلمين: إرشادهم إلى مصالحهم وتعليمهم أمور دينهم ودنياهم وستر عوراتهم وسدّ خلاتهم ونصرتهم على أعدائهم والذبّ عنهم، ومجانبة الغش والحسد لهم: وأن يحبّ لهم ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه وما شابه ذلك. انتهى ما ذكره. ومن أنواع نصحهم يدفع الأذى والمكروه عنهم، وإيثار فقيرهم وتعليم جاهلهم وردّ من زاغ منهم عن الحق في قول أو عمل بالتلطف في ردّهم إلى الحق، والرفق بهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومحبة إزالة فسادهم ولو بحصول ضرر له في دنياه، كما قال بعض السلف: وددت أن هذا الخلق أطاعوا الله وأن لحمي قرض بالمقاريض، وكان عمر بن عبد العزيز يقول: يا ليتني عملت فيكم بكتاب الله وعملتم به، فكلما عملتم فيكم بسنة وقع مني عضو حتى يكون آخر شيءٍ منها خروج نفسي.

□ ومن أنواع النصح لله تعالى وكتابه ورسوله، وهو مما يختص به العلماء ردّ الأهواء المضلة بالكتاب والسنة على موردها وبيان دلالتها على ما يخالف الأهواء كلها، وكذلك ردّ الأقوال الضعيفة من زلات العلماء وبيان دلالة الكتاب والسنة على ردّها، ومن ذلك بيان ما صح من حديث النبي ﷺ ولم يصح منه وتبيين حال راويه من تقبل رواياته منهم ومن لا

تقبل، وبيان غلط من غلط من ثقاتهم الذين تقبل رواياتهم.

ومن أعظم أنواع النصح أن ينصح لمن استشاره في أمره كما قال ﷺ إذا استنصح أحدك أخاه فلينصح له، وفي بعض الأحاديث: «إن من حق المسلم على المسلم أن ينصح له إذا غاب»، ومعنى ذلك أنه إذا ذكر في غيبته بالسوء أن ينصره ويرد عنه، وإذا رأى من يريد أذاه في غيبته كفه عن ذلك، فإن النصح في الغيب يدلّ على صدق الناصح، فإنه قد يظهر النصح في حضوره تملقًا ويغشه في غيبته.

□ وقال الحسن: «إنك لن تبلغ حق نصيحتك لأخيك حتى تأمره بما يعجز عنه».

□ قال الحسن: «وقال بعض أصحاب النبي ﷺ: والذي نفسي بيده إن شئتم لأقسمنّ لكم بالله إن أحبّ عباد الله إلى الله الذين يحببون الله إلى عباده ويحببون عباد الله إلى الله ويسعون في الأرض بالنصيحة».

□ وقال فرقد السَّبخي قرأت في بعض الكتاب: المحبّ لله عَزَّ وَجَلَّ أمير مؤمر على الأمراء زمرته أول الزمر يوم القيامة، ومجلسه أقرب المجالس فيما هناك والمحبة فيما هناك والمحبة منتهى القربة والاجتهاد، ولن يسأم المحبون من طول اجتهادهم لله عَزَّ وَجَلَّ ويحبونه ويحبون ذكره ويحببونه إلى خلقه، يمشون بين خلقه بالنصائح ويخافون عليهم عن أعمالهم يوم تبدو الفضائح أولئك أولياء الله وأحباؤه وصفوته، أولئك الذين لا راحة لهم دون لقائه».

□ وقال ابن علية في قول أبي بكر المزني: «ما فاق أبو بكر رضي الله عنه أصحاب محمد ﷺ بصوم ولا صلاة، ولكن بشيء كان في قلبه، قال:

الذي كان في قلبه الحبّ لله عَزَّوَجَلَّ والنصيحة في خلقه».

□ وقال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما أدرك عندنا من أدرك بكثرة الصلاة والصيام، وإنما أدرك عندنا بسخاء الأنفس وسلامة الصدور والنصح للأمة».

□ وسئل ابن المبارك أي الأعمال أفضل؟ قال: «النصح لله».

□ وقال معمر: «كان يقال: أنصح الناس لك من خاف الله فيك».

□ وكان السلف إذا أرادوا نصيحة أحد وعظوه سرًا حتى قال بعضهم: «من نوعظ أخاه فيما بينه وبينه فهي نصيحة، ومن عظه على رؤوس الناس فإنما وبخه».

□ وقال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المؤمن يستر وينصح، والفاجر يهتك ويعير».

□ وقال عبد العزيز بن أبي رواد: «كان من كان قبلكم إذا رأى الرجل من أخيه شيئًا يأمره في رفق فيؤجر في أمره ونهيه، وإن أحد هؤلاء يخرق بصاحبه فيستغضب أخاه ويهتك ستره».

□ وسئل ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا عن أمر السلطان بالمعروف ونهيه عن المنكر فقال: إن كنت فاعلًا ولا بدَّ ففيما بينك وبينه».

□ وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ليس على المسلم نصح الذمي، وعليه نصح المسلم».

● وقال النبي ﷺ: «والنصح لكل مسلم، وأن تنصح لجماعة المسلمين وعامتهم»[١] اهـ.

(١) «جامع العلوم والحكم» (ص٧٤- ٧٨).

علو همة جرير بن عبد الله رضي في النصح للمسلمين:

□ عن جرير بن عبد الله ﷺ قال: «بايعت النبي ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم».

□ وقال الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومما يتعلق بحديث جرير منقبة ومكرمة لجرير ﷺ رواها الحافظ أبو القاسم الطبراني بإسناده، اختصارها أن جريرًا أمر مولاه أن يشتري له فرسًا، فاشتري له فرسًا بثلاثمئة درهم، وجاء به وبصاحبه لينقده الثمن، فقال جرير لصاحب الفرس: فرسك خير من ثلاثمئة درهم، أتبيعه بأربعمئة درهم؟ قال: ذلك إليك يا أبا عبدالله. فقال: فرسك خير من ذلك أتبيعه بخمسمئة درهم؟ ثم لم يزل يزيده مئة فمئة، وصاحبه يرضى وجرير يقول: فرسك خير إلى أن بلغ ثمانمئة درهم فاشتراه بها، فقيل له في ذلك. قال: إني بايعت رسول الله ﷺ على النصح لكل مسلم»[١].

نصح الإمام القُدْوَة الحُجَّة يونس بن عُبيد البصري[٢]:

□ قال النَّضْر بن شمَيْل: «غلا الخزُّ في موضع كان إذا غلا هناك غلا بالبصرة، وكان يونس بن عُبيد خزَّازًا فعلم بذلك فاشتري من رجل متاعًا بثلاثين ألفًا، فلما كان بعد ذلك قال لصاحبه: هل كنت علمت أن المتاع غلا بأرض كذا كذا؟ قال: لا. ولو علمتُ لم أَبعْ. قال: هَلُمَّ إليَّ مالي، وخذ مالك. فردَّ عليه الثلاثين الألف»[٣].

---

(١) «مسلم بشرح النووي» (٢/ ٥٣).

(٢) انظر ترجمته في «السير» (٦/ ٢٨٨-٢٩٦).

(٣) «نزهة الفضلاء» (١/ ٥٤٠).

أقوال طيِّبة من بستان السلف:

□ قال عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه وهو على المنبر: «أنشدكُمُ اللهَ! لا يعلمُ أحدٌ منِّي عَيْبًا إلَّا عَابَهُ»، فقال رجلٌ: نعم يا أميرَ المؤمنينَ، فيكَ عَيْبَانِ. قال: وما هُمَا: قال: تُدِيلُ بين البُرْدَيْنِ [(١)]، وتجمعُ بين الأدْمين [(٢)] ولا يسعُ ذلك النَّاسَ. قال: فما أدَالَ بني بُردَيْنَ، ولا جمعَ بين أدْمَيْنِ حتَّى لَقِيَ اللهَ تعالى» [(٣)].

□ عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: «ولكُلٍّ جعلنا مواليَ»، قال: ورثةً: ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ﴾ كان المهاجرُون لَمَّا قَدِمُوا المدينة يَرِثُ المهاجرُ الأنصاريَّ دون ذَوِي رحمه للأخُوَّةِ التي آخى النَّبيُّ ﷺ بينهم، فلمَّا نزلتْ: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ ..﴾ [النساء:١٣] نُسِخَتْ، ثُمَّ قال: ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ﴾ [النساء: ١٣] من النَّصْرِ والرِّفَادَةِ والنَّصيحةِ، وقدْ ذهب الميراثُ ويُوصِي لَهُ» [(٤)].

□ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كنتُ أُقرِيءُ عبد الرحمن بن عوفٍ، فلمَّا كان آخِرُ حجَّةٍ حجَّها عمر، فقال عبد الرحمن بمِنًى: لو شهدت أمير المؤمنين أتَاهُ رجلٌ قال: إنَّ فُلانًا يقول: لو مات أمير المؤمنين لبايعْنَا فلانًا، فقال عمر: لأقُومَنَّ العَشِيَّةَ فأُحذِّرُ هؤلاء الرَّهْطَ الذين يُريدون أَنْ يغصِبُوهُمْ، قلتُ: لا تفعل، فإنَّ الموسم يجمعُ رعاعَ النَّاس يغلبُونَ على

(١) تديل بين البردَيْن: أيْ تلبسه وتخلّيه وتلبس غيره.
(٢) الأُدْمَيْن: مثنَّى أُدْم، وهو ما يؤكل به الخبز أي شيءٍ كان.
(٣) «الدارمي» (١/ ١٦٩)، و«مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب» (ص١٥٤).
(٤) البخاري «الفتح» (٨/ ٤٥٨٠).

مجلسك، فأخافُ أَنْ لا ينزِّلُوهَا على وجهها، فَيُطِيرَ بها كُلُّ مُطِيرٍ، فأَمْهِلْ حتَّى تقدم المدينة دار الهجرة ودار السُّنَّةِ فتخْلُصَ بأصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرينَ والأَنْصَارِ فيحفظُوا مقالتك وينزِّلُوها على وجهها. فقال: والله لأَقُومَنَّ به في أَوَّلِ مقام أقومه بالمدينة. قال ابن عبَّاس: فقدمْنَا المدينة، فقال: إن الله بعثَ محمَّدًا ﷺ بالحقِّ، وأَنْزلَ عليه الكتاب، فكان فيما أنزل آيةُ الرَّجْمِ»[1].

◻ عن المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث رضي الله عنهما أَنَّهُما قالا لعبيدِ الله بن عَدِيٍّ بن الخيار: ما يمْنَعُكَ أَنْ تُكلِّم خَالكَ عُثْمانَ -يعني: ابن عَفَّانَ- في أَخِيهِ الوليد بن عُقبة -يعني: أَخَاهُ من الرَّضَاعِ- وكان أكثر النَّاسِ فيما فعل به. قال عبيد الله: افنتصَبْتُ لعثمان حين خرج إلى الصَّلاةِ، فقلت له: إِنَّ لي إليك حاجةً، وهي نصيحةٌ. فقال: أَيُّها المرْءُ، أعوذُ بالله منك. فانصرفتُ. فلمَّا قُضِيتِ الصلاةُ جلسْتُ إلى المسور وإلى ابن عبد يغوثَ فحدَّثتهما بما قلتُ لعثمان وقال لي. فقالا: قد قضيْتَ الذي كان عليك. فبينما أنا جالسٌ معهما جاءني رسولُ عُثْمانَ، فقالا لي: قَدِ ابْتلاكَ اللهُ. فانطلقْتُ حتَّى دخلتُ عليه، فقال: ما نصيحتُكَ التي ذكرْتَ آنفًا؟ قال: فتشهَّدْتُ ثُمَّ قلتُ: إِنَّ الله بعَث محمدًا ﷺ، وأَنْزلَ عليه الكتاب وكُنْتَ مِمَّنِ اسْتجاب لله ورسوله ﷺ، وآمَنْتَ به وهاجرْتَ الهجْرتَيْنِ الأولينِ، وصحِبْتَ رسول الله ﷺ ورأيت هَدْيَهُ. وقد أكثر النَّاسُ في شَأْنِ الوليد بن عقبة، فحقٌّ عليك أن تُقِيمَ عليه الحَدَّ.. الأثر»، وفيه «فجلد

---

(١) البخاري «الفتح» (١٣/ ٧٣٢٣).

الوليد أربعين جلدةً، وأمر عليًّا أن يجلدهُ، وكان هو يجلدُهُ»(١).

◘ قال الحسن البصريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما زال لله تعالى نُصحاءُ، ينصحون لله في عباده، وينصحون لعباد الله في حَقِّ الله، ويعملون لله تعالى في الأرض بالنَّصيحةِ، أولئك خلفاءُ الله في الأرض»(٢).

◘ قال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ- يُوصي ابنهُ عبد الملك بعد ما تولَّى الخلافة-: «أمَّا بعدُ: فإنَّ أحقَّ من تعاهدْتُ بالوصيَّة والنَّصيحة بعد نفسي أنت، وإنَّ أحقَّ من رعى ذلك وحفظه عنِّي أنت، وإنَّ الله تعالى له الحمدُ قد أحسن إلينا إحسانًا كثيرًا بالغًا في لطيف أمرنا وعامَّتِه، .. إلى أنْ قال له: وإنِّي لأعظُكَ بهذا، وإنِّي لكثيرُ الإسراف على نفسي، غير مُحكِمٍ لكثيرٍ من أمري، ولو أَنَّ المرْءَ لم يعظ أخاه حتَّى يُحْكِمَ نفسه، ويكْمُلَ في الذي خلق له لعبادة ربِّه، إذًا تواكل النَّاسُ الخير، وإذًا يُرفع الأمر بالمعروف والنَّهْيُ عن المنكر، واستُحلَّتِ المحارِمُ، وقلَّ الواعظون والسَّاعون لله بالنَّصيحة في الأرض، فلله الحمدُ ربِّ السَّموات والأرض ربِّ العالمين وله الكبْرياءُ في السمواتِ والأرض وهو العزيزُ الحكيم»(٣).

◘ قال مسعر بن كدام رَحِمَهُ اللَّهُ: «رحم الله من أهدى إليَّ عيوبي في سرٍّ بيني وبينه، فإنَّ النَّصِيحةَ في الملأِ تقْرِيعٌ»(٤).

◘ قال معمر بن رَاشِدِ بن هَمَّامٍ الصَّنْعانيُّ: «كان يُقال: أنصحُ النَّاسِ

(١) البخاري «الفتح» (٧/ ٣٨٧٢).
(٢) «بصائر ذوي التمييز» (٥/ ٦٧، ٦٨).
(٣) «حلية الأولياء» (٥/ ٢٧٥- ٢٧٦).
(٤) «الآداب الشرعية» (١/ ٢٩٠).

لك من خاف الله فيك»[١].

□ قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

تَعَهَّدْني بِنُصْحِكَ فِي انفُرَادَي ... وجَنِّبْنِي النَّصِيحَةَ فِي الجَمَاعَهْ

فَإِنَّ النُّصْحَ بَيْنَ النَّاسِ نَوْعٌ ... مِنَ التَّوْبِيخ لا أَرْضَى اسْتِمَاعَهْ

فَإِنْ خَالَفْتَنِي وَعَصَيْتَ قَوْلِي ... فَلَا تَغْضَبْ إذَا لَمْ تُعْطَ طَاعَهْ[٢]

□ قال الفُضَيْلُ بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحُبُّ أفضل من الخوفِ، ألا ترى إذا كان لك عَبْدَانِ، أحدُهما يُحِبُّكَ والآخرُ يخافُكَ، فالذي يُحبُّكَ ينْصَحُكَ شاهدًا كنت أو غائبًا لِحُبِّهِ إيَّاكَ، والذي يخافك عسى أن ينصحك إذا شهدتِ لما يخافُكَ ويغُشُّكَ إذا غِبْتَ ولا ينْصَحُكَ».

□ وقال أيضًا: «المؤمنُ يَسْتُرُ وينصحُ والفاجِرُ يهْتِكُ ويُعَيِّرُ»[٣].

□ قال الآجُرِّيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا يكون نَاصِحًا لله تعالى ولرسوله ولأئمَّةِ المسلمين وعامَّتِهِمْ إلَّا من بدأ بالنَّصيحةِ لنفسه، واجْتَهَدَ في طلب العلم والفقْهِ ليعْرِفَ به ما يَجِبُ عليه، ويعلم عداوةَ الشيطان له وكيف الحذَرُ منه، ويَعْلَمَ قبيح ما تَميلُ إليه النَّفسُ حتَّى يخالفها بعلم»[٤].

□ قال ابن عبد البرِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَحِّضْ أخاكَ النَّصِيحةَ وإِنْ كانت عِنْدَهُ فضيحةً»[٥].

---

(١) «جامع العلوم والحكم» (ص٧١).

(٢) «التعليق على الفرق بين النصيحة والتعبير» لابن رجب (٣٩).

(٣) «جامع العلوم والحكم» (٦٨- ٧١).

(٤) «بصائر ذوي التمييز» (٥/ ٦٧).

(٥) المرجع السابق (٣/ ٦٠٥).

□ قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَنْ عُرِفَ منه أَنَّهُ أرادَ بِرَدِّه على العلماءِ النَّصيحةَ لله ورسُولِه، فإنَّهُ يَجِبُ أنْ يُعَامل بالإِكْرَام والاحترامِ والتَّعْظيم كسائر أئمَّةِ المسلمين الذين كان يُرَدُّ على المخْطيءِ منهم، ومن عُرِفَ أَنَّهُ أراد بردِّه عليهم التَّنْقِيصَ والذَّمَّ وإظهار العيب، فإنَّه يستحقُّ أنْ يُقَابل بالعقوبة ليرْتَدع هو ونظراؤُهُ عن هذه الرذائِلِ الُمحرَّمَةِ»[1].

□ وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَشَتَّانَ بين من قصْدُهُ النَّصِيحةُ، ولا تَلْتَبِسُ إحداهما بالأُخْرَى إلَّا على من ليس من ذَوِي العُقُول الصَّحيحة»[2].

□ وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنَّ النَّاصِحَ ليس له غَرَضٌ في إشاعةِ عيوبِ من يَنْصَحُ له، وإنَّما غرضه إزالةُ المفسدة التي وقع فيها؛ ولذلك فإِنَّهُ ينبغي أن تكون سِرًّا فيما بين الآمرِ والمأْمُورِ، وأمَّا الإشاعةُ وإظْهارُ العيوبِ فهو ممَّا حرَّمَهُ الله ورسوله، ومن حُبِّ إشاعةِ الفاحشة في المؤمنين»[3].

□ قال ابن رجبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الواجِبُ على المسلم أنْ يُحِبَّ ظهور الحقِّ ومعرفة المسلمين له، سواءٌ كان ذلك في موافقته أو مُخَالفته. وهذا من النَّصيحة لله ولكتابه ورسوله ودينه وأئمَّةِ المسلمين وعامَّتهم، وذلك هو الدِّينُ كما أخبر النَّبِيُّ ﷺ»[4].

□ قال بعض الشُّعراء:

اصْـفُ ضَـمِيرًا لِمَـنْ تُعَـاشِرُهْ   وَاسْـكُنْ إِلَى نَاصِـحٍ تُـشَاوِرُهْ

(١) «الفرق بين النصيحة والتعبير» لابن رجب (ص٣٦) بتصرُّف.
(٢) المصدر السابق (ص٤١).
(٣) نفس المصدر (ص٣٩) بتصرُّف.
(٤) المرجع السابق (ص ٣٢- ٣٣).

وَارْضَ عَـنِ المَـرْءِ في مَوَدَّتِـهِ ... بِمَـا يُـؤَدِّي إِلَيْـكَ ظَـاهِرُهُ
مَنْ يَكْشِفِ النَّاسَ لا يَجِدْ أَحَدًا ... تَنْـصَحُ مِـنْهُمْ لَـهُ سَرَائِـرُهُ
أَوْشَـكَ أَنْ لا يَـدُومَ وَصْـلُ أَخٍ ... فِي كُـلِّ زَلَّاتِـهِ تُنَـافِرُهُ [(١)]

□ وقال آخرُ:

وَأَجِبْ أَخَاكَ إِذَا اسْتَشَارَكَ نَاصِحًا ... وَعَلَى أَخِيكَ نَصِيحَةٌ لا تَرْدُدِ [(٢)]

□ عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه، قال: أتاه رجل، فقال: يا أبا عبد الرحمن، علِّمني كلمات جوامع نوافع؛ فقال: اعبد الله، ولا تشرك به شيئًا؛ وزُلْ مع القرآن حيث زال؛ ومن جاءك بالحق، فاقبل منه، وإن كان بعيدًا بغيضًا؛ ومن جاءك بالباطل فاردد عليه، وإن كان حبيبًا قريبًا» [(٣)].

الحسن البصري الناصح لابن هبيرة الأمير:

□ عن علقمة بن مرثد قال: «لما ولي عمر بن هبيرة العراق، أرسل إلى الحسن وإلى الشعبي، فأمر لهما ببيت؛ وكانا فيه شهرًا أو نحوه؛ ثم إن الخصي غدا عليهما ذات يوم، فقال: إن الأمير داخل عليكما؛ فجاءعمر يتوكَّأ على عصا له، فسَلَّم، ثم جلس مُعَظِّمًا لهما؛ فقال: إن أمير المؤمنين يزيد ابن عبد الملك ينفذ كُتُبًا، أعرف أن في إنفاذها الهلكة، فإن أطعته: عصيتُ الله، وإن عَصَيته أطعتُ الله ﷻ، فهل تريا لي في متابعتي إياه فرجًا؟

(١)«أدب الدنيا والدين» (ص٢٩١).
(٢)المرجع السابق (ص٢٩٤).
(٣)«الحلية» (١/ ١٣٤).

قال الحسين: يا أبا عمرو، أجب الأمير، فتكلَّم الشعبي، فانحط في حبل ابن هبيرة؛ فقال: ما تقول أنت يا أبا سعيد؟ فقال: أقول: يا عمر بن هبيرة، يوشك أن ينزل بك ملك من ملائكة الله تعالى، فظٌّ غليظ، لا يعصى الله ما أمره، فيخرجك من سعة قصرك، إلى ضيق قبرك؛ يا عمر بن هبيرة إن تتق الله يعصمك من يزيد بن عبد الملك، ولا يعصمك يزيد ابن عبد الملك من الله عَزَّوَجَلَّ؛ يا عمر بن هبيرة: لا تأمن أن ينظر الله إليك على أقبحِ ما تعمل في طاعة يزيد بن عبد الملك نظرة مقت، فيغلق بها باب المغفرة دونك؛ يا عمر بن هبيرة لقد أدركت ناسًا من صدر هذه الأمة، كانوا والله، على الدنيا وهي مقبلة أشد إدبارًا، من إقبالكم عليها وهي مدبرة؛ يا عمر بن هبيرة: إني أخوفك مقامًا خوفكه الله تعالى، فقال: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾ [إبراهيم]؛ يا عمر بن هبيرة إن تك مع الله تعالى في طاعته، كفاك بائقة يزيد بن عبد الملك: وإن تك مع يزيد بن عبد الملك على معاصي الله، وكلك الله إليه؛ قال: فبكى عمر، وقام بعبرته؛ فلما كان من الغد: أرسل إليهما بإذنهما وجوائزهما، وكثر منه ما للحسن، وكان في جائزته للشعبي بعض الإقتار؛ فخرج الشعبي إلى المسجد، فقال: يا أيها الناس، من استطاع منكم أن يؤثر الله تعالى على خلقه فيفعل؛ فوالذي نفسي بيده: ما علم الحسن منه شيئًا فجهلته، ولكن أردت وجه ابن هبيرة، فأقصاني الله منه»[(١)].

مالك بن دينار ينصح بلال بن أبي بردة:

□ عن مالك بن دينار قال: «كنت عند بلال بن أبي بردة، وهو في قبة

---

(١) «الحلية» (٢/ ١٤٩- ١٥٠).

له؛ فقلت: قد أصبت هذا خاليًا، فأي قصص أقص عليه؟ فقلت في نفسي: ما له خير من أن أقص عليه: ما لقي نفسي نظراؤه من الناس؛ فقلت له: أتدري من بني هذا الذي أنت فيه؟ بناها عبيد الله بن زياد، وبنى البيضاء، وبنى المسجد، فولي ما ولي؛ فصار من أمره: أن هرب، فطلب، فقتل؛ ثم ولي البصرة: بشر بن مروان؛ فقالوا: أخو أمير المؤمنين؛ فمات بالبصرة، فحملوه، وحشد الناس في جنازته؛ ومات زنجي، فحمله الزنج على طن من قصب؛ فذهب بأخي أمير المؤمنين، فدفنوه؛ وذهب بالزنجي، فدفنوه؛ ثم جعلت أقص عليه أميرًا أميرًا، حتى انتهيت إليه؛ فقلت في نفسي: قد بنيت دارًا بالكوفة، فلم ترها، حتى أخذت، فسجنت، فعذبت؛ حتى قتلت فيها»(١).

أبو مسلم الخولاني الناصح لمعاوية:

□ دخل أبو مسلم الخولاني على معاوية بن أبي سفيان، وقال: «السلام عليك أيها الأجير؛ فقال الناس: الأمير يا أبا مسلم؛ ثم قال: السلام عليك أيها الأجير؛ فقال الناس: الأمير؛ فقال معاوية: دعوا أبا مسلم، هو أعلم بما يقول؛ قال أبو مسلم: إنما مثلك: مثل رجل استأجر أجيرًا، فولاه ماشيته، وجعل له الأجر على أن يحسن الرعية، ويوف جزازها وألبانها؛ فإن هو أحسن رعيتها، ويوفر جزازها،حتى تلحق الصغيرة، وتسمن العجفاء: أعطاه أجره وزاد من قبله زيادة؛ وإن هو لم يحسن رعيتها، وأضاعها، حتى تهلك العجفاء، وتعجف السمينة؛ ولم يوفر جزازها

---

(١) «الحلية» (٢/ ٣٧٩- ٣٨٠).

وألبانها: غضب عليه صاحب الأجر، فعاقبه، ولم يعطه الأجر»[١].

□ وعن أبي مسلم الخولاني، أنه نادى معاوية بن أبي سفيان، وهو جالس على منبر دمشق؛ فقال: يا معاوية: إنما أنت قبر من القبور، إن جئت بشيءٍ: كان لك شيءٍ، وإن لم تجئ بشيءٍ؛ فلا شيءٍ لك؛ يا معاوية، لا تحسبن الخلافة جمع المال وتفرقه، ولكن الخلافة: العمل بالحق، والقول بالعدالة، وأخذ الناس في ذات الله عَزَّوَجَلَّ؛ يا معاوية: إنا لا نبالي بكدر الأنهار، ما صفت لنا رأس عيننا؛ وإنك رأس عيننا؛ يا معاوية، إياك أن تحيف على قبيلة من قبائل العرب، فيذهب حيفك بعدلك؛ فلما قضى أبو مسلم مقالته، أقبل عليه معاوية، فقال: يرحمك الله»[٢].

سعيد بن المسيب ناصحٌ للحجاج:

□ عن علي بن زيد بن جدعان قال: «قيل لسعيد بن المسيب: ما شأن الحجاج لا يبع إليك، ولا يهيجك، ولا يؤذيك؟ قال: والله ما أدري، غير أنه صلى ذات يوم مع أبيه صلاة، فجعل لا يتم ركوعها، ولا سجودها؛ فأخذت كفًا من حصباء، فحصبته بها؛ قال الحجاج: فما زلت أحسن الصلاة»[٣].

ابن محيريز وأدبه العالي ونُصحه الغالي:

□ كان ابن محيريز يجيء إلى عبد الملك بصحيفة فيها النصيحة، يقرئه ما

---

(١) «الحلية» (٢/ ١٢٥).
(٢) «الحلية» (٢/ ١٢٦).
(٣) «الحلية» (٢/ ١٦٥).

فيها؛ فإذا فرغ منها: أخذ الصحيفة»[١].

من كنوز حلية الأولياء:

□ عن الشافعي قال: «من وعظ أخاه سرًا: فقد نصحه، وزانه؛ ومن وعظه علانية: فقد فضحه، وخانه»[٢].

□ عن بلال بن سعد قال: «بلغني: أن المسلم مرآة أخيه، فهل تستريب من أمري شيئًا؟»[٣].

□ عن طاووس، أنه رأى فتية من قريش، وهم يرفلون في مشيتهم؛ فقال: إنكم لتلبسون لبسة: ما كانت آباؤكم تلبسها، وتمشون مشيئة: ما تحسن الرقاص يمشونها»[٤].

□ عن جعفر بن برقان قال: «قال لي ميمون بن مهران: يا جعفر، قل لي في وجهي ما أكره؛ فإن الرجل لا ينصح أخاه، حتى يقول له في وجهه ما يكره»[٥].

□ قال رجل لابن المبارك: «بقي من ينصح؟ قال: فهل بقي من يقبل؟»[٦].

□ عن سفيان الثوري قال: «قلت لمسعر بن كدام: تحب أن تهدي إليك

---

(١) «الحلية» (٥/ ١٤٤).
(٢) «الحلية» (٩/ ١٤٠).
(٣) «الحلية» (٥/ ٢٢٥).
(٤) «الحلية» (٤/ ١٠).
(٥) المصدر السابق (٤/ ٨٦).
(٦) المصدر السابق (٨/ ١٦٦).

عيوبك؟ قال: أما من ناصح: فنعم، وأما من موبخ: فلا»[١].

□ عن سفيان الثوري: «أنه قال لشاب يجالسه: أتحب أن تخشى الله حق خشيته؟ قال: نعم؛ قال: أنت أحمق، لو خفته حق خوفه، أديت الفرائض»[٢].

□ عن زياد بن جرير الأسدي، قال: «قدمت على عمر بن الخطاب، وعلي طيلسان، وشاربي عاف؛ فسلمت عليه، فرفع رأسه، فنظر إلي، ولم يرد علي السلام؛ فانصرفت عنه، فأتيت ابنه عاصمًا؛ فقلت له: لقد رميت من أمير المؤمنين في الرأس؛ فقال: سأكفيك ذلك، فلقي أباه؛ فقال: يا أمير المؤمنين، أخوك زياد بن جرير يسلم عليك، فلم ترد عليه السلام؛ فقال: إني قد رأيت عليه طيلسانًا، ورأيت شاربه عافيًا، قال: فرجع إلي، فأخبرني؛ فانطلقت، فقصصت شاربي، وكان معي برد شققته، فجعلته إزارًا ورداءً؛ ثم أقبلت إلى عمر، فسلمت عليه؛ فقال: وعليك السلام، هذا أحسن مما كنت فيه يا زياد»[٣].

□ قال عقبة بن وساج لرجاء بن حيوة: «لولا خصلتان فيك، لكنت أنت الرجل؛ قال: وما هما؟ قال: إخوانك يمشون إليك، ولا تمشي إليهم؛ ووسمت في أفخاذ دوابك: لرجاء، وكانت سمة القبيلة تكفيك؛ فقال له: أما قولك: إخواني يمشون إلي ولا أمشي إليهم؛ فربما أعجلوني عن صلاتي؛ وأما قولك: إني وسمت في أفخاذ دوابي: فإني لم أكن أرى بأسًا:

---

(١) «الحلية» (٧/ ٢١٧).

(٢) «الحلية» (٧/ ٢٠).

(٣) «الحلية» (٤/ ١٩٧ - ١٩٨).

أن يسم الرجل اسمه في أفخاذ دوابه»[١].

□ عن صفوان بن عمرو، أن يزيد بن حصين السكوني حين ولي حمص: «أرسل إلى يزيد بن ميسرة؛ قال: يا أبا يوسف، كيف ترى فيما ابتلينا به من هذا السلطان؛ قال: اتق الله أيها الأمير، وإياك والعجلة، وعليك بالأناة، وفي السجن راحة؛ هل تدري ما يقال لصاحب السلطان أيها المسلط؟ لا ينفخنك روح الشيطان؛ فإنك إنما خلقت من تراب، وإلى التراب تعود؛ ورثت مكان من قبلك، وغيرك وارث مكانك غدًا»[٢].

□ عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: «كتب إلي الفتح بن خشرف، يذكر أنه سمع موسى بن حزام الترمذي بترمذ، يقول: كنت أختلف إلى أبي سليمان الجوزجاني في كتب محمد بن الحسن، فاستقبلني أحمد بن حنبل عند الجسر؛ فقال لي: إلى أين؟ فقلت: إلى أبي سليمان؛ فقال: العجب منكم، تركتم إلى النبي ﷺ ثلاثة، وأقبلتم على ثلاثة إلى أبي حنيفة؟ فقلت: كيف يا أبا عبد الله؟ قال: يزيد بن هارون بواسط، يقول: حدثنا حميد عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ؛ وهذا يقول: حدثنا محمد بن الحسن، عن يعقوب، عن أبي حنيفة. قال موسى بن حزام: فوقع في قلبي قوله، فاكتريت زورقًا من ساعتي، فانحدرت إلى واسط، فسمعت من يزيد بن هارون»[٣].

---

(١) «الحلية» (٥/ ١٧٢ - ١٧٣).

(٢) «الحلية» (٥/ ٢٣٦).

(٣) المصدر السابق (٥/ ١٨٥).

نُصح لإمام أهل السنَّة أحمد بن حنبل:

□ عن صالح بن أحمد بن حنبل: «قال سمعت أبي يقول: لما دخلنا على إسحاق بن إبراهيم، قرأ علينا كتابه الذي كان صار إلى طرسوس؛ فكان فيما قرئ علينا: ليس كمثله شيء، وهو خالق كل شيء؛ فقلت: وهو السميع البصير؛ فقال بعض من حضر: سله، ما أراد بقوله: وهو السميع البصير؟ فقال أبي رَحِمَهُ اللهُ: فقلت: كما قال الله تعالى؛ قال صالح: ثم امتحن القوم، فوجّه بمن امتنع إلى الحبس، فأجاب القوم جميعًا، غير أربعة: أبي، ومحمد بن نوح، وعبيد الله بن عمر القواريري، والحسن بن حماد سجادة؛ ثم أجاب عبيد الله بن عمر، والحسن بن حماد؛ وبقي أبي، ومحمد بن نوح في الحبس؛ فمكثا أيامًا في الحبس، ثم ورد الكتاب من طرسوس بحملنا؛ فحمل أبي ومحمد بن نوح مقيدين، زميلين، وأخرجا من بغداد؛ فسرنا معهما إلى الأنبار؛ فسأل أبو بكر الأحول أبي، فقال: يا أبا عبد الله، إن عرضت على السيف، تجيب؟ فقال: لا؛ قال أبي: فانطلق بنا، حتى نزلنا الرحبة، فلما رحلنا منها -وذلك في جوف الليل- وخرجنا من الرحبة: عرض لنا رجل؛ فقال: أيكم أحمد بن حنبل؟فقيل له: هذا، فسلم على أبي؛ ثم قال له: يا هذا، ما عليك أن تقتل هاهنا، وتدخل الجنة هاهنا؟ ثم سلم وانصرف؛ فقلت: من هذا؟ فقالوا: هذا رجل من العرب، من ربيعة، يعمل الشعر في البادرية، يقال له: جابر بن عامر؛ فلما صرنا إلى أذنة ورحلنا منها -وذلك في جوف الليل-: فتح لنا بابها، فلقينا رجل -ونحن خارجون من الباب، وهو داخل فقال: البشرى قد مات الرجل قال -أبي: وكنت أدعو الله أن لا أراه؛ قال أبو الفضل -صالح-: فصار أبي، ومحمد ابن نوح إلى طرسوس، وجاء -يعني: المأمون- من البذيذون، ورفدوا في

أقيادهما إلى الرقة، في سفينة مع قوم محتبسين؛ فلما صارا بعمان: **توفي محمد** ابن نوح رَحِمَهُ اللَّهُ، فتقدم أبي، فصلى عليه، ثم صار إلى بغداد **وهو مقيد،** فمكث بالياسرية أيامًا، ثم صير إلى الحبس، في دار اكتريت **له، عند دار** عمارة؛ ثم نقل بعد ذلك إلى حبس العامة في درب الموصلية، **فمكث في** السجن منذ أُخذ، وحُمل إلى أن ضُرب، وخلي عنه ثمانية وعشرين **شهرًا؛** قال أبي: فكنت أصلي بهم وأنا مقيد، وكنت أرى بوران يحمل له **في زورق** ماء بارد، فيذهب به إلى السجن»[(١)].

□ حبس أحمد بن حنبل وبعض أصحابه في المحنة قبل أن يضرب؛ قال أحمد بن حنبل: لما كان الليل، نام من كان معي من أصحابي، وأنا متفكر في أمري؛ فإذا أنا برجل طويل يتخطى الناس، حتى دنا مني؛ فقال: أنت أحمد بن حنبل، فسكت؛ فقالها ثانية، فسكت؛ فقال في الثالثة: أنت أبو عبدالله أحمد بن حنبل؛ قلت: نعم؛ قال: اصبر، ولك الجنة؛ قال أبو عبدالله: فلما مسني حر السوط، ذكرت قول الرجل»[(٢)].

نصح سفيان الثوري لجليسه :

عن عبد الرحمن بن مصعب قال: «كان رجل ضرير يجالس سفيان الثوري؛ فإذا كان شهر رمضان: يخرج إلى السواد، فيصلي بالناس، فيكسى، ويعطي؛ فقال سفيان: إذا كان يوم القيامة: أثيب أهل القرآن من قراءتهم، وقال لمثل هذا: قد تعجلت ثوابك في الدنيا؛ فقال: يا أبا عبد الله، تقول لي هذا، وأنا جليسك؟ قال: أخاف أن يقال لي يوم القيامة: كان هذا

---

(١) «الحلية» (٩/ ١٩٦ - ١٩٧).

(٢) «الحلية» (٩/ ١٩٣).

جليسك، أفلا نصحته؟»[١].

□ عن زهير بن عبد الرحمن عن زيد بن ميسرة -وكان قد قرأ الكتب-؛ قال: الله تعالى أوحى فيما أوحى إلى موسى بن عمران عليه السلام: إن أحب عبادي إلي: الذين يمشون في الأرض بالنصيحة، والذين يمشون على أقدامهم إلى الجُمعات، والمستغفرون بالأسحار؛ أولئك الذين إذا أردت أن أصيب أهل الأرض بعذاب ورأيتهم: كففت عنهم عذابي؛ وإن أبغض عبادي إلي: الذي يقتدي بسيئة المؤمن، ولا يقتدي بحسنته»[٢].

□ عن أبي عبد الله الرازي قال: «قال لي سفيان بن عيينة: يا أبا عبدالله، عليك بالنصح لله في خلقه، فلن تلقاه بعمل أفضل منه؛ ألا، لا تأنس بمراد هؤلاء؛ فلو نادى مناد من السماء: إن الناس كلهم يدخلون الجنة، وأنا وحدي أدخل النار؛ لكنت بذلك راضيًا»[٣].

□ عن عبد العزيز بن أبي خالد قال: «مر سفيان الثوري بالقاضي -وهو يتكلم ببعض ما يضحك به الناس-؛ فقال له: يا شيخ، أما علمت أن لله يومًا يخسر فيه المبطلون؟ فما زالت تُعرف في وجه القاضي، حتى لقي الله عز وجل»[٤].

نصح عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز لأبيه:

□ عن عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز: «أنه دخل على عمر، فقال:

(١) «الحلية» (٧/ ١٦).
(٢) «الحلية» (٥/ ٢٣٧).
(٣) «الحلية» (٧/ ٢٧٨).
(٤) «الحلية» (٧/ ٥١).

يا أمير المؤمنين، إن لي حاجة فأخلني -وعنده مسلمة بن عبد الملك-، فقال له عمر: أَسِرٌّ دون عمك؟ فقال: نعم، فقام مسلمة وخرج، وجلس بين يديه، فقال له:يا أمير المؤمنين، ما أنت قائل لربك غدًا إذا سألك فقال: رأيت بدعة فلم تمتها، أو سنة لم يحيها؟، فقال له: يا بني أشيء حملتكه الرعية إلي، أم رأي رأيته من قبل نفسك؟ قال: لا والله، ولكن رأي رأيته من قبل نفسي، وعرفت أنك مسؤول، فما أنت قائل؟ فقال له أبوه: رحمك الله وجزاك من ولد خيرًا، فوالله إني لأرجو أن تكون من الأعوان على الخير، يا بني: إن قومك قد شدوا هذا الأمر عقدة عقدة وعروة عروة، ومتى ما أريد مكابرتهم على انتزاع ما في أيديهم، لم آمن أن يفتقوا علي فتقًا تكثر فيه الدماء، والله لزوال الدنيا أهون علي من أن يُهراق في سببي محجمة من دم، أوَما ترضى أن لا يأتي على أبيك يوم من أيام الدنيا إلَّا وهو يميت فيه بدعة ويحيي فيه سنة ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَاۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ٨٧﴾ [الأعراف]»[(١)].

□ عن وهب بن منبه:«قال رجل لراهب: أوصني، فإني أراك حكيمًا، قال: ازهد في الدنيا، ولا تنازع أهلها فيها، وكن فيها كالنحلة، إذا اختلفت، اختلفت طيبًا، وإن وضعت، وضعت طيبًا، وإن رفعت على عود، لم تكسره؛ وانصح لله نصح الكلب لأهله: يجيعونه، ويطردونه، ويضربونه، ويأبى إلَّا أن ينصح لهم؛ قال: فكان وهب بن منبه إذا ذكر هذا الحديث، قال: واسوأتاه إذا كان الكلب أنصح لأهله منك لله»[(٢)].

(١)«الحلية» (٥/ ٢٨٢-٢٨٣).

(٢)«الحلية» (٤/ ٢٨).

□ قال الزهري: «أراد ابن عمر أن يلعن خادمه، فقال: اللهم الع؛ فلم يتمها، وقال: هذه كلمة ما أحب أن أقولها»[١].

□ عن مرة بن شرحبيل قال: «سئل سلمان بن ربيعة عن فريضة، فخالفه عمرو بن شرحبيل، فغضب سلمان بن ربيعة، ورفع صوته؛ فقال عمرو بن شرحبيل: والله، لكذلك أنزلها الله تعالى؛ فأتيا أبا موسى الأشعري، فقال: القول ما قال أبو ميسرة؛ وقال لسلمان: ما كان ينبغي لك أن تغضب إن أرشدك رجل؛ وقال لعمرو: قد كان ينبغي لك أن تساوره -يعني: تساره- ولا ترد عليه، والناس يسمعون»[٢].

نصح عمر بن عبد العزيز للخوارج:

□ عن إبراهيم بن هشام بن يحيى بن يحيى الغساني: «حدثني أبي عن جدي، قال: بلغني أن ناسًا من الحرورية تجمعوا بناحية من الموصل، فكتبت إلى عمر بن عبد العزيز: أعلمه ذلك؛ فكتب إلي، يأمرني: أن أرسل إلي رجالًا من أهل الجدل، وأعطهم رهنًا، وخذ منهم رهنًا، واحملهم على مراكب من البريد إلي؛ ففعلت ذلك، فقدموا عليه، فلم يدع لهم حجة إلَّا كسرها؛ فقالوا: لسنا نجيبك حتى تكفِّر أهل بيتك، وتلعنهم، وتبرأ منهم؛ فقال عمر: إن الله لم يجعلني لعانًا، ولكن: إن أبقى أنا وأنتم، فسوف أحملكم وإياهم على المحجة البيضاء؛ فأبوا أن يقبلوا ذلك منه؛ فقال لهم عمر: إنه لا يسعكم في دينكم إلَّا الصدق، منذ كم دنتم الله بهذا الدين؟ قالوا: منذ كذا وكذا سنة؛ قال: فهل لعنتم فرعون وتبرأتم منه؟ قالوا: لا؛

(١) «الحلية» (١/ ٣٠٧).

(٢) المصدر السابق (٤/ ١٤٢- ١٤٣).

قال: فكيف وسعكم تركه، ولا يسعني ترك أهل بيتي، وقد كان فيهم المحسن والمسيء، والمصيب والمخطئ؟ قالوا: قد بلغنا ما هاهنا؛ فكتب إليَّ عمر: أن خذ من في أيديهم من رهنك، وخل من في يدك، من رهنهم، وإن كان رأى القوم أن يسيحوا في البلاد، على غير فساد، على أهل الذمة، ولا تناولوا أحدًا من الأئمة، فليذهبوا حيث شاؤوا؛ وإن هم تناولوا أحدًا من المسلمين وأهل الذمة، فحاكمهم إلى الله؛ وكتب إليهم: بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله عمر أمير المؤمنين، إلى العصابة الذين خرجوا، أما بعد: فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلَّا هو، فإن الله تعالى يقول: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النحل]. وإني أذكركم الله، أن تفعلوا كفعل كبرائكم، الذين خرجوا من ديارهم بطرًا ورئاء الناس، ويصدون عن سبيل الله، والله بما يعملون محيط؛ أفبذنبي تخرجون من دينكم، وتسفكون الدماء، وتنتهكون المحارم؟ فلو كانت ذنوب أبي بكر وعمر مخرجة رعيتهم من دينهم، إن كانت لهما ذنوب، فقد كانت آباؤكم في جماعتهم، فلم ينزعوا؛ فما سرعتكم على المسلمين، وأنتم بضعة وأربعون رجلًا؟ وأني أقسم لكم بالله، لو كنتم أبكاري من ولدي، فوليتم عما أدعوكم إليه من الحق، لدفقت دماءكم، ألتمس بذلك وجه الله والدار الآخرة؛ فهذا النصح؛ فإن استغششتموني، فقديمًا ما استغشى الناصحون؛ فأبوا إلَّا القتال، وحلقوا رؤوسهم، وساروا إلى يحيى بن يحيى، فأتاهم كتاب عمر، ويحيى موافقهم للقتال، من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى يحيى بن يحيى: أما بعد، فإني ذكرت آية من كتاب الله ﴿ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾ [البقرة]. وإن من العدوان: قتل

النساء والصبيان، فلا تقتلن امرأة، ولا صبيًا، ولا تقتلن أسيرًا، ولا تطلبن هاربًا، ولا تجهزن على جريح إن شاء الله؛ والسلام»[(١)].

□ عن يزيد بن الأصم قال: «لقيت عائشة رضي الله عنها وهي مقبلة من مكة: أنا، وابن لطلحة بن عبيد الله -وهو ابن أختها- وقد كنا وقعنا في حائِط من حيطان المدينة، فأصبنا منها فبلغها ذلك فأقبلت على ابن أختها، تلومه، وتعذله؛ ثم أقبلت علي، فوعظتني موعظة بليغة؛ ثم قالت: أما علمت أن الله تعالى ساقك، حتى جعلك في بيت نبيه؛ ذهبت والله ميمونة وَرُمِيَ برسنك على غاربك؛ أما إنها كانت من أتقانا لله، وأوصلنا للرحم»[(٢)].

□ قال وهيب بن الورد: «لو أن علماءنا -عفا الله عنا وعنهم- نصحوا لله في عباده، فقالوا: يا عباد الله، اسمعوا ما نخبركم عن نبيكم ﷺ، وصالح سلفكم: من الزهد في الدنيا، فاعملوا به، ولا تنظروا إلى أعمالنا هذه الفاسدة: كانوا قد نصحوا لله في عباده؛ ولكنهم يأبون، إلَّا أن يجروا عباد الله إلى فتنتهم، وما هم فيه»[(٣)].

نصح سفيان الثوري لعلي بن الحسن السليمي:

□ عن مبارك أبي حماد قال: «سمعت سفيان الثوري يقول لعلي بن الحسن السليمي: إياك وما يفسد عليك عملك وقلبك، فإنما يفسد عليك

(١) «الحلية» (٥/ ٣٠٩- ٣١١).
(٢) «الحلية» (٤/ ٩٧).
(٣) «الحلية» (٨/ ١٤٠- ١٤١).

قبلك: مجالسة أهل الدنيا، وأهل الحرص، وإخوان الشياطين: الذين ينفقون أموالهم في غير طاعة الله؛ وإياك وما يفسد عليك دينك، فإنما يفسد عليك دينك: مجالسة ذوي الألسن، المكثرين للكلام.

وإياك وما يفسد عليك معيشتك، فإنما يفسد عليك معيشتك: أهل الحرص، وأهل الشهوات.

وإياك ومجالسة أهل الجفاء، ولا تصحب إلَّا مؤمنًا، ولا يأكل طعامك إلَّا تقي؛ ولا تصحب الفاجر، ولا تجالسه، ولا تجالس من يجالسه، ولا تؤاكله ولا تؤاكل من يؤاكله، ولا تحب من يحبه، ولا تفش إليه سرك، ولا تبسم في وجهه، ولا توسع له في مجلسك؛ فإن فعلت شيئًا من ذلك: فقد قطعت عرى الإسلام.

وإياك وأبواب السلطان، وأبواب من يأتي أبوابهم، وأبواب من يهوى هواهم؛ فإن فتنهم مثل فتن الدجال، فإن جاءك منهم أحد: فانظر إليه بوجه مكفهر، ولا تبال منهم شيئًا، فيرون أنهم على الحق، فتكون من أعوانهم؛ فإنهم لا يخالطون أحدًا: إلَّا دنسوه؛ وكن مثل الأترجة: طيبة الريح، طيبة الطعم؛ لا تنازع أهل الدنيا في دنياهم: تكن محببًا إلى الناس.

وإياك والمعصية، فتستحق سخط الله؛ واعلم: أنه لم يكن أحد أكرم على الله من آدم عليه السلام: جبل الله تربته بيده، ونفخ فيه من روحه، وأكرمه بسجود ملائكته، وأسكنه جنته؛ فأخرجه منها بذنب واحد.

✍ **واعلم يا أخي**: أن الله تعالى لن يدخل أحدًا الجنة بالمعاصي، وأن داود عليه السلام خليفة الله في الأرض: نزل ما نزل به بخطيئة واحدة، ولو أنا عملنا مثلها، لقلنا: ليست بخطيئة؛ فاتق الله يا أخي، واجتنب المعاصي

وأهلها؛ فإن أهل المعاصي: استوجبوا من الله النقمة.

وكن مبذولًا بمالك ونفسك لإخوانك، ولا تغشّهم في السرِّ والعلانية، وأبغض الجهال ومجالستهم، والفجار وصحبتهم؛ فإنه لا ينجو من جاورهم؛ إلَّا من عصم الله؛ وإذا كنت مع الناس: فعليك بكثرة التبسم والبشاشة؛ وإذا خلوت بنفسك: فعليك بكثرة البكاء، والهم، والحزن؛ فقد بلغنا والله أعلم: أن أكثر ما يجد المؤمن يوم القيامة في كتابه من الحسنات: الهم، والحزن.

وإياك وخشوع النفاق، وأن تظهر على وجهك خشوعًا ليس في قلبك»[١].

□ قال سهل بن عبد الله: «أركان الدين أربعة: الصدق، واليقين، والرضا، والحب؛ فعلامة الصدق: الصبر، وعلامة اليقين: النصيحة؛ وعلامة الرضا: ترك الخلاف؛ وعلامة الحب: الإيثار، والصبر يشهد للصدق»[٢].

□ عن محمد بن إدريس الشافعي قال: «ما ناظرت أحدًا قط، إلَّا على النصيحة»[٣].

□ عن أبي العالية قال: «تعلموا القرآن؛ فإذا تعلمتموه، فلا ترغبوا عنه؛ وإياكم وهذه الأهواء، فإنهم توقع بينكم العداوة والبغضاء؛ وعليكم بالأمر الأول، الذي كانوا عليه قبل أن يتفرقوا؛ فإنا قد قرأنا القرآن قبل أن

---

(١) «الحلية» (٧/ ٤٧ – ٤٨).
(٢) «الحلية» (١٠/ ١٩١ – ١٩٢).
(٣) المصدر السابق (٩/ ١١٨).

يقتل صاحبهم -يعني: عثمان- بخمس عشرة سنة. قال عاصم: فحدثت به الحسن؛ فقال: قد نصحك والله، وصدقك»(١).

□ عن أبي حمزة الأعور قال: «لما كثرت المقالات بالكوفة: أتيت إبراهيم النخعي، فقلت: يا أبا عمران، أما ترى ما ظهر بالكوفة من المقالات؟ فقال: أوه، دققوا قولًا، واخترعوا دينًا من قبل أنفسهم، ليس من كتاب الله، ولا من سنة رسول الله ﷺ؛ فقالوا: هذا هو الحق، وما خالفه باطل؛ لقد تركوا دين محمد ﷺ إياك، وإياهم»(٢).

نصح أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل لعمر:

□ عن محمد بن سوقة قال: «أتيت نعيم بن أبي هند، فأخرج إلى صحيفة؛ فإذا فيها: من أبي عبيدة بن الجراح، ومعاذ بن جبل، إلى عمر بن الخطاب: سلام عليك؛ أما بعد؛ فإنا عهدناك، وأمر نفسك لك مهم، فأصبحت قد وليت أمر هذه الأمة. أحمرها وأسودها، يجلس بين يديك الشريف والوضيع، والعدو والصديق، ولكل حصته من العدل؛ فانظر، كيف أنت عند ذلك يا عمر؟ فإنا نحذرك يومًا تعنو فيه الوجوه، وتجف فيه القلوب، وتنقطع فيه الحجج لحجة ملك، قهرهم بجبروته؛ فالخلق داخرون له، يرجون رحمته، ويخافون عقابه.

وأنا كنا نحدث: أن أمر هذه الأمة سيرجع في آخر زمانها، إلى أن يكونوا إخوان العلانية، أعداء السريرة؛ وإنا نعوذ بالله: أن ينزل كتابنا

(١) المصدر السابق (٢/ ٢١٨).

(٢) «الحلية» (٤/ ٢٢٣).

إليك، سوى المنزل الذي نزل من قلوبنا؛ فإنما كتبنا به: نصيحة لك؛ والسلام عليك.

فكتب إليهما عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من عمر بن الخطاب، إلى أبي عبيدة ومعاذ: سلام عليكما؛ أما بعد: أتاني كتابكما، تذكران أنكما عهدتماني، وأمر نفسي لي مهم؛ فأصبحت قد وليت أمر هذه الأمة: أحمرها وأسودها، يجلس بين يدي: الشريف والوضيع، والعدو والصديق، ولكل حصته من العدل.

كتبتما: فانظر كيف أنت عند ذلك يا عمر؛ وأنه: لا حول ولا قوة لعمر عند ذلك، إلَّا بالله عز وجل.

وكتبتما: تحذراني ما حذرت منه الأمم قبلنا، وقديمًا: كان اختلاف الليل والنهار بآجال الناس يقربان كل بعيد، ويبليان كل جديد، ويأتيان بكل موعود؛ حتى يصير الناس إلى منازلهم: من الجنة، والنار.

كتبتما: تحذراني: أن أمر هذه الأمة سيرجع في آخر زمانها، إلى أن يكونوا إخوان العلانية، أعداء السريرة؛ ولستم بأولئك، وليس هذا بزمان ذاك؛ وذلك زمان تظهر فيه الرغبة والرهبة، تكون رغبة الناس بعضهم إلى بعض: لصلاح دنياهم.

كتبتما: تعوذاني بالله: أن أنزل كتابكما سوى المنزل الذي نزل من قلوبكما، وأنكما كتبتما به نصيحة لي؛ وقد صدقتما، فلا تدعا الكتاب إلي، فإنه لا غنى بي عنكما؛ والسلام عليكما»[١].

---

(١) «الحلية» (١/ ٢٣٧- ٢٣٨).

ونختم النصيحة بقول السعدي:

□ قال عبد الرحمن بن ناصرٍ السَّعْدِيُّ: «النَّصِيحَةُ لله ورسوله تكون بصدْقِ الإيمان، وإخْلاصِ النِّيَّةِ في الجهادِ والعزْمِ عليه عند القدْرة، وفعل المستطاعِ من الحثِّ والتَّرغيب والتَّشْجيع للمسلمين عليه»[1].

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (١٠/ ٢٧٥) بتصرف.

وصايا القرآن الكريم وما أجملها وأجمعها من وصايا

الوصية بالإسلام والعقيدة:

* قال تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [البقرة].

الوصية بتقوى الله عز وجل:

* قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾﴾ [النساء].

أجمل وأجمع الوصايا:

* قال تعالى: ﴿۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام].

الوصية بالصلاة:

* قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ ﴾ [مريم].

الوصيَّة بالوالدين:

* قال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [العنكبوت].

* وقال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [لقمان].

الوصية بإقامة الدين وعدم الفرقة:

* قال تعالى: ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِيٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾ [الشورى].

* وقال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ ۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِي كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الأحقاف].

التواصي بالصبر والرحمة:

* وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَـٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ ﴾ [البلد].

التواصي بالحق والصبر:

* وقال تعالى: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾ [العصر].

وصايا لقمان لابنه:

* قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَـٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [لقمان].

* وقال تعالى: ﴿ يَـٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَـٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾ [لقمان].

وصايا سيد البشر ﷺ مَن أُوتي جوامع الكلم نضعها في شغاف الأفئدة ونُكحِّل بها قلوبنا وعيوننا فمِن طيبها طابَ الطِّيب

هذه أحاديث جميلة فيها الوصايا الكريمة من سيد البشر ﷺ بأبي هو وأمي..

١- الوصية بالتقوى، والتوبة، وحسن الخلق:

• قال رسول الله ﷺ: «اتقِ الله حيثما كنتَ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالقِ الناس بخلُق حسن»[(١)].

٢- وصيَّتُه ﷺ بالقرآن:

□ عن طلحة بن مُصَرِّفٍ رضي الله عنه قال: «سألتُ عبد الله بن أبي أوْفى: هل أوصى رسول الله ﷺ؟ فقال: لا، قلتُ: فلم كُتِبَ على المسلمين الوصيَّةُ[(٢)]، أو فلم أمِرُوا بالوصيَّةِ؟ قال: أوْصَى بكتاب الله عز وجل»[(٣)].

---

(١) حسن: رواه أبو داود، وأحمد، والترمذي، والحاكم في «المستدرك»، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن أبي ذر، ورواه أحمد، والترمذي، والبيهقي في «الشعب» عن معاذ، ورواه ابن عساكر عن انس، وحسَّنه الألباني في «صحيح الجامع» (٩٧).

(٢) الوصية المسؤول عنها أولًا هي وصية الرجل في ماله، أي: في الأمور المادية، ولما كان الرسول ﷺ ليس عنده شيء يوصي به من نحو العقارات والأموال فقد انصرفت وصيته إلى الجانب الأهم، وهو كتاب الله عز وجل، وبهذا يفسر تركه للوصية في حديث عائشة رقم (١٦٣٥) في «صحيح مسلم» حيث قالت: «ما ترك رسول الله ﷺ درهمًا ولا دينارًا ولا شاة ولا بعيرًا ولا أوصى بشيء»، أي: بشيء من أمور الدنيا.

(٣) البخاري «الفتح» (٥٠٢٢)، ومسلم (١٦٣٤) واللفظ له.

٣- ويوصي بالأنصار رضي الله عنهم:

• عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «استوصوا بالأنصار خيرًا»(١).

• وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أوصيكم بالأنصار؛ فإنهم كِرشي وعَيبتي(٢)، وقد قضوا الذي عليهم، وبقيَ الذي لهم، فاقبلوا من محسنهم، وتجاوزوا عن مُسيئهم»(٣).

٤- ويوصي بالصحابة والتابعين وعدم الخلوة بالنساء، وعدم الفرقة:

• عن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أوصيكم بأصحابي، ثم الذين يلونهم، ثم يفشو الكذب، حتى يحلف الرجل ولا يُستَحلفُ، ويَشهدَ الشاهدُ ولا يُستشهَدُ، ألا لا يَخْلُوَنَّ رجلٌ بامرأةٍ إلَّا كان ثالثهما الشيطانُ، عليكم بالجماعة، وإياكم والفُرْقة؛ فإن الشيطان مع الواحد وهو من الإثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنة فليلزمِ الجماعة، مَن سرَّيه حَسَنَتُهُ، وساءته سيئتُهُ، فذلكِم المؤمن»(٤).

• وقال ﷺ: «الصلاةَ وما ملكت أيمانكم، الصلاة وما ملكت

---

(١) صحيح: رواه أحمد في «مسنده»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٩١٦)، و«صحيح الجامع» (٩٥٩).

(٢) أراد أنهم بطانته، وموضع سِره وأمانته، والذين يعتمد عليهم في أموره، واستعار الكرش والعيبة لذلك؛ لأن المجترَّ يجمع علفه في كرشه، والرجل يضع ثيابه في عيبته «النهاية».

(٣) رواه البخاري.

(٤) صحيح: رواه أحمد في «مسنده»، والترمذي، والحاكم في «المستدرك» وصححه الألباني في «الصحيحة» (١١١٦)، و«صحيح الجامع» (٢٥٤٦).

أيمانكم»(١).

٥- ويُوصي بالنساء خيرًا:

• عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «استوْصُوا بالنساء خيرًا؛ فإنَّ المرأةَ خُلِقَت مِن ضِلُع، وإنَّ أعوْج شيءٍ في الضِّلع أعلاه؛ فإنْ ذهبْتَ تُقيمه كسرتهُ، وإنْ تركْتَه لم يزل أعوجَ، فاستوصوا بالنساء خيرًا»(٢).

٦- ويُوصي بالحياء من الله ﷻ:

• عن سعيد بن يزيد بن الأزور قال: قال رسول الله ﷺ: «أُوصِيكَ أن تستحي من الله تعالى؛ كما تستحي من الرَّجُلِ الصالِح مِن قومِك»(٣).

٧- ويوصي بالجهاد، وبذكر الله تعالى، وتلاوة القرآن:

• قال ﷺ: «أوصيك بتقوى الله تعالى؛ فإنه رأسُ كلِّ شيءٍ، وعليكَ بالجهادِ؛ فإنه رهبانية الإسلام، وعليك بذكر الله تعالى، وتلاوة القرآن؛ فإنه رَوْحُكَ في السَّماءِ، وذِكْرُك في الأرض»(٤).

---

(١) صحيح: رواه أحمد، والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان عن أنس، ورواه أحمد، وابن ماجه عن أم سلمة، والطبراني في «الكبير» عن ابن عمر، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٨٧٣).

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) صحيح: رواه الحسن بن سفيان، والطبراني في «الكبير»، والبيهقي في «الشعب»، وأحمد في «الزهد»، والضياء، والخرائطي في «مكارم الأخلاق»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٧٤١)، و«صحيح الجامع» (٢٠٤١).

(٤) حسن: رواه أحمد في «مسنده» عن أبي سعيد، وحسَّنه الألباني في «الصحيحة» (٥٥٥)، و«صحيح الجامع» (٢٠٤٣).

٨- ويوصي بترك سؤال الناس شيئًا:

• عن أبي ذر ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «أُوصيك بتقوى الله تعالى، في سِرِّ أمرِكَ وعلانيتِهِ، وإذا أسأتَ فأَحْسِنْ، ولا تسأَلَنَّ أحدًا شيئًا، ولا تقبض أمانةً، ولا تقض بين اثنين»(١).

٩- ويوصي بالتكبير على كل شرَف:

• عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «أُوصيكَ بتقوى الله تعالى، والتَّكبير على كُلِّ شَرَفٍ»(٢).

١٠- وَيُوصِي بأن لا يكون المرءُ لَعَّانًا:

• عن جرموز بن أوس ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «أُوصِيكَ أن لا تكون لعَّانًا»(٣).

ومذهب أهل السُّنَّة والجماعة أنه لا يجوز لعن المعيّن وإن كان كافرًا ما دام حيًّا، فاللعن دعاء بالطرد مطلقًا من رحمة الله، وقد يسلم أشد الناس عداوة مثلما أسلم عكرمة بن أبي جهل وختم الله له بالشهادة، ومثلما أسلم طُليحة الأسدي بعد ادعائه النبوة واستشهد بعد ذلك في معارك فارس.

---

(١) حسن: رواه أحمد في «مسنده»، وحسَّنه الألباني في «صحيح الترغيب» (٨٠٤)، و«صحيح الجامع» (٢٥٤٤).

(٢) حسن: رواه ابن ماجه، وأحمد، وابن أبي شيبة، والترمذي، وابن خزيمة، والمحاملي، والحاكم في «المستدرك»، والبيهقي في «الشعب» وحسَّنه الألباني في «الصحيحة» (١٧٣٠)، و«صحيح الجامع» (٢٥٤٥).

(٣) صحيح: رواه أحمد، والبخاري في «التاريخ»، والطبراني في «الكبير»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٧٢٩)، و«صحيح الجامع» (٢٥٤٢).

١١- ويوصي بالسمع والطاعة لولاة الأمر من المسلمين: ويوصي بالسُّنَّة وترك الابتداع:

• عن العرباض بن سارية ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «أُوصيكم بتقوى الله، والسَّمْعِ والطاعةِ، وإِنْ أُمِّر عليكم عبدٌ حبشيٌّ، فإنه مَن يَعِشْ منكم بعدي فسيرى، اختلافًا كثيرًا، فعليكم بِسُنَّتِي وسُنَّةِ الخلفاء المهديِّين الراشدين، تَمَسَّكُوا بها، وعَضُّوا عليها بالنَّواجِذِ، وإياكم ومُحدَثاتِ الأمور؛ فإِنَّ كلَّ مُحْدَثةٍ بِدعة، وكُلَّ بدعةٍ ضلالةٌ»(١).

١٢- ويوصي بالجار:

• عن أبي أمامة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «أُوصيكم بالجار»(٢).

□ عن أبي ذر ﵁ قال: «إن خليلي ﷺ أوصاني: إذا طَبَخت مَرَقًا فأكثِرْ ماءَه، ثم انظرْ أهلَ بيتٍ من جِيرانِك، فأصبهم منهم بمعروف»(٣).

١٣- ويُوصي بطرد المشركين من جزيرة العرب، وضيافة الوفود وإكرامهم:

□ عن ابن عباس ﵄ قال: «يومُ الخميس! وما يومُ الخميس(٤)، ثُمَّ بَكَى حتَّى بَلَّ دمعه الحصى، الحديث، وفيه: أوصيكُمْ بثلاثٍ: أخرجوا

(١) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه، والحاكم في «المستدرك»، وصحَّحه الألباني في «الإرواء» (٢٤٥٥)، و«تحقيق شرح الطحاوية» (٥٠١، ٧١٥)، و«السنة» لابن أبي عاصم (٣١، ٥٤)، و«صحيح الجامع» (٢٥٤٩).
(٢) صحيح: رواه الخرائطي في «مكارم الأخلاق»، وأحمد، والطبراني في «الكبير»، وصححه الألباني في «الإرواء» (٨٩١)، و«صحيح الجامع» (٢٥٤٨).
(٣) رواه مسلم (٢٦٢٥).
(٤) في هذه العبارة تفخيم أمر هذا اليوم في الشِّدَة والمكروه.

المشركين من جزيرة العرب، واجيزُوا الوَفْدَ بنحو ما كُنْتُ أجيزُهُمْ[(١)]، قال: وسكت عن الثالثة، أو قالها فأُنْسِيتُهَا[(٢)]»[(٣)].

١٤- ويوصي بآداب في الجهاد وعند الغزو:

□ عن سليمان بن بُريدة عن أبيه رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ إذا أَمَّرَ أميرًا على جيشٍ أو سَرِيَّةٍ، أوصاهُ في خَاصَّته بتقْوَى الله، ومن معه من المسلمين خيْرًا[(٤)]، ثُمَّ قال: اغْزُوا باسم الله، في سبيل الله، قاتلوا منْ كفر بالله، اغْزُوا ولا تغُلُّوا ولا تغدرُوا، ولا تمثُلُوا، ولا تقْتُلُوا وليدًا..» الحديث[(٥)].

١٥- ويُوصي بصيام ثلاثة أيام كل شهر، وركعتي الضحى، والوتر قبل النَّوْم:

□ وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أوصاني خليلي ﷺ بثلاث: «**بصيام ثلاثةِ أيامٍ من كُلِّ شهر، وركعتي الضُّحَى، وأن أوتر قبل أن أَرْقُدَ**»[(٦)].

١٦- ويوصي بعدم الغضب:

• عن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رجُلًا قال للنَّبِيِّ ﷺ أَوْصِني، قال: «لا

---

(١) معنى هذه العبارة: الأمر بضيافة الوفود، وإكرامهم تطييبًا لنفوسهم، وإعانة على سفرهم.

(٢) الساكت هنا هو ابن عباس، والناسي هو سعيد بن جبير الذي روى حديثه، قال المهلب: والثالثة هي تجهيز جيش أسامة.

(٣) رواه البخاري (٦/ ٣٠٥٣)، ومسلم (١٦٢٧)، واللفظ له.

(٤) أوصاه بمن معه.

(٥) رواه مسلم (٣/ ١٧٣١).

(٦) رواه البخاري «الفتح» (٦١١٦).

تغْضَبْ، فَرَدَّدَ مِرَارًا، قال: لا تغضَبْ»(١).

١٧- ويُوصِي بأقباط مصر خيرًا:

• عن أبي ذَرٍّ الغفارِيِّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّكُمْ ستَفْتَحُونَ أَرْضًا يُذْكَرُ فيها القِيرَاطُ (٢) فاسْتَوْصُوا بِأَهْلِها خَيْرًا؛ فَإِنَّ لهم ذِمَّةً وَرَحِمًا، فإذَا رَأَيْتُمْ رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ في مَوْضِعِ لَبِنَةٍ فاخْرُجْ مِنْهَا»(٣).

١٨- ويوصي معاذ بن جبل والأمة بذكر بعد الصلاة:

• عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا معاذ! والله إني لأحبك، أُوصيك يا معاذُ لا تَدَعَنَّ في دُبُرِ كُلِّ صلاةٍ أن تقول: اللهم أعنِّي على ذكرِكَ، وشُكْرِك، وحسنِ عبادتِكَ»(٤).

١٩- ووصِيَّتُه الجامعة المانعة لابن عباس:

• وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنتُ خلْفَ رسول الله ﷺ يومًا، فقال: «يا غلام، إني اعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسألِ الله، وإذا استَعنتَ فاستعِنْ بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيءٍ لم ينفعوك إلَّا بشيءٍ قد كتبه الله لك، ولو

(١) رواه البخاري (١١٧٨)، ومسلم (٧٢١) واللفظ له.

(٢) القيراط جزء من أجزاء الدينار، والدرهم، وهو الآن كذلك ويستعمل أيضًا اسمًا لجزء من أربعة وعشرين جزءًا من الفدان وكان أهل مصر –ولا يزالون– يكثرون من استعماله والتحدث به، وقد ورد التصريح باسم مصر في الحديث الذي أورده مسلم عقيب هذا.

(٣) مسلم (٢٥٤٣).

(٤) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود، والنسائي، وابن حبان، والحاكم في «المستدرك»، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (١٣٦٢)، و«صحيح الجامع» (٧٩٦٩).

اجتمعوا على أن يضروك بشيءٍ لم يضرُّوك إلَّا بشيءٍ قد كتبه الله عليك، رُفِعت الأقلام، وجفّت الصحف»(١).

□ عن مُصْعَبِ بن سعدٍ عن أبيه رضي الله عنهما، أَنَّهُ نزلتْ فيه آياتٌ من القُرْآنِ، قال: حلفتْ أُمُّ سَعْدٍ أَلَّا تُكَلِّمه أبدًا حتَّى يكفر بدينه، ولا تأكل ولا تشربَ، قالت: زعمْتَ أَنَّ الله وصَّاكَ بوالديْكَ، وأنا أمُّكَ وأنا آمركَ بهذا، قال سَعْدٌ: مكثَتْ ثلاثًا حتَّى غُشِيَ عليها من الجهدِ، فقام ابنٌ لها يقال له عمارةُ فسقاها، فجعلتْ تَدْعُو على سعدٍ، فأنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ في القرآن هذه الآية: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ ﴾ وفيها: ﴿ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ [لقمان: ١٥]»(٢) الحديث.

من أقوال العلماء في الوصية والتواصي:

□ قال عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه عندما قيل له: أوصنا يا أمير المؤمنين، قال: أوصِيكُمْ بِذِمَّةِ الله، فَإِنَّهُ ذِمَّةُ نبيِّكُمْ، ورِزْقُ عيالِكُمْ»(٣).

□ عن جابر رضي الله عنه لَمَّا حضر أُحُدٌ (٤). دَعَاني أبي من اللَّيْلِ فقال: ما أراني إلَّا مقتُولًا في أوَّلِ من يُقتَلُ من أصحابِ النَّبِيِّ ﷺ، وإنِّي لا أتركُ بعْدِي أَعَزَّ مِنْكَ، غيرَ نَفْسِ رسولِ الله ﷺ، وإنَّ عليَّ دَيْنًا فاقْضِهِ (٥)، واستَوْصِ

(١) صحيح: رواه أحمد، والترمذي، والحاكم في «المستدرك»، ورواه أبو يعلى والطبراني في «الكبير» وابن السني، والآجري والضياء، وابن أبي عاصم عن أبي سعيد وعن عبدالله بن جعفر، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٩٥٧).

(٢) رواه مسلم (١٧٤٨).

(٣) البخاري (٣١٦٢).

(٤) أي: لَمَّا كان يوم أُحُدُ.

(٥) أي: اقضِ عني هذا الدَّيْن.

بأخواتِكَ خَيْرًا»[(١)].

□ قال جُنْدُبُ لأصْحَابِهِ وهو يُوصيهِمْ: «إنَّ أَوَّلَ ما يَنْتُنُ من الإنْسانِ بَطنُهُ، فمن استطاع ألَّا يأكُلَ إلَّا طيِّبًا فليفعل، ومنِ استطاع ألا يُحال بينه وبين الجنةِ بملْءِ كَفٍّ منْ دم هراقَةُ فليفعل»[(٢)].

□ عن الشافعي ﷺ قال في قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر]. لوْ تدبَّرَ الناسُ هذه السورة لوسعَتْهُمْ»[(٣)].

□ سأل بعضهم شيخ الإسلام ابن تيمية أنْ يُوصِيَهُ بما فيه صلاحُ دينه ودُنْياه، فأجابَ رَحِمَهُ اللهُ: «أمَّا الوصيةُ فما أعلم وصيَّةً أنْفَعَ من وصيَّةِ الله ورسوله لمنْ عقلها واتَّبعَها، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١]، ووصَّى النبيُّ ﷺ مُعاذًا لَمَّا بعثه إلى اليمن فقال: **«اتَّقِ الله حيثما كنت وأتْبع السَّيئةَ الحسنة تمْحُها، وخالق الناسَ بخلقٍ حسنٍ»**.

فهذه وصيَّةٌ جامعةٌ لمن عقلها، مع أنَّها تفْسيرٌ للوصيَّةِ القرآنيَّةِ، أمَّا بيانُ جمعها فلأنَّ العبْدُ عليه حقَّانِ: حقٌّ لله عَزَّ وَجَلَّ، وحَقٌّ لعباده، ثُمَّ الحَقُّ الذي عليه لا بدَّ أنْ يخُلَّ ببعضه أحيانًا، إمَّا بترْكِ المأمُورِ به أو فعل المنهيِّ عنه، وفي وقوله ﷺ: «اتَّقِ الله حَيْثُما كنت» تحقيقٌ لحاجته إلى التَّقْوى في السِّرِّ

---

(١) البخاري (١٣٥١).

(٢) البخاري (٧١٥٢)، قال ابن حجر: وقع هذا الحديث من هذا الوجه موقوفًا، وهكذا أخرجه الطبراني عن الحسن عن جندب موقوفًا، قال: وسياقه يحتمل الرفع والوقف.

(٣) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٥٨٥).

والعلانيَّة -وفي كُلِّ زمانٍ ومكانٍ-، ثُمَّ قال: «وأَتْبع السَّيئةَ الحسنة تَمْحُهَا»؛ لأنَّه لَمَّا كان الذنب للعبد كأنَّه أمرٌ حَتْمٌ كان الكيِّسُ هو الذي لا يزال يأتي من الحسنات ما يمْحُو به السَّيْئات، وفي هذا إرشادٌ للخاصَّةِ والعامَّةِ بما يخلِّصُ النُّفوس من ورطاتِ الذنوب وهو إتباعُ السيِّئات الحسنات، ولَمَّا قضى الرسول ﷺ بهاتيْنِ الكلمتين حَقَّ الله من عمل الصالح وإصلاح الفاسد، قال: «**وخالِقِ الناس بخلقٍ حسنٍ**»، وهو حَقُّ الناس، وأمَّا بيانُ أنَّ هذا كُلَّهُ في وصيَّةِ الله فهو أنَّ اسم «تقْوَى الله يجمع فعل كلِّ ما أمر به اللهُ به إيجابًا واستحْبَابًا، وما نهى عنه تحريمًا وتنْزِيها، وهذا يجمَعُ حقوقَ الله وحقوقَ العباد»[1].

من درر وصايا السلف ولآلئهم:

وصيَّةُ علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى كُمَيل بن زياد بن نُهيْك النَّخَعي الكوفي:

□ قال كُمَيْلُ بن زِيادٍ[2]: «أخذَ عليُّ بن أبي طالبٍ بيدي، فأخرجني إلى ناحيةِ الجَبَّانِ[3]، فلمَّا أصْحَرَنا[4]؛ جلسَ، ثُمَّ تنفَّسَ، ثم قال:

«يا كُمَيْلُ بن زيادٍ! القلوبُ أوْعِيَةٌ، فخيرها أوْعاها؛ احفظْ ما أقولُ لكَ:

النَّاسُ ثلاثةٌ: فعالِمٌ ربَّانِيٌّ، ومُتعلِّمٌ على سبيلِ نَجاةٍ، وهَمَجٌ رَعَاعٌ[5]

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٦٥٣، ٦٥٤).
(٢) كان شريفًا مُطَاعًا في قومه، من ثقات التابعين قتله الحجّاج صبرًا سنة ٨٢هـ.
(٣) كل صحراء.
(٤) خرجوا إلى الصحراء.
(٥) أراذل الناس.

أَتباعُ كُلِّ نَاعِقٍ [١] يميلونَ مع كُلِّ ريحٍ، لم يسْتَضِيئوا بنور العلمِ، ولمْ يلْجَؤوا إلى رُكْنٍ وَثيقٍ.

العلمُ خيرٌ من المالِ، العلْمُ يحْرُسُكَ وأنت تحرسُ المالَ، العلمُ يَزْكو على العملِ والمالُ تُنْقِصُهُ النَّفقةُ، ومحبَّةُ العالِمِ دِيْنٌ يُدانُ بها.

العلمُ يُكْسِبُ العالِمَ الطاعة في حياته، وجميلَ الأُحْدُوثَةِ بعد موته، وصنيعةُ المال تَزولُ بزَوالِه.

ماتَ خُزَّانُ الأموال وهم أحياءٌ، والعلماءُ باقونَ ما بَقِيَ الدَّهْرُ؛ أعيانُهم مَفقودةٌ وأمثالهم في القلوب موجودةٌ.

ها؛ إن ها هنا -وأشارَ بيده إلى صَدْره- علمًا لو أَصَبْتُ له حملةً!

بلى أصبتُه لَقِينًا [٢] غير مأمونٍ؛ يستعْمِلُ آلةَ الدين للدُّنيا، يستظْهِرُ بحُجَجِ الله على كتابه، وبنعمهِ على عباده، أو مُنقادًا لأهلِ الحقِّ لا بصيرةَ له في إحيائه، يَقْتَدِحُ الشَّكُّ في قلبه بأولِ عارضٍ من شبْهةٍ، لا ذا ولا ذاكَ، لا يَدْري أين الحقُّ؟ إنْ قال؛ أخطأ، وإنْ أخطأ؛ لم يَدْرِ، مشغوفٌ بما لا يُدْرَى حقيقتُه، فهوفِتْنَةٌ لمن افتُتِنَ به، وإنَّ من الخيرِ كلِّهِ من عرَّفَهُ الله دِينَهُ، وكفى بالمرءِ جَهْلًا أن لا يعرفَ دينَهُ، أو منْهُومٌ باللذَّاتِ، سلَسُ القيادِ للشَّهواتِ، أو مُغْرًى بجمعِ الأموالِ والادِّخارِ، وليسا من دُعاةِ الدِّين، أقربُ شبهًا بالأَنْعامِ السَّائمةِ، كذلك يموتُ العلم بموتِ حامليةِ.

اللهم بلى؛ لا تَخْلو الأرضُ من قائمٍ لله بحُجَّةٍ؛ لئلَّا تبْطُلَ حُجَجُ الله وبيِّناته، أولئك هم الأقلُّونَ عددًا، الأعظمون عند الله قدرًا، بهم يدفع الله

(١) الناعق: الصائح وهو هنا الراعي.

(٢) سريع الفهم.

عن حججه حتى يُؤدُّها إلى نُظرائهم، ويزرعوها في قلوب أشباههم، هجمَ بهمُ العلمُ على حقيقة الأمر، فاستلانوا ما استوعر منه المُتْرَفونَ، وأَنسوا بما استوحش منه الجاهلون، صحِبُوا الدُّنيا بأبْدانٍ أرواحُهَا مُعَلَّقَةٌ بالمنظر الأعلى، أولئك خُلَفاءُ الله في بلاده، ودعاتُهُ إلى دينه.

هاه هاه! شوقًا إلى رُؤيتهم، وأستغفر الله لي ولك، إذا شِئْتَ؛ فَقُمْ[(١)].

وصية عُتبة بن غزوان الصحابي البدري رضي الله عنه:

□ قال خالدُ بن عمر العدويُّ: «خطبنا عُتْبَةُ بن غزْوانَ، فحمدَ الله، وأثنَى عليه، ثُمَّ قال:

أمَّا بَعْدُ: فإنَّ الدُّنيا قد آذنتْ[(٢)] بصُرْمٍ[(٣)]، وَوَلَّتْ حَذَّاءَ[(٤)]، ولم يبق منها إلَّا صُبابَةٌ[(٥)] كصبابة الإناء، يتصابُّها[(٦)] صاحِبُها، وإنَّكم منتقلون إلى دارٍ لا زوال لها؛ فانْتَقِلوا بخير ما بحضرتكم؛ فإنَّهُ قد ذُكِرَ لنا أَنَّ الحجر يُلْقَى من شفة جهنَّمَ، فيَهْوي فيها سبعين عامًا لا يُدرك لها قَعْرًا.

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٧٩- ٨٠)، ومن طريقه الخطيب في «الفقيه والمتفقة» (١/ ٤٩- ٥٠) والشجري في «الأمالي الخميسية» (ص٦٦). وأهل العلم بالحديث يثني عليه ويثبته، منهم الخطيب البغدادي في «الفقه والمتفقه» (١/ ٥٠)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٢/ ١١٢)، وابن قيم الجوزية في «إعلام الموقعين» (٢/ ١٩٥)، وابن أبي العز الحنفي في «الاتباع» (ص٨٥- ٨٦)، وابن كثير في «البداية والنهاية» (٩/ ٤٧)، واحتج به الشاطبي في «الاعتصام» (٢/ ٣٥٨).

(٢) أعلمت.

(٣) الانقطاع والذهاب.

(٤) مسرعة.

(٥) البقية اليسير من الشراب.

(٦) يشربها.

وواللهِ لَتُمْلأنَّ. أفعجبتم؟!

ولقد ذُكِرَ لنا أَنَّ ما بين مصراعَيْنِ من مصارِيعِ الجَنَّةِ مَسيرةُ أربعين سنةً، وليأتِيَنَّ عليها يَوْمٌ وهو كظِيظٌ [١] من الزِّحام.

ولقد رأيتني سابعَ سبعةٍ مع رسول الله ﷺ، وما لنا طعامٌ إلَّا ورقُ الشجر، حتى قَرُحَتْ أشداقُنا [٢]؛ فالتقطْتُّ بردةً، فشققتُها بيني وبين سعدِ ابن مالكٍ [٣]، فاتَّزَرْتُ بنصْفِها، واتَّزَرَ سعدٌ بنصفِها، فما أصبح اليوم مِنَّا أحَدٌ إلَّا أصبحَ أميرًا على مصْرٍ من الأمْصارِ.

وإنِّي أعوذُ بالله أنْ أكون في نفسي عظيمًا وعندَ الله صغيرًا.

وإنَّها لم تكنْ نُبُوَّةٌ قَطُّ إلَّا تناسَخَتْ حتى يكون آخرُ عاقبتها مُلْكًا؛ فستبرون وتُجرِّبونَ الأمراءَ بعدنا [٤].

وصية سفيان الثوري إلى عبَّاد بن عبّاد الخَوَّص الأرسوفيِّ:

كتبَ سفيانُ الثوريُّ رَحِمَهُ اللهُ إلى عبَّاد بن عَبَّادٍ الخَوَّاصِ رَحِمَهُ اللهُ فقال:

«أمَّا بعد: فإنَّكَ في زمانٍ كان أصحابُ النَّبيِّ ﷺ يتعوَّذُونَ أنْ يُدرِكوهُ، ولهم من العلم ما ليس لنا، ولهم من القدم ما ليس لنا، فكيف بنا حين أدْرَكْناهُ على قلَّةِ علمٍ، وقلَّةِ صَبْرٍ، وقلَّةِ أَعْوانٍ على الخيرِ، وفسادٍ من النَّاسِ، وكدرٍ من الدُّنيا؟!

فعليك بالأمرِ الأوَّلِ، والتَّمَسُّكِ به، وعليك بالخُمولِ، فإنَّ هذا زَمَنُ

(١) ممتلِيء.

(٢) صار فيها قروح من خشونة الورق ومرارته.

(٣) هو سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٤) رواه مسلم (٨/ ١٠٢) نووي.

الخُمولِ، وعليك بالعُزْلَة، وقِلَّةِ مُخالطَةِ الناس، فإنه كان الناسُ إذا التقوا؛ يَنْتَفعُ بعضهم ببعضٍ، فأَمَّا اليوم؛ فقد ذهب ذاكَ، والنَّجاةُ في تركهم فيما نرى.

وإيَّاكَ والأمراءَ أَنْ تَدْنُو منهم وتُخالطَهُم في شيءٍ من الأشياءِ، وإيَّاكَ أَنْ تُخْدَعَ، فيقال لك: تَشْفَعُ، وتَدْرَأُ عن مظلومٍ، أو تُردُّ مظلمةً، فإنَّ ذلك خَديعةُ إبْليسَ، وإنَّما اتَّخَذَها فُجَّارُ القُرَّاءِ سُلَّمًا.

وكان يقال: اتَّقُوا فتنة العابِدِ الجاهل، والعالم الفاجر؛ فإنَّ فِتْنتهُمَا فِتْنَةٌ لكُلِّ مَفْتُونٍ.

وما لَقيتَ من المسْأَلةِ والفُتْيا؛ فاغْتَنِمْ ذلك، ولا تُنافِسْهُم فيه.

وإيَّاك أنْ تكون كمنْ يُحِبُّ أنْ يُعْمَلَ بقوله، أو يُنْشَرَ قوله، أو يُسْمَعَ قولهُ، فإذا تُرِكَ ذاكَ منهُ؛ عُرِفَ فيه.

وإيَّاكَ وحُبَّ الرِّئاسةِ؛ فإنَّ الرَّجُل تكون الرِّئاسةُ أحبَّ إليه من الذَّهبِ والفِضَّةِ، وهو بابٌ غامضٌ، لا يُبْصِرُهُ إلَّا العلماء السَّماسرة، فتفقَّدْ نفسك، واعمَلْ بِنيَّةٍ، واعلمْ أنَّهُ قدْ دَنا من الناس أَمْرٌ يَشْتَهي الرَّجُلُ أنْ يمُوتَ.

والسَّلامُ[(١)].

نعم.. صدق سفيان ونصح، ورحم الله ابن عبد البر القائل:

حُـبُّ الرِّياسَـةِ دَاءٌ يَخْلُـقُ الـدُّنْيا ... ويَجْعَـلُ الحُـبَّ حَرْبًـا للمُحِبِّيْنـا

يَفْرِي الحَلاقِمَ والأرْحَـامَ يَقْطَعُهـا ... فـلا مُـروءَةَ يُبْقِـي لا ولا دِيْنـا

---

(١) ذكرها أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٣٧٦- ٣٧٧).

مَن سَادَ بالجَهْلِ أَوْ قَبْلَ الرُّسُوخ ... تَـــراهُ إلَّا عَـــدُوًّا للمُحِقِّيْنَـــا
يَبْغِي ويَحْسَدُ قَوْمًا وهُـو دُونَهُـم ... ضَـاهَى بـذلكَ أَعْـداءَ النَّبِيِّنـا (١)

وصيّة عبّاد بن عبّاد الخوّاص (٢) إلى أهل السنة والجماعة:

عن عبَّادِ بنِ عبَّادٍ الخَوَّاصِ الشَّاميِّ أبو عُتبةَ قال:

أمَّا بعدُ: اعْقِلوا، والعقلُ نعمةٌ وإنَّهُ يوشِكُ أَنْ يكونَ حَسْرةً، فربَّ ذي عَقْلٍ قد شغل قلبَهُ بالتَّعمُّقِ فيما هو عليه ضَرَرٌ عن الانتفاع بما يحتاجُ إليه، حتى صارَ عن ذلك ساهيًا.

ومن فضْلِ عقل المرء تَرْكُ النَّظَرِ فيما لا نظر فيه حتى يكون فَضْلُ عقله وبالًا عليه في ترك مناقشة من هو دونهُ في الأعمال الصَّالِحَةِ، أو رجلٌ شَغلَ قلبهُ ببدعةٍ قلَّدَ فيها دينَه رجالًا دونَ أصحابِ رسول الله ﷺ، أو اكْتَفى برأيِهِ فيما لا يرى الهُدَى إلَّا فيها، ولا يرى الضَّلالَةَ إلَّا تَرْكَها؛ بزعْمِ أنَّهُ أَخَذَها من القرآنِ، وهو يَدْعو إلى فراق القُرْآنِ.

أَفَما كان للقُرآنِ حملةٌ قبلَهُ وقبل أصحابه يعملون بمحكمه، ويؤمنونَ بمتشابِهِهِ؟! وكانوا مِنهُ على مَنارٍ أَوْضَحَ للطَّريقِ.

وكان القرآنُ إمامَ رسولِ الله ﷺ، وكانَ رسولُ الله ﷺ إمامًا لأصحابِهِ، وكان أصْحابُهُ أَئِمَّةً لمن بعدَهُم؛ رجالٌ معروفونٌ منسوبونَ في البُلْدان، متَّفِقونَ في الرَّدِّ على أصحاب الأهواءِ، مع ما كان بينهم من الاختلافِ، وتسَكُّعِ أصحاب الأهواءِ برأيهمْ في سُبُلٍ مختلِفَةٍ جائرَةٍ عن

(١) «جامع بيان العلم» (١/ ١٤٣- ١٤٤).

(٢) من فضلاء أهل الشام وعُبَّادهم، وثقة يحيى بن معين والفسوي.

القصدِ، مُفارِقَةٍ للصِّراطِ المستقيم، فتوّهَتْ بهم أدلاؤهم في مَهامِهَ مُضِلَّة، فأَمْعَنُوا فيها مُتعسِّفينَ في هيآتهم، كُلَّما أحْدَثَ لهم الشيطان بدعةً في ضلالتهم؛ انتقلوا منها إلى غيرها؛ لأنَّهُم لم يطلُبوا أثَرَ السَّالِفينَ، ولم يقْتَدوا بالمُهاجرين.

وقد ذُكِرَ عن عُمر أنَّهُ قال لزيادٍ: «هلْ تدْري ما يَهْدِمُ الإسلامَ؟ زَلَّةُ عالمٍ، وجِدالُ منافِقٍ بالقرآنِ، وأئمَّةٌ مُضِلُّون».

اتَّقُوا الله وما حدثَ في قُرَّائِكُم وأهل مساجدكُمْ من الغيبةِ والنَّميمةِ والمَشْي بين النَّاسِ بوجْهَيْنِ ولسانَيْنِ.

وقد ذُكِرَ أنَّ من كان ذا وجهين في الدُّنيا، كان ذا وجهينِ في النَّارِ.

يَلقاكَ صاحب الغيبة، فيغْتابُ عندك من يرى أنَّكَ تُحِبُّ غيْبتَهُ، ويُخالِفُكَ إلى صاحبك، فيأتيْهِ عنك بمثله، فإذا هو قد صاب عند كُلِّ واحدٍ منكما حاجتَهُ، وخَفِيَ على كُلِّ منكما ما يأتي عند صاحبه.

حُضورُه عند من حضر حُضورُ الإخوانِ، وغيبتُه عن من غَابَ عنه غيْبَةُ الأعداءِ.

من حضَرَ منهم؛ كانتْ له الأثرةُ، ومن غاب منهم؛ لمْ تكُنْ له حُرمةٌ.

يَغْبنُ من حضرةُ بالتزكيةِ، ويغتابُ من غَابَ عنه بالغِيْبَةِ.

فيا لعبادِ الله! أما في القوم من رشيدٍ ولا مُصْلحٍ، به يُقْمَعُ هذا عنْ مَكِيدَته، ويَرُدُّهُ عن عرضِ أخيه المسلم؟!

بل عرف هواهُمْ فيما مشى به إليهم، فاستمكَنَ منهم، وأمْكنوهُ من حاجته، فأكل بدينه مع أدْيانهم.

فالله الله! ذُبُّوا عن حُرَمِ أعيانكُم، وكُفُّوا ألسنتكُمْ عنهم؛ إلَّا من خيرٍ،

وناصحوا الله في أُمَّتِكُم إذ كنتم حملةَ الكتابِ والسُّنَّةِ، فإنَّ الكتابَ لا يَنْطِقُ حتى يُنْطَقَ به، وإنَّ السُّنَّةَ لا تَعْمَلُ حتَّى يعمل بها.

فمتى يتعلَّمُ الجاهِلُ إذا سكت العالِمُ فلم يُنْكِرْ ما ظهر، ولم يأمُرْ بما تُرِكَ؟!

وقد أخذَ الله مِيثاقَ الذين أتوا الكتاب لَيُبَيِّنُنَّهُ للنَّاسِ، ولا يكْتُمونَهُ.

كأنَّهُ لا يعلمُه إخوانكُم، إنْ أرضوْكُمْ؛ لو تُنَاصِحوهم، وإنْ أسخطوكم؛ أغنيتموهم، فلا أنتم ورعْتُم في السُّخْطِ، ولا أنتم ناصحْتُموهُم في الرِّضا.

اتَّقوا الله فإنَّكم في زمانٍ رَقَّ فيه الوَرَعُ، وقلَّ فيه الخشوعُ، وحمل العلمَ مُفْسِدوهُ، فأَحبُّوا أَنْ يُعْرَفوا بحمله، وكرهوا أَنْ يعرفوا بإضاعته، فنطقوا فيه بالهوى؛ لما أَدْخَلوا فيه من الخطإِ، وحرَّفوا الكلمَ عمَّا تركوا من الحَقِّ إلى ما علموا به من الباطلِ، فذُنُوبهم ذنوبٌ لا يُسْتَغْفَرُ منها، وتقصيرُهُم لا يُعْتَرَفُ به.

كيف يهتدي المستَدِلُّ المسترشدُ إذا كان الدَّليلُ حائرًا؟!

أَحَبُّوا الدُّنيا، وكرهوا منزلة أهْلِها، فاشركُوهم في العيش، وزايلوهم بالقولِ، ودافَعُوا بالقول عن أنْفُسهِمْ أَنْ يُنْسَبُوا إلى عملهم، فلم يَتَبَرَّؤوا ممَّا انْتَفَوْا منه، ولم يَدْخُلوا فيما نَسَبُوا إليه أنفسهم؛ لأنَّ العامل بالحقِّ متكلِّمٌ وإنْ سكتَ، وقد ذُكر أنَّ الله تعالى يقولُ: «إنِّي لستُ كُلَّ كلام الحكيم أتقبَّلُ، ولكنِّي أنْظُرُ إلى همِّه وهَواهُ؛ فإنْ كان همُّهُ وهَواهُ لي؛ جعلْتُ صمته حمدًا ووقارًا، وإنْ لم يتكلَّمْ».

* قال الله تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ

ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾ ﴾ [الجمعة].

* وقال تعالى: ﴿ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ ﴾ [البقرة: ٦٣].

قال: العملُ بما فيه.

ولا تكْتفُوا من السُّنَّة بانْتحالها بالقولِ دونَ العملِ بها؛ فإنَّ انْتِحالَ السُّنَّةِ دونَ العملِ بها كذبٌ بالقولِ مع إضاعَةِ العلمِ.

ولا تَعِيْبُوا بالبدع تزيُّنًا بعيبها؛ فإنَّ فساد أهلِ البدع ليس بزائدٍ في صلاحِكُمْ، ولا تعيْبُوها بغْيًا على أهلها؛ فإنَّ البَغْيَ من فسادِ أنفسكم.

وليس يَنْبَغِي للمُطَبِّبِ أن يداوي المرضى بما يُبْرِئهم ويمرضه، فإنَّهُ إذا مرض؛ اشتغل بمرضه عن مُداواتهم، ولكن ينبغي أنْ يلتمس لنفسه الصِّحَّةَ؛ لِيقْوَى على علاج المرضى.

فليَكُنْ أمركم فيما تُنْكِرونَ على إخْوانِكُمْ نظرًا منكم لأنفسكم، ونصيحةً منكم لربِّكُمْ، وشفقةً منكم على أخوانُكمْ، وأَنْ تكونوا -مع ذلك- بعُيوبِ أنفسكم أَعْنَى بعيوبِ غيركُم، وأَنْ يستفطمَ بعضكم بعضًا النَّصيحةَ، وأَنْ يحْظَى عندكم من بذَلَها لكم وقبِلَها مِنْكُم، وقدْ قال عمرُ بن الخطَّابِ رضي الله عنه: «رَحِمَ الله من أَهْدَى إليَّ عيُوبِي».

تُحِبُّونَ أن تقولوا فيُحْتَمل لكم، وإنْ قيل لكم مِثْلُ الذي قلتم؛ غضبْتُ، تجدون على النَّاسِ فيما يُنْكِرونَ من أمورهم، وتأتون مثل ذلك، أفلا تُحِبُّون أنْ يُؤخذَ عليكم؟!

اتَّهموا رأيكُمْ ورأْي أهل زمانكم، وتثبَّتُوا قبل أنْ تكلَّموا، وتعلَّموا قبل أَنْ تُعَلِّموا، فإنَّهُ يأْتي زمانٌ يشتبهُ فيه الحَقُّ والباطِلُ، ويكونُ المعروفُ

فيه مُنْكرًا، والمنكر فيه معروفًا، فمنكم مقتربٌ إلى الله بما يُباعدُهُ، ومتحبِّبٌ إليه بما يُبْغِضُهُ عليه، قال الله تعالى: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ﴾ الآية [فاطر: ٨].

فعليكُمْ بالوقوفِ عند الشُّبُهات، حتى يبرُزَ لكم واضِحُ الحقِّ بالبيِّنَةِ، فإنَّ الدَّاخلَ فيما لا يعلم بغير علم آثمٌ، ومن نظر لله؛ نظر الله له.

وعليكُمْ بالقرآنِ، فأْتمُّوا به، وأمُّوا به، وعليكم بطلب أثَرِ الماضِينَ فيه.

ولو أنَّ الأحْبارَ والرُّهبانَ لم يَتَّقوا زَوالَ مراتبهِمْ وفسادَ منزلتهِمْ بإقامةِ الكتاب وتبْيانِه؛ ما حَرَّفوهُ ولا كَتَمُوه، ولكنَّهُمْ لَمَّا خالفوا الكِتابَ بأعْمالِهِمْ، الْتَمسوا أَنْ يخْدَعوا قوْمَهُم عمَّا صَنَعُوا؛ مخافةَ أَنْ تَفْسُدَ منازِلُهُم، وأَنْ يتبَيَّنَ للنَّاسِ فَسادُهُم، فحَرَّفوا الكتاب بالتَّفْسيرِ، وما لَمْ يستطيعوا تَحْريفهُ؛ كتمُوهُ، فسكتوا عنْ صَنيعِ أنفسهم؛ إبقاءً لمنازلهم، وسكتُوا عمَّا صنع قومُهم؛ مُصانَعَةً لهُم.

ولقدْ أخذَ الله ميثاقَ الذين أُوتوا الكتاب ليُبيِّنُنَّهُ للنَّاسِ، ولا يكتُمونَهُ، بل مالوا عليه، ورفقوا لهم فيه[(١)].

وصية الحسن البصري لعمر بن عبد العزيز:

□ كتبَ الحسنُ إلى عُمَرَ بن عبد العزيز: «اعلمْ أَنَّ التَّفْكُّرَ يدع إلى الخيرِ والعمل به، والنَّدَمَ على الشرِّ يدعو إلى تركِهِ، وليس ما يفنى -وإنْ كان كثيرًا- يعْدِلُ ما يبقى- وإنْ كان طلبُهُ عزيزًا، واحتمالُ المؤونَةِ المنقطعَةِ التي تُعْقِبُ الراحةَ الطويلةَ خيرٌ من تعجيلِ راحةٍ منقطعةٍ تُعْقِبُ مؤونةً باقيةً.

---

(١) أخرجه الدارمي (١/ ١٦٠- ١٦٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٢٨٢).

فاحْذَرْ هذه الدارَ الصارعَةَ الخادعة الخاتِلَةَ التي قد تزيَّنتْ بخدعها، وغرَّتْ بغُرورها، وقتلتْ أهلها بأملها، وتشوَّفتْ لخُطَّابِها، فأصبحتْ كالعروسِ المجْلُوَّة: العيونُ إليها ناظِرَةٌ، والنفوسُ لها عاشِقةٌ، والقلوبُ إليها والهةٌ، ولألبابِها دامغةٌ، وهي لأزواجِها كلِّهم قاتِلةٌ، فلا الباقي بالماضي معتَبِرٌ، ولا الآخرُ بها رأى من الأوَّلِ مُزدَجرٌ، ولا اللبيبُ بكثرةِ التَّجاربِ مُنْتَفعٌ، ولا العارفُ بالله والمصدِّقُ له حين أخبرَ عنها مدكر.

فأبتِ القلوبُ لها إلَّا حُبًا، وأبتِ النُّفوسُ بها إلَّا ضنًّا، وما هذا منا لها إلَّا عِشْقًا، ومن عشقَ شيئًا؛ لم يَعْقِلْ غيرهُ، وماتَ في طلبه، أو يظفر به، فهما عاشقان طالبان لها:

فعاشِقٌ قد ظَفِرَ بها واغتَرَّ، ونسيَ بها المبدأَ والمعاد، فشُغِلَ بها لبُّهُ، وذُهِلَ فيها عَقلُهُ، حتى زَلَّتْ عنها قدمُهُ، وجاءَتْهُ أَسْرَعَ ما كنت له مَنِيَّتُهُ، فعظُمَتْ ندامتُه، وكُسِرتْ حسْرَتُهُ، واشتَدَّتْ كرْبتُهُ؛ مع ما عالج من سكرتِهِ، واجتمعتْ عليه سكراتُ الموتِ بألمه، وحسرةُ الموتِ بغُصَّتِهِ، غير موصوفٍ ما نزلَ به.

وآخَرُ ماتَ قبل أَنْ يظفرَ منها بحاجتِهِ، فذهب بكُرْبه وغَمِّه، لم يُدْرِكْ منها ما طلب، ولم يُرِحْ نفسه من التَّعَبِ والنَّصَبِ، خرجا جميعًا بغير زادٍ، وقَدِما على غير مِهادٍ.

فاحْذَرْها الحذر كُلَّهُ؛ فإنَّها مثلُ الحَيَّةِ: لَيِّنٌ مسُّها، وسُمُّها يَقْتُلُ.

فأعرِضْ عما يُعْجِبُكَ فيها؛ لقلَّة ما صحَبُكَ منها، وضعْ عنك همومَها؛ لما عايَنْتَ من فجائعها، وأيْقنْتَ به من فراقها، وشدِّدْ ما اشتَدَّ منها لرخاءِ ما يصيبُكَ، وكُنْ أَسَرَّ ما تكون فيها أحذر ما تكونُ لها؛ فإنَّ صاحِبَها كُلَّما

اطمأَنَّ إلى سُرورٍ لَهُ أشخصتْهُ عنها بمكروهٍ، وكُلَّما ظَفِرَ بشيءٍ منها، وثنى رجلًا عليه؛ انْقَلَبتْ به.

فالسَّارُّ فيها غَارٌّ، والنافعُ فيها غَدًا ضارٌّ، وصِلَ الرَّخاءُ فيها بالبلاء، وجُعِلَ البقاءُ فيها إلى فناءٍ، سرورُها مشوبٌ بالحُزْنِ، وآخرُ الحياةِ فيها الضعفُ والوهنُ، فانظرْ إليها نظرَ الزاهِدِ المفارِقِ، ولا تنظُرْ نظر العاشِقِ الوامِقِ.

واعلمْ أَنَّها تزيلُ الثاويَ الساكِنَ، وتَفْجَعُ المغرورَ الآمِنَ، لا يرجعُ ما تولَّى منها فأَدْبَر، ولا يُدْري ما هو آتٍ فيها فيُنتظَرُ.

فاحذرْها؛ فإنَّ أَمانِيها كاذبةٌ، وإِنَّ آمالَهَا باطلةٌ، عيشُها نَكِدٌ، وصفوها كَدَرٌ، وأنت منها على خطرٍ: إمَّا نعمةٌ زائِلَةٌ، وإمَّا بليَّةٌ نازلةٌ، وإمَّا مُصيبةٌ موجعةٌ، وإمَّا منيَّةٌ قاضيةٌ.

فلقد كدَّرَتْ عليه المعيشةُ إنْ عقلْ، وهو من النعماءِ على خطرٍ، ومن البَلْوى على حَذَرٍ، ومن المنايا على يقينٍ، فلو كان الخالِقُ تعالى لم يُخْبِرْ عنها بخبرٍ، ولم يضرِبْ لها مثلًا، ولم يأْمُر فيها بزهدٍ؛ لكانتِ الدَّارُ قد أيقظَتِ النائِمَ، ونبَّهَتِ الغَافِلَ.

فكيفَ وقد جاءَ من الله تعالى عنها زاجِرٌ، وفيها واعِظٌ؟! فما لها عند الله ﷿ قَدْرٌ، ولا لها عندِ الله تعالى وَزنٌ من الصِّغرِ، ولا تزِنُ عند الله تعالى مقدارَ حَصاةٍ من الحَصا، و مقدارَ ثراةٍ في جميعِ الثَّرى، ولا خلق خَلْقًا - فيما بُلِّغْتُ - أبْغض إليه من الدنيا، ولا نظر إليها منذ خلقها؛ مقْتًا لها.

ولقد عُرِضتْ على نبيِّنا ﷺ بمفاتيحها وخزائنها، ولم يَنْقُصْهُ ذلك عندَهُ جناحَ بعوضةٍ، فأَبى أَنْ يقْبلها، وما منعهُ من القبولِ لها - ولا يَنْقُصُه

عند الله تعالى شيءٌ- إلَّا أنَّهُ علم أنَّ الله تعالى أبغضَ شيئًا فأبْغضهُ، وصغَّرَ شيئًا فصغَّرَهُ، ووضع شيئًا فوضعهُ، ولو قبلها؛ كان الدَّليل على حُبِّهِ إيَّاها قبولُها، ولكنَّهُ كره أنْ يحبَّ ما أبْغضَ خالقه، وأنْ يرفع ما وضعَ مليكُهُ.

ولو لم يدُلُّه على صغر هذه الدَّارِ إلَّا أنَّ الله تعالى حَقَّرَها أنْ يجعل خيرها ثوابًا للمُطيعين، وأنْ يجعل عُقوبتها عذابًا للعاصينَ، فأخْرجَ ثوابَ الطاعةِ منها، وأخرج عقوبة المعصية عنها.

وقد يدلُّكَ على شَرِّ هذه الدَّارِ أنَّ الله تعالى زَواها عن أنبيائه وأحبائهِ اختبارًا، وبسطها لغيرهم اعتبارًا واغترارًا.

ويَظُنُّ المغرورُ بها والمفتونُ عليها أنَّهُ إنَّما أكرمَهُ بها، ونسي ما صنع بمحمدٍ المصطفى ﷺ، وموسى المختارِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بالكلامِ له وبمناجاتِه:

فأَمَّا محمدٌ ﷺ، فشَدَّ الحجر على بطنِهِ من الجوعِ.

وأمَّا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فَرُئِيَ خضرةُ البقلِ من صفاقِ بطنه من هُزالِهِ، ما سألَ الله تعالى يومَ أوى إلى الظِّلِّ إلَّا طعامًا يأْكُلُه من جوعِه.

ولقد جاءتِ الرواياتُ عنه أنَّ الله تعالى أَوْحَى إليه أن يا موسى! إذا رأيت الفقر مقبلًا؛ فقُلْ: مرحبًا بشعار الصالحين، وإذا رأيتَ الغنى قد أقبل؛ فقلْ: ذنْبٌ عُجِّلتْ عقوبتُه.

وإنْ شئت ثَلَّثْته بصاحب الرُّوح والكلمةِ، ففي أمره عجيبةٌ، كان يقول: أُدْمي الجوعُ، وشعاري الخوفُ، ولباسي الصُّوفُ، ودابَّتي رجلي، وسراجي بالليل القمرُ، وصلايتي في الشِّتاء الشمس، وفاكهتي وريحاني ما أنبتت الأرضُ للسباعِ والأنعام، أَبيتُ وليس لي شيءٌ، وليس أحدٌ أَغنى مني.

ولو شئتَ؛ رَبَّعْتُ بسليمانَ بن داود عليه السلام فليس دُونَهُم في العجبِ، يأكُلُ خبزَ الشَّعيرِ في خاصَّتِه، ويطعمُ أهله الخشكارَ والناسَ الدرمكَ، فإذا جَنَّهُ الليلُ؛ لبسَ المسوحَ، وغَلَّ اليد إلى العُنُقِ، وباتَ باكيًا حتى يصبح، يأكُلُ الخَشِنَ من الطَّعامِ، ويَلْبَسُ الشعر من الثيابِ.

كلُّ هذا؛ يبغضون ما أبغضَ الله عز وجل ويُصغِّرون ما صَغَّرَ الله تعالى، ويزهَدُونَ فيما فيه زَهَّدَ.

ثم اقتصَّ الصالحون بعد منْهاجَهُمْ، وأخذوا بآثارهم، وألزموا الكَدَّ والعبرَ، وألطفوا التَّفكُّرَ، وصبروا في مدِة الأجلِ القصير عن متاع الغُرورِ الذي إلى الفناءِ يصيرُ، ونظروا إلى آخرِ الدُّنيا، ولم ينظُروا إلى أَوَّلِها، ونظروا إلى عاقبة مرارتها ولم ينظروا إلى عاجلةِ حلاوتها.

ثم أَلزموا أنفسهم الصبرَ؛ أنزلوها من أنفسهم بمنزلةِ الميتَةِ التي لا يحِلُّ الشِّبَعُ منها إلَّا في حالِ الضَّرورةِ إليها، فأكلوا منها بقدْرِ ما يرُدُّ النفس، ويَقِي الرُّوحَ، ومكنِ اليوم، وجعلوها بمنزلةِ الجيفةِ التي قد اشتَدَّ نَتنُ ريحِها، فكُلُّ من مرَّ بها؛ أمسكَ على أنفهِ منها، فهم يصيبونَ منها لحالِ الضُّرِّ، ولا ينتهون منها إلى الشِّبَعِ من النَّتنِ، فقُرِّنَتْ عنهم، وكانت هذه منزلتُها من أنفسهم، فهم يعجبون من الآكلِ منها شِبَعًا، والمتلذِّذِ بها أشَرًا، ويقولون في أنفسهم: أما ترى هؤلاء لا يخافونَ من الأكلِ؟! أما يجِدون ريحَ النَّتنِ؟!

وهي والله يا أخي في العاقبة والآجلةِ أنتَنُ من الجيفة المرصوفَةِ، غير أنَّ أقوامًا استعْجَلوا الصبرَ؛ فلا يجدون ريحَ النَّتنِ، والذي نشأَ في ريحِ الإهابِ النَّتِنِ لا يَجِدُ نتنَهُ، ولا يجِدُ من ريحه ما يؤذي المارَّةَ، والجالِسَ

عندَه.

وقد يكْفي العاقلَ منها أَنَّهُ من ماتَ عنها وتَركَ مالًا كثيرًا؛ سَرَّهُ أَنَّهُ كان فيها فقيرًا، أو شريفًا؛ أَنَّهُ كان فيها وضيعًا، أو كان فيها معافيً؛ سَرَّهُ أَنَّهُ كان فيها مُبْتليً، أو كان مُسَلْطنًا؛ سرَّهُ أَنَّهُ كان فيها سوقةً.

وإنْ فارقْتَها؛ سرَّكَ أَنَّكَ كنت أَوْضَعَ أهلها ضعةً، وأشدَّهُم فيها فاقةً، وأليس ذلك الدليل على خِزْيها لمَنْ يعْقِلُ أَمْرها؟!

والله لو كانت الدُّنيا من أرادَ منها شيئًا؛ وجدَهُ إِى جنبه؛ من غير طلبٍ ولا نصب؛ غير أَنَّه إذا أخذ منها شيئًا؛ لزِمَتْهُ حقوقُ الله فيه، وسأَلهُ عنه، ووقَفَهُ على حسابِهِ؛ لكانْ ينْبَغي للعاقلِ أَنْ لا يأْخُذَ منها إِلَّا قَدْرَ قُوتِهِ وما يكفي؛ حذرَ السُّؤالِ، وكراهيةً لشدَّةِ الحسابِ.

وإنَّما الدُّنيا إذا فكَّرتَ فيها ثلاثةُ أيام: يومٌ مضى لا ترْجوهُ، ويومٌ أنْتَ فيه ينبَغي لك أن تغْتنِمَهُ، ويومٌ يأتي لا تَدْري أنتَ من أهلهِ أم لا؟ ولا تَدْري لعلَّكَ تموتُ قبلَهُ.

فأَمَّا أَمْسِ؛ فحكيمٌ مؤدِّبٌ، وأمَّا اليوم؛ فصديقٌ مُودِّعٌ، غير أَنَّ أمس وإنْ كان قدْ فجعك بنفسه؛ فقد أَبْقى في يديكَ حِكْمَتَهُ، وإنْ كنتَ قد أَضَعْتَهُ؛ فقد جاءك خلفٌ منه، وقد كان عنك طويل الغيبةِ، وهو الآن عنكَ سَريعُ الرِّحْلةِ.

وغدًا أيضًا في يديكَ منهُ أَمَلُهُ، فخُذِ الثِّقَةَ بالعملِ، واتْرُكِ الغرورَ بالأَمَلِ قبل حُلولِ الأجلِ، وإيَّاكَ أن تُدْخِلَ على اليومِ هَمَّ غدٍ أو هَمَّ ما بعْدَهُ؛ زدتَ في حُزنِكَ وتعبِكَ، وأَردْتَ أن تجْمَعَ في يومِكَ ما يكفيكَ أيامكَ، هيهاتَ، كَثُرَ الشُّغُل، وزادَ الحُزْنُ، وعَظُمَ التَّعَبُ، وأضاع العبد

العمل بالأمل.

ولو أَنَّ الأمل في غدك خرج من قلبك؛ أحسنْتَ اليومَ في عملك، واقتصرتَ لهَمِّ يومك، غير أَنَّ الأمل في الغدِ دعاكَ إلى التَّفريطِ، ودعاكَ إلى المزيدِ في الطَّلَب.

ولَئِنْ شئتَ واقتصرتَ؛ لأَصِفَنَّ لك الدُّنْيا ساعةً بين ساعتين، ساعةٍ ماضيةٍ، وساعةٍ آتيةٍ، وساعةٍ أنت فيها.

فأَمَّا الماضيةُ والباقيةُ؛ فليس تَجِدُ لراحَتِها لذَّةً، ولا لبلائها أَلَمًا، وإنَّما الدنيا ساعةٌ أنت فيها، فخدعَتْكَ تلك الساعةُ عن الجَنَّةِ، وصيرَّتْك إلى النَّار.

وإنَّما اليومُ ـ إنْ عَقَلْتَ ـ ضيفٌ نزل بك وهو مرتَحِلٌ عنكَ، فإِنْ أحسنْتَ نُزلهُ وقِراهُ؛ شهِدَ لك، وأثْنَى عليك بذلك، وصدَق فيكَ، وإنْ أسأْتَ ضيافته، ولم تحْسِنْ قراهُ؛ جَال في عينيك.

وهما يومانِ بمنزلةِ الأخوينِ، نَزَلَ بك أحدُهما، فأَسأْتَ إليهِ، ولم تحسِنْ قِراهُ فيما بينك وبينه، فجاءَكَ الآخرُ بعدَه، فقال: إنِّي قد جئتُكَ بعد أخي، فإِنَّ إحسانَكَ إليَّ يمحو إساءَتَكَ إليه، ويغْفِرُ لك ما صنعْتَ، فدونَكَ إذ نَزَلْتُ بك وجئْتُكَ أخي المرتَحل عنك، فلقدْ ظفِرْتَ بخلَفٍ منه إنْ عقلْتَ، فدَارِكْ ما قدْ أضَعْتَ، وإن أَلحَقْتَ الآخر بالأول؛ فما أخلقكَ أَنْ تهْلَكَ بشهادَتِهما عليك.

إنَّ الذي بقيَ من العُمرُ لا ثمنَ له ولا عدلَ، فلو جُمعتِ الدُّنيا كلُّها ما عدَلت يومًا بقيَ من عُمُر صاحبه، فلا تبعِ اليومَ وتَعْدِلْهُ من الدُّنيا بغيرِ ثمِنه، ولا يَكونَنَّ المقبورُ أعظمَ تعظيمًا لما في يديكَ منكَ وهو لكَ، لعَمْري

لو أنَّ مدفونًا في قبرِه قيل له: هذه الدُّنيا ـ أولُها إلى آخرها، تَجْعَلها لولدِكَ من بعدك يتنعَّمونَ فيها من ورائكَ، فقد كنت وليس لك همٌّ غيرهُم ـ أَحَبُّ إليك أم يومٌ تُتْرَكُ فيه تعمل لنفسك؛ لاختارَ ذلك، وما كان ليجمعَ مع اليوم شيئًا إلَّا اختارَ اليوم عليه؛ رغبةً فيه، وتعظيمًا له.

بل لو اقتصرَ على ساعةٍ خُيِّرَها وما بينَ أضعافِ ما وصفتُ لك وأضعافِهِ يكون لسواهُ؛ إلَّا اختارَ الساعَةَ لنفسِهِ على أضعافِ ذلك يكونُ لغيرِه.

بل لو اقتصر على كلمةٍ يقولُها تُكْتَبُ له وبين ما وصفتُ لك وأضعافهِ؛ لاختار الكلمة الواحدةَ عليهِ.

فانتقِدِ اليوم لنفسكَ، وأبْصِرِ الساعةَ، وأعظمِ الكلمةَ، وأحذَرِ الحسْرةَ عند نُزولِ السَّكْرَةِ، ولا تأْمَنْ أن تكونَ لهذا الكلام حُجَّةٌ، نفعنا الله وإياكَ بالموعظةِ، ورزقنا وإيَّاكَ خيرَ العواقب.

والسَّلامُ عليكم ورحمةُ الله وبركاتُهُ[١].

وصية أبي حازم الأعرج للزهري ونصحه إياه:

□ عن الذيال بن عباد قال: «كتب أبو حازم الأعرج إلى الزهري: عافانا الله وإياك أبا بكر من الفتن، ورحمك من النار؛ فقد أصبحت بحال: ينبغي لمن عرفك بها أن يرحمك منها؛ أصبحت شيخًا كبيرًا، قد أثقلتك نِعَم الله عليك: بما أصح من بدنك، وأطال من عمرك، وعلمت حجج الله تعالى: مما حملك من كتابه، وفقهك فيه في دينه، وفهّمك من سنة نبيك

(١) «الحلية».

ﷺ؛ فرمى بك في كل نعمة أنعمها عليك، وكل حجة يحتج بها عليك الغرض الأقصى؛ ابتلى في ذلك شكرك، وأبدى فيه فضله عليك؛ وقد قال: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ [إبراهيم]، انظر: أي رجل تكون إذا وقفت بين يدي الله ﷻ؟ فسألك عن نعمه عليك: كيف رعيتها؟ عن حججه عليك: كيف قضيتها؟ ولا تحسبن الله راضيًا منك بالتغرير، ولا قابلًا منك التقصير؛ هيهات، ليس كذلك أخذ على العلماء في كتابه، إذ قال تعالى: ﴿ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ ﴾ [آل عمران: ١٨٧] الآية. إنك تقول أنك جدل، ماهر، عالم، قد جادلت الناس: فجدلتهم، وخاصمتهم: فخصمتهم؛ إدلالًا منك بفهمك، واقتدارًا منك برأيك؛ فأين تذهب عن قول الله ﷻ: ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [النساء: ١٠٩] الآية.

اعلم، أن أدنى ما ارتكبت، وأعظم ما احتقبت: أن آنست الظالم، وسهلت له طريق الغي: بدنوك حين أدنيت وإجابتك حين دعيت؛ فما أخلقك: أن تبوء باسمك غدًا مع الجرمة، وأن تسأل عما أردت، بإغضائك عن ظلم الظلمة؛ إنك أخذت ما ليس لمن أعطاك، ودنوت ممن لا يرد على أحد حقًّا، ولا ترك باطلًا حين أدناك؛ وأجبت من أراد التدليس بدعائه إياك حين دعاك، جعلوك قطبًا تدور رحى باطلهم عليك، وجسرًا يعبرون بك إلى بلائهم، وسلمًا إلى ضلالتهم، وداعيًا إلى غيهم، سالكًا سبيلهم؛ يدخلون بك الشك على العلماء، ويقتادون بك قلوب الجهال إليهم؛ فلم تبلغ أخص وزرائهم، ولا أقوى أعوانهم لهم، إلَّا دون ما بلغت من: إصلاح فسادهم، واختلاف الخاصة والعامة إليهم؛ فما أيسر ما عمروا

لك، في جنب ما خربوا عليك؛ وما أقل ما أعطوك، في كثير ما أخذوا منك؛ فانظر لنفسك، فإنه لا ينظر لها غيرك؛ وحاسبها حساب رجل مسؤول؛ وانظر كيف شكرك لمن غذاك بنعمه، صغيرًا، وكبيرًا؟ وانظر كيف إعظامك أمر من جعلك بدينه في الناس بخيلًا؟ وكيف صيانتك لكسوة من جعلك لكسوته ستيرًا؟ وكيف قربك وبعدك، ممن أمرك أن تكون منه قريبًا؟ ما لك لا تنتبه من نعستك، وتستقيل من عثرتك؟ فتقول: والله، ما قمت لله مقامًا واحدًا: أحيي له فيه دينًا، ولا أميت له فيه باطلًا؛ إنما شكرك لمن استحملك كتابه، واستودعك علمه، ما يؤمنك أن تكون من الذين قال الله تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ ﴾ [الأعراف: ١٦٩] الآية. إنك لست في دار مقام قد أوذنت بالرحيل، ما بقاء المرء بعد أقرانه؟ طوبى لمن كان مع الدنيا على وجل، يا بؤس من يموت، وتبقى ذنوبه من بعده؛ إنك لم تؤمر بالنظر لوارثك على نفسك؛ ليس أحد أهلًا أن تردفه على ظهرك؛ ذهبت اللذة، وبقيت التبعة، ما أشقى من سعد بكسبه غيره؛ احذر، فقد أتيت، وتخلص، فقد أدهيت؛ إنك تعامل من لا يجهل، والذي يحفظ عليك لا يغفل؛ تجهز: فقد دنا منك سفر، وداو دينك، فقد دخله سقم شديد؛ ولا تحسبن أني أردت توبيخك، أو تعييرك وتعنيفك؛ ولكني أردت أنْ تنعش ما فات من رأيك، وترك عليك ما عزب عنك من حلمك؛ وذكرت قوله تعالى: ﴿ وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٥٥ ﴾ [الذاريات]. أغفلت ذكر من مضى من أسنانك وأقرانك، وبقيت بعدهم كقرن أعضب؛ فانظر: هل ابتلوا بمثل ما ابتليت به، أو دخلوا في مثل ما دخلت فيه؟ وهل تراه ادخر لك خيرًا منعوه، أو علمك شيئًا جهلوه؟ بل جهلت ما ابتليت به من

حولك في صدور العامة، وكلفهم بك: أن صاروا يقتدون برأيك، ويعلمون بأمرك؛ إن أحللت، أحلوا؛ وإن حرمت، حرموا؛ وليس ذلك عندك؛ ولكنهم إكبابهم عليك، ورغبتهم فيما في يديك: ذهاب عملهم، وغلبة الجهل عليك وعليهم، وطلب حب الرياسة، وطلب الدنيا منك ومنهم؛ أما ترى ما أنت فيه من الجهل والغرة، وما الناس فيه من البلاء والفتنة؟ ابتليتهم بالشغل عن مكاسبهم، وفتنتهم بما رأوا من أثر العلم عليك، وتاقت أنفسهم إلى أن يدركوا بالعلم ما أدركت، ويبلغوا منه مثل الذي بلغت؛ فوقعوا بك في بحر لا يدرك قعره، وفي بلاء لا يقدر قدره؛ فالله لنا ولك وهم المستعان.

واعلم، أن الجاه جاهان: جاه يجريه الله تعالى على يدي أوليائه لأوليائه، الخامل ذكرهم، الخافية شخوصهم؛ ولقد جاء نعتهم على لسان رسول الله ﷺ.

إن الله يحب: الأخفياء، الأتقياء، الأبرياء، الذين إذا غابوا لم يفتقدوا، وإذا شهدوا لم يعرفوا؛ قلوبهم مصابيح الهدى، يخرجون من كل فتنة سوداء مظلمة؛ فهؤلاء أولياء الله، الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٢٢﴾ [المجادلة] وجاه يجريه الله تعالى على يدي أعدائه لأوليائه ومقة يقذفها الله في قلوبهم لهم، فيعظمهم الناس بتعظيم أولئك لهم، ويرغب الناس فيما في أيديهم، لرغبة أولئك فيه إليهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٩﴾ [المجادلة].

وما أخوفني: أن تكون ممن ينظر لمن عاش: مستورًا عليه في دينه، مقتورًا عليه في رزقه، معزولة عنه البلايا، مصروفة عنه الفتن في عنفوان

شبابه، وظهور جلده، وكمال شهوته، فعنى بذلك دهره؛ حتى إذا كبر سنه، ورقّ عظمه، وضعفت قوته، وانقطعت شهوته ولذته: فتحت عليه الدنيا شر فتوح، فلزمته تبعتها، وعلقته فتنتها، وأعشت عينيه زهرتها، وصفت لغيره منفعتها؛ فسبحان الله، ما أبين هذا الغبن، وأخسر هذا لأمر؛ فهلا إذا عرضت لك فتنتها: ذكرت أمير المؤمنين ﷺ، في كتابه إلى سعد، حين خاف عليه مثل الذي وقعت فيه، عندما فتح الله على سعد؛ أما بعد: فأعرض عن زهرة ما أنت فيه، حتى تلقى الماضين الذين دفنوا في أسمالهم، لاصقة بطونهم بظهورهم؛ ليس بينهم وبين الله حجاب، لم تفتنهم الدنيا، ولم يفتتنوا بها، رغبوا فطلبوا؛ فما لبثوا أن لحقوا.

فإذا كانت الدنيا تبلغ من مثلك هذا: في كبر سنك، ورسوخ علمك، وحضور أجلك؛ فمن يلوم الحدث في سنه، والجاهل في علمه، المأفون في رأيه، المدخول في عقله؟ إنا لله وإنا إليه راجعون.

على من المعول، وعند من المستعتب؟ نحتسب عند الله مصيبتنا، ونشكو إليه بثنا وما نرى منك؛ ونحمد الله الذي عافانا مما ابتلاك به؛ والسلام عليك ورحمة الله وبركاته»[١].

وصية سفيان إلى علي بن الحسن السلمي:

□ عن سفيان الثوري قال: «فيما أوصى به علي بن الحسن السلمي: عليك بالصدق في المواطن كلها، وإياك والكذب، والخيانة، ومجالسة أصحابها، فإنها وزر كله، وإياك يا أخي: والرياء في القول والعمل؛ فإنه شرك بعينه، وإياك والعجب: فإن العمل الصالح: لا يرفع وفيه عجب.

---

(١) «حلية الأولياء» (٣/ ٢٤٦- ٢٤٩).

ولا تأخذنَّ دينك، إلَّا ممن هو مشفق على دينه؛ فإن مثل الذي هو غير مشفق على دينه: كمثل طبيب به داء، لا يستطيع أن يعالج داء نفسه، وينصح لنفسه؛ كيف يعالج داء الناس، وينصح لهم؟ فهذا الذي لا يشفق على دينه كيف يشفق على دينك؟

ويا أخي: إنما دينك: لحمك ودمك، ابك على نفسك وارحمها؛ فإن أنت لم ترحمها: لم ترحم؛ وليكن جليسك: من يزهدك في الدنيا، ويرغبك في الآخرة، وإياك ومجالسة أهل الدنيا: الذي يخوضون في حديث الدنيا، فإنهم يفسدون عليك دينك، وقلبك؛ وأكثر ذكر الموت، وأكثر الاستغفار مما قد سلف من ذنوبك، وسل الله السلامة لما بقي من عمرك.

ثم: عليك يا أخي بأدب حسن، وخلق حسن؛ ولا تخالفهن الجماعة، فإن الخير فيها؛ إلَّا من هو مكب على الدنيا: كالذي يعمر بيتًا، ويخرب آخر؛ وانصح لكل مؤمن إذا سألك في أمر دينه، ولا تكتمن أحدًا من النصيحة شيئًا؛ إذا شاورك فيما كان لله في رضى.

وإياك أن تخون مؤمنًا، فمن خان مؤمنًا: فقد خان الله ورسوله، وإذا أحببت أخاك في الله، فابذل له نفسك، ومالك وإياك: والخصومات، والجدال والمراء؛ فإنك تصير: ظلومًا، خوانًا أثيمًا.

وعليك بالصبر في المواطن كلها، فإن الصبر يجر إلى البر، والبر يجر إلى الجنة، وإياك والحدة والغضب؛ فإنهما يجران إلى الفجور، والفجور يجر إلى النار.

ولا تمارينّ عالمًا فيمقتك، وإن الاختلاف إلى العلماء رحمة، والانقطاع عنهم: سخط الرحمن؛ وإن العلماء: خزان الأنبياء، وأصحاب مواريثهم؛

وعليك بالزهد: يبصرك الله عورات الدنيا؛ وعليك بالورع: يخفف الله حسابك؛ ودع كثيرًا مما يريبك إلى ما لا يريبك: تكن سليمًا؛ وادفع الشك باليقين: يسلم لك دينك؛ وأْمر بالمعروف، وانه عن المنكر: تكن حبيب الله؛وأبغض الفاسقين: تطرد به الشياطين؛ وأقل الفرح والضحك، بما تصيب من الدنيا: تزدد قوة عند الله؛ واعمل لآخرتك: يكفك الله أمر دنياك؛ وأحسن سريرتك: يحسن الله علانيتك؛ وابك على خطيئتك: تكن من أهل الرفيق الأعلى؛ ولا تكن غافلًا، فإنه ليس يغفل عنك.

وأن الله عليك حقوقًا وشروطًا كثيرة، وينبغي لك أن تؤديها، ولا تكونن غافلًا عنها؛ فإنه ليس يغفل عنك، وأنت محاسب بها يوم القيامة.

وإذا أردت أمرًا من أمور الدنيا: فعليك بالتؤدة؛ فإن رأيته موافقًا لأمر آخرتك: فخذه؛ وإلا: فقف عنه؛ حتى ينظر إلى من أخذه: كيف عمله فيها، وكيف نجا منها؟ واسأل الله العافية.

وإذا هممت بأمر من أمور الآخرة: فشمّر إليها وأسرع، من قبل أن يحول بينها وبينك الشيطان.

ولا تكونن أكولًا، لا تعمل بقدر ما تأكل، فإنه يكره ذلك؛ ولا تأكل بغير نية، ولا بغير شهوة، ولا تحشون بطنك: فتقع جيفة لا تذكر الله.

وأكثر من الهم والحزن؛ فإن أكثر ما يجد المؤمن في كتابه من الحسنات: الهم، والحزن.

وإياك والطمع فيما في أيدي الناس؛ فإن الطمع هلاك الدين، وإياك والرغبة؛ فإن الرغبة تقسي القلب، وإياك والحرص على الدنيا؛ فإن الحرص مما يفضح الناس يوم القيامة، وكن طاهر القلب، نقي الجسد من

الذنوب والخطايا، نقي اليدين من المظالم، سليم القلب من الغش، والمكر والخيانة؛ خالي البطن من الحرام؛ فإنه لا يدخل الجنة: لحم نبت من سحت، كفّ بصرك عن الناس، ولا تمشين بغير حاجة، ولا تكلمنَّ بغير حكم، ولا تبطش بيدك إلى ما ليس لك.

وكن خائفًا حزينًا لما بقي من عمرك؛ لا تدري ما يحدث فيه من أمر دينك، وإياك أن تلي نفسك من الأمانة شيئًا، وكيف تليها، وقد سماك الله ظلومًا جهولًا؟ أبوك آدم: لم يبق فيها، ولم يستكمل يوم حملها، حتى وقع في الخطيئة.

أقل العثرة، واقبل المعذرة، واغفر الذنب، كن ممن يرجى خيره، ويؤمن شره، لا تبغض أحدًا ممن يطيع الله، كن رحيمًا للعامة والخاصة، ولا تقطع رحمك، وصِل من قطعك، وصِل رحمك، وإنْ قطعك.

وتجاوز عمن ظلمك، تكن رفيق الأنبياء والشهداء؛ وأقل دخول السوق؛ فإنهم ذئاب عليهم ثياب، وفيها مردة الشياطين من الجن والإنس؛ وإذا دخلتها، فقد لزمك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؛ وإنك لا ترى فيها إلَّا منكرًا، فقم على طرفها، فقل: أشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، بيده الخير، وهو على كل شيءٍ قدير، ولا حول ولا قوة إلَّا بالله العلي العظيم؛ فقد بلغنا: أنه يكتب لقائها بكل من في السوق: عجمي، أو فصيح: عشر حسنات؛ ولا تجلس فيها، واقض حاجتك وأنت قائم: يسلم لك دينك.

وإياك أن يفارقك الدرهم؛ فإنه أتم لعقلك، ولا تمنعن نفسك من الحلاوة؛ فإنه يزيد في الحلم، وعليك باللحم، ولا تدم عليه، ولا تدعه

أربعين يومًا؛ فإنه يسيء خلقك، ولا ترد الطيب؛ فإنه يزيد في الدماغ، وعليك بالعدس؛ فإنه يفرز الدموع، ويرق القلب، وعليك باللباس الخشن؛ تجد حلاوة الإيمان، وعليك بقلة الأكل: تملك سهر الليل، وعليك بالصوم؛ فإنه يسد عنك باب الفجور، ويفتح عليك باب العبادة، وعليك بقلّة الكلام؛ يلين قلبك، وعليك بطول الصمت؛ تملك الورع.

ولا تكونن حريصًا على الدنيا، ولا تكن حاسدًا؛ تكن سريع الفهم، ولا تكن طعانًا؛ تنج من ألسن الناس، وكن رحيمًا؛ تكن محببًا إلى الناس، وارض بما قسم الله لك من الرزق؛ تكن غنيًا، وتوكل على الله؛ تكن قويًا، ولا تنازع أهل الدنيا في دنياهم؛ يحبك الله ويحبك أهل الأرض، وكن متواضعًا؛ تستكمل أعمال البر، اعمل بالعافية؛ تأتك العافية من فوقك، كن عفوًا؛ تظفر بحاجتك، كن رحيمًا؛ يترحم عليك كل شيءٍ.

✍ يا أخي: لا تدع أيامك ولياليك وساعاتك تمر عليك باطلًا، وقدِّم من نفسك لنفسك ليوم العطش، يا أخي، فإنك لا تروى يوم القيامة: إلَّا بالرضى من الرحمن، ولا تدرك رضوانه؛ إلَّا بطاعتك، وأكثر من النوافل؛ تقربك إلى الله، وعليك بالسخاء؛ تستر العورات، ويخفف الله عليك الحساب والأهوال، وعليك بكثرة المعروف؛ يؤنسك الله في قبرك، واجتنب المحارم كلها؛ تجد حلاوة الإيمان.

جالس أهل الورع، وأهل التقى؛ يصلح الله أمر دينك، وشاور في أمر دينك الذين يخشون الله، وسارع في الخيرات؛ يحول الله بينك وبين معصيتك، وعليك بكثرة ذكر الله؛ يزهدك الله في الدنيا، وعليك بذكر الموت؛ يهون الله عليك أمر الدنيا، واشتق إلى الجنة؛ يوفق الله لك الطاعة،

وأشفق من النار؛ يهون الله عليك المصائب، أحب أهل الجنة؛ تكن معهم يوم القيامة، وأبغض أهل المعاصي؛ يحبك الله، والمؤمنون شهود الله في الأرض، ولا تسبنَّ أحدًا من المؤمنين، ولا تحقرنَّ شيئًا من المعروف، ولا تنازع أهل الدنيا في دنياهم، وانظر يا أخي، أن يكون أول أمرك: تقوى الله في السر والعلانية، واخش الله خشية من قد علم: أنه ميت، ومبعوث، ثم الحشر، ثم الوقوف بين يدي الجبار ﷻ، وتحاسب بعملك، ثم المصير إلى إحدى الدارين: إما جنة ناعمة خالدة، وإما نار فيها ألوان العذاب، مع خلود لا موت فيه، وارج رجاء من علم، أنه يعفو، أو يعاقب. وبالله التوفيق، لا رب غيره»(١).

وصية عمر بن عبد العزيز في لزوم السُّنَّة واتِّباع السلفِ الصالح:

□ عن شهابِ بن خِراشٍ قال: «كتبَ عمرُ بن عبدِ العزيزِ إلى رجلٍ:

سلامٌ عليك.

أَمَّا بعدُ:

فإِنِّي أُوصيكَ بتَقْوى الله، والاقتصاد في أمْرِهِ، واتِّباعِ سُنَّةِ رسوله، وترك ما أحْدَثَ المُحْدِثون بعدهُ، مما جرتْ سُنَّتُه، وكفُوا مؤونَتَهُ.

ثم اعلم أنَّهُ لم تكُنْ بدعةٌ قطُّ إلَّا وقد مضَى قبلها ما هو دَليلٌ عليها، وعِبْرَةٌ فيها، فعليك بلزومِ السُّنَّةِ؛ فإنَّها -بإذنِ الله- لك عصْمَةٌ، فإنَّ السُّنَّةَ إنَّما سَنَّها من قدْ عِلمَ ما في خِلافِها من الخطإِ والزَّلَلِ والحُمْقِ والتَّعَمُّقِ.

فارْضَ لنفسك بما رَضِيَ به القومُ لأنفُسِهِمْ، فإنَّهُم على علمٍ وقَفُوا،

---

(١) «الحلية» (٧/ ٨٢- ٨٥).

وببصَرٍ نافِذٍ كُفوا، ولهم كانوا على كشف الأمورِ أقوى، وبفضلِ ما فيه -لو كان- أحْرَى، فإنَّهُم السَّابِقون.

ولئنْ كان الهُدَى ما أنْتُم عليه؛ لقدْ سبقْتُموهُم إليه.

ولئنْ قلتَ: حدَثَ بعدَهُم حدثٌ؛ فما أحْدَثَهُ إلَّا من خالف سبيلهم، ورَغِبَ بنفْسِهِ عنهُم.

ولقد تكلَّموا منهُ ما يَكْفي، ووصفوا منه ما يَشْفِي، فما دُونَهُم مُقصِّرٌ، ولا فوقَهُم مُحْسِنٌ، لقدْ قصَرَ عنهم أقوامٌ فجفَوْا، وطَمِحَ عنهم آخرون فغلوْا، وإنَّهُم بين ذلك لعلى هُدًى مستقيمٍ»[١].

وصية عطاء الخراساني:

□ عن عطاء الخراساني، أنه كان يومي في حديثه، يقول: «إني لا أوصيكم بدنياكم، أنتم بها مستوصون، وأنتم عليها حراص؛ وإنما أوصيكم بآخرتكم، تعلم: أنه لن يعتق عبد، وإن كان في الشرف والمال؛ وإن قال: أنا فلان بن فلان، حتى يعتقه الله تعالى من النار، فمن أعتقه الله النار عتق، ومن لم يعتقه الله من النار: كان في أشد هلكة هلكها أحد قط.

فجدّوا في دار المعتمل لدار الثواب، وجدوا في دار الفناء لدار البقاء؛ فإنما سميت الدنيا؛ لأنها أدنى فيها المعتمل؛ وإنما سميت الآخرة؛ لأن كل شيء فيها متأخر؛ ولأنها دار ثواب: ليس فيها عمل، فألصقوا إلى الذنوب إذا أذنبتم إلى كل ذنب، اللهم، اغفر لي؛ فإنه التسليم لأمر الله: وألصقوا إلى الذنوب: لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، الله أكبر كبيرًا، والحمد لله

(١) «الإبانة» لابن بطة (١/ ٣٢١- ٣٢٢).

رب العالمين، وسبحان الله وبحمده، ولا حول ولا قوة إلَّا بالله، وأستغفر الله وأتوب إليه.

فإذا نشرت الصحف، وجاء هذا الكلام، قد ألصقه كل عبد إلى خطاياه: رجا بهذا الكلام المغفرة، وأذهبت هذه الحسنات سيئاته؛ فإن الله تعالى يقول في كتابه: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [هود].

فمن خرج من الدنيا بحسنات وسيئات: رجا بها مغفرة لسيئاته؛ ومن أصر على الذنوب، واستكبر عن الاستغفار: خرج ذلك اليوم مصرًا على الذنوب، مستكبرًا عن الاستغفار، قاصه الحساب، وجازاه بعلمه.

إلَّا من تجاوز عنه المتجاوز الكريم؛ فإنه لذو مغفرة للناس على ظلمهم، وهو سريع الحساب.

واجعلوا الدنيا كشيءٍ فارقتموه، فوالله، لتفارقنها، واجعلوا الموت كشيءٍ ذقتموه، فوالله، لتذوقنه؛ واجعلوا الآخرة كشيءٍ نزلتموه فوالله، لتنزلنها؛ وهي دار الناس كلهم.

ليس من الناس أحد يخرج لسفر، إلَّا خذ له أهبته، وتجهز له بجهازه، وأخذ للحر ظلالة، وللعطش مزادًا وللبرد لحافًا؛ فمن أخذ لسفره الذي يصلحه، اغتبط؛ ومن خرج إلى سر لم يتجهز له بجهازه، ولم يأخذ له أهبته: ندم؛ فإذا أضحى: لم يجد ظلًا؛ وإذا ظمئ: لم يجد ماء يتروى به؛ وإذا وجد البرد: لم يجد لذلك لحافًا؛ فلا أرى رجلًا أندم منه.

وإنما هذا سفر الدنيا ينقطع عنه، ولا يقيم فيه؛ فأكيس الناس: من قام يتجهز لسفر لا ينقطع، فأخذ في الدنيا لظمأ لا يروى؛ فمن آواه الله في ظل

عرشه: لم يضح أبدًا؛ ومن أضح يومئذٍ: لم يستظل أبدًا؛ ومن قام، فأخذ لري: لم يعطش أبدًا؛ فإن من عطش يومئذٍ: لم يرو أبدًا؛ ومن قام فأخذ لكسوته: لم يعرَ أبدًا؛ فإنه من عري يومئذٍ: لم يكس أبدًا.

لم يأت أحد من الناس ببراءتين؛ واحدة منهن: بعد هول المطلع، والثانية: في القيام بين يدي الجبار تعالى: يقضي في رقاب خلقه ما يشاء، لا شريك له [(١)].

وصية إبراهيم بن أدهم لعبد الملك مولاه:

□ عن أبي محمد البلخي قال: «قرأت كتاب إبراهيم بن أدهم إلى عبدالملك مولاه؛ أما بعد: أوصيك بتقوى الله، إنه جاءني كتابك -فوصلك الله- تذكر ما جرى بيننا، فمن رعى حق الله: وفر حظه، وسلم منه الناس؛ ومن ترك حظه، ولم يراقب حقه: ولع به الناس؛ وذلك إلى الله، ولا حول لنا ولا قوة إلَّا بالله.

ثم إن القوم ناس مثلكم: يغضبون، ويرضون؛ فكان الذي يقومهم: إليه يرجعون، وبه يقنعون، وبه يأخذون، وبه يعظون؛ فأثنى عليهم أحسن الثناء، فاقتدوا بآثارهم وأفعالهم، حتى أنتم على ملتهم، وتمنّون منازلهم.

ثم إن الله تعالى أحسن إلينا، وأبقانا بعد الجيران؛ فنعوذ بالله أن يكون إبقاؤنا لشر، فإنه لا يؤمن مكره؛ والأعمال بالخواتيم، وإنه من خافه: لم يصنع ما يحب، ولم يتكلم بما يشتهي؛ وينبغي لصاحب الدين: أن يرجو في الكلام ما يرجو في الفعل، وأن يخاف منه ما يخاف من الفعل، وذلك إلى الله.

---

(١) «الحلية» (د/ ١٩٤- ١٩٥).

فإن استطعت: أن لا يكون عندك أحد هو آثر من الله، فراقبه في الغضب والرضا؛ فإنه يعلم السر وأخفى، ويغفر، ويعذب، ولا منجي منه إلَّا إليه؛ فإن استطعت: أن تكف عما لا يعنيك، وأن تنظر لنفسك؛ فإنه لا يسعى لك غيرك.

إن الناس قد طلبوا الدنيا. بالغضب، والرضا؛ فلم ينالوا منها حاجتهم، وإنه من أراد الآخرة: كان الناس منه في راحة، لا يخدع من ذلها، ولا ينازعهم في عزها؛ هو من نفسه في شغل، والناس منه في راحة.

فاتق الله، وعليك بالسداد؛ فإن من مضى: إنما قدموا على أعمالهم، ولم يقدموا على الشرف، والصوت، والذكر؛ فإن الله تعالى أبى، إلَّا عدلًا؛ أعاننا الله وإياكم على ما خلقنا له، وبارك لنا ولكم في بقية العمر، فما شاء الله.

وأما ما ذكرت من أمر القصر، فلا تشقُّوا على أنفسكم:إن جاءكم أمر في عافية، فلله الحمد؛ وإن كانت بلية، فلا تعدلوا بالسلامة؛ فإنه من ترك من أمره ما لا ينبغي: أحق بالجزع منكم؛ إنا قد أيقنا: أن الناس لا يذهبون بحقوق الناس، والله معط كل ذي حق حقه، وسعي الناس: لهم وعليهم، والجزاء غدًا؛ فإن استطعتم: أن لا تلقوا الله بمظالم؛ فأما ما ظلمتم: فلا تخافوا الغلبة، فإن الله تعالى لا يعجزه شيء.

فمن علم أن الأمور هكذا: فليكبر على نفسه، وليقض ما عليها؛ فإن غدًا أشده، وأضره؛ حسبنا الله ونعم الوكيل؛ وأما من بقي من بقية الجيران، فأقرئهم السلام، فقد طال العهد»[١] .

---

(١) «الحلية» (٨/ ١٤- ١٥).

وصية ابن السمَّاك:

□ عن عبد الله بن صالح قال: «سمعت ابن السماك، وكتب إلى أخ له؛ أما بعد: أوصيك بتقوى الله: الذي هو نجيك في سريرتك، ورقيبك في علانيتك؛ فاجعل الله في بالك، على حالك في ليلك ونهارك، وحب الله بقدر قربه منك، وقدرته عليك؛ فاعلم أنك بعينه، ليس تخرج من سلطانه إلى سلطان غيره، ولا من ملكه إلى ملك غيره؛ فليعظم منه حذرك، وليكثر منه وجلك.

واعلم، أن الذنب من العاقل. أعظم من الذنب من الأحمق، والذنب من العالم: أعظم من الذنب من الجاهل، والذنب من الغني: أعظم من الذنب من الفقير.

وقد أصبحنا أذلاء رغماء، والذليل: لا ينام في البحر؛ وقد كان عيسى عليه السلام يقول: حتى متى تصفون الطريق للذاكرين، وأنتم مقيمون في محلة المتجبرين، تضعون البعوض من شرابكم، وتشترطون الجمال بأجمالها؟»[(١)].

من وصايا عروس العبَّاد محمد بن يوسف الأصبهاني:

□ كتب محمد بن يوسف الأصبهاني إلى بعض إخوانه: «أقرئ من أقرأنا منه السلام، وتزود لآخرتك، وتجاف عن دنياك، واستعد للموت، وبادر الفوت؛ واعلم أن أمامك أهوالًا وأفزاعًا، قد فزعت منها الأنبياء والرسل.. والسلام»[(٢)].

---

(١) «الحلية» (٨/ ٢٠٦).
(٢) «الحلية» (٨/ ٢٣٥- ٢٣٦).

وصية لمحمد بن واسع:

◻ قال رجل لمحمد بن واسع: «أوصني. قال: أوصيك أن تكون ملكًا في الدنيا والآخرة؛ قال: كيف لي بذلك؟ قال: ازهد في الدنيا»[١].

وصية للمغيرة بن حكيم:

◻ عن عبد العزيز بن أبي الرواد قال: «دخلت على المغيرة بن حكيم في مرضه الذي مات فيه؛ فقلت: أوصني؛ فقال: اعمل لهذا المضجع»[٢].

وصية لمعروف الكرخي:

◻ قيل لمعروف الكرخي في علته: «أوص؛ فقال: إذا مت، فتصدقوا بقميصي هذا؛ فإني أحب أن أخرج من الدنيا عريانًا، كما دخلت إليها عريانًا»[٣].

وصية لعمر بن عبد العزيز:

◻ قال رجل لعمر بن عبد العزيز: «أوصني؛ قال: أوصيك بتقوى الله، وإيثاره: تخف عليك المؤونة، وتحسن لك من الله المعونة»[٤].

◻ كتب عمر بن عبد العزيز إلى رجل: «أوصيك بتقوى الله: الذي لا يقبل غيرها، ولا يرحم إلَّا أهلها، ولا يثيب إلَّا عليها؛ فإن الواعظين بها كثير، والعاملين بها قليل»[٥].

---

(١) «الحلية» (٦/ ٣٠٢).

(٢) «الحلية» (٨/ ١٩٤).

(٣) «الحلية» (٨/ ٣٦٢).

(٤) «الحلية» (٥/ ٢٧٦).

(٥) المصدر السابق (٥/ ٢٦٧).

وصية ميمون بن مهران:

□ عن أبان بن أبي راشد القشيري قال: «كنت إذا أردت الصائفة: أتيت ميمون بن مهران أودعه؛ فما يزيد على كلمتين: اتق الله، ولا يغيرك طمع، ولا غضب»(١).

وصية من بشر بن الحارث الحافي:

□ عن علي بن خشرم قال: «كتب إليَّ بشر بن الحارث -أبو نصر-: إلى أبي الحسن علي بن خشرم: السلام عليك؛ فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلّا هو؛ أما بعد: فإني أسأل الله: أن يتم ما بنا وبكم من نعمة، وأن يرزقنا وإياكم الشكر على إحسانه، وأن يميتنا ويحيينا وإياكم على الإسلام، وإن يسلم لنا ولكم خلفًا من تلف، وعوضًا من كل رزية.

أوصيك بتقوى الله يا علي، ولزوم أمره، والتمسك بكتابه؛ ثم اتباع آثار القوم الذين سبقونا بالإيمان، وسهلوا لنا السبل؛ فاجعلهم نصب عينيك، وأكثر عرض حالاتهم عليك: تأنس بهم في الخلاء، ويغنوك عن مشاهدة الملأ؛ فمثل حالهم، كأنك تشاهدهم؛ فمجالسة أصحاب النبي ﷺ: أوفق من مجالسة الموتى، ومن يرهب منك زلتك وسقطتك إن قدر عليها؛ فإن لم يقدر عليها: جعل جليسًا أن رآه عندك عيبك، فرماك بما لم يره الله منك.

واعلم -علّمك الله الخير، وجعلك من أهله- أن أكثر عمرك -فيما أرى- قد انقضى، ومن يُرضى حاله قد مضى؛ وأنت لاحق بهم، وأنت مطلوب؛ ولا تعجز طالبك وأنت أسير في يديه، وكلّ الخلق في كبريائه

(١) المصدر السابق (٤/ ٨٥).

صغير، وكلهم إليه فقير؛ فلا يشغلنك كثرة من يحبك، وتضرع إليه: تضرع ذليل إلى عزيز، وفقير إلى غني، وأسير لا يجد ملجأ، ولا مفرًا يفر إليه عنه؛ وخائف مما قدمت يداه: غير واثق على ما يقدم. لا يقطع الرجاء، ولا يدع الدعاء، ولا يأمن من الفتن والبلاء؛ فلعله إن رآك كذلك: عطف عليك بفضله، وأمدَّك بمعونته، وبلغ بك ما تأمله من عفوه ورحمته؛ فافزع إليه في نوائبك، واستعنه على ما ضعفت عنه قوتك؛ فإنك إذا فعلت ذلك: قربك بخضوعك له، ووجدته أسرع إليك من أبويك، وأقرب إليك من نفسك؛ وبالله التوفيق، وإياه أسأل خير المواهب لنا ولك.

واعلم يا علي، أنه: من ابتلي بالشهرة ومعرفة الناس، فمصيبته جليلة، فجبرها الله لنا ولك بالخضوع والاستكانة، والذل لعظمته؛ وكفانا وإياك فتنتها، وشر عاقبتها؛ فإنه تولى ذلك من أوليائه، ومن أراد توفيقه.

وارجع إلى أقرب الأمرين بك إلى إرضاء ربك، ولا ترجعن بقلبك إلى محمدة أهل زمانك ولا ذمهم؛ فإن من كان يتي ذلك منه: قد مات.

وإنارة إحياء القلوب: من صالح أهل زمانك؛ وإنما أنت في محل موتى، ومقابر أحياء: ماتوا على الآخرة، ودرست عن طرقها آثارهم.

هؤلاء أهل زمانك، فتوار مما لا يستضاء فيها بنور الله، ولا يستعمل فيها كتابه إلَّا من عصم الله؛ ولا تبال من تركك منهم، ولا تأس على فقدهم؛ واعلم: أن حظك في بعدهم، أوفر من حظك في قربهم؛ وحسبك الله، فاتخذه أنيسًا، ففيه الخلف منهم.

فاحذر أهل زمانك، وما العيش مع من يظن به في زمانك الخير، ولا مع من يسيء به الظن خير؛ وما ينبغي أن يكون طلعة أبغض إلى عاقل

تهمه نفسه، من طلعة إنسان في زمانك؛ لأنك منه على شرف فتنة إن جالسته، ولا تأمن البلاء إن جانبته؛ ولَلموت في العزلة، خير من الحياة.

وإن ظن رجل: أن ينجو من الشر، يأمن خوف فتنة: فلا نجاة له؛ إن أمكنتهم من نفسك: آثمرك، وإن جانبتهم: أشركوك؛ فاختر لنفسك، واكره لها ملابستهم؛ وأرى: أن الفضل اليوم ما هو إلَّا في العزلة؛ لأن السلامة فيها؛ وكفى بالسلام فضلًا.

اجعل أذنك عما يؤثمك صماء، وعينيك عنه عمياء؛ احذر سوء الظن، فقد حذرك الله تعالى ذلك؛ وذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]. والسلام»[١].

وصية لسفيان الثوري:

□ عن أبي مهلهل قال: «أخذ بيدي سفيان الثوري، فأخرجني إلى الجبّان، فاعتزلنا ناحية عن طريق الناس؛ فبكى، ثم قال: يا مهلهل، إن استطعت أن لا تخالط في زمانك هذا أحدًا، فافعل؛ وليكن همك مرمَّة جهازك، واحذر إتيان هؤلاء الأمراء، وارغب إلى الله في حوائجك لديهم، وافزع إليه فما ينوبك؛ وعليك بالاستغناء عن جميع الناس، وارفع حوائجك إلى من لا تعظم الحوائج عنده؛ فوالله، ما أعلم اليوم بالكوفة أحدًا: أفزع إليه في قرض عشرة دراهم أقرضني، ثم كتبها علي، حتى يذهب ويجيء؛ ويقول: جاءني سفيان، فاستقرض مني، فأقرضته»[٢].

□ قال سفيان الثوري: «عليك بالقصد في معيشتك، وإياك أن تتشبه

---

(١) «الحلية» (٨/ ٣٤١-٣٤٣).

(٢) «الحلية» (٧/ ٧).

بالجبابرة، وعليك بما لا يقرف: من الطعام، والشراب، واللباس، والمركب؛ وليكن أهل مشورتك: أهل التقوى، وأهل الأمانة، ومن يخشى الله عز وجل»[١].

وصية عمر بن عبد العزيز لعامله:

□ كتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله: «أما بعد: فكان العباد قد عادوا إلى الله تعالى، ثم ينبئهم بما عملوا: ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ۝٣١﴾ [النجم]. فإنه لا معقب لحكمه، ولا ينازع في أمره، ولا يقاطع في حقه الذي استحفظه عباده، وأوصاهم به.

وإني أوصيك بتقوى الله، وأحثك على الشكر فيما اصطنع عندك من نعمة، وآتاك من كرامة؛ فإن نعمه: يمدها شكره، ويقطعها كفره.

أكثر ذكر الموت: الذي لا تدري متى يغشاك، ولا مناص ولا فوت.

وأكثر من ذكر يوم القيامة وشدته؛ فإن ذلكم يدعوك إلى الزهادة فيما زهدت فيه، والرغبة فيهما رغبت فيه؛ ثم كن مما أوتيت من الدنيا على وجل، فإن من لا يحذر ذلك، ولا يتخوفه: توشك الصرعة أن تدركه في الغفلة.

وأكثر النظر في عملك في دنياك، بالذي أمرت به، ثم اقتصر عليه؛ فإن فيه لعمري شغلًا عن دنياك؛ ولن تدرك العلم، حتى تؤثره على الجهل؛ ولا الحق، حتى تذر الباطل؛ فنسأل الله لنا ولك حسن معونته، وأن يدفع عنا وعنك بأحسن دفاعه برحمته»[٢].

---

(١) «الحلية» (٧/ ١٢ - ١٣).

(٢) «الحلية» (٥/ ٢٦٨).

وصية إمام أهل الشام الأوزاعي:

□ عن الأوزاعي، أنه كتب إلى أخ لي: «أما بعد؛ فإنه قد أحيط بك من كل جانب؛ واعلم: أنه يسار بك في كل يوم وليلة؛ فاحذر الله، والمقام بين يديه، وأن يكون آخر عهدك به؛ والسلام»(١).

□ عن الأوزاعي: أنه كتب إلى الحكم بن غيلان القيسي: «قد أحببت -رحمنا الله وإياك- أن يقفك ما عملت من المراء، وإن كان على ما تعلم فيه؛ وأن تجعل لمعادك في طرفي نهارك نصيبًا، ولا يستفرغنك إيثار غيره، وَدَعْ امتحان من اتهمت، وضع أمره على ما قد ظهر لكم منه؛ فإن ستر عنك خلافًا، فاحمد الله على عافيته؛ وإن عرض لك ببدعة، فأعرض عن بدعته، ودع من الجدال ما يفتن القلب، وينبت الضغينة، ويجفي القلب، ويرقّ الورع في المنطق والفعل؛ ولا تكن ممن يمتحن من لقي بالأوابد، وما عسى أن يفتري به أحد؛ وليكن ما كان منك على سكينة وتواضع، تريد به الله؛ وليعنك ما عني الصالحين قبلك، فإنه قد أعظمهم ثقل الساعة، فجرت على خدودهم من الخشوع دموعهم، وطووا من خوف على ظمأ مناهلهم؛ عناهم على أنفسهم، وراحتهم على الناس.

نسأل الله أن يرزقنا وإياك علمًا نافعًا، وخشوعًا يؤمننا به من الفزع الأكبر؛ إنه أرحم الراحمين، والسلام عليك»(٢).

وصية الفقهاء:

□ عن عون بن عبد الله بن عتبة قال: «كان الفقهاء يتواصون بينهم

---

(١) «الحلية» (٦/ ١٤٠).

(٢) «الحلية» (٦/ ١٤٠- ١٤١).

بثلاث، ويكتب بذلك بعضهم إلى بعض: من عمل لآخرته: كفاه الله دنياه، ومن أصلح سريرته: أصلح الله علانيته، ومن أصلح ما بينه وبين الله: أصلح الله ما بينه وبين الناس»(١).

□ قال أحمد بن عاصم: «كتب رجل إلى أخيه: أما بعد: فاطلب ما يعنيك بترك ما لا يعنيك؛ فإن في ترك ما لا يعنيك: درك لما يعنيك. قال: وكتب رجل إلى أخيه، أما بعد: فالله الله، اسمع أحدثك عنه: إنه لم يرفع المتواضعين بقدر تواضعهم، ولكن بقدر كرمه وجوده؛ ولم يفرح المحزونين بقدر حزنهم، ولكن بقدر رأفته ورحمته؛ فما ظنك بالتواب الرحيم: الذي يتودد إلى من يؤذي به، فكيف بمن يؤذى فيه؛ وما ظنك بالتواب الرحيم الكريم: الذي يتوب على ما يعاديه، فكيف بمن يعادي فيه؛ والذي يتفضل على من يسخطه ويؤذيه، فكيف بمن يترضاه، ويختار سخط العباد فيه»(٢).

□ عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار قال: «قال عمر لرجل: أوصيك بتقوى الله؛ فإنها ذخيرة الفائزين، وحرز المؤمنين؛ وإياك والدنيا أن تفتنك؛ فإنها قد فعلت ذلك بمن كان قبلك: إنها تغر المطمئنين إليها، وتفجع الواثق بها، وتسلم الحريص عليها، ولا تبقى لمن استبقاها، ولا يدفع التلف عنها من حواها؛ لها مناظر بهجة؛ ما قدّمت منها أمامك: لم يسبقك، وما أخرت منها خلفك: لم يلحقك»(٣).

---

(١) «الحلية» (٤/ ٢٤٧).
(٢) «الحلية» (٩/ ٢٩١).
(٣) «الحلية» (٥/ ٣٤١- ٣٤٢).

وصية عون بن عبد الله الهذلي [(١)]:

□ عن عون بن عبد الله، أنه كان يكتب بهذه: «أما بعد: فإني أوصيك بوصية الله التي حفظها سعادة لمن حفظها، وإضاعتها شقاوة لمن يضيعها؛ ورأس التقوى: الصبر، وتحقيقها: العمل، وكمالها: الورع؛ وأن تقوى الله: شرطه الذي اشترطه وحقه الذي افترض؛ والوفاء بعهد الله: أن تجعل له، ولا تجعل لمن دونه؛ فإنما يطاع من دونه بطاعته، وإنما تقدم الأمور وتؤخر بطاعته؛ وأن ينقض كل عهد للوفاء بعهده، ولا ينقض عهده لوفاء بعهد غيره؛ هذا إجماع من القول به، تفسير لا يبصره: إلَّا البصير، ولا يعرفه: إلَّا اليسير»[(٢)].

□ وقال عونُ بنُ عبد الله لابنه وهو يَعظُهُ: «يا بنيَّ! كُنْ ممَّن نأيه عُمَّنْ نأى عنه يقينٌ ونزاهةٌ، ودنُّوه ممَّنْ دَنا لينٌ ورحمةٌ، ليس نأيهُ بكبرٍ ولا بعظمةٍ، ولا دنوُّه خداعٌ ولا خِلابةٌ [(٣)]، يقتدي بمَن قبلَه، فهو إمامٌ لمن بعدَهُ، ولا يَعْزُبُ [(٤)] علمُه، ولا يحضُرُ جهلُهُ، ولا يعجل فيما رابَهُ، ويعفو فيما يتبيَّنُ له، يُغْمِضُ في الذي له، ويزيدُ في الحق الذي عليه، والخيرُ منه مأمولٌ، والشَّرُّ منه مأمونٌ، إنْ كان مع الغافلين؛ كُتِبَ من الذَّاكرين، وإنْ كان مع الذَّاكرين؛ لم يُكْتَبْ من الغافلينَ، لا يغرُّهُ ثناءُ من جهلهُ، ولا ينسى إحصاءَ ما قدْ علمهُ، إنْ زُكِّي؛ خافَ ما يقولون، واستغفر لما لا يعلمون؛

---

(١) هو عبد الله بن عبد بن عتبة من ثقات التابعين، ومن عُبّاد أهل الكوفة وقُرَّائهم.

(٢) «الحلية» (٤/ ٢٤٤- ٢٤٥).

(٣) خديعة باللسان.

(٤) يغيب.

يقولُ: أنا أعلمُ بي من غيري، وربِّي أعلمُ بي مِن نفسي، فهو يَسْتَبْطِيءُ نفسهُ في العملِ، ويأتي ما يأتي من الأعمالِ الصالحةِ على وجلٍ، ويظلُّ يذكر، ويُمْسي وهمُّهُ أنْ يشكُرَ، يبيتُ حذِرًا، ويُصْبِحُ فَرِحًا؛ حذِرًا لما حذِرَ من الغفلةِ، وفرحًا لما أصابَ من الغنيمةِ والرَّحمةِ، إنْ عصتْهُ نفسه فيما يكرهُ؛ لم يطعها فيما أحبَّتْ، فرغْبتُه فيما يَخْلُد، وزهادَتُه فيما ينفد، يمزُجُ العلم بالحلم، ويصمت؛ ليسلم، وينطِقُ؛ ليُفْهم، ويخلو؛ ليغْنم، ويخالِقُ؛ ليعلِّمَ، لا ينصتُ لخيرٍ حين ينصِتُ وهو يسهو، ولا يستمِعُ له وهو يَلْغو، لا يحدِّثُ أمانتَهُ الأصدقاءَ، ولا يكتم شهادته الأعداء، ولا يعمل من الخير شيئًا رياءً، ولا يترك منه شيئًا حياءً، مجالسُ الذِّكر مع الفقراءِ أحبُّ إليه من مجالس اللهو مع الأغنياء.

ولا تكنْ يا بنيَّ ممَّن يعجبُ باليقين من نفسه فيما ذهب، وينْسى اليقينَ فيما رَجا وطلب، يقولُ فيما ذهب: لو قُدِّر شيءٌ لكانَ، ويقولُ فيما بَقِيَ: ابتغِ أيُّها الإنسانُ، شاخصًا غير مطمئنٍّ، ولا يثقُ من الرِّزق بما قد ضُمنْ، لا تغْلِبه نفسه على ما يظنُّ، ولا يغلبها على ما يستيْقنُ، فهو من نفسه في شكٍّ ومن ظنِّه أنْ لم يرحم في هلك، إنْ سقم؛ ندم، وإنَّ صحَّ؛ أمن، وإن افتقر؛ حزن، وإن استغنى؛ افتُتِنَ، وإنْ رغِبَ؛ كسلَ، وإن نشطَ؛ زهدَ، يرغَبُ قبل أن ينصبَ، فيما يرغبُ، يقولُ: لم أعمل فأتعنَّى، بل أجلسُ فأَتَمَنَّى، يتمنَّى المغفرة، ويعملُ المعصيةِ، كان أولُ عمره غفلةً وغرةً، ثم أبقَي وأقيلَ العثرةَ، فإذا في آخره كسلٌ وفترةٌ، طال عليه الأمل فافتُتنَ، وطال عليه الأمدُ فاغْتَرَّ، وأعذرَ إليه فيما عُمِّر، وليس فيما أعمر بمعذر، عُمِّرَ ما يتذكَّر فيه من تذكَّرَ، فهو من الذنب والنعمةِ موقَّرٌ، إنْ أعطى؛ منَّ؛

لِيُشكَرَ، أو إن مُنِعَ؛ قال: لم يقدرْ، أساءَ العبد واستأثَرَ، يرجو النَّجاةَ ولم يحذر ويبتغي الزيادةَ ولم يشكر، حقَّ أنْ يشكُرَ وهو أحَقُّ أنْ لا يعْذَرَ، يكلَّفُ ما لم يؤمَرْ، ويُضيِّعُ ما هو أكثرُ، إنْ يسأل؛ أكثر، وإنْ أنفق؛ قتَّرَ، يسأل الكثير، وينفِقُ اليسيرَ، قدِّرَ له خيرٌ من قَدْرِهِ لنفسه، فوُسِّعَ له رزقُهُ، وخفِّفَ حسابه، فأعطي ما يكفيه، ومُنِعَ ما يُلهيه، فليس يرى شيئًا يغنيه دون غنًى يُطْغيه، يعجِزُ عن شكر ما أوتي، ويبتغي الزيادة فيما بَقِيَ، يستبطئُ نفسه في شكر ما أوتِيَ، وينسى ما عليهِ من الشكر فيما وُقِّيَ، يُنْهى فلا ينتهي، ويأْمُرُ بما لا يأْتي، يَهْلِكُ في بُغْضِهِ، ويُقَصِّرُ في حُبِّه، غرَّه من نفسه حُبُّهُ ما ليسَ عنه، وبغْضُهُ ما عندَه مثله، يحبُّ الصالحين فلا يعمَلُ أعمالهم، ويبغِضُ المُسيئينَ وهو أحدهم، يرجو الآخرةَ في البغضِ على ظنِّهِ، ولا يخشى المقْتَ في اليقينِ من نفسهِ، لا يقْدِرُ في الدُّنيا على ما يَهْوى، ولا يَقْبَلُ من الآخرةِ ما يَبْقى، يُبادِرُ من الدُّنيا ما يَفْنى، ويَتْرُكُ من الآخرةِ ما يَبْقى، إنْ عُوفِيَ؛ حسبَ أنَّه قد تابَ، وإن ابْتُلِيَ؛ عادَ يقولُ في الدُّنيا قولَ الزاهِدينَ، ويعْمَلُ فيها عمل الرَّاغِبينَ، يكرَهُ الموتَ؛ لإساءَتِه، ولا ينتهي عن الإساءَةِ في حياته، يكرهُ الموتَ؛ لما لا يدَعُ، ويحبُّ الحياةَ؛ لما لا يصْنَعُ، إنْ مُنِع من الدُّنيا؛ لم يَقْنَع، وإنْ أُعْطِيَ منها؛ لم يشْبَعْ، وإنْ عَرضَتِ الشهوةُ؛ قال: يكفيكَ العملُ، فواقعَ، وإنْ عرضَ لهُ العملُ؛ كَسِلَ، وقال: يكفيكَ الورعُ، لا تذهب مخافتُه الكسل، ولا تَبْعَثُهُ رغبتُه على العمل، يرجو الأجْرَ بغير عملٍ، ويؤخِّرُ التوبةَ؛ لطولِ الأمل، ثم لا يسعى فيما له خُلِقَ، ورغبتُهُ فيما تُكُفِّلَ له من الرزقِ، وزهادتُهُ فيما أُمِرِ به من العملِ، ويتفرَّغُ لما فُرِّغَ له من الرزق، يخشى الخلقَ في ربِّه، ولا يخشى الرَّبَّ في خلقه، يعوذُ بالله ممَّنْ هو فوقَه، ولا يُعيذُ الله من هو تحته، يخشى الموتَ، ولا يرجو الفَوْتَ، يأْمَنُ

ما يخشى وقد أَيْقَنَ به، ولا ييأسُ مما يرجو وقد تيقَّنَ منه، يرجو نفعَ علمٍ لا يعْمَلُ به، ويأْمَنُ ضُرَّ جَهْلٍ قد أيقنَ به، يَسْخَرُ بمن تحتَهُ من الخلقِ ويَنْسَى ما عليه فيه من الحَقِّ، ينظُرُ إلى من هو فوقَه في الرِّزْقِ، ويَنسى من تحتَهُ من الخَلْقِ، يخافُ على غيرِه بأَدْنى من ذَنْبِهِ، ويَرْجو لنفسِهِ بأَيْسَرَ من عملِهِ، يُبْصِرُ العَوْرَةَ من غيره، ويُغْفِلُها من نفسه، إنْ ذَكَرَ اليقينَ؛ قال: ما هكذا من كان قبلَكُم، فإنْ قيلَ: أفلا تعمَلُ أنت عملَهُم؟ يقولُ: من يستطيعُ أنْ يكونَ مثلَهُم؟ فهُو للقولِ مُدل، ويستصعبُ عليه العملُ، يرى الأمانةَ ما عُوفِي وأُرْضِيَ، والخيانَةَ إنْ أُسْخِطَ وابْتُلِي، يلينُ؛ ليُحْسَبَ عندَهُ أَمانةٌ، فهو يرصُدُها للخيانَةِ، يتعلَّمُ للصَّداقةِ ما يُرْصَدُ به للعداوةِ، يستعْجِلُ بالسيئةِ وهو في الحسنةِ بطيءٌ، يخفُّ عليه الشِّعْرُ، ويَثْقُلُ عليه الذِّكْرُ، اللغوُ مع الأغنياءِ أَحبُّ إليه من الذِّكْرِ مع الفقراء، يتعَجَّلُ النومَ، ويؤخِّرُ الصومَ، فلا يَبيتُ قائمًا، ولا يصبحُ صائمًا، ويصبحُ وهمُّهُ التصبُّحُ مِن النَّومِ ولم يسْهَرْ، ويمشي وهُمُّهُ العشاءُ وهو مُفْطِرٌ.

زاد الحجَّاجُ عن المسعُودِيِّ في روايتِهِ:

إنْ صَلَّى؛ اعْتَرَضَ، وإنْ رَكَعَ؛ رَبَضَ، وإنْ سجدَ؛ نَقَر، وإنْ سأَلَ؛ أَلْحَفَ، وإنْ سُئِلَ؛ سَوَّفَ، وإنْ حَدَّثَ؛ حَلَفَ، وإنْ حلفَ؛ حنث، وإنْ وعدَ؛ أَخلفَ، وإنْ وُعِظَ؛ كَلَحَ، وإنْ مُدِحَ؛ فَرِحَ، طلبُهُ شرٌّ، وتَرْكُهُ وِزْرٌ، ليس لهُ في نفسه عن عيبِ الناسِ شُغُلٌ، وليسَ له في الإحسانِ فضلٌ، يميلُ لها ويحبُّ لها منهُم العدلُ، أَهلُ الخيانةِ لهُ بطانةٌ، وأَهْلُ الأمانةِ لهُ عَداوةٌ، إنْ سَلَّمَ؛ لم يُسْمِعْ، وإنْ سَمَّعَ؛ لم يَرْجِعْ، ينظرُ نظَرَ الحسودِ، ويعْرِضُ إعراضَ الحقودِ، يسْخَرُ بالمقتِّرِ، ويأْكُلُ بالمدبرِ، ويرضي الشاهِدَ بما ليسَ في نفسِهِ، ويسْخِطُ الغائِبَ بما لا يُعْلَمُ فيه، جريٌّ على الخيانةِ، بريءٌ

من الأمانةِ، من أَحَبَّ؛ كذبَ، ومن أبْغَضَ؛ خَلَبَ، يضحكُ من غير العجَب، ويَمْشِي في غَيْرِ الأدبِ، لا ينْجُو منه من جانبَ، ولا يَسْلَمُ منه من صاحبَ، إنْ حدَّثْتَهُ؛ ملَّكَ، وإنْ حدَّثكَ؛ غَمَّكَ، وإنْ سُؤتَهُ؛ سَرَّكَ، وإنْ وافَقْتَه؛ حسدكَ، وإنْ خالَفْتَهُ؛ مَقَتَك، يحْسَد إن يُفْضَلْ، ويزهد أَن يفضُلَ، يحسدُ من فضلَهُ، ويزْهَدُ أن يعمل عمله، يعجِزُ عن مكافأةِ من أحسن إليه، ويُفْرِطُ فيمن بغى عليه، ولا ينصتُ فيسلم، ويتكلمُ بما لا يعلمُ، يغلِبُ لسانُهُ قلبهن ولا يضبطُ قلبه قوله، يتعلَّمُ للمراءِ، ويتفَقَّهُ للرِّياءِ، ويظهِرُ الكبرياء، يظهرُ منه ما أَخْفى، ولا يَخْفَى منه ما أبدى، يُبادِرُ ما يفنى، ويواكِلُ ما يَبْقى، يبادِرُ بالدُّنْيا، ويُواكلُ بالتَّقوى»(١).

وصية أبي حازم لعمر بن عبد العزيز:

□ عن عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه قال: قال عمر بن عبد العزيز: «عظني يا أبا حازم؛ قال: قلت: أضطجع، ثم اجعل الموت عند رأسك، ثم انظر ما تحب أن تكون فيه تلك الساعة، فخذ فيه الآن؛ وما تكره أن يكون فيك تلك الساعة، فدعه الآن»(٢).

وصية للفضيل بن عياض:

□ عن محمد بن يزيد بن خنيس قال: «قال رجل: مررت ذات يوم بفضيل بن عياض؛ فقلت له: أوصني بوصية ينفعني الله بها؛ قال: يا عبدالله، أخف مكانك، واحفظ لسانك، واستغفر لذنبك، وللمؤمنين، والمؤمنات؛ كما أمرك»(٣).

---

(١) «الحلية» (٤/ ٢٦٠-٢٦٣).
(٢) «الحلية» (٥/ ٣١٧).
(٣) المصدر السابق (٨/ ٩٧).

وصية رجل لابن محيريز:

□ عن عمر بن عبد الملك الكناني قال: «صحب ابن محيريز رجلًا في الساقة في أرض الروم، فلما أردنا أن نفارقه؛ قال له ابن محيريز: أوصني، قال: إن استطعت أن تعرف ولا تُعرف، فافعل؛ وإن استطعت أن تمشي ولا يمشي إليك، فافعل؛ وإن استطعت أن تسأل، ولا تُسأل، فافعل»[(١)].

وصية فضالة بن عبيد رضي الله عنه لابن محيريز:

□ عن ابن محيريز قال: «صحبت فضالة بن عبيد صاحب رسول الله ﷺ؛ فقلت: أوصني رحمك الله؛ قال: احفظ عني ثلاث خصال، ينفعك الله بهن؛ إن استطعت أن تعرف ولا تُعرف، فافعل؛ وإن استطعت أن تسمع ولا تتكلم، فافعل؛ وإن استطعت أن تجلس ولا يجلس إليك، فافعل»[(٢)].

وصية يوسف بن أسباط لحذيفة المرعشي:

□ عن أبي سهل الحسن، قال: «كنت جالسًا عند يوسف بن أسباط؛ فقال: اكتبوا إلى حذيفة؛ أما بعد: فإني أوصيك بتقوى الله، والعمل بما علمك الله، والمراقبة حيث لا يراك أحد إلَّا الله، والاستعداد لما لا حيلة لأحد في دفعه، ولا ينتفع بالندم عند نزوله؛ فاحسر عن رأسك قناع الغافلين، وانتبه من رقدة الموتى، وشمّر الساق؛ فإن الدنيا ممر السابقين، فلا تكن ممن قد أظهر الشك، وتشاغل بالوصف، وترك العمل بالموصوف له؛ فإن لنا ولك من الله مقامًا يسألنا فيه عن الرمق الخفي،

(١) «الحلية» (٥/ ١٤١).
(٢) «الحلية» (٥/ ١٤١).

وعن الخليل الجافي؛ ولست آمن أن يكون فيما يسألني ويسألك عنه: وساوس الصدور، ولحاظ الأعين، وإصغاء الأسماع، وما يصخر مثل عن صفة مثله.

اعلم، أن مما يوصف به منافقو هذه الأمة: أنهم خالطوا أهل الدين بأبدانهم، وفارقوهم بأهوائهم، وخففوا مما سعوا من الحق، ولم ينتهوا عن خبيث فعالهم؛ إذ ذهبوا إليه، فنازعوا في ظاهر أعمال البر بالمحامل والرياء، وتركوا باطن أعمال البر مع السلامة والتقى، كثرت آمالهم بلا تصحيح، فأحرمهم الله الثمن الربيح.

✍ واعلم يا أخي: أنه لا يجزينا من العمل القول، ولا من الفعل، ولا من البدل العدة؛ ولا من التوقي التلاوم، وقد صرنا في زمان هذه صفة أهله؛ فمن يكن كذلك: فقد تعرض للمهالك.

احذر القراء المصغين، والعلماء المتحرين؛ حيوا بطرق، وصدوا الناس عن سبيل الهوى، وفقنا الله وإياك لما يحب، والسلام»[1].

وصية ذي النون المصري:

◻ عن ذي النون وأتاه رجل فقال: «يا أبا الفيض، دلني على طريق الصدق والمعرفة؛ فقال: يا أخي، أدّ إلى الله صدق حالتك التي أنت عليها، على موافقة الكتاب والسنة؛ ولا ترق حيث لم ترق، فتزل قدمك؛ فإنه إذا زل بك: لم تسقط؛ وإذا ارتقيت أنت: تسقط؛ وإياك أن تترك ما تراه يقينًا، لَمَا ترجوه شكًا»[2].

(١) «الحلية» (٨/ ٢٤١).

(٢) «الحلية» (٩/ ٣٥٣).

وصية أحمد بن حنبل لعلي بن المديني:

□ عن علي بن المديني قال: قال لي أحمد بن حنبل: «إني لأحب أن أصحبك إلى مكة؛ وما يمنعني من ذاك، إلَّا أني أخاف: أن أملّك، أو تملّني؛ قال: فلما ودعته، قلت له: يا أبا عبد الله، توصني بشيء؟ قال: نعم ألزم التقوى قلبك، وأنصب الآخرة أمامك»(١).

وصية داود الطائي:

□ عن محمد بن إشكاب الصفار: حدثني رجل من أهل داود الطائي؛ قال: قلت له يومًا: «يا أبا سليمان، قد عرفت الرحم بيننا، فأوصني؛ قال: فدمعت عيناه، ثم قال لي: يا أخي، إنما الليل والنهار مراحل، تنزل بالناس مرحلة، حتى تنتهي بهم ذلك إلى آخر سفرهم؛ فإن استطعت أن تقدم في كل يوم مرحلة زادًا لما بين يديه، فافعل؛ فإن انقطاع السفر عن قريب ما هو، والأمر أعجل من ذلك فتزوّد لسفرك واقض ما أنت قاض من أمرك هو، والأمر أعجل من ذلك فتزوّد لسفرك واقض ما أنت قاض من أمرك فكأنك بالأمر قد بغتك؛ إني لأقول هذا، وما أعلم أحدًا أشد تضييعًا مني لذلك ثم قام»(٢).

من درر وصايا إبراهيم بن أدهم:

□ كتب إبراهيم بن أدهم إلى بعض إخوانه: «أما بعد؛ فعليك بتقوى الله، الذي لا تحل معصيته ولا يرجى غيره واتق الله؛ فإنه من اتقى الله ﷻ عز وقوي، وشبع وروي، ورفع عقله عن الدنيا؛ فبدنه منظور بين ظهراني

(١) المصدر السابق (٩/ ١٧٣).
(٢) «الحلية» (٧/ ٣٥٤- ٣٤٦).

أهل الدنيا، وقلبه معاين للآخرة فأطفأ بصر قلبه عيناه من حب الدنيا؛ فقذر حرامها وجانب شهواتها، وأضر بالحلال الصافي منها، إلَّا ما لا بد له من كسرة يشد بها صلبه، أو يواري به عورته من أغلظ ما يقدر عليه وأخشنه ليس له ثقة ولا رجاء إلَّا الله قد رفعت ثقته ورجاؤه من كل شيء مخلوق، ووقعت ثقته ورجاؤه على خالق الأشياء، فجدّ وهزل، وأنهك بدنه لله، حتى غارت العينان، وبدت الأضلاع وأبدله الله تعالى بذلك: زيادة في عقله وقوة في قلبه، وما أدخر له في الآخرة أكثر؛ فارفض يا أخي الدنيا، فإن حب الدنيا يصم ويعمي، ويذل الرقاب ولا تقل غدًا وبعد غد؛ فإنما هلك من هلك بإقامتهم على الأماني، حتى جاءهم الحق بغتة وهم غافلون، فنقلوا على إصرارهم إلى القبور المظلمة الضيقة، وأسلمهم الأهلون والولد؛ فانقطع إلى الله بقلب منيب وعزم ليس فيه شك والسلام»[(١)].

من درر كلام ذي النون:

◻ عن يوسف بن الحسن قال: قال ذو النون المصري يومًا -وأتاه رجل فقال له: «أوصني-؛ فقال: بِمَ أوصيك؟ إن كنت ممن قد أيد منه في علم الغيب بصدق التوحيد، فقد سبق لك قبل أن تخلق إلى يومنا؛ هذا دعاء النبيين والمرسلين والصديقيين؛ وذلك خير من وصيتي لك، وإن يكن غير ذلك فلن ينفعك النداء»[(٢)].

---

(١) «الحلية» (٨/ ١٨- ١٩).

(٢) «الحلية» (٩/ ٣٥٤).

وصية شقيق البلخي:

□ عن أبي التراب: سمعت محمد بن شقيق بن إبراهيم البخلي وحاتمًا الأصم يقولان: كان لشقيق وصيتان: «إذا جاء رجل من العرب، يوصه بالعربية ويقول: توحد الله بقلبك ولسانك وشفتك، وأن تكون بالله أوثق مما في يديك؛ والثالث: أن ترضى عن الله».

وإذا جاءه أعجمي قال: «احفظ مني ثلاث خصال: أول خصلة: أن تحفظ الحق ولا يكون الحق حقًّا إلَّا بالاجتماع؛ فإذا اجتمع الناس فقالوا: إن هذا الحق يعمل ذلك الحق، يريد الثواب مع الإياس من الخلق ولا يكون باطلًا إلَّا بالاجتماع؛ فإذا اجتمعوا وقالوا: إن هذا باطل تركت هذا الباطل خوفًا من الله تعالى مع الإياس من المخلوقين؛ فإنه حرام عليك أن تدخل في شيء من الأشياء إلَّا أن يكون معك بيان ذلك الشيء وعلمه»(١).

وصية لعمر بن الخطاب رضي الله عنه:

□ عن مالك بن أنس قال: حدثني من أرضي: أن عمر بن الخطاب أوصى رجلًا؛ فقال: «لا تعترض فيما لا يعنيك، وأجتنب عدوك، واحذر خليلك؛ ولا أمير من القوم إلَّا من خشي الله؛ والأمير من القوم: لا تعدل به شيئًا؛ ولا تصحَبَنَّ فاجرًا: كي تعلم من فجوره، ولا تفش إليه سرك؛ واستشر في أمرك الذين يخشون الله»(٢).

---

(١) «الحلية» (٨/ ٦٢).

(٢) «الحلية» (٦/ ٣٢٨- ٣٢٩).

وصية من ذي النون:

□ عن يوسف بن الحسين قال: قلت لذي النون لما أردت توديعه: أوصني رضي الله عنك بوصية أحفظها عنك؛ فقال: «لا تكن خصمًا لنفسك على ربك، مستزيد في رزقك وجاهك، ولا تكن خصمًا لربك على نفسك؛ فإنه لا يجتمع معك عليك، ولا تلقين أحدًا بعين الازدراء والتصغير، وإن كان مشركًا خوفًا من عاقبتك وعاقبته؛ فلعلك تسلب المعرفة ويرزقها»[١].

وأخرى من ابن أدهم:

□ عن إبراهيم بن بشار قال: كتب عمر بن المنهال القرشي إلى إبراهيم ابن أدهم وهو بالرملة: أن عظني أحفظها عنك، فكتب له: «أما بعد؛ فإن الحزن على الدنيا طويل، والموت من الإنسان قريب، وللنفس منه في كل وقت نصيب، وللبلى في جسمه دبيب؛ فبادر بالعمل قبل أن تنادى بالرحيل، وأجتهد قبل أ ن ترحل إلى دار المقر»[٢].

وثالثة لداود الطائي:

□ عن عبد الله بن إدريس قال: قلت: قلت لداود الطائي: أوصني؛ قال: «أقلل معرفة الناس؛ قلت: زدني؛ قال: ارض باليسير من الدنيا مع سلامة الدين، كما رضي أهل الدنيا بالدنيا، مع فساد الدين، قلت: زدني؛ قال: اجعل الدنيا كيوم صمته، ثم افطر على الموت»[٣].

---

(١) «الحلية» (٩/ ٣٨٢- ٣٨٣).

(٢) «الحلية» (٨/ ١٧ - ١٨).

(٣) «الحلية» (٧/ ٣٤٣).

وصية لمالك بن أنس:

▢ عن خالد بن خداش قال: ودعت مالك بن أنس؛ فقلت: «أوصني يا أبا عبد الله؛ قال: تقوى الله، وطلب الحديث من عند أهله»[١].

من درر الثوري:

▢ عن طاهر بن أحمد الزبيري: ثنا أبي قال: كتب رجل من إخوان سفيان الثوري إلى سفيان الثوري: أن عظني فأوجز؛ فكتب إليه: «عافانا الله وإياك من السوء كله؛ يا أخي إن الدنيا غمها لا يفنى، وفرحها لا يدوم، وفكرها لا ينقضي، فاعمل لنفسك حتى تنجو؛ ولا تتوان فتعطب والسلام»[٢].

وصية خالد بن صفوان لعمر بن عبد العزيز:

▢ عن إبراهيم بن بشار قال: سمعت إبراهيم يقول: بلغني أن عمر بن عبد العزيز قال لخالد: عظني وأوجز فقال خالد: يا أمير المؤمنين، إن أقوامًا غرهم ستر الله، وفتنهم حسن الثناء فلا يغلبن جهل غيرك بك، علمك بنفسك أعاذنا الله وإياك أن نكون بالستر مغرورين، وبثناء الناس مسرورين، وعما افترض الله علينا متخلفين ومقصرين، وإلى الأهواء مائلين. قال: فبكى، ثم قال: أعاذنا الله وإياك من اتباع الهوى»[٣].

وصية حكيم الأمة أبي الدرداء:

▢ عن حبيب بن عبد الله أن رجلًا أتى أبا الدرداء، وهو يريد الغزو

(١) «الحلية» (٦/ ٣١٩).
(٢) «الحلية» (٧/ ٥).
(٣) «الحلية» (٨/ ١٨).

فقال: أوصني؛ فقال: «اذكر الله في السراء يذكرك في الضراء، وإذا أشرفت على شيء من الدنيا فانظر إلى ما يصير»(١).

وصية لابن مسعود رضي الله عنه:

□ قال رجل لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أوصني يا أبا عبد الرحمن؛ قال: «ليسعك بيتك واكفف لسانك وابك عن ذكر خطيئتك»(٢).

وصية للثوري:

□ عن أحمد بن يونس قال: سمعت رجلًا يقول لسفيان الثوري: يا أبا عبد الله أوصني؛ قال: «إياك والأهواء، وإياك والخصومة، إياك والسلطان»(٣).

وصية إمام أهل السنة أحمد بن حنبل في هجر المبتدعة:

□ عن أبي عليٍّ بن حنبل بن إسحاق بن حنبلٍ قال: «كتب رجلٌ إلى أبي عبد الله أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ كتابًا يستأذِنُه في أَنْ يَضَعَ كتابًا يَشْرَحُ فيه الرَّدَّ على أَهْلِ البِدَعِ، وأن يَحْضُرُ مع أهل الكلام، فيُناظِرَهُمْ، ويحْتَجَّ عليهم، فكتب إليه أبو عبد الله: «بسم الله الرحمن الرحمن.. أحسن الله عاقِبَتَكَ، ودفع عنك كُلَّ مَكْروهٍ ومحذورٍ.

الذي كُنَّا نسمَعُ، وأدْرَكْنا عليه من أدْرَكْنا من أهل العلم أَنَّهُم كانوا يَكْرَهُونَ الكلامَ، والجُلوسَ مع أَهْلِ الزَّيْغِ، وإنَّما الأمورُ في التَّسْليمِ والانْتِهاءِ إلى ما كان في كتاب الله أو سُنَّةِ رسولَ الله لا في الجُلوسِ مع أَهْلِ

(١) «الحلية» (١/ ٢٠٩).

(٢) المصدر السابق (١/ ١٣٥).

(٣) المصدر السابق (٧/ ٢٨).

البِدَعِ والزَّيْغِ لِتَرُدَّ عليهم؛ فإنَّهم يُلَبِّسون عليك وهم لا يَرْجِعون.

فالسَّلامَةُ -إن شاء الله- في ترك مُجالستِهِم، والخوض معهم في بِدْعَتِهِم وضلالتهم، فلْيَتَّقِ الله امرؤٌ، ولَيَصِرْ إلى ما يَعودُ عليه نَفْعُهُ غدًا من عملٍ صالحٍ يقدِّمه لنفسه، ولا يَكُنْ مِمَّنْ يُحْدِثُ أمْرًا، فإذا هو خرجَ منهُ؛ أَرادَ الحُجَّةَ، فيَحْمِلُ نفسَهُ على المُحالِ فيه، وطلب الحُجَّةِ لما خرج منه بحَقٍّ أو بباطلٍ، ليُزَيِّنَ به بدعته، وما أحدث وأَشدُّ من ذلك أن يكون قد وَضَعَهُ في كتابٍ قد حُمِلَ عنه، فهو يُريدُ أنْ يُزَيِّنَ ذلك بالحقِّ والباطلِ، وإنْ وضح له الحَقُّ في غيرِهِ، ونسأَلُ الله التَّوفيقَ لنا ولك. والسَّلامُ عليكَ»[١].

ونختتم بوصية وهب بن منبه[٢]:

□ قال وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ: «إذا أَرَدْتَ أنْ تعمل بطاعة الله عَزَّ وَجَلَّ؛ فاجتهد في نُصْحِكَ وعلمك لله، فإنَّ العمل لا يُقْبَلُ ممَّن ليس بناصحٍ، وإنَّ النُّصْحَ لله عَزَّ وَجَلَّ لا يكْمُلُ إلَّا بطاعة الله، كمثل الثمرةِ الطيبةِ؛ ريحُها طيِّبٌ وطعمها طيِّبٌ؛ كذلك مثل طاعة الله، النُّصْحُ رِيحُها، والعمل طَعْمُها.

ثمَّ زَيِّنْ طاعة الله بالعلم، والحلم، والفِقْهِ.

ثمَّ أَكْرِمْ نفسك عن أخلاقِ السُّفهاءِ، وعَبِّدْها على أخلاقِ العلماءِ، وعَوِّدْها على فعل الحُلَماءِ، وأمنعها عمل الأشقياء، وأَلْزِمْها سيرة الفُقهاء، واعْزِلْها عن سُبُلِ الخُبَثاءِ.

وما كان لك من فضلٍ؛ فأعِنْ به من دونَكَ، وما كان فيمَنْ دُونَكَ من نقْصٍ؛ فأَعِنْهُ عليه حتى تُبلِّغَهُ معك؛ فإنَّ الحكيم يجْمَعُ فضوله، ثم يعود بها على من دونه، ثم ينظُرُ في نقائِصِ من دونه، ثم يُقوِّمُها ويُزْجِها حتى يُبْلغَهُ.

---

(١) «الإبانة» لابن بطة (٢/ ٤٧١- ٤٧٢).

(٢) من ثقات التابعين.

إن كان فقهيًا؛ حمل من لا فِقْهَ له، إذا رأى أنَّه يُريدُ صُحْبَتَهُ ومعونَتَهُ وإذا كان له مالٌ، أَعْطى منه من لا مالَ لَهُ.

وإنْ كان مُصْلِحًا؛ اسْتغْفَرَ الله للمُذْنِبِ إذا رجا توبتَهُ.

وإن كان مُحْسِنًا؛ أحسن إلى من أَساءَ إليه، واسْتَوْجَبَ بذلك أَجْرَهُ.

ولا يغترُّ بالقول حتى يجيء معه الفعل، ولا يَتمنَّى طاعة الله إذا لم يَعْمَلُ بها.

فإذا بلغ من طاعة الله شيئًا؛ حمد الله، ثم طلب ما لم يَبْلُغْ منها، وإذا عَلِمَ من الحِكْمَةِ لم تُشْبِعْهُ حتى يتعلَّم ما لم يبلغ منها.

وإذا ذكر خَطيئَتَهُ سَتَرَها عن النَّاس واستغفر الله الذي هو القَادِرُ على أن يغْفِرَها.

ثم لا يستعينُ على شيءٍ من قوله بالكذب؛ فإنَّ الكذب في الحديث مثل الأَكَلَةِ في الخشبةِ، يُرى ظاهرها صحيحًا وجوفُها نخرًا، لا يزالُ من يغْتَرُّ بها يَظُنُّ أنَّها حاملةُ ما عليها حتى تَنْكسر على ما فيها، ويهلك من اغْتَرَّ بها، وكذلك الكذب في الحديث، لا يزال صاحبه يغتر به، ويظنُّ أَنَّهُ معينُهُ على حاجته، وزائدٌ له في رغبتِهِ؛ حتى يعرف ذلك منه، ويتبَّين لذوي العُقول غروره، ويستنبط العلماءُ ما كان يسْتَخْفي به عنهم، فإذا اطَّلَعوا على ذلك من أمره، وتبيَّنَ لهم؛ كَذَّبوا خبره، وأبادوا شهادته، واتَّهموا صدقه، واحتقروا شأنه، وأبغضوا مجلسه، واسْتَخْفَوا منه بسرائرهم، وكتموا حديثهم، وصرفوا عنه أمانتهم، وغيَّبُوا عنه أمرهم، وحزروه على دينهم ومعيشتهم، ولم يحضروا شيئًا من محاضرهم، ولم يأمنوه على شيءٍ من سرهم، ولم يُحكِّموهُ في شيءٍ ممَّا شَجَر بينهم»[(١)].

(١) «حلية الأولياء» (٤/ ٣٦- ٣٧).

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع — الصفحة

كمبيوتر الصديق
محمول/٠١٨٤٤١٩٢٥٠
ت/٢٦٤٣٢٨٣٧